



جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط
من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د.) في التاريخ الوسيط

إشراف:

أ.د/ طاهر بن علي

إعداد الطالب:

أحمد بوشامة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
يمينة بن صغير حضري	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
طاهر بن علي	أستاذ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
إبراهيم بحاز	أستاذ	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
سالم كربوعة	محاضر أ	جامعة محمد خيضر- بسكرة	عضوا مناقشا
علال بن عمر	محاضر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي	عضوا مناقشا
صلاح الدين وانس	محاضر أ	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

1442-1443هـ/2021-2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين

—حفظهما الله ورعاهما—

وإلى أخواتي الغاليات والخال أحمد

وإلى كلّ من تلقيت العلم على يديه من الابتدائي إلى الطور الجامعي

وإلى جميع أصدقائي ورفاق دربي

وإلى كلّ محبّ للعلم والمعرفة

شكر وعرّفان

بعد شكر المولى - عزّ وجلّ - على فضله ونعمته

وعلى ما أهداه من نعمة التوفيق لإتمام

هذا البحث

يطيب لي أن أتوجّه بخالص الشكر وفائق التقدير

إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور طاهر بن علي

الذي تفضل بالإشراف عليّ، وكانت توجيهاته القيمة، ورحابة صدره،

وسعة أفقه دوما ما تُرشدي وتُحفزني على بذل ما في وسعي لخوض غمار البحث

في هذا الموضوع

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من أسهم من قريب

أو بعيد في مساعدتي لإنجاز هذه الرسالة

المقدمة

تعتبر القراءة الجغرافية لانتشار التوجّهات المذهبية من الآليات المهمّة التي يُمكن لها خدمة البحث التاريخي، وذلك لأنّ الاتجاه البحثي في المقاربة الجغرافية يأخذ التاريخ المذهبي إلى مجال أوسع، يشمل فهم تاريخيته من خلال تتبّع مختلف مناطق انتشار التوجّهات المذهبية، سواءً من خلال استقراء النصوص التاريخية أو تحليل المعطيات الميدانية، وهذا ما يسمح بتجميع جزئيات التوزّع الجغرافي للمذهب، ثمّ تقديمها وفق رؤية تركيبية تهدف لتقييم مدى انتشاره في مجال جغرافي معيّن.

وبذلك يُمكن للتصوّر الجغرافي لانتشار التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط في أيّ حقبة زمنية، أن يكون قاعدة صلبة يعتمد عليها الباحث في جعلها إحدى المحركات الأساسية التي تساعد في رسم الخطوط العريضة لفهم تحولات التاريخ السياسي والمذهبي بالمغرب الأوسط، وأثرها على مناحي الحياة الأخرى.

اختيار الموضوع:

وترجع معرفتي بهذا الموضوع إلى بداية التسجيل لتحضير رسالة الدكتوراه، وذلك عندما عرضت علينا لجنة التكوين مجموعة من المشاريع المقترحة التي يجب أن نختار واحدا منها، فكنّت متردّدا في بداية الأمر بين مشروعين من بينهما موضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

ثمّ بعدما أجريت بحثا عاماّ حول هذا الموضوع بدا لي أنّه جدير بالاهتمام، ووجدته يتناغم مع اهتماماتي البحثية، ومع ذلك بقي تردّدي، واستمرار رغبتني في إنجاز المشروع الآخر، إلى أن التقيت مع أستاذي المشرف الدكتور طاهر بن علي الذي شجّعني على المضيّ في موضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط، ثمّ بعد استشارته قرّرت حصر هذا الموضوع بفترة زمنية، تبدأ من القرن 2هـ/8م الذي يمثّل الحقبة التاريخية التي شهدت انفتاح هذا المجال على العديد من التوجّهات المذهبية، إلى نهاية القرن 6هـ/12م، وهو القرن الذي عرف سيطرة الانتماء المذهبي المتكوّن من الأشعرية عقيدة، والمالكية فقها، والصوفية سلوكا في غالب المغرب الأوسط، وبذلك جاء عنوان هذا البحث على الشكل التالي:

الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط

من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م

أهمية الموضوع:

ويمكنني أن أحدّد أهمية هذا الموضوع في المنطلقات المعرفية التالية:

-تحتاج الدراسات الوصفية للتاريخ المذهبي إلى ضبط معالمها الجغرافية، ومن هذا السبيل يكون موضوعي تكملة وصلّة لدراسات التاريخ العام والمذهبي.

-تعتبر القراءة الجغرافية لانتشار المذاهب من الروافد المساهمة في فهم تاريخ الذهنيات بالمغرب الأوسط، وذلك لأنها كفيلة بالبحث عن مناطق انتشار التوجّهات المذهبية، ومعالجة تطوّراتها وآثارها.

-البحث في الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط وتحوّلاتها ضرورية لمعرفة كيفية تشكّل الهوية المذهبية التي استقرّ عليها غالب أهل المغرب الأوسط بعد القرن 6هـ/12م.

- يُولي هذا الموضوع اهتماما بدراسة المعالم العمرانية والجغرافية التي لها علاقة بانتشار المذاهب، وهذا ما يفتح أفقا لمعرفة تاريخ المكان المتشكّل في الحاضر أو استغلال معطياته لفهم تكوّن جغرافيته في الماضي.

-تسمح دراسة جزئيات انتشار التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط في تعميق البحث في التاريخ المحلي.

إشكالية الموضوع:

ومن أجل معالجة هذا الموضوع، وتأطيره فكريا، وإبراز المنحى البحثي الذي ستسلكه هذه الدراسة، انطلق هذا الموضوع من طرح الإشكال التالي:

ما هي التكوينات التاريخية للتوجّهات المذهبية التي شكّلت معالم الجغرافية المذهبية بالمغرب

الأوسط من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م؟

ومن هذا الإشكال تتفرع الأسئلة الآتية:

-كيف تشكّلت الحركة المذهبية بالمغرب الأوسط في القرن 2هـ/8م؟

-ما هي انعكاسات الحركة المذهبية على الخارطة السياسية للمغرب الأوسط من اندلاع الثورات الصفيرية إلى سقوط الدولة الرستمية؟

- ما هي معالم الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط على عهد الدولة الرستمية

- ما هي التحوّلات التي طالت الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط بعد ظهور الدعوة الإسماعيلية؟

- ما هي تطوّرات الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م؟
وقد حاولت في صياغة هذه التساؤلات أن أجعلها منطلقات استفهامية، تحاول هذه الدراسة التدرج في الإجابة عنها على توالي فصولها ومباحثها.

أهداف الدراسة:

ولتحديد الغايات التي يصبو إليها هذا البحث، يُمكنني أن أسطر الأهداف التالية:
- محاولة الإلمام بالتوجّهات المذهبية التي انتشرت في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.
- معرفة التحوّلات المذهبية التي عرفها إنسان المغرب الأوسط، ووضعها في إطار تحقيقي، يهدف لوضع تصوّر عامّ لتطوّرات الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط.
- إنشاء معرفة في العلاقة بين المذهبية والعصية في تاريخ المغرب الأوسط، ودورها في تشكيل خارطته السياسية، ليتسنى للباحثين تحليل ذلك من خلال منظور خلدونيّ.
- المساهمة في إثراء الدراسات الأكاديمية التي تتبنّى البحث في الجغرافية التاريخية للمغرب الأوسط بصفة عامّة، ودراسة تاريخ وجغرافية المذاهب التي انتشرت فيه بصفة خاصّة.

الدراسات السابقة:

وبشأن الدراسات السابقة التي تطرّقت إلى هذا الموضوع، فإنّني لم أجد فيما اطّلت عليه من قديم دراسة للحضور الجغرافي والسياسي للتوجّهات المذهبية التي انتشرت في بلاد المغرب الأوسط من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م، ولكن هناك الكثير من الدراسات التي تطرّقت للعديد من جوانب التاريخ المذهبي للمغرب الأوسط، وإن كان غالبها لم يعتمد على المقاربة الجغرافية في التأريخ للوجود المذهبي بالمغرب الأوسط، إلّا أنّها كانت تشترك مع العديد من عناصر هذا البحث.

فهناك بعض الدراسات التي تتقاطع مع هذا الموضوع في دراسة جغرافية بعض القبائل الكبرى بالمغرب الأوسط، ودورها في الحركة المذهبية ببلاد المغرب، ومن أهمّ هذه الدراسات التي تستحقّ الإشارة هنا:

- "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري" لموسى لقبال¹.

¹ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي" لمحمد بن عميرة¹.
- كما يوجد العديد من الدراسات الأخرى التي اتّجّحت اهتماماتها البحثية في معالجة الجوانب السياسية والثقافية للتوجّهات المذهبية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، ومن أهمّها:
- "الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية" لإبراهيم بحاز².
- "الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م)" لمسعود مزهودي³.
- "التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين: نشأته -تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي" للطاهر بونابي⁴.
- "المذهب المالكي بالمغرب الأوسط - دخوله وانتشاره-" لسعيدة لوزري⁵.
- "الاتّجاهات المذهبية ودورها في التطوّر الثقافي في المغرب الأوسط من القرن 3هـ إلى القرن 6هـ" لدين سايح⁶.

هذا، وتبقى العديد من الدراسات الأخرى التي عاجلت العديد من القضايا التي تطرّق إليها هذا البحث، فكانت كلّها دراسات سابقة ساعدتني في التأسيس المعرفي لهذا الموضوع.

خطة الموضوع:

حاولت في خطة هذه الدراسة مراعاة التحقيب الزمني الذي يسعى إلى إبراز التوزّع الجغرافي والحضور السياسي للتوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط، ثمّ التحوّلات التي مرّت بها، وبذلك جاءت خطة هذا البحث بعد المقدمة في شكل فصل تمهيدي وأربعة فصول أخرى.

فقدت في الفصل التمهيدي بوضع مقدّمات لهذا الموضوع، وذلك من أجل وضعه في سياقه الجغرافي والفكري والتاريخي، فحدّدت المفهوم الجغرافي الذي يدلّ عليه مصطلح المغرب الأوسط في هذا البحث، ثمّ وضحت بإيجاز الأصول الفكرية والتصنيفات المعرفية للتوجّهات المذهبية المراد

¹ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

² منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط4، الجزائر، 2015م.

³ المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1996م.

⁴ دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2004م.

⁵ منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.

⁶ أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، إشراف: بلعربي خالد، 1437-1438هـ/2015-2016م.

دراسة جغرافيتها بالمغرب الأوسط، ولذلك لتوضيح الأبعاد المعرفية التي يتضمنها مصطلح الجغرافية المذهبية، وبعدها ختمت هذه الفصل بالحديث عن البدايات الأولى لظهور الحركة المذهبية ببلاد المغرب، وهذا من أجل وضع تمهيد تاريخي للجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط.

ثمّ عالجنا في الفصل الأوّل أثر الحركة المذهبية على الجغرافية السياسية للمغرب الأوسط من اندلاع الثورات الصفرية إلى سقوط الدول الرستمية (122-296هـ/740-909م)، فحاولت عرض تاريخ إمارة أبي قرّة المغيلي الصفري من قيامها إلى سقوطها، وتحديد جغرافية نفوذها السياسي في المغرب الأوسط، وبعدها تناولت خلفيات قيام الدولة الرستمية، مركزا على جغرافية جبل سوفجج، وبناء مدينة تيهرت، ثمّ الامتداد السياسي لهذه الدولة بالمغرب الأوسط، ويأتي بعدها الحديث عن امتداد الحكم العلوي الإدريسي بالمغرب الأوسط، ودارسة لمواقع الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط والسلالات الحاكمة بها.

وأما في الفصل الثاني، فقد عالجنا فيه التوزع الجغرافي للتوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط من بداية القرن 2هـ/8م إلى قبيل قدوم أبي عبد الله الداعي إلى بلاد كتامة في سنة 280هـ/893م، فخصّصنا مبحثا يعالج الحضور الجغرافي للجماعات الصفرية بالمغرب الأوسط والتحوّلات السياسية التي مرّت بها، ثمّ تلاه الحديث عن التوزع الجغرافي للجماعات الإباضية والتوجّهات الداخلية التي عرفها الوسط الإباضي بالمغرب الأوسط، وبعد ذلك اتقاما لدراسة الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط خلال هذه الحقبة، تطرّقت لانتشار عقائد أهل السنّة، والمعتزلة، والشيعية من زيدية وإسماعيلية، والآراء الفقهية الحنفية والمالكية.

ثمّ في الفصل الثالث، عالجنا تحوّلات الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط من ظهور المشروع السياسي الإسماعيلي على يد أبي عبد الله الداعي في العقد التاسع من القرن 3هـ/9م، إلى قيام الدولة الحمّادية في سنة 408هـ/1017م، فدرست تحوّلات الجغرافية الشيعية انطلاقا من ظهور المشروع الشيعي الإسماعيلي الذي قاده أبو عبد الله الداعي في بلاد كتامة، وتحوّلات الجغرافية الكتامية، وسقوط الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط، ثمّ تطرّقت في هذا الفصل لظهور فرقة الفرثية في وارجلان، والجغرافية النكارية بالمغرب الأوسط، ثمّ تحوّلات الجغرافية الإباضية في هذا المجال الجغرافي، وبعد ذلك عالجنا توسّع القاعدة الجغرافية لانتشار التوجّه السنّي المالكي بالمغرب الأوسط، وتطوّرات الحركة الزهدية والصوفية في هذه الوسط المذهبي.

وأما في الفصل الرابع فقد تطرقت فيه للتوجهات المذهبية التي شكّلت الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، فجاء الحديث فيه عن تطوّر انتشار التوجّه السنّي المالكي بالمغرب الأوسط، ونشاط الحركة الفقهية المالكية في العديد من حواضره، ثمّ تقييم مدى انتشار الفقه الظاهري بالمغرب الأوسط، وبعدها تحدّثت عن انتشار عقائد الأشعرية والتصوّف بالمغرب الأوسط، وهذا الأخير تناولت انتشاره من خلال رصد نشاطه في مدن وأرياف هذا المجال الجغرافي، ثمّ أعدت تقييم انتشار الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط، وتطرّقت إلى بدايات انتقاهم واستقرارهم في وادي ميزاب.

ثمّ جاءت الخاتمة التي حوت أهمّ النتائج والتوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة.

المنهج المتبع:

اعتمدتُ في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي الذي حاولت من خلاله تقديم تصوّر عن جغرافية التوجّهات المذهبية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، غير أنّ الجزئية التي تتسم بها غالب النصوص التاريخية في حديثها عن الحضور المذهبي بالمغرب الأوسط، والاختلافات التي كثيرا ما تحدث بينها، اقتضى منّي استدعاء المنهج الاستقرائي الذي يتيح جمع المعطيات التاريخية من أجل الوصول إلى تقييم عام لانتشار المذهب، والمنهج المقارن الذي يساعد في الإحاطة بما كُتب عن الجزئية المدروسة، ثمّ اختيار ما يبدو صائبا منها، وبعد ذلك تتمّة لمقتضى البحث العلمي وظفّت المنهج التحليلي، فالمعطيات التاريخية لا بدّ لها من منهج يستنطق مكنوناتها، ويكشف غموضها، وهذا ما يثري العملية الوصفية لموضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط.

عرض وتحليل لأهمّ مصادر ومراجع البحث:

تنوّعت مصادر ومراجع هذه الدراسة، فكانت المادّة الخبرية لموضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة موزّعة في بطون الكثير من المصادر المتنوّعة، بينما تعدّدت الدراسات الحديثة التي عاجلت العديد من جوانب التاريخ المذهبي للمغرب الأوسط، ولذلك يُمكن تقسيم أهمّ المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث على الشكل التالي:

المصادر الإخبارية السنّية:

اهتمّت المصادر الإخبارية السنّية بتدوين الأحداث التاريخية للعديد من الجماعات المذهبية ببلاد المغرب، وهذا ما جعل من دائرة استخدامها تكون أوسع في هذا البحث، ومن أهمّها:

"تاريخ خليفة بن خياط" لأبي عمرو خليفة بن خياط الليثي (ت. 240هـ/854م)¹: وهو من أقدم المصادر الحولية التي اهتمت بالتأريخ لمختلف الأقاليم الإسلامية في تلك الفترة، وقد جاء فيه بعض الأحداث التاريخية التي تخصّ ثورات الصفرية والإباضية في بلاد المغرب، وتفرّد بذكر معلومات مهمّة عن انتشار العقائد الصفرية في منطقة تلمسان، وبعض المواجهات العسكرية والتحالفات السياسية التي قام بها أبو قرّة الصفري لمواجهة والي إفريقيّة عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127-140هـ/745-757م).

"فتوح إفريقيا والأندلس" لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت. 257هـ/803م): طبع هذا الجزء مستقلاً²، وهو في الأصل يمثل الباب الخامس من كتاب "فتوح مصر وأخبارها". اهتمّ صاحبه في هذا الجزء بتدوين الفتوحات الإسلامية للمغرب والأندلس والمرحلة التي جاءت بعدها إلى غاية ولاية عبد الرحمن بن حبيب، وقد كانت استفادة هذا البحث منه بصفة خاصّة في الأخبار التي كان له السبق في ذكرها -فيما وصلنا من مصادر- عن ثورات الصفرية في المغربين الأدنى والأقصى، وإشارته إلى تمرّد صفرية منطقة تلمسان تحت زعامة أبي قرّة الصفري، ومشاركته في حصار مدينة القيروان سنة 124هـ/742م.

"أخبار الأئمة الرستميّين" لابن الصغير (ت. بعد 294هـ/907م)³: مال بعض الباحثين إلى أنّه كان شيعياً⁴، ولكنّ الراجح أنّه كان سنّياً، فقد أظهر عدم موافقته للإباضية في تأويل معاني بعض صفات الله - عزّ وجلّ-، معتبراً ذلك تحريفاً⁵، وهذا الموقف يتماشى مع موقف أهل الحديث في عدم التعرّض لصفات الله -عزّ وجلّ- بالتأويل⁶.

ويعدّ كتاب ابن الصغير من المصادر الأساسية في التاريخ الرستمي، فقد عاش صاحبه في مدينة تيهرت، وروى مُحمّل أخباره عن شيوخ الإباضية وغيرهم، وأضاف إليها أخباراً أخرى كان شاهداً عليها من نهاية عهد أبي اليقظان بن أفلح (261-281هـ/874-894م) إلى عهد

¹ تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض-السعودية، 1985م.

² حقّقهُ وقَدّم له: عبد الله الطباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1964م.

³ تحقيق: محمّد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.

⁴ محمّد ناصر وإبراهيم بحاز، مقدّمة تحقيق كتاب أخبار الأئمة الرستميّين، ص12؛ Lewicki (T.), Les Historiens, Biographes et Traditionnistes Ibadites-Wahbites de l' Afrique du Nord du VIII^e au XVI^e Sciécle, Folia Orientalia, N. 3, 1961, p. 105.

⁵ ابن الصغير، المصدر السابق، ص105.

⁶ للاطلاع على عقيدة أهل الحديث في مسألة صفات الله -عزّ وجلّ-. انظر: المبحث الثاني من الفصل التمهيدي.

أبي حاتم بن أبي اليقظان (281-294هـ/894-907م)، والظاهر أن ابن الصغير واصل حديثه عن الرستميين بعد عهد أبي حاتم، ولكن لم يصلنا هذا الجزء من الكتاب¹.

وهذه الأخبار تطرقت للعديد من الجوانب في مدينة تيهرت ونواحيها، منها الجماعات المذهبية والفرق الإباضية التي عاشت بها، وملامح من نشاطاتهم العلمية، وبعض الإشارات الأخرى عن مجالات القبائل، وأسماء الأماكن، والأودية، وهذا ما ساهم في تسليط الضوء على جوانب من الجغرافية المذهبية بهذه المنطقة خلال العهد الرستمي.

"المقتبس" لأبي مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان القرطبي (ت. 469هـ/1076م): وهذا الكتاب في الأصل هو عبارة عن مؤلف كبير في تاريخ الأندلس يتكوّن من عشرة أسفار، ولكن لم يصلنا منها إلّا قطع متفرقة، وقد استفاد هذا البحث كثيرا من إحدى القطع التي نشرت تحت عنوان "المقتبس لابن حيّان القرطبي (الجزء الخامس)"²، وهي تتطرّق للسنوات الممتدة فيما بين 300-330هـ/912-950م من إمارة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م).

وقد جاء فيها بعض مراسلات الأمير السليماني إدريس بن إبراهيم وزعماء القبائل البربرية في المغربين الأوسط والأقصى إلى عبد الرحمن الناصر، وهذا ما زاد من قيمة معلومتها الخبرية، ومن خلالها تمكّنت من معرفة جوانب من الجغرافية القبيلة في المناطق الممتدة من منطقة تيهرت شرقا إلى وادي ملوية غرابا، وتأثير الدعوة الأموية في تحوّلهم للتوجّه السني المالكي.

"الكامل في التاريخ" لأبي الحسن عليّ بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت. 630هـ/1232م)³: وقد اعتمد في تدوين أخبار بلاد المغرب على العديد من المصادر المغربية التي منها ما هو في حكم المفقود حاليا، مثل كتاب "الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والأيام" لأبي محمّد عبد العزيز بن شدّاد الصنهاجي (ت. بعد 600هـ/1204م)⁴، ولذلك يعدّ كتاب الكامل من المصادر المهمة التي أفادتني بالعديد من الروايات عن تاريخ الجماعات الصفرية والإباضية والإسماعيلية بالمغرب الأوسط.

¹ وداد القاضي، ابن الصغير مؤرّخ الدولة الرستمية، مجلّة الأصالّة، العدد: 45، 1387هـ/1977م، ص41.

² اعتنى بنشرها: ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد-إسبانيا، 1979م.

³ تحقيق ومراجعة: أبو الفداء عبد الله القاضي ومحمّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت-لبنان، 2003م.

⁴ للاطلاع أكثر عن مصادر ابن الأثير في تدرين تاريخ بلاد المغرب بكتابه الكامل. انظر: بن يحيى مصطفى وبوشناق محمد، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ": دراسة في المصادر والمنهج، مجلّة عصور الجديدة، المجلد: 10، العدد: 4، ديسمبر 2020م، ص83-86.

"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت. بعد 712هـ/1312م)¹: وهو يمثل تاريخاً عاماً للمغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى نهاية عهد الموحّدين، حاول فيه صاحبه جمع واختصار ما كان متفرّقاً في المصادر عن تاريخ بلاد المغرب والأندلس².

وقد أفاد كتاب البيان كثيراً هذا البحث، وذلك في العديد من المواضيع، منها نقله لبعض أخبار الجماعات الصفرية والإباضية بالمغرب الأوسط، وحديثه عن صراع الإمارات السلিমانيّة مع بعض الزعامات البربرية الموالية للأمويين، ثمّ توالي سقوطها بعد ذلك، واحتفاظه برواية أبي عبد الله الورّاق (ت. 363هـ/974م) التي تحدّث فيها عن انتشار الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة، وضبطه لبعض تواريخ توسعات أبي عبد الله الداعي في بلاد الزاب قبل قيام الدولة الفاطمية.

"الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لأبي الحسن عليّ بن عبد الله الفاسي المعروف بابن أبي زرع (ت. 726هـ/1326م)³: تناول فيه التاريخ السياسي للمغرب الأقصى بصفة عامّة، ومدينة فاس بصفة خاصّة من بداية العهد الإدريسي إلى سنة 726هـ/1326م، مع الإشارة إلى العديد من القضايا المتنوعة، وقد تضمن هذا المصدر بعض الإشارات المعينة في معرفة الامتداد الإدريسي في النواحي الغربية للمغرب الأوسط في القرن 2هـ/8م، وفي أخبار قبائل بني يفرن ومغراوة وتحوّلاتهم الجغرافية بين المغربين الأوسط والأقصى في القرن 4هـ/10م.

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون (ت. 808هـ/1406م)⁴: وهو من أهمّ المصادر التي لا يُمكن الاستغناء عنها في تاريخ بلاد المغرب خلال العصر الإسلامي، وخاصّة فيما تعلق بأنساب القبائل البربرية والعربية، وتوزّع فروعها في بلاد المغرب، ودور بعض القبائل البربرية الكبرى في قيام الدول.

وهو من المصادر التي استعنت بها كثيراً في معرفة أنساب العديد من قبائل المغرب الأوسط، ومجالاتهم الجغرافية، وتوجّهاتهم المذهبية، وفي تتبّع وقائع صراعات بعض قبائل المغرب الأوسط

¹ تحقيق: ج.س. كولان وإ. ليفي برونسفال، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م.

² للاطلاع أكثر عن منهج ومصادر ابن عذاري في كتابه البيان. انظر: دبور محمّد عليّ، منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره في البيان المغرب، مجلّة ندوة التاريخ الإسلامي، العدد: 21، 2007م، ص9-168.

³ دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972م.

⁴ ضبط المتن ووضع الحواشي والفهام: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981م.

مع الكيانات السياسية القائمة في بلاد المغرب، والأحداث التي جرت من خلالها القطيعة المذهبية بين حمّاد بن بلكين والفاطميين في مصر.

مصادر التاريخ السياسي والثقافي للإباضية:

ترك الإباضية في بلاد المغرب تراثا كبيرا ومتنوعا خلال العصر الوسيط، وكان من ضمن هذا التراث العديد من المصادر التي ركزت على تدوين جوانب من التاريخ السياسي والثقافي للجماعات الإباضية في بلاد المغرب، ومن بين أهمّ هذه المصادر إفادة لهذا البحث:

"كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين" للوَّاب بن سلّام بن عمرو اللّواتي (ت. بعد 273هـ/887م)¹: وهو من أقدم المصادر التي وصلتنا عن إباضية بلاد المغرب، وقد أفادني في فهم أحداث قدوم والي مصر محمّد بن الأشعث إلى المغرب الأدنى، وإطاحته بحكم أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وهو ما نتج عنه فرار عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة تيهرت، وكذلك في مبايعة أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي، وحصاره لمدينة القيروان.

"كتاب سير الأئمّة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء" لأبي زكرياء (يحيى بن أبي بكر ت. بعد 474هـ/1081م)²: حاول فيه صاحبه تدوين تاريخ عامّ للجماعات الإباضية ببلاد المغرب منذ بدايات انتشار هذا التوجّه في أواخر القرن 1هـ/7م إلى منتصف القرن 5هـ/11م، وقد أهّلته المادّة الخبرية التي جمعها عن الدولة الرستمية، والجماعات الإباضية في بلاد المغرب، والانشقاقات الفكرية التي حدثت بينهم، أن يكون أهمّ مصدر إباضي تناول هذه الحقبة.

ولذلك اعتمدتُ عليه كثيرا في هذا البحث، فهو أقدم مصدر ذكر قدوم عبد الرحمن بن رستم إلى جبل سوفجج، وتحدّث عن تمرّد الجماعات المعتزلية المحيطة بمدينة تيهرت على الإمام عبد الوهّاب (171-208هـ/787-823م)، كما اهتمّ أيضا بذكر أحداث انشقاق النكارية في بداية عهد الإمام عبد الوهّاب، وظهور فرقة الفرثية في مدينة وارجلان، وحفل كتابه بمعلومات متفرقة عن الوجود الإباضي في منطقة تيهرت، وبلاد الزاب، ووارجلان، وأريغ، وأسوف.

"سير الوسياني" لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني (ق. 6هـ/12م)³: وهو يتكوّن من ثلاثة أجزاء، الأوّل قام الوسياني بتأليفه، والثاني أملاه على أحد طلبته، والثالث هو لشخص

¹ تحقيق: قبرنر شقارتس وسالم بن يعقوب، منشورات جمعية المستشرقين الألمان، فيسبادن، 1986م.

² حقّقه ووضع حواشيه: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 1984م.

³ تحقيق ودراسة: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط-عمان، 1430هـ/2009م.

عاش في قنطار ببلاد الجريد تقديرا بين النصف الثاني من القرن 5هـ/11م والنصف الأول من القرن الذي يليه، ثم ألحق كتابه بمجموع الوسياني، ودرج النساخ والعلماء على اعتباره جزءا من هذا الكتاب¹.

وقد ساهم هذا المجموع في كشف جوانب من الجغرافية الإباضية بالمغرب الأوسط خاصة خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، فجاء في ثناياها تفاصيل ثرية عن أسماء قصور وقرى منطقة وارجلان ووادي أريغ، وبعض الجماعات القبلية التي كانت تقطن بها أو في نواحيها، والتحوّلات الاجتماعية التي عرفتتها هذه الجهات بعد حلول الهلاليين فيها.

"كتاب طبقات المشايخ بالمغرب" أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت. حوالي 670هـ/1271م)²: وقد حاول فيه صاحبه تعويض النقص الكبير في تواريخ وفيات علماء الإباضية، فقام في الجزء الثاني من هذا الكتاب، بترتيب تراجمه حسب الأجيال، فقسّمه على اثني عشر طبقة، وحدّد كلّ طبقة بخمسين سنة، فكان هذا الجهد، مما يُساعد الباحث في تراجم علماء الإباضية على تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها صاحب الترجمة.

"كتاب السير" لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت. 928هـ/1522م)³: وقد حاول فيه مواصلة تدوين تراجم علماء الإباضية إلى عهده، وعلى الرغم من إعادته للكثير ممّا هو موجود في المصادر الإباضية السابقة الذكر، إلّا أنّه حوى بعض الزيادات المهمة التي استفدت منها، خاصة في إشارته للشخصيات التي شكّلت أهمّ مرجعات فرقة النكارية في القرن 2هـ/8م.

المصادر الإخبارية الشيعية:

اهتمّت العديد من المصادر الإخبارية الشيعية بتدوين جوانب من التاريخ السياسي والمذهبي لبلاد المغرب، وقد شكّلت المادّة التاريخية التي نقلتها بعضها، أساسا لا يُمكن الاستغناء عنه في دراسة الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط، ومن أهمّ هذه المصادر إثراءً لهذه الدراسة:

"أخبار فحّ وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله" لأحمد بن سهل الرازي (حيّا في بداية القرن 4هـ/10م)⁴: يعتبر هذا الكتاب من أهمّ المصادر الزيدية التي تناولت أخبار

¹ بوعصانة، قسم الدراسة لسير الوسياني، ج1، ص136-147.

² تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1974م.

³ دار الأبحاث، تلمسان-الجزائر، 2011م.

⁴ تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة-اليمن، 1421هـ/2000م.

إدريس بن عبد الله من مشاركته في معركة فحّ سنة 169هـ/786م إلى فترة حكمه بالمغرب الأقصى. وقد تفرّد صاحبه بذكر بعض الأخبار التي تخصّ توسّعاته على حساب الرستميين في النواحي الغربية للمغرب الأوسط، وهذا ما أعانني في فهم التحوّلات التي مرّت بها الحدود الغربية للدولة الرستمية.

"كتاب افتتاح الدعوة" للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (تـ. 363هـ/973م)¹: انتهى من تأليفه في سنة 346هـ/957م، وقد حوى هذا المصدر معلومات مفصّلة عن مرحلة مكوث أبي عبد الله الداعي في بلاد كتامة، والصراعات العسكرية التي خاضها إلى سقوط الدولة الأغلبية، وهذا ما أهله أن يكون أهمّ مصدر تحدّث عن الدعوة الإسماعيلية في هذه الفترة، ولهذا فالمادّة الخبرية التي جاءت فيه مهمّة جدًّا لتحديد الحدود الجغرافية لبلاد كتامة، وفهم كيفية انتشار الدعوة الإسماعيلية بها، والتعرّف على بعض القبائل التي اعتنقت الدعوة الإسماعيلية، وأسماء بعض المعالم المكانية والعمرانية في هذه المنطقة.

"تاريخ إفريقية والمغرب" لأبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (تـ. 420هـ/1029م)²: وهذا الكتاب يتطرّق إلى تاريخ إفريقية من الفتح الإسلامي إلى حدود سنة 417هـ/1026م³، ولكن لم يصلنا من هذا المصنف الكبير إلا قطعة صغيرة، تتناول الفترة الممتدّة من الفتح الإسلامي إلى بداية عهد الأمير الأغلي أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (196-201هـ/812-817م). وقد تضمّنت هذه القطعة بعض التفاصيل التي تخصّ صراعات أبي قرّة الصفري مع ولاة إفريقية، وتمرّد قبيلة ورفجومة الصفرية، واستيلائها على مدينة القيروان في سنة 139هـ/756م، وحصار الصفرية والإباضية لوالي إفريقية عمر بن حفص (151-154هـ/768-771م) في مدينة طبنة سنة 154هـ/771م.

"تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاصّ من كتاب عيون الأخبار" للداعي إدريس عماد الدين بن الحسن (تـ. 872هـ/1488م)⁴: وقد نقل هذا المصدر من بعض المصادر التي هي في حكم المفقود حاليًّا، مثل "سيرة جوهر" لأبي محمد الحسن بن زولاق (تـ. 387هـ/997م)،

¹ تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع/ ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس/ الجزائر، 1986م.

² تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة-مصر، 1994م.

³ للاطلاع أكثر على مضمون هذا الكتاب. انظر: عمارة علاوة، الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلّة التاريخ العربي، العدد: 24، 2003م، ص130-139.

⁴ تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م.

و"السيرة الكتامية" لحيدرة بن محمد الكتامي (ق. 4هـ/10م)، وهذا ما جعله من المصادر المهمة التي تناولت أحداث العهد الفاطمي في بلاد المغرب. وقد استفدتُ منه كثيراً في تحديد مجالات القبائل الإباضية من الوهبة والنكارية في المغرب الأوسط، وفي معرفة بعض الجوانب المتعلقة بالصراع الإباضي الفاطمي.

مصادر التراجم والطبقات والمناقب المالكية:

تزخر مصادر التراجم، والطبقات، والمناقب المالكية بمادة ثرية، تبرز التوجه المذهبي والإسهام العلمي لصاحب الترجمة أو تنقل جوانب أخرى من الحياة المذهبية في محيطه العلمي، ومن أهم هذه المصادر التي تعتبر معطياتها التاريخية من روافد البحث في الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط:

"طبقات علماء إفريقية" لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي (ت. 333هـ/944م)¹: الذي قسم كتابه بعد ذكر فضائل إفريقية على شكل طبقات، ابتداءً فيها بذكر من دخلها من الصحابة -رضي الله عنهم-، ثم من التابعين، ثم من جاء بعدهم إلى نهاية القرن 3هـ/9م، وكان يركز في العديد من تراجم كتابه على توضيح عدالة أو ضعف صاحب الترجمة. وقد أفادني هذا المصدر في فهم الحركة الفقهية في مدينة القيروان، ومعرفة العديد من تراجم علماء المالكية خلال هذه الفترة، ومن بينهم بعض العلماء الذين ينتسبون إلى عدد من مدن المغرب الأوسط.

"كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت. بعد 484هـ/1091م)²: وحسب محققه³ فهذا المصدر الذي بين أيدينا؛ ليس هو المصدر الأصلي الذي ألفه المالكي، وإنما هو مختصر له، كما رجح أيضاً أن هناك جزءاً ثالثاً من الكتاب نقل منه القاضي عياض في مداركه، ولكنه لم يصل إلينا، وعلى الرغم من اختصار هذا الكتاب، إلا أنه بقي ثرياً بأخبار تراجم العلماء الذين عاشوا في إفريقية، وكان منهم بعض علماء المغرب الأوسط الذين عاشوا في بعض مدن إفريقية أو كانوا على صلة بعلمائها، ولهذا فقد ساعدتني المعطيات التاريخية التي كانت تتضمنها تراجمهم في التعمق أكثر في موضوع الدور الإفريقي في نشر الآراء الفقهية المالكية والتصوف بالمغرب الأوسط.

¹ دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، د.ت.

² تحقيق: بشير البكوشي ومراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 1994م.

³ البكوشي، مقدمة المحقق لرياض النفوس، ج1، ص26م-29م.

"ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي أبي الفضل عياض ابن موسى اليحصبي السبتي (ت. 544هـ/1149م)¹: يُعدّ كتابه من المصادر المهمة التي تؤرّخ لانتشار المذهب المالكي في أقاليم العالم الإسلامي، وتُترجم على طريقة الطبقات لعلماء هذا المذهب ابتداءً بالمؤسس إلى العلماء الذين عاصروهم المؤلف.

وقد أفدت من هذا المصدر كثيراً، وذلك من خلال تحليل بعض نصوصه لفهم مدى انتشار الآراء الفقهية الحنفية والمالكية بالمغرب الأوسط خلال القرن 3هـ/9م، وفي التعرّف على تراجم العديد من العلماء الذين ينحدرون من بعض مُدن المغرب الأوسط أو جاؤوا إليها من أقاليم أخرى، خاصّة من بلاد الأندلس.

"الصلة" لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الخزرجي الأنصاري (ت. 578هـ/1182م)²: وهو تنمّة لكتاب "تاريخ علماء الأندلس" لأبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت. 403هـ/1012م)، قام فيه صاحبه بتدوين تراجم علماء الأندلس، ومن جاء إليها واستقرّ بها من نهاية القرن 4هـ/11م إلى قبيل وفاته، واعتمد في ترتيبهم على الطريقة الألفبائية، وهذا الكتاب يعدّ من المصادر المهمة في موضوع الحركة الفقهية المالكية في حواضر المغرب الأوسط، ومعرفة إسهامات علمائها في مختلف المجالات العلمية.

"التشوّف إلى رجال التصوّف وأخبار أبي العباس السبتي" لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيّات (ت. 617هـ/1220م)³: وهو من أهمّ المصادر المناقبية التي أرّخت للحركة الصوفية بالمغرب الأقصى بصفة خاصّة بين القرنين 5هـ/11م وبدايات 7هـ/13م، إلّا أنّه ذكر العديد من المتصوّفة الذين عاشوا في بعض المدن بالمغرب الأوسط، وهذا ما يُساعد الباحث في استجلاء الدور الذي قاموا به في نشر التصوّف بالمناطق التي عاشوا فيها.

"التكملة لكتاب الصلة" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار البلسي (ت. 658هـ/1260م)⁴: قام فيه بتنمّة كتاب "الصلة" لابن بشكوال، معتمداً على الترتيب الألفبائي، إلّا أنّه لم يبدأ ممّا انتهى منه كتاب الصلة، وإنّما أورد في كتابه زيادات وتصويبات لكتابي

¹ ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998م.

² تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري/دار الكتاب اللبناني، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م.

³ تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 1997م.

⁴ تحقيق: عبد السلام هرّاس، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1995م.

ابن الفرضي وابن بشكوال، ولذلك فقد حوى كتاب التكملة إضافات كثيرة تُكَمِّل المصدرين السابقين فيما يخصّ تراجم علماء المالكية وغيرهم من التوجّهات الفقهية الأخرى الذين ينحدرون من المغرب الأوسط ورحلوا إلى بلاد الأندلس، واستوطنوا فيها أو جاؤوا من هذه الأخيرة واستقرّوا في حواضر المغرب الأوسط بين القرنين 4 و6هـ/10 و12م.

"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" لأبي زيد عبد الرحمن بن محمّد الأنصاري المشهور بالدباغ (ت. 696هـ/1297م) ثمّ أكمله وعلّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت. 839هـ/1435م)¹: وهو من المصادر الموسّعة في تراجم علماء القيروان، وقد حوت تراجمه بعض الأخبار المهمّة بالنسبة لهذا البحث، وذلك مثل حديثه عن دخول المذهب الظاهري إلى مدينة القيروان في القرن 4هـ/11م، والآثار التي أحدثتها الآراء الصوفية لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمّد البكري القيرواني ببلاد المغرب في النصف الثاني من القرن 4هـ/11م.

"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (ت. 714هـ/1314م)²: وقد خصّص هذا المصدر لذكر تراجم النخب العلمية في بجاية خلال القرن 7هـ/13م، إلّا أنّ صاحبه بدأ كتابه بذكر بعض ترجمات فقهاء ومتصوّفة القرن 6هـ/12م تبرّكا بهم، ولشهرتهم الواسعة، كما أشار في ثنايا ترجماته الأخرى لمعلومات متفرّقة ترجع لهذا القرن، وبهذا كانت هذه المادّة الخبرية معينا لي في معرفة النشاط الفقهي والصوفي في هذه المدينة ونواحيها، وأثرها على المناطق الأخرى بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

"صلحاء وادي الشلف" لأبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت. في النصف الأوّل من ق. 9هـ/15م)³: وهو مختصر لكتاب آخر قام المازوني بتأليفه اسمه "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"، وقد تناول هذا المختصر مناقب مجموعة من الصوفية الذين عاشوا في مناطق متفرّقة تقع بالقرب من وادي الشلف بين القرنين 6 و8هـ/12 و14م، وقدّم معلومات مهمّة عن انتشار التصوّف في الأرياف المحيطة بوادي الشلف خلال القرن 6هـ/12م.

¹ الجزء الأوّل صحّحه وعلّق عليه: إبراهيم شيوخ، والثاني بتحقيق: محمّد الأحمدى أبو النور ومحمّد ماضور، والثالث بتحقيق وتعليق: محمّد ماضور، مطبعة السنّة الحمديّة، ط2، تونس، 1968م.

² حقّقه وعلّق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت-لبنان، 1979م.

³ دراسة وتحقيق: غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م.

المصادر الجغرافية:

حوت المصادر الجغرافية لبلاد المغرب الكثير من الإشارات التي تخصّ الحياة الثقافية في بعض مدن المغرب الأوسط أو الانتماء المذهبي لبعض الجماعات القبلية، وهذا ما جعل من وظيفتها في هذه الدراسة لا تقتصر على تحديد المدن والأماكن فقط، وإنما ترتقي معلوماً لتكون لبنة في رسم ملامح الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط، ومن أهمّها توظيفاً في هذا البحث:

"كتاب البلدان" لأحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي (ت. بعد 292هـ/905م)¹: وهو من أوائل المصادر الوصفية التي اهتمت بإعطاء تصوّر عن بعض الجوانب الجغرافية والبشرية والسياسية لبلاد المغرب، وعلى الرغم من أنّ معلوماته كانت مقتضبة، إلا أنّه في ظلّ النقص الشديد للمعطيات التاريخية التي تعكس الجغرافية القبلية والمذهبية للمغرب الأوسط في القرن 3هـ/9م، فإنّ هذه الإشارات تعدّ نافذة للتعرف على مدن العلويين في المغرب الأوسط، والتركيب البشرية والتوجّهات المذهبية في بعض المدن والقبائل بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

"كتاب صورة الأرض" لأبي القاسم محمد بن عليّ البغدادي النصيبي المعروف بابن حوقل (ت. بعد 367هـ/977م)²: وقد تمكّن صاحب هذا الكتاب عن طريق مشاهداته أو ما روي له من جمع مادة ثرية تخصّ مختلف الجوانب عن بلاد المغرب، وقد أفادتني الكثير من إشارات في تحديد العديد من المدن والقرى بالمغرب الأوسط، وخاصةً بعض مدن العلويين في الجهات الغربية للمغرب الأوسط، وفي معرفة بعض مجالات الجماعات القبلية، وانتمائها المذهبي.

"المسالك والممالك" لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت. 487هـ/1094م)³: الذي لم يرقم برحلة إلى بلاد المغرب مثلما فعل العديد من الجغرافيين قبله، وإنما جمع معلوماته من خلال الروايات الشفوية، والعديد من المصادر الجغرافية والتاريخية، خاصةً كتاب "المسالك والممالك" للورّاق الذي اعتمد عليه كثيراً، وقد كان من ضمن المعلومات التي أفاد البكري بها هذا البحث؛ بعض الإشارات عن الجماعات المذهبية، وممارسات العبّاد في عدد من الربط الساحلية للمغرب الأوسط، ونشاط الحركة الفقهية المالكية في بعض مدنه.

¹ وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.

² دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1996م.

³ حقّقه ووضع حواشيه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م.

"كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي (تـ. 560هـ/1165م)¹: الذي انتهى من تأليفه في سنة 548هـ/1153م، وقد كانت المعلومات التي أوردها عن المغرب الأوسط تعكس التحوّلات السياسية والاجتماعية التي عرفها هذا المجال الجغرافي خلال هذه الفترة، وهذا ما ساعدني في فهم التحوّلات التي طرأت على مصطلح المغرب الأوسط الذي ارتبط في هذه الفترة بالكيان السياسي الحمّادي، والتحوّلات الديمغرافية التي نتجت عن توزّع الجماعات الهلالية في الجهات الشرقية للمغرب الأوسط.

مصادر عقائد الفرق الإسلامية:

لا بدّ للباحث في تاريخ المذاهب من الاستعانة بهذا النوع من المصنفات، وذلك للإحاطة بالأصول العامّة للفرق المدروسة، ومن أهمّ هذه المصادر التي استفدت منها:

"كتاب التوحيد في معرفة الله عزّ وجلّ وما يتعلّق بها"²: وهي رسالة قد تكون من تأليف أحد تلامذة عبد الله بن يزيد الفزّاري (ق. 2هـ/8م)، كان يسأله ثمّ يدوّن إجاباته، ولا يُستبعد أيضا أن يكون فيها بعض الإجابات المكتوبة التي قام الفزّاري بإرسالها لهذا الشخص، فقام هو بضمّها للإجابات الأخرى، وبهذا فقد حوت هذه الرسالة العديد من الآراء التي تساعد في معرفة جوانب من الفكر الكلامي للفزّاري الذي يعدّ أحد أهمّ المرجعيات الفكرية لفرقة النكارية.

"مسائل الإمامة" لأبي العباس عبد الله بن محمد الأنباري المعتزلي المعروف بالناشئ الأكبر (تـ. 293هـ/905م)³: وهي تُمثّل الباب الأوّل من كتاب لم يصلنا، عالج فيه صاحبه أصول الفرق الإسلامية، وتعتبر هذه القطعة من أقدم المصادر المطبوعة حاليّا التي اهتمّت بعرض آراء الفرق الإسلامية في موضوع الإمامة الكبرى، وفق التطوّر التاريخي لظهورها.

"كتاب فرق الشيعة" للحسن بن موسى النوبختي (تـ. نحو 310هـ/922م) وفيه زيادات وشروحات لسعد بن عبد الله القمّي (تـ. 299 أو 301هـ/911 أو 913م)⁴: وهذا الكتاب من المصادر الشيعية التي قدّمت عرضا موجزا للآراء العقدية التي اختصّت بها كلّ فرقة شيعية، وهذا ما جعل منه مصدرا مفيدا في فهم السياق الفكري العامّ لظهور فرقتي الزيدية والإسماعيلية.

¹ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، 2002م.

² In Early Ibādī Theology : Six kalām texts by 'Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p.154-198.

³ حقّقه وقدم له: يوسف فان إس، دار النشر فرانس شتاينر بقيسبادن، بيروت-لبنان، 1971م.

⁴ حقّقه وصحّح نصوصه: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة-مصر، 1992م.

"رسالة في الفرق" لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني (ق. 6هـ/12م)¹: وعلى الرغم من صغر هذه الرسالة، إلا أنها جمعت معلومات مهمّة عن الأصول الفكرية لبعض الفرق التي انشقت عن الإباضية، وكان لها حضور بالمغرب الأوسط.

هذا مع الإشارة أنني حاولت قدر الإمكان عدم الاختصار في تعريف الأصول الفكرية للتوجّهات المذهبية على مصادر الملل والنحل العامّة التي درج استخدامها في الأبحاث العلمية، مثل كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" لأبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري (ت. 330هـ/941م)²، وكتابي "الملل والنحل"³ و"الفرق بين الفرق"⁴ لأبي منصور عبد القادر ابن طاهر البغدادي (ت. 429هـ/1037م) و"الملل والنحل" أبي الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت. 548هـ/1153م)⁵.

وإنما استعنت ببعض المصادر التي وضعها مؤلفوها في تبيان عقائد مذهبهم، وذلك من أجل التثبت في فهم أصولهم الفكرية، وهذا ككتاب "أصول الدينونة الصافية" لأبي حفص عمرو بن فتح النفّوسي (ت. 283هـ/896م)⁶ الذي عرض في الباب الأوّل منه أهمّ الأصول العقديّة عند الإباضية، وكتاب "شرح السنّة" لأبي محمّد الحسن بن عليّ البرهاري (ت. 329هـ/941م)⁷ الذي وضع ملخصاً لعقائد أهل السنّة، وكتاب "شرح الأصول الخمسة" لأبي الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت. 415هـ/1024م)⁸، وهو شرح للأصول الخمسة التي يُجمع عليها فرق المعتزلة.

الدراسات العربية والمعرّبة:

حظي التاريخ المذهبي لبلاد المغرب بالكثير من الدراسات، ولذلك حاولت الاعتماد على العديد منها في معالجة جزئيات هذا الموضوع، ومن أهمّ هذه المراجع العربية والمعرّبة التي استفدت منها؛ كتاب "الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري"، لمحمود

¹ توجد ضمن مجموع، طبعة حجرية، الجزائر، د.ت.

² تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1950م.

³ تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت-لبنان، 1970م.

⁴ تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1995م.

⁵ تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، ط3، بيروت-لبنان، 1993م.

⁶ تحقيق: أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان، 1999م.

⁷ تحقيق: عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، دار المنهاج، الرياض-السعودية، 2005م.

⁸ حقّقه وعلّق عليه: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط3، مصر، 1996م.

إسماعيل¹، فقد أفادني في فهم أسباب انتشار عقائد الصفرية والإباضية في بلاد المغرب، واندلاع ثورتهم، والتعمق أكثر في معرفة الأوضاع السياسية والمذهبية للدولة الرستمية.

واستفدت أيضا من كتابي "الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية" لإبراهيم بجاز، و"العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" لجودت عبد الكريم يوسف²، وذلك في بعض الجوانب، مثل قيام الدولة الرستمية، وامتدادها السياسي، والجماعات المذهبية التي عاشت في مدينة تيهرت خلال العهد الرستمي.

وأما ما يخصّ دراسة المجال الكتامي في العهد الفاطمي، فيعتبر كتابي "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري" لموسى لقبال، و"الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات" لفرحات الدشراوي³ من الدراسات التي ساعدتني في دراسة الامتداد الجغرافي لبلاد كتامة، وانتشار الدعوة الإسماعيلية فيها.

كما اعتمدت على كتاب "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي" لمحمد بن عميرة، الذي تطرّق لدور الجماعات الزناتية في الثورات الصفرية والإباضية ببلاد المغرب، ثم لصراعها مع الدول القائمة من العهد الرستمي إلى سنة 440هـ/1048م، وهذا ما ساعدني في وضع تصوّر عن جغرافية الجماعات الزناتية بالمغرب الأوسط، والتحوّلات السياسية التي مرّت عليها.

ومن أهمّ الدراسات التي استفدت منها في مجال دور علماء المالكية في نشر مذهبهم وصراعاتهم مع التوجّهات المذهبية الأخرى، كتاب "جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة" لإبراهيم التهامي⁴ الذي أفادني في فهم الآليات التي استخدمها علماء المالكية في مواجهة التوجّهات المذهبية الأخرى ببلاد المغرب، وفي كيفية تقبلهم للعقائد الأشعرية، وكتاب "المذهب المالكي بالمغرب الأوسط - دخوله وانتشاره" لسعيدة لوزري الذي بالرغم من عدم تعمّقه في انتشار المذهب المالكي على المستوى القبلي، إلّا أنّه سلّط الضوء على دور النخب المالكية في نشر مذهبهم بالمغرب الأوسط بين القرنين 3 و5هـ/9 و11م.

¹ دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1985م.

² المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

³ نقله إلى العربية: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994م.

⁴ مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 2005م.

واستعنت أيضا بكتاب "التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين" للطاهر بونابي، ورسالته للدكتوراه "الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين"¹، وذلك في معرفة أهمّ التيارات والاتجاهات الصوفية التي انتشرت بالمغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م، وفي فهم كيفية تقبّل القبائل الهلالية للتصوّف.

وإلى جانب هذه الدراسات، فقد استفدت كثيرا من كتاب "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر" لعادل نويهض²، و"معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحديث-قسم المغرب الإسلامي-" لإبراهيم مجاز وآخرين³، وذلك في تعريف العديد من العلماء المذكورين في هذه البحث.

الدراسات باللغة الأجنبية

استفدت في هذه الدراسة بالعديد من الكتابات الأجنبية، من أهمّها: بعض كتابات روني باسي (René Basset)، وخاصة منها دراستين بعنوان: "دراسة حول زناتية ميزاب ورقلة ووادي ريغ"⁴، و"دراسة حول زناتية ورسنيس والمغرب الأوسط"⁵، وهذا في تفسير معاني بعض الأسماء البربرية للأماكن، وكتاب "ماضي شمال إفريقيا-العصور المظلمة-" لقتويه (Gautier)⁶، وذلك في فهم الصراع الفاطمي الزناتي في بلاد المغرب، وأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ "الجماعات الإباضية في شمال إفريقيا منذ عهد الفاطميين" لإبراهيم فحار⁷، الذي درس فيها التوزّع الإباضي بالمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي.

كما أفدت من بعض مقالات تاديوش لوفيتشكي (Tadeusz Lewicki)، منها مقال "التوزع الجغرافي للجماعات الإباضية في شمال إفريقيا خلال العصر الوسيط"⁸، تناول فيه فرق الإباضية،

¹ أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، إشراف: عبد العزيز فيلاي، 1429-1430هـ/2008م.

² مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1980م.

³ دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 2000م.

⁴ Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla et de l'Oued Rer', Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1893.

⁵ Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central, Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1895.

⁶ Le passé de l'Afrique du Nord – les siècles obscures –, Payot, Paris.

⁷ Les communautés ibadites en Afrique du Nord (Libye, Tunisie et Algérie) depuis les Fatimide, Thèse de Doctorat d'État, Université de Paris - Sorbonne, Rapporteur: Claude cahen, 1971.

⁸ Le repartition geographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au moyen-age, Rocznik Orientalistyczny, T. 21, 1957.

وتوزع الجماعات الإباضية في المغرب الأدنى، ومقال "مملكة إباضية غير معروفة: دولة بني مسالة"¹، الذي درس فيه انشقاق هذه القبيلة عن الدولة الرستمية.

ولبريفوست فيرجيني (Prevost Virginie) بعض المقالات المفيدة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب، منها مقال "عبد الرحمن بن رستم الفارسي: محاولة في كتابة سيرة إمام تاهرت الأول"²، عاجلت فيه خلفيات قدوم عبد الرحمن إلى جبل سوفجج، ثم هجرة الإباضيين بعده إلى هذه المنطقة.

واعتمدت أيضا على بعض مقالات عمارة علاوة، منها: مقال بعنوان "بين جبل الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية (8-14م)"³، الذي درس فيه تاريخ وجغرافية الجماعات الإباضية ببلاد الزاب، وتحوّلهم إلى المالكية، ومقال "التوطين البشري والتعريب في المغرب الوسيط - بلاد كتامة نموذجاً"⁴، الذي أفادني في فهم تحولات بلاد كتامة بعد اعتناق أهلها للدعوة الإسماعيلية.

كما يوجد بعض المقالات التي عرّفني على بعض مسكوكات الرستميين والإمارات السليمانية، منها مقال "فلسان رُستميان ضُربا في تيهرت وتلمسان" للودوفيك ليتار (Ludovic Liétard)⁵، ومقال "عملات السليمانيين لسوق إبراهيم وتنس" للويك (Lowck, N.)⁶.

صعوبات البحث:

هذا، وقد تخلّلت مرحلة جمع المادّة التاريخية ثمّ تحريرها، العديد من الصعوبات، لعلّ من أهمّها:
- تميزت أغلب المصادر التاريخية بعدم إشارتها للجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط إلّا عرضا في سياق أحداث أخرى، فكانت أطالع الكثير ممّا ورد في هذه المصادر، وأربط العديد من معطياتها، من أجل تحصيل المعلومات المناسبة التي تخدم عناصر هذا البحث.

¹ Un royaume ibâdite peu connu: l'État des Banû Masâla, Rocznik Orientalistyczny, N. 31, 1968.

² Abd al-Rahman ibn Rustum al-Farisi: une tentative de biographie du premier imam de Tahart, Der Islam, N. 86, 2011.

³ Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibâdites du Zâb (VIIIe-XIVe siècle), Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N. 132, 2012

⁴ Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval: l'exemple du pays des Kutama, in Alborán, Poblamiento e intercambios en la zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, Granada, Bilal Sarr (éd.), 2018.

⁵ Two Rustamid Fulus struck in Tiharat and Tilimsin, Journal of the Oriental Numismatic Society, N. 220, 2014.

⁶ Monnaies des Sulaymānides de Sūq Ibrāhīm et de Tanas (Ténès), Revue numismatique, T. 25, 1983.

- اعترى التحوير والتحريف والتبديل الكثير من أسماء المعالم الجغرافية عبر القرون، ولذلك كان البحث في مواقع المعالم العمرانية والجغرافية المذكورة في المصادر صعبا، فهو يأخذ وقتا إضافيا للبحث عن جغرافية كل واحد منها، وفي الكثير من الأحيان تكون النتيجة غير مرضية، فلا أتمكّن من تحديد مواقعها بدقة.

- إن المرحلة الوبائية أربكت البحث من حيث المرض الذي تكرّرت إصابتي به، وكذلك الإجراءات والتدابير الوقائية التي اتّخذت في البلاد، وهذا ما جعل التنقل لزيارة بعض المكتبات أو معاينة بعض الأماكن عسيرا.

- عدم الوصول إلى كل الأبحاث الجديدة المحرّرة بالعربية وغير المعرّبة، وهذا يُبقي في النفس شيء من الحرقّة تكاد لا تنطفئ، فقد كان مُرادى استيفاء أكبر قدر من الدراسات المتعلّقة ببحثي، وذلك من أجل الاستفادة ممّا استجدّ فيها.

ولكنني حاولت أن أتغلّب على هذه الصعوبات، وأن أقدم بحثا علميا، اقترب فيه من نقل واقع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط وتحولاتها خلال الفترة المدروسة، فأحمد الله -عزّ وجلّ- على ما وفقني لإنجازه في هذا البحث، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يرزق عملي هذا التوفيق والسداد.

وفي الختام من الواجب على الحرّ شكر ذوي الفضل، فأتقدّم بجزيل الشكر وخالص التقدير والعرفان لأستاذي المشرف الدكتور طاهر بن علي الذي خصّص من وقته وجهده في مرافقتي أثناء هذا العمل، وكان لي سندا، وموجّها في كل أطواره، فأسأل العليّ القدير أن يجازيه خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الفصل التمهيدي: المفاهيم العامّة للدراسة وبدايات تشكل
الحركة المذهبية ببلاد المغرب في القرن 2هـ/8م

المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي للمغرب الأوسط

المبحث الثاني: التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط:

الأصول التاريخية والتصنيفات المعرفية

المبحث الثالث: احتضان بلاد المغرب للتوجّهات المذهبية

في القرن 2هـ/8م

إنّ الحديث عن الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م، يفرض وضع إطار مفاهيمي، فالموضوع المطروح للبحث يتكوّن من بعد جغرافي، يُعدُّ الحاضن لمختلف التحوّلات المذهبية، وبالتالي فهو يحتاج لتحديد مدلوله الجغرافي، والبعد الثاني يتمثّل في التوجّهات المذهبية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، فهي بدورها تحتاج إلى معرفة أصولها التاريخية، وأهمّ عقائدها، وتصنيفها المعرفي من عقدية أو فقهية أو سلوكية-تعبدية، وأمّا البعد الأخير، فباعتبار موضوع الدراسة يخصُّ المغرب الأوسط، ويبدأ من القرن 2هـ/8م فمن المفيد محاولة فهم ظروف بداية تكوين التيارات المذهبية ببلاد المغرب بصفة عامّة خلال هذا الفترة.

المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي للمغرب الأوسط

يُعتبر المغرب الأوسط جزءاً من مجال جغرافي واسع عُرف ببلاد المغرب، ومن أقدم المصادر التي استخدمت هذا المصطلح- فيما وصلنا منها- ما جاء عند البكري (ت.487هـ/1094م): حيث قال: "تلمسان قاعدة المغرب الأوسط...وهي دار مملكة زناتة، وموسّطة قبائل البربر"¹. ولكن هذا لا يعني أنّ المصادر الجغرافية والتاريخية قبل هذه الفترة، أهملت ذكر مصطلحات لها مدلولات مجالية فرضتها مُختلف التقسيمات السياسية والقبلية التي خضعت لها بلاد المغرب، وجعلتها تبرز الهوية الجغرافية للجزء الأوسط منه، وهذا من خلال حضور دول، وأقاليم، وقبائل سيطرت على مساحات متفاوتة.

فمنذ عهد الولاة (96-184هـ/715-800م) ظهر في إطار التنظيم الإداري مصطلح الزّاب² للدلالة على أحد أقليم بلاد المغرب³، وفي عهد الأغالبة (184-296هـ/800-909م) مثّل حدّه الغربي آخر نفوذهم الذي وصل إلى مدينة أذنة قرب مدينة المسيلة⁴. وإلى جانب الزّاب

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص259.

² عرفت حدود بلاد الزّاب خلال العصر الوسيط تحولات عديدة، ولكن يُمكن حصرها بالتقريب على الشكل التالي: من تبسة شرقاً إلى نواحي المسيلة غرباً، ومن جبل الأوراس شمالاً إلى تخوم الصحراء في نواحي بسكرة جنوباً. ومن أهم مدن هذا الإقليم: طنبنة، قمودة، باغاية، بادس، مقرّة... (انظر الملحق رقم: 1). انظر: يعقوبي، المصدر السابق، ص190؛ زيان الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزّاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، إشراف علاوة عمارة، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص21-84؛ المطاي علي، الجغرافية التاريخية لبلاد الزّاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلّة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد: 12، ديسمبر 2017م، ص9-30. Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.118-119.

³ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص355.

⁴ يعقوبي، المصدر السابق، ص191.

غربا امتدّت الدولة الرستمية (144-296هـ/761-909م) التي اعتمدت على ولايات القبائل الإباضية لمدّ نفوذها في بلاد المغرب، حيث بلغ أقصى اتّساع لها من مدينة سرت شرقا إلى مدينة تلمسان غربا¹.

واشتهرت في المصادر بانتسابها إلى أصل الأسرة الحاكمة المعروف بالرستمي ثمّ الفارسي²، وبالتنويه إلى مذهبها الإباضي، وعاصمتها مدينة تيهرت³، قال يعقوبي عنها: "والمدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر... تغلب عليها قوم من الفرس يُقال لهم بنو محمّد بن أفلح ابن عبد الوهّاب بن عبد الرحمن الفارسي"⁴. وقال عنها أيضا قدامة بن جعفر (ت. 328هـ/939م): "فأمّا وراء أفريقيّة فبلاد تاهرت، وبينها وبين أفريقيّة مسيرة ثلاثين يوما، وهيّ في يد صاحب الإباضية"⁵. وعلى الرغم من سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م، إلّا أنّ إقليم تيهرت استمرّ كمجال جغرافي منفصل⁶.

وعرفت الجهات الممتدّة من مدينة أذنة إلى غرب تلمسان انتشار الإمارات العلوية (173-342هـ/789-954م)⁷، ومن الجغرافيين الذين اهتمّوا بذكرهم؛ يعقوبي في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م حيث سمّاهم بالعلويين، وركّز على الإمارات ولد محمّد بن سليمان⁸،

¹ بحاز، المرجع السابق، ص137-152؛ Liétard, op.cit., p.21.

² تكاد تتفق المصادر على الأصل الفارسي لعبد الرحمن بن رستم أوّل أئمّة الدولة الرستمية، إلّا ما ذكره المسعودي (ت. 346هـ/957م) من أنّ أسرته تنحدر من الأشبان الذين منهم ملوك الأندلس اللّذارقة، وأمّا رستم الذي تُنسب إليه الدولة، فهو اسم والد عبد الرحمن الذي عاش في العراق، وتوفّي في موسم الحج بمكة، تاركًا زوجته وابنه بها، فتزوّجت أمّ عبد الرحمن رجلا من مدينة القيروان، وجاءت معه إليها. انظر: المسعودي (أبو الحسن عليّ بن الحسين)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة دار الهجرة، ط2، قم-إيران، د.ت، ج1، ص186، 357-358؛ ابن حزم (أبو محمّد عليّ بن أحمد الظاهري ت. 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1948م، ص511؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص55؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص19-20.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، 1986م، ص71، 73، 94، 96؛ ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمّد الهمداني ت. بعد 290هـ/902م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1996م، ص132؛ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبّيد الله بن عبد الله ت. 300هـ/913م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م، ص87-88.

⁴ يعقوبي، المصدر السابق، ص192.

⁵ قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب البغدادي ت. 328هـ/939م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمّد حسين الزبيدي، دار الحرية، بغداد-العراق، 1981م، ص200.

⁶ مؤلف مجهول (ت. بعد 365هـ/975م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة-مصر، 1999م، ص134؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص93.

⁷ بملولي سليمان، الدولة السلّيمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ/789-954م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص85-117.

⁸ يعقوبي، المصدر السابق، ص192، 196.

لأنّ أبناء هذا الفرع كان مُسيطرًا على أغلب هذه الإمارات، ومّا قاله عنهم وهو يُعدّد المدن التي سيطروا عليها في نواحي وادي الشلف¹: "يتغلّب على هذا البلد ولد محمّد بن سليمان ابن عبد الله... كلّ رجل مقيم متحصّن في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى أنّ البلد يُعرف بهم، ويُنسب إليهم"².

وأما من الناحية القبليّة فإنّ المجالات الممتدّة من شرق الزاب إلى مدينة تلمسان توزّعت فيها العديد من القبائل التي شكّلت العصب الجغرافي لهذه النواحي، ولذلك بعد قيام الخلافة الفاطمية سنة 297هـ/ 910م لم يؤثر اختفاء حدود الكيانات السياسية السابقة، لأنّ القبيلة في حد ذاتها كيّان اجتماعي يُسيطر على مجال جغرافي معيّن، وهذا ما يُحيلنا إلى مسألة مجالات القبائل، وأثرها في رسم الحدود.

فعلى الرغم من الحركيّة والتداخل القبلي في بلاد المغرب، إلّا أنّه يُمكن تمييز العديد من المناطق الشاسعة التي كانت معروفة بسيطرة قبائل معلومة على أغلب مجالاتها؛ فقبائل كتامة امتدّت مضاربها في القرن 4هـ/ 10م من الجهات الساحلية الممتدّة فيما بين منطقة بونة وجبال جرجرة شمالا، إلى الجهات الشمالية لجبال الأوراس جنوبا³، وقبائل صنهاجة التي استقرّت بطونها من مدينة بجاية، إلى جزائر بني مزغنة شمالا، ومن نواحي جبال التيطري إلى مدينة مليانة جنوبا⁴، وقبائل لمّاية التي كان جمهور فروعها بالمغرب الأوسط ينتجعون التخوم الشمالية بمحاذاة الصحراء⁵، وأما في الجهات الممتدّة من وادي الشلف شرقا إلى النواحي الغربية لمدينة تلمسان فقد غلبت عليها القبائل الزناتية⁶، حتّى أنّ هذه الجهات سمّيت باسمهم، فيقال "وطن زناتة"⁷،

¹ ينبع وادي الشلف من جبال بني راشد (جبال عمور حاليا)، ثمّ يتجه شمالا إلى ولاية المديّة قرب قصر البخاري، ويعبر بين سلسلة الأطلس التليّ إلى غاية جنوب مدينة مليانة، ومنها إلى مدينة الشلف، ثمّ يلتقي بطرفه الآخر القادم من نواحي غليزان، ويواصل جريانه إلى أن يصبّ في البحر قرب مدينة مستغانم. انظر: المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م، ص21-23؛ Niox (C.), Algérie: Géographie physique, Imprimerie L. Baudoin, Paris, 1884, p.54-55.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص93؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص232؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

⁴ بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتّى عودة الفاطميين إلى مصر (80-362هـ/ 699-973م) -دراسة اجتماعية-، مذكرة مقدمة لتليل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، إشراف: بوبّة مجاني، 1426-1427هـ/ 2005-2006م، ص43-44.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص158؛ Zerouki (B.), (1987), L'imamat de Tahert, premier état musulman du Maghreb (144/296 de l'hegrie), Edition l'Harmattan, Paris, p. 90.

⁶ ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص227، ج7، ص11، 15-17، ص33.

⁷ نفسه، ج7، ص3.

ومن هنا برز مصطلح المغرب الأوسط عند البكري الذي اعتبره أهمّ مجال انتشرت فيه هذه القبائل¹.

ثمّ بعد ذلك تعدّد استخدام هذا المصطلح، واختلفت مدلولاته الجغرافية²، فالإدريسي عندما ذكر المغرب الأوسط في منتصف القرن 6هـ/12م قال عنه: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد"³. فلم يعتمد على ما ذهب إليه البكري، وإنّما لجأ إلى المعيار السياسي؛ وذلك باعتبار أنّ الدولة الحمّادية (408-547هـ/1007-1152م) كانت تُسيطر على المجال الذي يتوسّط بلاد المغرب، وهو الممتدّ بين مدينة بونة شرقاً، وسيوسيرات (منطقة سيق بولاية معسكر حالياً) غرباً، ومدينة وارجلان جنوباً⁴ (انظر الملحق رقم: 13)، ولم يضع مدينة تلمسان ضمن مُدن المغرب الأوسط⁵، لأنّها كانت تابعة في غالب الأحيان للحكم المرابطي (473-539هـ/1080-1144م)⁶.

ومّا يُلفت الانتباه أيضاً، هو استخدام بعض المؤرّخين له في حديثهم عن الفترات السابقة لظهوره، فابن عذاري ذكره في معرض كلامه عن فتح بلاد الأندلس، حيث قال: "وفي سنة 92هـ/[711م] جاز طارق إلى الأندلس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبربر، ورهائنهم الذين تركهم موسى عنده، والذين أخذهم حسّان من المغرب الأوسط قبله"⁷. وعندما تحدّث ابن خلدون عن الدولتين الرستمية، والفاطمية، جعل مدينة تيهرت قاعدة المغرب الأوسط⁸.

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص259.

² مجهول (ق6هـ/12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة-آفاق عربية، بغداد-العراق، د.ت، ص176؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص200؛ أبو الفداء (إسماعيل بن عليّ الأيوبي ت.732هـ/1332م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس-فرنسا، 1830م، ص122، 137-138؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدّمة، ضبط المتن ووضع الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981م، ص76.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص260.

⁴ عويس عبد الحليم، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الوفاء، ط2، القاهرة - مصر، 1991م، ص83.

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص222.

⁶ بلعري خالد، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55-633هـ/675-1235م)، دار الأملية، قسنطينة-الجزائر، 2011م، ص137-145.

⁷ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص43.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج4، ص51.

إنّ ما يُمكن استخلاصه عن حدود المغرب الأوسط، هو تغييرها المستمرّ، ولذلك يبرز الإشكال المنهجي في كيفية التعامل مع التحديدات الجغرافية لهذا المجال في ظلّ منطلقات هذه الدراسة التي تسعى لدراسة الجغرافية المذهبية من خلال حدود دولة الجزائر الحديثة، فهل يتمّ اختيار تحديد واحد وتعميمه على كافّة الفترات؟ وبالتالي تُهمّشُ كلُّ الآراء الأخرى، أم يجب مسaire السياق التاريخي لحدود المغرب الأوسط؟ وبهذا يُصبح الإطار المكاني غير ثابت المعالم، على أنّ كلا الخيارين لن يُغطّي المساحة الحالية للجزائر.

وأمام هذه الوضعية فإنّ الرغبات الشخصية، والتوجّه البحثي للجامعة الجزائرية الذي يسعى لمعرفة كلّ ما يتعلّق بتاريخ الدولة الجزائرية، فرض أن يكون مصطلح المغرب الأوسط علمًا في الفترة الوسيطة على الحدود الجزائرية الحالية، وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار ما يحمله هذا المصطلح في المصادر من دلالات جغرافيّة، وتوظيفه حسب المفهوم المجالي الذي جاء به.

المبحث الثاني: التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط: الأصول التاريخية والتصنيفات المعرفية
عرف المشرق الإسلامي خلال القرنين 2 و3هـ/ 7 و8م ظهور العديد من الآراء والاجتهادات الدينية، التي يُمكن تقسيمها حسب إطارها المعرفي إلى أصول الدين (العقيدة)، وفروعه (الفقه)، والجانب الأخلاقي (الزهد والتصوّف)¹. ثمّ ما لبثت هذه الآراء أن تطوّرت وشكّلت تيّارات مذهبية كُبرى، انقسمت هي الأخرى إلى فرق، ومذاهب، وطرق متعدّدة²، واتّخذت لنفسها إطارا معرفيا ينبثق من الفهم الخاصّ للنصوص الشرعية³.
وفيما يلي تعريف بالأصول التاريخية للتوجّهات المذهبية التي سيتمّ التطرّق إليها في هذه الدراسة، وهذا حسب نوع التخصصّ الشرعي الذي اختصّت به.

أوّلا- التوجّهات العقدية

وقبل البدء في تعريف التيّارات العقدية المشكّلة للحركة المذهبية بالمغرب الأوسط، لا بدّ من معرفة مفهوم العقيدة، وفق أسس مذهبية:

-تعريف العقيدة:

لغة: أصلها من عقَدَ، وهو نقيض الحلّ⁴، ومنها جاءت كلمة عقيدة، أيّ ما عقَدَ الإنسان عليه قلبه وضميره⁵.

اصطلاحاً: هي الإيمان الجازم بمجموعة من الآراء التي تتعلّق بمسائل دينية، ترى الفرقة أنّها تمسُّ أصول الدين لا فروعه⁶، وهي في الغالب تُناقش قضايا الإيمان، والنبوّات، والإنسانيات (كالجبر والاختيار)، والغيبيات (كرؤية الله عزّ وجلّ في الآخرة)، والإمامة، ومسألة خلق القرآن، وعدالة

¹ شلي محمّد، المدخل في الفقه الإسلامي: تعريفه وتاريخه ومذاهبه- نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية، ط10، بيروت-لبنان، 1985م، ص29.

² الأشعري، مقالات، ج1، ص65؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص18-28؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص243؛ الرازي (أبو عبد الله محمّد بن عمر الطبرستاني تـ. 606هـ/1210م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مُراجعة: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1982م، ص72-74؛ أبو زهرة محمّد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، د.ت، ص288.

³ جيدل عمّار، مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية، دار البلاغ، الجزائر، د.ت، ص14-19.

⁴ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم تـ. 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت، ج3، ص296.

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م، ص614.

⁶ المنصف بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية في الإسلام، بحث في تكوين السنيّة الإسلامية ونشأة الفرق الهامشية وسيادتها واستمرارها، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م، ص30.

الصحابية-رضي الله عنهم-، وغيرها من القضايا التي لا يصحُّ الانتماء إلى الفرقة إلّا باعتقادها على الوجه الذي اتفقت عليها مرجعياتها الدينية¹.

وعلى هذا الأساس فإنّ الأصول التاريخية للفرق التي انتشرت مُقرّراتها العقدية بالمغرب الأوسط هي كالتالي:

أ- **المحكمة**: تعددت التسميات التي أُطلقت على هذا التيار المذهبي، فمن أقدم التسميات التي عرفوا بها في معركة صفّين (قرب مدينة الرقة حالياً) سنة 37هـ/657م، هي جماعة القراء²، وبعد ذلك لقبوا أنفسهم بالمحكمة، ثمّ الشراة³، بينما أشهر لقب أطلقه مُخالفوهم عليهم هو الخوارج⁴.

وترجع الإرهاصات الأولى لتشكّل هذه الجماعة إلى أواخر حكم الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ/644-655م)-رضي الله عنه- حيث قاموا بمعارضة حكمه واتّهموه بارتكاب مُخالفات تُوجب تنحيه عن الخلافة، ولما أصرّ عثمان على عدم التنحي، قاموا بحصاره في بيته ثمّ قتلوه⁵.

ولكن الظهور الحقيقي لهم كان بعد معركة صفّين، وهذا عندما رفع جيش معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنه- المصاحف على رماحهم، وطالبوا الخليفة عليّ بن أبي طالب (35-40هـ/655-660م) -رضي الله عنه- الذي كان خصمهم في المعركة باللجوء إلى التحكيم، وهذا ما جعل طائفة من جيش عليّ بن أبي طالب ترفض تحكيم الأشخاص، وتنادي بمقولة "لا حُكم إلّا لله"⁶.

¹ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص20-21؛ جيدل، المرجع السابق، ص14، 17.

² ابن مزاحم (أبو الفضل نصر بن سيّار المنقري تـ. 212هـ/827م)، وقعة صفّين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1990م، ص489.

³ ابن الرحيل (أبو سفيان محبوب المخزومي تـ. بين 195-205هـ/810-820م)، سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل عمان في أمر هارون ابن اليمان، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م، ج1، ص296؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص218.

⁴ الأشعري، مقالات، ج1، ص167؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص20؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص131.

⁵ الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير تـ. 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة-مصر، دت، ج4، ص330-418؛ القلهاقي (أبو عبد الله محمّد بن سعيد ق. 6هـ/12م)، الكشف والبيان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1980م، ج2، ص214-218؛ خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، المطابع الذهبية، مسقط-سلطنة عُمان، 2002م، ص58.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص55.

وقد كانت هذه الحادثة نقطة تحوّل في انشغالهم السياسي، والفكري¹، ثمّ بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم، وشكّلوا فرقا عديدة². والذي يعنينا منها فرقتان كانت لهما بصمتها في التاريخ المذهبي ببلاد المغرب.

1-الصفريّة: اختلفت المصادر في السبب الذي سمّوا لأجله صفريّة، فمنها من ذهب إلى لون الصفرة التي كانت في وجوههم من كثرة العبادة³، ومنها من جعلت نسبتهم لشخص معيّن، ولكنّها اختلفت في اسمه بين عبد الله بن الصفار، وزيايد بن الأصفر، والنعمان بن صفر⁴. ولكن بالرجوع إلى الآراء التي تُسببت لهؤلاء الأشخاص، يظهر أنّ عبد الله بن الصفار هو المؤسس الأوّل لهذه الفرقة، على أنّ المؤرّخين اضطربوا في تحديد الموقف الذي تبناه من الآراء التي جاء بها نافع بن الأزرق في سنة 64هـ/683م⁵؛ وهي أنّ مخالفيهم مشركين يجب النهوض إلى قتالهم، مع تحريم مساكنتهم، وأكل ذبائحهم، وردّ شهاداتهم⁶، فمن هؤلاء المؤرّخين من يذكر أنّه كان معارضا لها⁷، ومنهم من ترى أنّه كان موافقا لها، ولكنّه خالف نافعا في أمور أخرى⁸. والذي يُؤخذ من هذين القولين، أنّ ابن الصفار برزت له آراء خاصّة في هذه الفترة شكّلت الأسس الفكرية لفرقة الصفريّة، وأمّا زيايد بن الأصفر فالراجح أنّه من مرجعيّات الصفريّة الذين جاؤوا بعد ابن الصفار، وقد تُسببت إليه بعض الأقوال منها قوله: "نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندرى لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله"⁹.

¹ ابن مزاحم، المصدر السابق، ص478-513؛ القلهاقي، المصدر السابق، ج2، ص325.

² الأشعري، مقالات، ج1، ص167-203؛ البغدادي، الملل والنحل، ص72-116؛ القلهاقي، المصدر السابق، ج2، ص422.

³ ابن عبد ربّه (أبو عمرو أحمد بن محمّد الأندلسي تـ. 328هـ/939م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1983م، ج1، ص187.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص567؛ الأشعري، مقالات، ج1، ص182؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص157؛ المقرئ (تقي الدين أحمد بن عليّ تـ. 845هـ/1441م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، وضع حواشيه: خليل المنصق، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1998م، ج4، ص185.

⁵ يعتبر نافع بن الأزرق الحنفي أوّل من انشق عن المحكّمة، واستطاع جذب الكثير من الأتباع في البصرة، ولكن الأمويّين تمكّنوا من هزيمة جيشه وقتله في سنة 65هـ/684م. انظر: الأشعري، مقالات، ج1، ص168-174؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص137-141؛ الحنفي عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرشاد، القاهرة-مصر، 1993م، ص36.

⁶ الأشعري، مقالات، ج1، ص170؛ القلهاقي، المصدر السابق، ج2، ص42.

⁷ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص567.

⁸ الصلت (أبو المؤثر بن خميس الخروصي تـ. 278هـ/891م) سيرة الشيخ الفقيه أبي المؤثر الصلت بن خميس، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيّدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة، عُمان، 1986م، ج2، ص307.

⁹ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص159.

وعلى العموم، فإنّ الصفرية اتّجهت مبادئهم إلى محاولة التخفيف من سمة التطرّف، ولكنهم لم يستطيعوا التخلّص منه كليّة، فعقائدهم استمرّت في تكفير مخالفيهم من المسلمين، واستحلال سبي أولادهم، وغنم أموالهم¹، وأمّا أقوالهم الأخرى التي أبدوا فيها اعتدالا، وهذا ليكون مذهبهم أكثر تعايشا مع الآخر، فكان منها تحريمهم لقتل أطفال ونساء مخالفيهم، وأجازوا العيش بين غير الصفرية، وقبلوا شهادتهم، ومصاهرتهم، وأكل ذبائحهم، ورأوا أنّ التقية جائزة في القول دون العمل².

2- الإباضية: نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمي (ت. 86هـ/705م)، الذي خالف آراء نافع بن الأزرق في مسألة الحكم على مخالفيهم، والنهوض إلى قتالهم في سنة 64هـ/683م، فنادى بأنّ أهل القبلة هم غير مشركين، ولا يجوز سبهم، ولا أخذ أموالهم³، وبذلك حدث انشقاق في جماعة المحكّمة الذين كانوا متمركزين في مدينة البصرة، بين نافع بن الأزرق الذي مثّل التيار المتشدّد، وعبد الله بن أباض، وعبد الله بن الصفار، ومن تبع آراءهما حيث أطلق عليهم القعدة، أي الذين قعدوا عن القتال⁴.

وقد شكّلت هذه الحادثة ميلاد فرقة مذهبية أطلق أتباعها على أنفسهم ألقابا عديدة، من أشهرها أهل الحقّ أو أهل الحقّ والاستقامة⁵، وأمّا من خالفوهم فأطلقوا عليهم اسم الإباضية⁶، ثمّ مع مرور الزمن رضي أتباع هذه الفرقة بهذا اللقب، وبدأوا يتسبون إليه⁷.

ومن أهمّ عقائدهم: أنّ الإمامة حقّ لكلّ مسلم تتوفّر فيه شروط الحكم، من علم، وكفاءة، ثمّ تتفق جماعة المسلمين على اختياره⁸، ويرون أنّ مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة، لا كفر شرك، وإذا لم يتب من كبيرته في الدنيا، فهو مُخلّد في النار. وينكرون رؤية الله -عزّ وجلّ- للمؤمنين

¹ الصلت، المصدر السابق، ج2، ص310؛ الأشعري، مقالات، ج1، ص182.

² عمرو، المصدر السابق، ص67؛ الشهرستاني، مقالات، ج1، ص159؛ القلّهاتي، المصدر السابق، ج2، ص433.

³ الصلت، المصدر السابق، ج2، ص307-308؛ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص567؛ الحارثي (سالم بن حمد)، العقود الفضية في أصول الإباضية، مراجعة: إبراهيم بن محمّد العساكر، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، عُمان، 2017م، ص133.

⁴ ابن عبد ربّه، المصدر السابق، ج1، ص187.

⁵ القلّهاتي، المصدر السابق، ج2، ص471؛ بحاز إبراهيم وآخرون، معجم مصطلحات الإباضية، مطابع النهضة، عُمان، 2008م، ج1، ص79.

⁶ الأشعري، مقالات، ج1، ص183؛ البغدادي، المصدر السابق، ص103؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص156.

⁷ الصلت، المصدر السابق، ج2، ص310؛ عمرو، المصدر السابق، ص68؛ معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص2.

⁸ وعلي بكر بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق - مقارنة مع أهل السنة والجماعة -، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2001م، ص185-186.

في الآخرة، ويذهب جمهورهم إلى القول بخلق القرآن¹. كما يولي الإباضية أهمية بالغة لمسألة الولاء والبراء، حيث يجعلونها من أصول الدين، فالولاء هو المحبة في الله بالقلب، وبذل المؤمن وسعه في الاهتمام، والنصرة، والمناصحة لأخيه في الدين، وأمّا البراءة فهي البغض في الله بالقلب، لمن ارتكب الكبائر، وعدم الاستغفار له، والدعاء له بخير الآخرة².

ب- الشيعة: ترجع البذور الأولى للفكر الشيعي بعد الانشقاق الذي حدث عقب معركة صفين في سنة 37هـ/657م، حيث ظهر كتيار مناقض للجماعة التي رفضت التحكيم، واعتبروا أنفسهم مناصرين، ومُشايعين للخليفة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-، ثمّ قالوا بأحقّيته للخلافة بعد النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وأنّ الإمامة يجب أن لا تخرج من نسله³. وبعد ذلك انقسموا إلى فرق مختلفة⁴. ومن هذه الفرق التي مثلت التيار الشيعي بالمغرب الأوسط؛ هي:

1- الزيدية: تكوّنت الأسس الأولى لهذه الفرقة على يد زيد بن عليّ زين العابدين بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب، الذي قام بثورة في مدينة الكوفة ضدّ الأمويين في عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك (105-125هـ/723-743م)، كانت نهايتها باهزامه ووفاته في سنة 122هـ/740م⁵. ويرتكز فكر زيد بن عليّ على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقاعدة شرعية للخروج على حكام الظلم والجور⁶. ثمّ تطوّرت هذه الفكرة على يد أتباعه، فقالوا أنّه يجوز لأهل بيت فاطمة إذا رأوا الجور والظلم من قبل الحكام أن يخرجوا عليهم، إذا كان الشخص منهم مستوفيا لشروط الإمامة⁷.

وانقسمت الزيدية في موضوع الإمامة إلى اتجاهين، الأوّل: قالوا إنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- نصّ بالإمامة لعليّ بن أبي طالب، ثمّ نصّ عليّ لابنه الحسن، ثمّ نصّ الحسن لأخيه الحسين،

¹ عمرو، المصدر السابق، ص59، 73؛ تبغورين بن عيسى المشوطي (ق. 5هـ/11م)، أصول الدين أو الأصول العشرة عند الإباضية، دراسة وتحقيق: ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، عُمان، 2005م، ص188-204؛ معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص358.

² تبغورين، المصدر السابق، ص149؛ معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص100، ج2، ص1103.

³ الناشئ الأكبر، المصدر السابق، ص19، 22؛ رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق-سوريا، 2005م، ص41، 209.

⁴ الناشئ الأكبر، المصدر السابق، ص22؛ النونجي والقمي، المصدر السابق، ص28-109.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج7، ص160؛ رستم، المرجع السابق، ص211.

⁶ نشوان (أبو سعيد بن سعيد الحميري ت. 573هـ/1177م)، الحور العين، حقّقه وضبطه وعلّق على حواشيه: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، 1948م، ص188.

⁷ مدشل صلاح علي، الزيدية والتأويل "الإمامة نموذجاً"، مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حضرموت، العدد: 8، المجلد: 13، أكتوبر 2015م، ص327-332.

ثمّ انقطع النصّ، لكن يجب أن تبقى الإمامة في البيت العلوي. والثاني: قالوا إنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- لم ينصّ بالإمامة لعليّ بن أبي طالب، وإنّما كان يجب على المسلمين اختياره، لأنّه أفضل الصحابة، وقد اعتبروا خلافة أبي بكر الصديق (11-13هـ/632-634م)، وعمر ابن الخطاب (13-23هـ/634-644م) -رضي الله عنهما- شرعية، وهذا على أساس مصلحة رآها المسلمون بعد وفاة النبيّ -صلى الله عليه وسلّم-، جعلتهم يعطون الخلافة للمفضول بدل الفاضل. وبعدها رجعت الخلافة إليه، كان لا بدّ للإمامة أن تبقى في النسب الفاطمي، ويتمّ تداولها عن طريق الاختيار، أو إذا خرج واحد منهم يجب مبايعته إذا استوفى شروط الإمامة¹.

2-الإسماعيلية: تنحدر هذه الفرقة من جناح شيعي يُعرف بالإمامية، وهم ممّن يعتبرون أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- نصّ بالإمامة لعليّ بن أبي طالب، وهو بدوره نصّ بالإمامة لابنه الحسن، وهكذا فلا بدّ من أن يكون بعد كلّ وصيّ وصيّ آخر إلى أن تفتنى الدنيا². ولكن حدث بينهم انشقاق في سنة 148هـ/765م بسبب اختلافهم في هوية الإمام السابع، بين موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمّد الباقر (ت. 183هـ/799م)³، وإسماعيل بن جعفر الصادق، فأُطلق على المقرّين بإمامة هذا الأخير "الإسماعيلية"⁴.

ومن عقائد هذه الفرقة: الطعن في زوجات النبيّ -صلى الله عليه وسلّم-، وأغلب صحابته -رضي الله عنهم-، واتّهامهم بأنّهم شاركوا في سلب الإمامة التي يعتبرونها من حقّ عليّ ابن أبي طالب وأبنائه من بعده⁵. كما رفعوا منزلة الإمامة، فأصبغوا عليها هالة من القداسة، واعتقدوا في أصحابها العصمة، وجعلوا منها ركنا من أركان الدين⁶. وقسموا الشريعة إلى جانبين؛ ظاهرة وباطنة، وهذه الأخيرة لا يفهمها إلّا الإمام⁷.

¹ الناشئ الأكبر، المصدر السابق، ص42-45؛ النونجي والقمي، المصدر السابق، ص22، 24-25؛ نشوان، المصدر السابق، ص155.

² الناشئ الأكبر، المصدر السابق، ص22؛ النونجي والقمي، المصدر السابق، ص29-30؛ رستم، المرجع السابق، ص216-218.

³ عن الفرقة التي تُقرّ بإمامة موسى الكاظم. انظر: الناشئ الأكبر، المصدر السابق، ص47؛ النونجي والقمي، المصدر السابق، ص85؛ رستم، المرجع السابق، ص233.

⁴ الداعي إدريس (عماد الدين بن الحسن القرشي ت. 872هـ/1467م)، زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1991م، ص201، 204؛ غالب، المرجع السابق، ص123-124.

⁵ الداعي جعفر بن منصور اليماني ت. 380هـ/990م، كتاب الكشف، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت-لبنان، 1984م، ص30-48، 67-71؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص133، 150.

⁶ الداعي جعفر، المصدر السابق، ص53، 65؛ الداعي إدريس، زهر المعاني، ص167، 201-244؛ رستم، المرجع السابق، ص301-302.

⁷ القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمّد التميمي المغربي ت. 363هـ/973م)، كتاب أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت-لبنان، ص27-30؛ الداعي جعفر، المصدر السابق، ص27.

ومن مميّزات الدعوة الإسماعيلية، هي تطويرها لعقيدة التقيّة من أسلوب مُماهاة إلى نظام دعوي دقيق، يتميّز بالتكتم الشديد على عقائدهم، والحرص على تطبيق مستويات في الخطاب الدعوي، يُمكنهم من التدرّج مع أتباعهم لقبول معتقداتهم¹.

ج-المعتزلة: ظهر الفكر المعتزلي كتوجه عقدي مُستقلّ مع أبي حذيفة واصل بن عطاء العزّال (ت. 131هـ/748م)²، الذي اعتزل مجلس شيخه الحسن البصري (ت. 110هـ/728م) في مسجده بالبصرة، وقال بالمتزلة بين المتزلتين، فسُمّي أتباعه معتزلة³.

وقد نهلت هذه الجماعة في بداية تشكل عقائدها من تيارين مذهبيين ظهرا في النصف الثاني من القرن 1هـ/7م، هما: الجهمية⁴ الذين تأثروا بهم في العديد من المسائل، منها القول بنفي صفات الله تعالى، وخلق القرآن⁵. والقدرية⁶ الذين أخذوا منهم القول بحريّة الإنسان في الاختيار⁷.

ويُعتبر الفكر المعتزلي من أهمّ التيارات العقديّة التي كرّست مساحة واسعة للعقل في مناقشة المسائل الدينيّة، ولذلك اشتهروا في مناقشاتهم العلميّة بالاعتماد على الأسس المنطقيّة في بناء حججهم العقليّة. وقد كانت هذه التزعة من أهمّ الأسباب التي جعلت المعتزلة شديدي الاختلاف فيما بينهم، وهو ما أدّى بهم إلى الانقسام لفرق متعدّدة⁸. ولكن ما يجب الإشارة إليه

¹ غالب، المرجع السابق، ص 29-32؛ رستم، المرجع السابق، ص 300.

² ولد بالمدينة المنورة في سنة 80هـ/699م، وعاش بمدينة البصرة، كان فصيحاً، كثير الجدالة والنقاش. له العديد من المؤلفات منها: أصناف المرجئة، معاني القرآن، طبقات العلم والجهل. انظر: ابن خلكان (شمس الدين محمّد بن أحمد ت. 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1994م، ج 6، ص 7-11؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت. 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، حقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت-لبنان، 1982م، ج 4، ص 464-465؛ الزركلي خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، بيروت-لبنان، 2002م، ج 8، ص 108-109.

³ البغدادي، المصدر السابق، ص 119؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 62.

⁴ نسبة إلى الجهم بن صفوان الراسبي (ت. 128هـ/745م)، وأتباعه يعتبرون من فرق المرجئة، يرون أنّ الإنسان مجبر في أفعاله، فلا إرادة له، ولا استطاعة، ولا قدرة. انظر: الأشعري، مقالات، ج 1، ص 214؛ الحنفي، المرجع السابق، ص 167.

⁵ قاضي ياسر، مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية، أضواء السلف، الرياض-السعودية، 2005م، ج 2، ص 538-665.

⁶ يعدّ معبد الجهمي (ت. 80هـ/699م) أوّل من قال بالقدر في مدينة البصرة، ثمّ بعد ذلك كثر أتباعه، فأطلق عليهم اسم القدرية. وهم على النقيض مع المرجئة، يرون أنّ للإنسان إرادة مستقلة عن إرادة الله -عزّ وجلّ-، وينفون عن الله تعالى العلم الأزلي. انظر: اللالكائي، المصدر السابق، ج 2، ص 592؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص 106.

⁷ الحنفي، المرجع السابق، ص 315.

⁸ الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 56-96؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص 123، 131.

هو أنّ المعتزلة اتفقوا على خمسة أصول مشتركة، لا يُمكن لأحد أن يكون معتزليا إلّا إذا أقرّ بها جميعا¹، وهي²:

-**التوحيد**: وهو نفي أن يكون لله -عزّ وجلّ- صفات قديمة زائدة عن ذاته، فصفاته هي عين الذات، فيقال: إنّ الله عالم بذاته، قادر بذاته.

-**العدل**: وهو أنّ الإنسان حرٌّ، وغير مُسيّر في اختياراته وأفعاله، وهذا حسبهم من تمام العدل الإلهي، فالشخص يُحاسب على ما هو مسؤول عنه، لا ما أُجبر عليه.

-**المتزلة بين المتزتين**: هذا الأصل مُتعلّق بأصحاب الكبائر، فهم ليسوا بكفار ولا مُؤمنين، وإنّما فساق، فالمتزلة بين المتزتين هي مرتبة بين الإيمان والكفر.

-**الوعد والوعيد**: وهو أنّ الله -سبحانه وتعالى- وعد المطيعين بالثواب ودخول الجنّة، وتوعّد العصاة بالنار، وبهذا فمن مات على كبيرة، ولم يتب منها في الدنيا، فهو مستحقّ لعدم المغفرة، والخلود في النار.

-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وهو من فروض الكفايات إذا فعله البعض سقط عن الكلّ، ويكون ذلك باللسان، واليد، والسيف، بشرط أن يكون المرء قادرا على فعله.

د-أهل السنّة: يرتبط ظهور لقب أهل السنّة بالانشقاقات السياسية والفكرية التي حدثت في صدر الإسلام³، ولذلك يرى أهل السنّة أنّ استخدامهم لهذا المصطلح، إنّما جاء تمييزا لأنفسهم عن الفرق الأخرى التي عرفت هي الأخرى ألقابا تدلّ عليها⁴. ولعلّ من أقدم النصوص التي ذكرت مصطلح أهل السنّة، هو قول محمّد بن سيرين (ت. 110هـ/728م)⁵ الذي جاء فيه:

¹ الخياط (أبو الحسين عبد الرحيم بن محمّد المعتزلي ت. 290هـ/902م)، الانتصار والردّ على ابن الروندي الملحد، مع مقمّة وتحقيق وتعليقات: نيرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة-مصر، 1993م، ص126.

² عبد الجبار، المصدر السابق، ص128-148؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص120-123.

³ اللالكائي (أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري ت. 418هـ/1027م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، ط4، الرياض-السعودية، 1995م، ج1، ص14-18.

⁴ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ت. 463هـ/1070م)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء، مكتبة القدس، القاهرة-مصر، 1931م، ج1، ص35؛ السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمّد ت. 562هـ/1166م)، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه:

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند، 1977م، ج7، ص278.

⁵ أبو البكر محمّد بن سيرين البصري: من كبار التابعين، ولد بالبصرة سنة 33هـ/653م، وعاش بها إلى أن توفّي. اشتهر بالفقه، ورواية الحديث، وتعبير الرؤيا. انظر: ابن سعد (أبو عبد الله محمّد الهاشمي البصري ت. 230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت-لبنان، 1997م، ج7، ص143-154؛ الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص154.

"لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فيُنظَرُ إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، ويُنظَرُ إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم"¹.

ومن أهمّ عقائد أهل السنة: أنّهم يرون بقاء الخلافة في النسب القرشي، وهذا عن طريق العقد والاختيار²، ويطرؤون على جميع زوجات النبي-صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته وصحابته-رضي الله عنهم-، ويمسكون عمّا شجر بين الصحابة من خصومات وحروب، فلا يطعنون في أحد منهم³، بل إنّهم يجعلون مذهبهم امتداداً لفهمهم وتطبيقهم للإسلام⁴. كما أنّهم يُثبتون القدر، ولا يُكفرون أصحاب الكبائر، ويعتقدون أنّ القرآن غير مخلوق، ويُثبتون رؤية الله-عزّ وجلّ- للمؤمنين في الآخرة⁵.

ولكن خلال النصف الثاني من القرن 2هـ/8م بدأت تظهر داخل الساحة السنيّة العديد من الآراء الكلامية⁶، مثل كيفية فهم الآيات والأحاديث المرتبطة بأسماء وصفات الله تعالى، أو مسألة خلق أفعال العباد⁷، وهذا ما أبرز توجّهات مذاهبية شكّلت صراعاً جديداً⁸. ثمّ في القرنين 5 و6هـ/11 و12م عرف هذا الصراع امتداداً إلى بلاد المغرب، وذلك من خلال تصادم توجّهين عقديين⁹، هما:

¹ مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري تـ. 261هـ/874م)، صحيح مسلم، دار السلام، ط2، الرياض-السعودية، 2000م، ص11.

² البرهاري، المصدر السابق، ص57؛ البغدادي، المصدر السابق، ص349-350.

³ البرهاري، المصدر السابق، ص55، 106، 111؛ اللالكائي، المصدر السابق، ج7، ص1314، 1509.

⁴ ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الظاهري تـ. 456هـ/1063م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط2، بيروت-لبنان، 1996، ج2، ص271.

⁵ البرهاري، المصدر السابق، ص41-42، 64، 96؛ ابن أبي زيد (أبو محمد عبد الله القيرواني تـ. 386هـ/996م)، كتاب الجامع في السنن والآداب والتاريخ، تحقيق: محمد أبو الأحناف وعثمان بطيح، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م، ص109-116؛ اللالكائي، المصدر السابق، ج2، ص253، ج3، ص421، 589، ج6، ص1160.

⁶ نسبة إلى علم الكلام، وهو منهج يأخذ بآليات التأويل، والاستدلال العقليّ من أجل إثبات والدفاع عن العقائد الإيمانيّة. انظر: الإيجي (عبد الرحمن بن أحمد الشيرازي تـ. 756هـ/1355م)، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت-لبنان، د.ت، ص7؛ ابن خلدون، المقدّمة، ص570.

⁷ للإطلاع أكثر عن هذه المسائل. انظر: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة الرشاد، بغداد-العراق، 1967م، ص150-268؛ سعد عبد الله عاشور، موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد، مجلّة الجامعة الإسلامية، مجلد: 2، العدد: 2، غزة-فلسطين، 2001م، ص233-274.

⁸ علي عبد الفتاح، الفرق الكلامية الإسلامية - مدخل ودراسة -، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة-مصر، 1995م، ص11-13.

⁹ التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة - دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس -، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 2005م، ص275-279.

1- أهل الحديث (أو أصحاب الحديث): سُموا بذلك لكثرة عنايتهم بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية¹. كما عُرفوا أيضا باستخدام مُصطلح "مذهب السلف" كلقب إضافي للدلالة على مذهبهم².

وقد دعا أصحاب هذا التوجّه إلى وُجوب إثبات صفات الله تعالى كما جاءت، وتفويض كيفيتها من غير تحريف ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل. وقالوا بأنّ أفعال العباد مخلوقة³. كما نبذوا الخوض في الجدل الديني والتطرّق للمسائل العقديّة على طريقة علماء الكلام⁴.

2- الأشعرية: نسبة إلى أبي الحسن عليّ بن إسماعيل اليماني الأشعري (ت. 324هـ/935م)⁵ الذي كان معتزليا، ثمّ في سنّ الأربعين من عُمره ترك هذا التوجّه المذهبي، واستقلّ بآرائه الخاصّة التي حاول فيها التوسّط بين مذهب أهل الحديث والمعتزلة.

وفي هذه المرحلة تأثّر بآراء أبي محمّد عبد الله بن كلاب (ت. 241هـ/855م)⁶، وخاصّة في مسألة الصفات، التي رأى فيها صيغة توافقية بين إثبات أهل الحديث ونفي المعتزلة، فقد أثبت الصفات الذاتية، وهي الصفات التي لا تنفكُ عن ذات الله -عزّ وجلّ-، مثل: العلم، والقدرة، والحياة، وغيرها، وأولّ عددا من الصفات الاختيارية، وهي التي تتعلّق بمشيئة الله تعالى مثل: الغضب، والرضى، والتزول، وغيرها⁷.

¹ ابن قتيبة (أبو محمّد عبد الله بن مسلم ت. 276هـ/889م)، تأويل مختلف الحديث، صحّحه وضبطه: محمّد زهري النجار، دار القومية العربية، مصر، د.ت، ص73-74؛ اللالكائي، المصدر السابق، ج1، ص25.

² الخطّاب (أبو سفيان حمد بن محمّد ت. 377هـ/987م)، الغنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج، القاهرة-مصر، 2004م، ص5، 11.

³ البرهاري، المصدر السابق، ج1، ص41، 68؛ الإسماعيلي (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني ت. 371هـ/981م)، اعتقاد أئمة أهل الحديث، تحقيق: محمد خميس، دار العاصمة، السعودية، 1992م، ص50، 60؛ اللالكائي، المصدر السابق، ج3، ص442-446.

⁴ البرهاري، المصدر السابق، ص39، 80؛ الخطّاب، المصدر السابق، ص6-20؛ عرفان، المرجع السابق، ص190.

⁵ ولد في البصرة سنة 260هـ/873م على أرحح الأقبال، وعاش في بغداد، طلب العلم عن مجموعة من العلماء أهمهم زوج أمّه الجبائي محمّد بن عبد الوهّاب، الذي أخذ عنه الاعتزال. ترك الأشعري مجموعة من المؤلفات من بينها: الإبانة عن أصول الديانة، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، كتاب اللمع. انظر: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج3، ص284-286؛ ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر ت. 776هـ/1374م)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2004م، ج1، ص203-208؛ الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص263.

⁶ عن تأثير آراء الكلابية في الأشعرية. انظر: الشلاحي هدى بنت ناصر بن محمّد، آراء الكلابية العقديّة وأثرها في الأشعرية، مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، 2000م، ص119-120، 263-283.

⁷ الأشعري (أبو الحسن عليّ بن إسماعيل)، رسالة إلى أهل الفجر، تحقيق: عبد الله شاكر الجندي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، المدينة المنورة-السعودية، 1422هـ/2002م، ص209-236.

وبعد ذلك اختلف العلماء في المذهب العقدي الذي استمرّ عليه إلى وفاته، فمنهم من رأى أنّه بقي كلاًّياً مع ميل أبدأه تُجاه أهل الحديث¹، ومنهم من رجّح أنّه رجع في أواخر حياته إلى مذهب أهل الحديث كُلية².

ومهما يكن من أمر، فإنّ آراء الأشعري التي انشقت بها عن الاعتزال تمكّنت من الاستمرار، حيث تبناها العديد من العلماء، وأضافوا إليها اجتهاداتهم الخاصّة التي كانت تستمدّ من علم الكلام الأسس العقلية في التعاطي مع النصوص الدينية، ولم يشترطوا فيها دائماً مُوافقة شيخهم المؤسّس، وهذا ما جعل من سمات المدرسة الأشعرية تعدّد آراء أعلامها، مع الإشارة إلى أنّهم لم يعتبروا هذه الاختلافات من الأمور المؤثّرة في وحدتهم المذهبية، وإنّما جعلوها قضايا اجتهادية داخل إطار المذهب³.

ثانياً-التصوّف

تمكّن التصوّف من دمج وتأطير أبعاد دينية عديدة، أهمّها: الأخلاق، والزهد، والعبادة، والنظرة المختلفة والخاصّة لفهم الشريعة، وهذا ما جعله يكوّن إطاراً معرفياً منفصلاً، يصنّف ضمن التوجّه السلوكي-التعبدي، وباعتباره إحدى التوجّهات التي كانت جزءاً من الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط، يجدر التساؤل حول كيفية تبلوره بهذا الشكل؟

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في الأصل الذي جاء منه مصطلح التصوّف⁴، ومن أهمّ هذه الفرضيات التي طُرحت؛ نسبته إلى أهل الصّفة، وهم مجموعة من الصحابة كانوا فقراء، فاتّخذوا من مسجد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مسكناً لهم، ولما كانت أحوال الصوفية تشبه حال أهل الصفة في العبادة والملبس، اشتقّ اسمهم منهم⁵. وقيل إنّ التصوف مُشتقّ من الصفاء؛ وهو صفاء

¹ ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم تـ. 728هـ/1328م)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمّد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ط2، المدينة المنورة- السعودية، 1411هـ/1991م، ج2، ص16؛ ابن خلدون، المقامّة، ص603؛ ابن حجر (أبو الفضل أحمد ابن عليّ العسقلاني تـ. 852هـ/1448م)، لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت-لبنان، 2002م، ج4، ص484.

² ابن كثير، المصدر السابق، ج1، ص205.

³ ابن خلدون، المقامّة، ص589-591؛ السهيلي عبد الله، الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، مجلّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة: 26، العدد: 87، محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م، ص87-130.

⁴ للإطلاع أكثر عن الآراء التي جاءت في أصل التصوّف. انظر: عرفان عبد الحميد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجليل، بيروت-لبنان، 1993م، ص117-129؛ نيكلسون ر. أ.، الصوفية في الإسلام، ترجمة: شريه نور الدين، الشركة العالمية للطباعة، ط2، القاهرة-مصر، 2002، ص10-12.

⁵ القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري تـ. 465هـ/1072م)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحلّيم محمود ومحمود ابن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة-مصر، 1409هـ/1989م، ص464.

القلب¹. بينما أشهر الأقوال فهي التي تُرجع أصل الكلمة إلى لباس الصوف، وهذا الرأي رجّحته العديد من المصادر والدراسات الحديثة²؛ لأنّه يتوافق مع الاشتقاق اللغوي للكلمة، ومع ما عُرف به الزهاد قديماً من ارتدائهم لهذا النوع من اللباس³.

وأما من حيث النشأة، فقد نشأ التصوّف نتيجة حركة زهدية ظهرت في المشرق الإسلامي، دعت إلى الاشتغال بالعبادة، والعناية بالأخلاق، والزهد عن ملذّات الحياة. ثمّ بدأت هذه التّزعة تتطوّر، وتتميّز عن أشكال التديّن المعروفة في تلك الفترة في بداية القرن 2هـ/8م⁴. فمن الناحية العملية عرفت الممارسات الزهدية، تنظيمات جماعية مثل طائفة البكّائين التي ظهرت في النصف الثاني من القرن 2هـ/8م، واتّخذت من البكاء وسيلة للتضرّع إلى الله -عزّ وجلّ-⁵. ومن الناحية النظرية بدأت تتشكّل لدى الزهاد رؤية معرفية مُستقلّة، نقلت الحركة الزهدية إلى ما عرف بالتصوّف.

وقد شمل هذا الانتقال اهتمامات الصوفية التي تجاوزت المجال السلوكي إلى دائرة أكبر، تمثّلت فيما أسّموه بالنظر الباطني للشريعة⁶. وقد أتاح هذا للعديد من المتصوّفة أن تتدخّل آراؤهم في مجال العقائد الإسلامية، وذلك على أساس إيجاد تفسيرات وجدانية تربط العبد برّبّه، مثل نظرية الحلول التي اشتهر بها الحسين بن منصور الحلاج (ت. 309هـ/922م)، وهي حلّول واتّحاد الذات الإلهية في الطبيعة البشرية⁷.

¹ القشيري، المصدر السابق، ص464؛ نيكلسون، المرجع السابق، ص11.

² الطوسي (أبو نصر عبد الله بن عليّ السراج ت. 378هـ/988م)، اللمع، حقّقه وقدم له وخرّج حاديته: عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، مكتبة المثنى، بغداد-العراق، 1960م، ص41؛ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ ت. 597هـ/1201م)، تلبس إبليس، دار القلم، بيروت-لبنان، 1403هـ/1982م، ص156-158؛ ابن خلدون، المقدمة، ص611؛ التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوّف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة-مصر، 1979م، ص21؛ عرفان، نشأة الفلسفة الصوفية، ص124؛ نيكلسون، المرجع السابق، ص11.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص611؛ عرفان، نشأة الفلسفة الصوفية، ص126.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص611؛ بن الطيب محمّد، إسلام المتصوّفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2007م، ص34.

⁵ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ ت. 597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت-لبنان، 1995م، ج7، ص205؛ بن الطيب، المرجع السابق، ص21.

⁶ الطوسي، المصدر السابق، ص43؛ التفتازاني، المرجع السابق، ص17.

⁷ عرفان، نشأة الفلسفة الصوفية، ص179، 227-231.

ثالثاً- التوجّهات الفقهية

قبل معرفة أصول المذاهب الفقهية التي كانت فاعلة في تاريخ الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط، من المهمّ منهجياً تعريف الفقه حسب المفهوم الذي تحدّده المذاهب الفقهية.

-الفقه: لغة: هو الفهم، والفطنة، والعلم بالشيء¹.

-واصطلاحاً: هو "معرفة الأحكام الشرعية العملية، المستنبطة من أدلّتها"².

وهذا المفهوم الخاصّ للفقه لم يظهر إلّا بعد بداية تشكّل المدارس الفقهية، لأنّ الفقه الإسلاميّ، مرّ بمرحلتين، هما: مرحلة التشريع التي كانت في عهد النبيّ-صلى الله عليه وسلّم-، ثمّ مرحلة التكوين التي جعلته يستقلّ بمنهج وأصول بُنيت عليها اتّجاهاته³.

وبهذا فمن أهمّ المذاهب الفقهية التي كانت فاعلة في تاريخ الحركة المذهبية للمغرب الأوسط، هي:

أ-المذهب الحنفي: نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي (ت. 150هـ/767م)⁴، ومن أهمّ الأصول التي اعتمد عليها هذا المذهب في استنباط الأحكام الفقهية⁵:

-القرآن: وهو مصدر التشريع الأوّل.

-السنة النبويّة: تشدّد الأحناف في قبول الأحاديث التي لم تبلغ حدّ التواتر والشهرة.

-أقوال الصحابة: إذا اختلف الصحابة في مسألة شرعية فيجب عدم الخروج عن خلافهم، وهناك حالات يقدّم فيها القياس على رأي الصحابي.

-الإجماع: هو إجماع الصحابة على مسألة شرعية معيّنة أو إجماع المجتهدين في عصر من العصور.

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص522؛ المعجم الوسيط، ج2، ص698.

² الزرقا مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، ط2، دمشق-سوريا، 2004م، ص65؛ العزبي عزت وآخرون، المدخل إلى الفقه الإسلامي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، ص2010م، ص8.

³ القطان مناع، تاريخ التشريع الإسلامي: التشريع والفقه، مكتبة المعارف، ط2، الرياض-السعودية، 1996م، ص23، 289-294.

⁴ ولد أبو حنيفة في الكوفة سنة 80هـ/699م ونشأ بها، روى عن بعض الصحابة، منهم أنس بن مالك-رضي الله عنه-، وأغلب شيوخه من التابعين، عُرف أبو حنيفة بسعة العلم، وقوّة الحجة، فجعل هذا الطلبة يقصدونه من كافّة الأقاليم الإسلامية للدراسة عنده، كما أنّ شهرته جعلت الخليفة العباسي المنصور يطلب منه تولّي منصب القضاء، ولكنّه امتنع، فعرضه هذا لدخول السجن في مدينة بغداد إلى أن مات فيه. نسبت إليه بعض المؤلفات والرسائل، مثل كتاب الفقه الأكبر، ورسالة إلى عثمان البتيّ، ولكن صحّة نسبتها إليه فيها نظر. انظر: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج6، ص405-415؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص390-404؛ الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص36.

⁵ أبو زهرة، المرجع السابق، ص354-356؛ القطان، المرجع السابق، ص331-337؛ النقيب أحمد، المذهب الحنفي (مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته)، مكتبة الرشاد-السعودية، 2001م، ج1، ص381-422.

-القياس: هو إلحاق المسائل التي لم يثبت فيها دليل شرعيّ، بأحكام شرعية أُخرى ثابتة، تتحد معها في العلة.

-الاستحسان: يكون بالبحث عن علة للحكم على المسألة بعد انتفاء الدليل الشرعي، وعدم صلاحية القياس.

ب-المذهب المالكي: نسبة إلى أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت. 179هـ/795م)¹، ومن أهمّ الأصول التي بنى عليها المالكية أحكامهم الفقهية²:
-القرآن.

-السنة النبوية وآثار الصحابة: اعتمد المالكية على الأحايث والآثار مهما كان نوعها متواترة أو مشهورة أو آحادا ما دامت بلغت مرتبة الصحة.
-الإجماع.

-عمل أهل المدينة: اعتبر المالكية عمل أهل المدينة حجة، و يُقدّم عملهم ورأيهم إذا كان هناك من يُخالفهم.

-القياس: يُعمل بالقياس بعد انتفاء الأحاديث النبوية وآثار الصحابة.

-المصالح المرسلة: في ظلّ غياب الدليل الشرعي يُعمل بقاعدة جلب المنافع ودرء المفسد.

-سدّ الذرائع: وهو منع الأفعال الجائزة التي تُؤدّي إلى أعمال محرّمة.

-العرف: هو ما درج الناس على عمله، وينقسم إلى صحيح وفساد، فيُعمل بالصحيح إذا لم يُخالف النصّ.

¹ ولد بالمدينة المنورة سنة 93هـ/912م ونشأ بها، أخذ العلم عن كبار علمائها، كالنافع، والزهرى، والأوزاعي، ولما تأهّل بدأ في التدريس والفتوى، وقد كانت إقامته في المدينة المنورة عاملا مساعدا في اشتهاره، وتنوّع طلبته، ومُستفتيه الذين قصدوه من كلّ أرجاء العالم الإسلامي، خاصة أثناء أداء مناسك الحج، تعرض في سنة 146هـ/763م للسنن والضرب، وهذا بسبب تحديثه بحديث كان العلويون يستغلّونه للتحريض على الثورة ضدّ العباسيين، غير أنّه خرج منه، واعتذر إليه الخليفة أبو جعفر المنصور. ألف مالك بن أنس عددا من المؤلفات، ولكن الذي اشتهر منها، وبقي مُتداولاً، هو كتابه "الموطأ"، الذي يُعتبر من أهمّ مصادر الحديث، والفقه التي لقيت قبولا بين العلماء وطلبة العلم، حتّى أنّ الخليفة المهدي وبعده هارون الرشيد طلبا منه، أن يتمّ توزيعه في جميع أقاليم الخلافة، ويُسيّر القضاء والأحكام عليه، ولكنه رفض هذا. انظر: ابن عبد البر، الانتقاء، ص9-47؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج4، ص135-139؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص48-135؛ القطان، المرجع السابق، ص345-348.

² أبو زهرة، المرجع السابق، ص397-356؛ القطان، المرجع السابق، ص352-356؛ العريزي وآخرون، المرجع السابق، ص98.

ج-المذهب الظاهري: نسبة لأبي سليمان داود بن عليّ الأصبهاني (ت. 270هـ/883م)¹، الذي أسس مذهبه على أساس الأخذ بظواهر النصوص الفقهية، ونفي بعض الأصول الفقهية المعتمدة في المذهب الأخرى، مثل إنكار القياس الخفي، والاستحسان، والمصالح الرسلة². ثم في القرن 5هـ/11م، ساهم أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت. 456هـ/1063م)³ في تعزيز حضوره في الغرب الإسلامي والتنظير له، ولكنه أنه لم يوافق مؤسس هذا المذهب في جميع أصوله، فكان ابن حزم ينفي القياس الجلي والخفي⁴، وأما بقية الأصول الأخرى التي بنى عليها الظاهرية أحكامهم الفقهية، فمن أهمها⁵:

-القرآن:

-السنة النبوية: وكان الظاهرية يقبلون الأحاديث الآحاد ما دامت صحيحة السند.

-الإجماع: وهو مقتصر على إجماع الصحابة -رضي الله عنهم-، ولا عبرة بإجماع من جاء بعدهم.

-الاستصحاب: هو بقاء الأحكام الشرعية المستنبطة من النصوص الشرعية حتى يأتي الدليل على تغييرها، ولذلك إذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، فلا يجوز تحريم شيء منها إلا بدليل.

¹ ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد، أخذ العلم عن عدد من العلماء، منهم: سليمان بن حرب، ومسدد بن مسرهد، وأبو ثور الكلي، وإسحاق ابن راهويه، وكان في البداية شافعيًا، ثم استقل بمذهب فقهي خاص به، وبقي عليه إلى أن توفي ببغداد. له العديد من المصنفات، منها: "الإيضاح"، و"الرد على أهل الإفك"، و"إبطال التقليد" و"إبطال القياس". انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص255-257؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص97-108؛ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص333.

² أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت-لبنان، 1990م، ص22، 41.

³ ولد في قرطبة وكان والده وزيرًا، فنشأ عيشة مترفة، إلا أن هذا لم يمنعه من الاشتغال بالعلم، فدرس عند جماعة من العلماء، منهم يحيى بن مسعود، وأبو عمر بن الجصور، وأبو عمر الطلمنكي، وكان في بداية طلبه للعلم على المذهب المالكي، ولكنه لم يقتنع به، فتحوّل إلى المذهب الشافعي، ثم إلى الظاهري. وقد تعرّض ابن حزم بسبب آرائه وانتقاداته العلمية إلى العديد من مضايقات العلماء والأمراء، فكان كثير التنقل في بلاد الأندلس إلى أن توفي. اشتهر ابن حزم بكثرة التأليف في مختلف العلوم، فمن مصنفاته: "الحلّي بالآثار في شرح الحلّي باختصار" و"الإحكام في أصول الأحكام" و"إبطال القياس والرأي" و"الإملاء في شرح الموطأ" و"الجامع في صحيح الحديث" و"بيان الفصاحة والبلاغة" و"السير والأخلاق". انظر: الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ت. 488هـ/1085م)، جذوة المقتبس في ذكر وفاة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة-مصر، 1977م، ص309؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص605-606؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص184-212.

⁴ أحمد بكير، المرجع السابق، ص41؛ الغلبزوري توفيق بن أحمد، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس: نشأتها-أعلامها-أصولها-وأثرها، دار ابن حزم، الرياض-السعودية، 2006م، ص544-545.

⁵ ابن حزم (أبو محمد عليّ بن أحمد الظاهري)، النبد في أصول الفقه الظاهري، حقّق نصوصها وعلّق عليها: محمد صبحي، دار ابن حزم، ط2، بيروت-لبنان، 1999م، ص22-107؛ أحمد بكير، المرجع السابق، ص24-25؛ الغلبزوري، المرجع السابق، ص548-591.

المبحث الثالث: احتضان بلاد المغرب للتوجهات المذهبية في القرن 2هـ/8م

شكّلت نهاية القرن الأوّل للهجرة/7م، وبداية القرن الذي يليه، مرحلة مهمّة وحاسمة في تاريخ بلاد المغرب، فبعد إلحاق هذا الإقليم الجغرافي بدار الإسلام، وارتباطه ثقافياً ببلاد المشرق، بدأت الآراء العقديّة والفقهية تنتقل إلى بلاد المغرب، سواء من خلال نشاط دعاة المذاهب فيها، أو عن طريق عودة طلبة العلم من رحلاتهم المشرقية، ونشرهم لما تعلّموه بها، وهذا ما سمح بظهور حركة مذهبية نشطة في بلاد المغرب.

أولاً - ظهور وانتشار عقائد الصفرية والإباضية في بلاد المغرب

عرفت بلاد المغرب بُروز توجّهين مذهبيين فاعلين في بداية القرن 2هـ/8م، هما: الصفرية والإباضية، ولكن بدايات دخول آرائهما إلى بلاد المغرب، ما زال يكتنفها بعض الغموض، فمن النصوص القليلة التي حاولت تسليط الضوء على هذا الأمر، ما جاء عند أبي زكرياء في رواية عن عبد الرحمن بن رستم، حيث قال: "أول من جاء بهذه الصفة، يريد مذهب الإباضية، ونحن بقبيروان افريقية، سلمة بن سعيد، قدم إلينا من أرض البصرة، هو وعكرمة مولى بن عبّاس، وهما راكبان على جمل واحد، حملاً عليه زادهما، سلمة بن سعد يدعو إلى الإباضية، وعكرمة يدعو إلى الصفرية"¹. ومن أجل فهم هذا النصّ بشكل جيّد، يجب علينا معرفة هذين الشخصين، والزمن الذي قدما فيه إلى مدينة القيروان، وطبيعة العلاقة بينهما.

فعكرمة؛ هو أبو عبد الله البربري المغربي مولى عبد الله بن عبّاس -رضي الله عنه-، عاش في بداية سنّه بمكّة ثمّ بالمدينة المنورة، وطلب العلم عند مولاه ابن عبّاس، وكان مُعتمده في التعليم، كما أخذ عن عدد كبير من الصحابة، وكبار التابعين، فجعله هذا يحصلّ علماً كبيراً، أهله لأن يكون مُتصدراً لرواية الحديث، والتفسير، والمغازي، والفتوى².

ولما توفيّ ابن عباس في سنة 68هـ/678م، تملكه ابنه عليّ، ثمّ قام بعنقه، فبدأ عكرمة يطوف على الأمصار الإسلامية، للتدريس والتحديث بها³، ومن هذه الرحلات التي قام بها؛ قدومه

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص40-41.

² المالكي، المصدر السابق، ج1، ص106-107؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص265؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص12-19؛ الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص244.

³ ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص219؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص265-266.

إلى مدينة القيروان بعد سنة 100هـ/718م¹، فمكث يُدرّس بجامعة الكبير مُدّة²، ثمّ رجع إلى المشرق، وبقي هناك إلى أن توفّي بالمدينة في سنة 105هـ/723م على الصحيح، وهو في سنّ الثمانين، وقيل في الأربعة والثمانين³.

وأما سلمة بن سعيد، فالمصادر الإباضية لا تذكر عنه الشيء الكثير، فقد قدم إلى مدينة القيروان من البصرة⁴، ومن غير المعروف إن كان استقرّ في بلاد المغرب أو رجع إلى المشرق، إلّا أنّ صلته بالإباضية في بلاد المغرب بقيت قائمة، فهو الذي دلّ حملة العلم⁵ أو بعضهم في سنة 135هـ/752م، على مكان أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت. 145هـ/762م)⁶ في البصرة، من أجل الذهاب إليه، وأخذ العلم عنده⁷.

والذي يُستنتج من نصّ أبي زكرياء-السابق الذكر-، عندما ذكر استعمالهما لراحلة واحدة، هو وجود علاقة حسنة بينهما، ولذلك من خلال الفترة التي عاشها سلمة بعد وفاة عكرمة، وهي تتراوح بين 30 و35 سنة على الأقلّ، مع الأخذ بعين الاعتبار كبر سنّ عكرمة، إذ كان عمره أثناء قدومه إلى القيروان يتراوح بين 75 و80 سنة أو 79 و84 سنة، فهذا يجعل احتمالية قدومهما

¹ التقى عكرمة أثناء مُكوّته في مدينة القيروان بإسماعيل بن عبيد الأنصاري، وهذا الاسم يتسمّى به عالمان؛ الأوّل من أصول قيروانيّة، كان من العباد والزهاد، والثاني بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م) ضمن بعثة التابعين العشرة على رأس المائة الثانية، أخذ العلم وروى الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعند قدومه إلى القيروان، بنى مسجداً، عرف بمسجد إسماعيل، وبقي مقيماً بالقيروان، إلى أن توفّي غازياً في سنة 107هـ/725م. وقد اجتمع إسماعيل هذا بعكرمة، بعدما بلغه أنّه اضطرب حفظه للحديث، فأراد أن يتأكد من هذا الأمر بنفسه، وهذا الاختبار من المستبعد جدّاً أن يقوم به إسماعيل العابد، ولذلك فلا شكّ أنّ إسماعيل المُحدّث هو صاحب هذا اللقاء، وهذا يُمكن حصر مجيء عكرمة إلى مدينة القيروان في خمس سنوات الأولى من القرن 2هـ/8م. انظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص106-107؛ الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج1، ص122؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص48؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص20؛ التهامي، المرجع السابق، ص33.

² أبو العرب، المصدر السابق، ص19؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص146.

³ ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص224؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص265-266.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص41؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص11.

⁵ وهم: عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السّدراقي، وإسماعيل بن درّار الغدامسي، وأبو داود القبلي النّفزّاوي، وعند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليميني. وللاطلاع أكثر على تراجمهم. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص19-36؛ الشّمّاخي، السير، ص128-137، 141-144، 147-149.

⁶ من أبرز علماء الإباضية في القرن 2هـ/8م تيوّاً زعامة الدعوة الإباضية بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة 95هـ/713م، وعمل على تنظيمها في سرية تامّة، ولأجل هذا المهمة، أنشأ مدرسة في سرداب بالقرب من مدينة البصرة، فكان يقوم بالتدريس به، وتكوين الدّعاة وإرسالهم إلى أرجاء العالم الإسلامي لنشر الآراء الإباضية، والتواصل مع أتباعها. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص246-248؛ الشّمّاخي، السير، ص87-90؛ خليفات، المرجع السابق، ص103-115.

⁷ الشّمّاخي، السير، ص102؛ خليفات، المرجع السابق، ص137.

مع بعض، ليست على أساس قرينين في السنّ والعلم، وإنّما في الحقيقة مرافقة طالب علم لعالم ذائع الصيت يسعى لنشر العلم، فجمعت بينهما الرحلة، واختلف لديهما القصد.

وإذا كانت إباضية سلمة، لا يُمكن الشكُّ فيها، فإنّ صفرية عكرمة على العكس من ذلك، فهناك أقوال أخرى تنسبُه لبعض الفرق الأخرى؛ كالتجدات¹، والبيهيسية²، والإباضية³، غير أنّ العديد من علماء الحديث ينفون كلّ هذا عنه، لعدم وجود ما يثبت هذه الادّعاءات، ولتوثيق أئمة المحدثين له ممّن خالطه وأخذ عنه⁴، ولهذا فالروايات التي تجعل عكرمة من دعاة الصفرية في بلاد المغرب⁵، تدخل فيما أشيع عنه بغير دليل صريح، والراجح أنّها غير ثابتة.

ومّا يُؤكّد هذا الرأي، ما ذكره ابن عبد البرّ (ت. 463هـ/1070م) نقلا عن أبي العرب التيمي (ت. 333هـ/944م)، قال: "كان خلفاء بني أمية يُرسلون إلى المغرب، يطلبون جلود الخرفان التي لم تُولد بعد العسلية...، فربّما ذُبحت المائة شاة، فلا يوجد في بطنها إلّا واحد عسلي، كانوا يتخذون منها الفراء، فكان عكرمة يستعظم ذلك ويقول: هذا كفر، هذا شرك، فأخذ ذلك عنه الصفرية والإباضية، فكفروا الناس بالذنوب"⁶. وهذا النصُّ يُشير إلى أنّ الصفرية والإباضية كانوا موجودين في فترة مكوث عكرمة بالقيروان، وأنّ العلاقة التي جمعت بين عكرمة وهاتين الجماعتين هي الاعتماد على إحدى فتاويه، التي يُفهم من كلام أبي العرب أنّها لا تدخله في زمرتيهما.

¹ من فرق الخوارج، نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي، كان مع الأزارقة ثمّ انشقّ عنهم، ومن أهمّ عقائد هذه الفرقة: آتهم يرون أنّ من فعل ذنبا سواء كان صغيرا أو كبيرا فهو مشرك، وذهبوا إلى عدم حاجة الناس إلى إمام يحكمهم، وجوّزوا التقيّة، والعدر بالجهل في المسائل الفرعية. انظر: البغدادي، الملل والنحل، ص65-67؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص141-144؛ الحنفي، المرجع السابق، ص392.

² من فرق الخوارج، نسبة إلى أبي بيهس الهيصم بن جابر أو عامر (ت. 94هـ/712م)، وهم جماعات يختلفون مع بعضهم البعض في العديد من المسائل، من أقولهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية، وذهب بعضهم إلى القول بأنّ الخمر حلال. انظر: الأشعري، مقالات، ج1، ص192-196؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص144-148؛ الحنفي، المرجع السابق، ص117.

³ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص20-22.

⁴ عن الآراء التي تنفي عن عكرمة انتسابه لهذه الجماعات. انظر: المنذري (أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ت. 656هـ/1258م)، جزء فيه ذكر حال عكرمة مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه، رواية أبي القاسم عبيد الله بن أبي عبد الله الزراري، اعتنى به: نظام محمد يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، 2000م، ص21-26، 33-38؛ ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت. 852هـ/1448م)، هدي الساري لمقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أشرف على تحقيق الكتاب وراجعته: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، اعتنى بتحقيق هذا الجزء وتحقيقه: أحمد برهوم وعامر غضبان، دار الرسالة العالمية، فرع بيروت-لبنان، 2013م، ج2، ص423-432.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص40-41؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص20-22.

⁶ ابن عبد البرّ (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، حقّقه وعلّق على حواشيه وصحّحه: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، الرباط-المغرب، 1967م، ج2، ص32-33.

ولهذا يظهر أنّ بعض الأفراد من الصفرية والإباضية، كانوا موجودين بالقيروان أو في مناطق أخرى من بلاد المغرب على الأقلّ في فترة مكوث عكرمة وسلمة في القيروان، ولعلّ عبد الرحمن ابن رستم لم يكن يدري بوجودهم، ثمّ بعد ذلك نشطت الحركة الصفرية والإباضية، وبدأت تشهد انتشارا حثيثا، فظنّ عبد الرحمن بعد مدّة من الزمن أنّ سلمة هو المتسبّب في نشر عقائد الإباضية في بلاد المغرب.

ولعلّ قدوم سلمة مع عكرمة¹ ما هو إلّا غطاء تسترّ به من أجل تنفيذ مهمّته التي جاء من أجلها، لأنّ قدومه من البصرة يجعل من المستبعد أن يكون فيها ولا يلتقي بأبي عبيدة، فإذا كان هذا الطرح صحيحا فقد تكون مهمّته التي جاء من أجلها إلى بلاد المغرب، كانت بإيعاز من أبي عبيدة، وهي محاولة تنظيم الحركة الإباضية بها، وربطها مع مركز الدعوة في البصرة². ولذلك من الممكن أنّ دُعاة الصفرية والإباضية قد جاؤوا إلى بلاد المغرب في أواخر القرن 1هـ/7م وملكوا مسلك الدعوة إلى معتقداتهم بعدما فشلت ثورتهم في بلاد المشرق³. ثمّ في بداية القرن 2هـ/8م، انتقلوا من مرحلة الاعتناق الفردي لهذين التوجّهين إلى محاولة التنظيم وتشكيل جماعات مذهبية، تكون لها أهداف واضحة، سواء في مواصلة الدعوة لمعتقداتها أو في العمل لمواجهة ممثلي الخلافة الأموية في بلاد المغرب.

وقد كانت الظروف السياسية مؤاتية في أن تكون بلاد المغرب أرضا خصبة، يمكن تحقيق آملهم فيها، فالممارسات التعسّفية التي مارسها بعض ولاة القيروان⁴، جعلتها أداة حاولت هذه الجماعات من خلالها، إبطال مشروعيتهم في الحكم⁵. كما أنّ نظام الحكم الذي كان الصفرية والإباضية ينادون إليه، يدعو إلى جعل الحكم شورى بين المسلمين، ويحقّق لجميع العرقيات أن تتبوأه، ما دامت تتوفر فيها شروط الإمامة الكبرى، وهذا ما يتناقض تماما مع النظام الوراثي وولاية العهد الذي كان عند الأمويّين⁶. فلعلّ مثل هذه القضايا ساهمت في تشجيع المغاربة على اعتناق هذين

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص41.

² خليفات، المرجع السابق، ص105، 136.

³ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص43.

⁴ الرقيق، المصدر السابق، ص62؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص52؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص33-37.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص254-255.

⁶ ذوقان وجيه لطفي، ولاية العهد في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م)، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 1426هـ/2005م، ص88-92.

المذهبيين، وجعلهم يرون فيهما نموذجاً يمكنهم من تجسيد الحكم الإسلامي الذي يعتقدون صحته في بلاد المغرب.

ثانياً-تشكّل الحلف المعتزلي-الزيدى في بلاد المغرب

ومن التوجّهات المذهبية الأخرى التي انتشرت في بلاد المغرب؛ الآراء المعتزلية، فقد قام واصل بن عطاء الغزّال بإرسال العديد من الأشخاص إلى مختلف الأقاليم الإسلامية، داعين لآرائه المعتزلية الواصلية في الثلث الأوّل من القرن 2هـ/8م، وكان منهم عبد الله بن الحارث الذي جاء إلى بلاد المغرب، ولقيت دعوته قبولا مُعتبراً بها¹.

والجدير بالإشارة هنا، أنّ الفكر المعتزلي في هذه الفترة كان في مرحلة التطور، غير أنّه لم يكن يعرف ذلك الشكل الكبير من التعقيد²، ولهذا قد تكون هذه السمة من العوامل التي ساعدت في انتشاره ببلاد المغرب، فإذا عُرضت عقائده بطريقة مباشرة ومقنعة، فمن الطبيعي أن تجد من يعتنقها، ويحاول الدعوة إليها.

ثمّ في الثلث الثاني من القرن 2هـ/8م امتدّت الآراء المعتزلية إلى مناطق متفرّقة من بلاد المغرب، وعُرف أتباعها باسم "الواصلية"³، وهذا نسبة لإحدى فرق المعتزلة المنسوبة لواصل ابن عطاء⁴، ولكن تطوّر الفكر المعتزلي بعد وفاة واصل بن عطاء في سنة 131هـ/748م⁵، يجعل من الصعب أن يبقى المعتزلة في بلاد المغرب، غير متفتّحين على التطوّرات الفكرية التي حدثت عند المعتزلة في بلاد المشرق، ولهذا من المرجّح أنّ اسم الواصلية كان يُستخدم كلقب يُطلق على المعتزلة، وليس كتوجّه مذهبي يدين به الجماعات المعتزلية المنتشرة في بلاد المغرب.

¹ البلخي (أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي تـ. 319هـ/931م)، باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين، في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، اكتشفها وحققها: فؤاد سيد، أعدّها للنشر: أيمن فؤاد سيد، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار الفرابي، بيروت-لبنان، 2017م، ص7-8؛ ابن المرتضى (أحمد بن يحيى تـ. 840هـ/1437م)، كتاب طبقات المعتزلة، مؤسسة دقيد-ثلز، ط2، بيروت-لبنان، 1987م، ص32.

² الأحرص طلعت، أبو الهذيل العلاف المعتزلي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار خضر، بيروت-لبنان، 1994م، ص8-10.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁴ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص60.

⁵ للاطلاع أكثر عن تطوّر الفكر المعتزلي بعد وفاة واصل بن عطاء. انظر: جوزف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث-تاريخ الفكر الديني في صدر الإسلام-، ترجمة: محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، 2016م، ج2، ص585-626؛ الخيون رشيد، معتزلة البصرة وبغداد، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 1997م، ص99-129.

وفي هذه الفترة أيضا بدأت الحركة الزيدية بالمشرق تسعى لنشر دعوتها في بلاد المغرب، فأرسل محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية¹ أخاه عيسى بن عبد الله داعية إلى التشيع الزيدي بين قبائل إفريقية²، والظاهر أنّ الآراء الزيدية لم تنتشر على نطاق واسع ببلاد المغرب، ولكن مسار الحركة المذهبية في المشرق جعل للدعوة الزيدية في بلاد المغرب سندا قويا يدعمها.

فقد انضمّ المعتزلة إلى حركة محمد النفس الزكية اقتناعا بأحقّيته للإمامة، وشاركوا في ثورته بعد أن بايعه أهل الحجاز في المدينة المنورة إماما عليهم في رمضان سنة 145هـ/نوفمبر-ديسمبر 762م، وانتهت انتفاضتهم بالفشل في الشهر نفسه، حيث أرسل الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-776م) جيشا قام بهزمهم، وقتل إمامهم³. ثم شارك المعتزلة في ثورة أخيه إبراهيم بن عبد الله بالبصرة، وانتهت أيضا بانحزامهم، وقتل زعيمهم في ذي القعدة سنة 145هـ/جانفي-فيفري 763م⁴.

وبعد ذلك امتدّ التأييد المعتزلي لهذه الأسرة في بلاد المغرب، فشكّل هذا حاضنة مهمّة، جعلت إدريس بن عبد الله-أخو محمد النفس الزكية- يركز عليها قبيل تأسيسه لأوّل دولة علوية ببلاد المغرب في رمضان سنة 172هـ/فيفري 789م⁵.

ثالثا- دخول الفقه الحنفي والمالكي إلى بلاد المغرب

قبل الحديث عن دخول الفقه الحنفي والمالكي⁶ إلى بلاد المغرب في القرن 2هـ/8م، من الضروري التنويه أنّ الحركة العلمية التي ساهمت في نشرهما، هي وليدة نشاط ثقافي سابق، تشكّل في مدينة القيروان بصفة خاصّة مع الصحابة والتابعين الذي قدموا فاتحين إلى بلاد المغرب،

¹ هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، بُوع على رأس الحركة العلوية سنة 126هـ/744م، ولما قامت الخلافة العباسية، رأى الطالبيون أنّ بني العباس اغتصوا حقّهم في الخلافة، فبدأوا يخطّطون في سرية للإطاحة بهم. انظر: الماروني (بجي) ابن الحسين الحسيني تـ. 424هـ/1033م)، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مكتبة أهل البيت، ط4، صعدة-اليمن، ص48-49؛ الشامي فضيلة عبد الأمير، تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة الآداب، النجف-العراق، 1974م، ص123-134.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص15.

³ الماروني، المصدر السابق، ص48-52؛ الشامي، المرجع السابق، ص134-149.

⁴ الماروني، المصدر السابق، ص54-60؛ الشامي، المرجع السابق، ص149-160.

⁵ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص19.

⁶ لا يمكن الحديث عن مذهب حنفي ومذهب مالكي على الأقلّ إلّا بعد القرن 2هـ/8م، وأمّا قبل ذلك فالآراء الفقهيّة لأبي حنيفة ومالك، لم تشكل مذهبا يتدبّن بها الأشخاص في جميع المسائل العملية، وإنّما هي منوطة بالاعتناق الشخصي بكل مسألة فقهية منفردة. انظر: النقيب، المرجع السابق، ج1، ص39؛ الجيدي عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، 1993م، ص9.

فكان نشرهم للإسلام يقتضي تعليم القرآن واللغة العربية، ورواية الحديث، وتفقيه المسلمين¹، ثمّ تعزّز النشاط العلمي في مدينة القيروان مع بعثة التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م) في بداية القرن 2هـ/8م، فقد كان لهم أثر مهمّ في تنشيط الحركة العلمية فيها².

ولم يكتف طلبه العلم المغاربة بما حصّلوا من علم في بلاد المغرب، وتاقت نفوسهم إلى بلاد المشرق موطن الأصول العلمية والتعليمية للفقهاء الإسلاميين، فرحلوا إلى حواضر بلاد المشرق للأخذ عن علمائها، ثمّ عادوا بما حصّلوا من دراية ورواية عن الأئمّة الأعلام في زمانهم، ونشروا كلّ ذلك في المناطق التي استقروا بها³.

ولعلّ من أهمّ هذه الآراء الفقهية التي قام علماء القيروان بإدخالها وتدريسها في الثلث الثاني من القرن 2هـ/8م؛ هي آراء أبي عمرو الأوزاعي (ت. 157هـ/774م)⁴، وسفيان الثوري (ت. 161هـ/777م)⁵ الفقهية⁶، إلّا أنّ عملية انتشارهما لم تلق الظروف المناسبة، عكس الفقه الحنفي الذي دخل معهما في هذه الفترة.

ومن أقدم العلماء الذين قاموا بإدخال الفقه الحنفي إلى مدينة القيروان؛ أبو محمد عبد الله ابن فروخ الفارسي، الذي رحل إلى بلاد المشرق قبل سنة 148هـ/765م، فأخذ عن مالك، والثوري، وأبي حنيفة الذي كتب عنه مسائل كثيرة، يقال أنّها نحو عشرة آلاف مسألة، وبعدها رجع إلى القيروان، وبقي فيها إلى سنة 175هـ/792م، ثمّ رحل إلى مصر، ليتوفّى بها في سنة 176هـ/792م⁷.

¹ التهامي، المرجع السابق، ص34-35.

² أبو العرب، طبقات، ص20-21؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص99-118.

³ زيتون محمد محمود، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة-مصر، 1988م، ص419.

⁴ هو عبد الرحمن بن عمرو، من كبار فقهاء بلاد الشام، ولد في بعلبك سنة 88هـ/707م، وأخذ العلم عن مجموعة من العلماء منهم: الزهري، وابن المبارك، وابن سيرين، عاش في دمشق ثمّ انتقل إلى بيروت، وأقام بها إلى أن توفّي. من مؤلفاته: "كتاب السنن في الفقه"، و"كتاب المسائل".

انظر: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص127؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص107-134؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص320.

⁵ هو أبو عبد الله بن سعيد، من كبار المحدثين والفقهاء في عصره، ولد في الكوفة سنة 97هـ/716م ونشأ بها، أخذ العلم عن مجموعة كبيرة من العلماء، انتقل إلى مكة والمدينة في سنة 144هـ/761م، ثمّ بعد مدّة رحل إلى البصرة، واستوطنها إلى أن توفّي. من مؤلفاته: "الجامع الكبير"

و"الجامع الصغير"، وهما في الحديث، و"كتاب في الفرائض". انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص351-352؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص229-279؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص104-105.

⁶ أبو العرب، طبقات، ص34، 38، 43، 47، 52، 62؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص247، 300.

⁷ أبو العرب، طبقات، ص34-37؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص177، 180.

وهناك أيضا عبد الله بن غانم الرعيني الذي كان مصاحبا لابن فروخ في رحلته المشرقية، فأخذ عن مالك، والثوري، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المعروف بصاحب أبي حنيفة (ت. 182هـ/798م)¹، ثم رجع إلى مدينة القيروان².

ولما ولي أبو يوسف منصب قاضي القضاة للخلافة العباسية، أراد نشر فقه أبي حنيفة، فبدأ يولي أصحابه قضاة على الأقاليم³، وعندما عرف أن روح بن حاتم ذاهب لتولي منصب والي إفريقية أشار عليه أن يولي ابن غانم قاضيا عليها⁴. وبالفعل لما قدم روح بن حاتم إلى القيروان عرض في البداية منصب القضاء على ابن فروخ لكنّه رفض ذلك، فعين ابن غانم في سنة 171هـ/787م، وبقي في منصبه إلى وفاته سنة 190هـ/806م⁵.

ولا شك أن الفقه الحنفي الذي أخذه هذان العالمان في المشرق درّساه لجيل من الطلبة الذين تتلمذوا عندهما، وأفتيا بالمسائل التي اقتنعا أن الصواب فيها مع أبي حنيفة. كما أن إقرار الخلافة العباسية بتسيير أبي يوسف القضاء على الفقه الحنفي، أكسبه صفة الرسمية، فكانت هذه العوامل من المقومات التي جعلت الآراء الفقهية الحنفية تلقى الدعم الكافي للانتشار في بلاد المغرب.

وأما الفقه المالكي فقد تفقه به مجموعة معتبرة من الطلبة المغاربة على يد مالك⁶، وبالضرورة عند رجوعهم إلى بلدانهم ساهم كل واحد منهم في نشر آرائه الفقهية. غير أن من بينهم شخصية أشارت المصادر إلى تميّزها في نشر الفقه المالكي في إفريقية؛ وهو أبو الحسن عليّ بن زياد العبسي (ت. 183هـ/799م)، ولد بطرابلس، ونشأ في مدينة تونس، وبعدها رحل إلى مصر ثم إلى المشرق قبل سنة 161هـ/777م. فدرس عند مالك، وسمع منه الموطأ، وأخذ عن الثوري جامعه في الحديث، ودرس عند غيرهما من العلماء، وبعد ذلك رجع إلى مدينة تونس⁷.

¹ ولد بالكوفة في سنة 113هـ/731م ونشأ بها، صاحب أبا حنيفة، فكان من كبار تلامذته، والمهتمين بجمع أقواله الفقهية، تولى القضاء في خلافة المهدي (158-169هـ/755-785م)، وبقي في منصبه إلى أن توفي في بغداد. له العديد من المؤلفات، من بينها: "مسند أبي حنيفة"، النوادر، "اختلاف الأمصار"، "الأمالي في الفقه"، "الرد على مالك بن أنس"، "الرد على سير الأوزاعي"، "أدب القاضي". انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص378-390؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص535-539؛ الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص193.

² أبو العرب، طبقات، ص43؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص215.

³ الحميدي، المصدر السابق، ص383.

⁴ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص222.

⁵ أبو العرب، طبقات، ص33-34؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص215-222-229.

⁶ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص144، 179-199، 270-285.

⁷ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص234-337؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص185-187.

وقد كان "أول من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري، وموطأ مالك، وفسر لهم قول مالك"¹. ولم يكن هذا التفسير شرحاً لغويا فقط، وإنما شرح الأصول الفقهية التي بُني عليها الكتاب، فكان ذلك ممّا ساهم في انتشار أصول الفقه المالكي في إفريقية². إضافة إلى ذلك يؤثر أنّ المغاربة عُرفوا بترددهم على منطقة الحجاز لتأدية الحجّ والعمرة بصفة خاصّة، ولممارسة نشاطات أخرى مثل التجارة، وقد أدّى استقرار مالك في المدينة المنورة، وذيوع صيته، وشهرته الواسعة في الآفاق إلى رغبة طائفة منهم في الالتقاء به، واستفتائه، والأخذ عنه، وبهذا صاروا أوعية لآرائه الفقهية، ثم سعوا للعمل بها ونشرها في مناطقهم ببلاد المغرب³. يتّضح من خلال ما سبق ذكره أنّ الدلالة الجغرافية لمصطلح المغرب الأوسط في هذا البحث يُقصد بها المنطقة المحدّدة بدولة الجزائر الحديثة، مع التنبيه أنّ فهم وتوظيف هذا المصطلح في المصادر مرتبط بمدلولة الخاصّ الذي جاء به. وأمّا التوجّهات المذهبية التي سيتمّ دراستها، فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف معرفية: عقديّة، وسلوكية-تعبدية، وفقهية، وكلّها ترجع في أصولها التاريخية من حيث النشأة إلى المشرق الإسلامي، ثمّ تشكّلت تشكّلاً تاريخياً له خصائصه وميزاته في بلاد المغرب خلال القرن 2هـ/8م، حيث برز نشاطها غالباً في مدينة القيروان ونواحيها، ثمّ انتشرت في المغربين الأوسط والأقصى، وبدأت تتفاعل مع واقعها، وتحاول تجسيد مبادئها، وبذلك تكونت الجغرافية المذهبية التي ستتناولها هذه الدراسة.

¹ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص234.

² جبران محمّد مسعود، عليّ بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس-ليبيا، 2009م، ص128.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص568.

الفصل الأول: أثر الحركة المذهبية في تشكيل خارطة
السياسية بالمغرب الأوسط فيما بين 122-296هـ/740-
909م

المبحث الأول: إمارة أبي قرّة الصفري: المسار التاريخي
والامتداد الجغرافي بالمغرب الأوسط

المبحث الثاني: الدولة الرستمية: خلفيات قيامها وامتدادها
الجغرافي بالمغرب الأوسط

المبحث الثالث: الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط

انتقلت الحركة المذهبية ببلاد المغرب خلال القرن 2هـ/8م، من مرحلة الانتشار وتشكل الجماعات المذهبية إلى مرحلة تنامي الروح الثورية والانفصالية عندها، وهذا ما جعل بلاد المغرب تشهد منعرجا حاسما في تاريخها، نتج عنه ظهور ثلاث دعوات سياسية، وهي الصفرية، والإباضية، والزيدية. فقد كان لكل واحدة منها، مشروع سياسي واضح، تمثل في تأسيس نظام حكم، يكون كفيلا بتطبيق مبادئها المذهبية، ولذلك خاضت الجماعات الصفرية والإباضية حروبا طاحنة لتحقيق هذا الهدف¹، بينما بثّ إدريس بن عبد الله دعوته بين القبائل من أجل كسب تأييدهم لإقامة دولة علوية².

وبعد نجاحها في إقامة كيانات سياسية، تمكّنت من السيطرة على مدن، وقبائل، ومجالات جغرافية في بلاد المغرب. وعلى هذا الأساس، فباعتبار المغرب الأوسط يُمثّل مكوّنا مجاليا من هذا الإقليم، فما هي المعالم العامّة للجغرافية السياسية بالمغرب الأوسط التي تمخّضت عن الحركة المذهبية للدعوات الثلاث (الصفرية، والإباضية، والزيدية) منذ اندلاع الثورات الصفرية إلى سقوط الدول الرستمية (122-296هـ/740-909م)؟

المبحث الأول: إمارة أبي قرّة الصفري: المسار التاريخي والامتداد الجغرافي بالمغرب الأوسط

شاركت العديد من القبائل البربرية في ثورات الصفرية³، فكانت العصب الأساسي في دعم هذه الثورات بالعدد اللازم من المحاربين في المواجهات المسلحة، كما أبرزت مجموعة من زعماء القبائل، الذين ارتكروا على العصبية القبلية لتشكيل إدارة حكم محلية، منفصلة عن تبعية ممثلي الخلافة في بلاد المغرب⁴، ومن بين هؤلاء الزعماء الذين سطع نجمهم بالجهة الغربية للمغرب الأوسط؛ أبو قرّة المغيلي، الذي تمكّن من تأسيس إمارة صفرية، استقلّ بها عن ولاة الخلافة الأموية

¹ للاطلاع أكثر عن ثورات الصفرية والإباضية في بلاد المغرب. انظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1993م، ج1، ص284-364؛ بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص67-115؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص62-95؛ خليفات، المرجع السابق، ص138-166؛ Fournel (P. H.), Les Berbères (Etudes sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes, l'imprimerie Nationale, Paris, t.1, p.285-379; Mercier (E.), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Ernest Leroux, Paris, 1888, t.1, p.230-252.

² الرازي، المرجع السابق، ص60؛ جرار ماهر، أربع رسائل زيدية مبكرة، في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس، تحرير: إبراهيم السعافين، دار الغرب الإسلامي/دار صادر، بيروت-لبنان، 1997م، ص278.

³ ابن خلدون، العبر، ج4، ص242، ج6، ص156، 276، ج7، ص17؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص63-81.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص75؛ الدراجي بوزياني، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص127.

ثمّ العباسية في المغربين الأوسط والأقصى لما لا يقلُّ عن ثلاثين سنة، ولهذا من أجل فهم موقعها من الخارطة السياسية بالمغرب الأوسط، من الضروري التطرّق إلى تاريخ صاحبها، والمجالات الجغرافية التي سيطر عليها.

أوّلاً - أبو قرّة: أصوله القبلية وبداية زعامته

جاءت الإشارات المصدرية التي تحدّثت عن أبي قرّة في مُجمّلها عرضاً عند الحديث عن الصراعات العسكرية التي خاضتها الجماعات الصفرية في بلاد المغرب، ولذلك بقيت العديد من الجوانب المتعلقة بنسبه الكامل وحياته الشخصية، وخلفيات اعتناقه لعقائد الصفرية مجهولة.

فبداية من اسمه، اكتفت أغلب المصادر باسم أبي قرّة للتعريف به¹، وهناك رواية جاءت عند المقرّي (ت. 1041هـ/1631م)² تذكر أنّ اسمه وانسوس، فإذا صحّت هذه الرواية، فقد يكون اسم أبي قرّة عبارة عن كنية له، وليس اسمه الحقيقي.

وأما عن أصوله القبلية، فلم يتفق المؤرّخون على نسب واحد له، فابن عذارى ينسبه تارة إلى قبيلة مغيلة³، وتارة أخرى إلى قبيلة بني يفرن⁴، ونجد هذا التردّد أيضاً عند ابن خلدون، فعلى الرغم من تصريحه بانتسابه إلى قبيلة بني يفرن، وإدراج أخباره ضمن الأحداث التي تخصّ هذه القبيلة في بعض ثنايا كتابه⁵، فإنّه يعود ليشكّك في هذا النسب، فمما جاء في كلامه: "وبعض المؤرّخين ينسبُ أبا قرّة هذا إلى مغيلة، ولم أظفر بصحيح في ذلك، والطرائق مُتساوية في الجانبين، فإنّ نواحي تلمسان، وإن كانت موطناً لبني يفرن فهي أيضاً موطن لمغيلة، والقبيلتان متجاورتان، لكن بنو يفرن كانوا أشدّ قوّة وأكثر جمعا، ومغيلة أيضاً كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لأنهم كانوا صفرية"⁶.

¹ ابن خيّاظ، المصدر السابق، ص389؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103؛ الطبري، المصدر السابق، ج8، ص42؛ الرقيق، المصدر السابق، ص69؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص58؛ مؤلف مجهول (ت. بعد 712هـ/1312م)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوياية، دار أبي رقراق، الرباط-المغرب، 2005، ص141؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص17.

² المقرّي (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1968م، ج1، ص333.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص58.

⁴ نفسه، ج1، ص77.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج4، ص245، ج7، ص17، 203.

⁶ نفسه، ج7، ص18.

وإذا كان المتأخرون أمثال ابن عذارى وابن خلدون قد اختلفوا في انتسابه إلى قبيلة مغيلة، وهم أبعد عهداً منه، فإنّ المتقدمين أمثال ابن عبد الحكم¹، وصاحب كتاب "أخبار مجموعة في فتح الأندلس" (ق. 4هـ/10م)² والرفيق القيرواني³ قد اتفقوا على ذلك، وهم أقرب عهداً منه، وكتبهم من أهمّ المصادر التي كان لها السبق في نقل الرويات التاريخية المرتبطة بأحداث أبي قرّة، ولعل هذا ما يرجّح انتسابه إلى قبيلة مغيلة.

وأما بخصوص تولّيه زعامة قبيلة مغيلة، فيُنقل عنه كلام قاله في سنة 154هـ/771م، وذلك عندما عرّض عليه والي العبّاسيين عمر بن حفص (151-154هـ/768-771م) مبلغاً من المال من أجل العدول عن حصاره لمدينة طُبة⁴، فقال: "أبعد أربعين سنة يُسَلَّم عليّ بالإمامة، أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا"⁵. فهذه العبارة تطرح سؤالاً مهمّاً، إذا تمّ طرح مدّة أربعين سنة من تاريخ 154هـ/771م، فهل صحيح أنّه بُويع بالإمامة في حوالي سنة 114هـ/732م؟ إنّ ما يُستنتج من هذا الكلام، يتعارض مع ما هو معروف من أنّ ميسرة المطغري⁶ هو أوّل إمام بايعه الصفريّة في سنة 122هـ/740م⁷.

¹ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103.

² مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية/دار الكتب اللبنانية، ط2، القاهرة-مصر/ بيروت-لبنان، 1989م، ص71-72.

³ الرفيق، المصدر السابق، ص69.

⁴ مدينة قديمة، ورد اسمها في العهد الروماني بصيغ عديدة منها: ثوبونا (Thoubona)، وطونينيس (Tobunis)، وبعد الفتح الإسلامي أضحت عاصمة إقليم الزاب، ومقرّ عمّاله، تقع آثارها حالياً بين بلديتي بركة، وبيطام التابعتين لولاية باتنة. انظر: البيهقي، المصدر السابق، ص190؛ عيش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، إشراف: محمّد البشير شنيقي، 2006-2007م، ص353-356.

⁵ النويري، المصدر السابق، ج24، ص43.

⁶ تأثّر ميسرة المطغري أو المدغري بعقائد الصفريّة أثناء اشتغاله بالسقاية في سوق القيروان، ثمّ كان من ضمن الوفد الذي رحل إلى الخليفة هشام ابن عبد الملك من أجل رفع شكوى ضدّ جور عماله في بلاد المغرب، ولما مُنعوا من لقائه، رجعوا إلى أوطانهم، وقام الصفريّة بمبايعة ميسرة إماماً عليهم بالمغرب الأقصى، وأعلنوا الثورة، فاستولوا على طنجة ثمّ بلاد السوس، وكرّد فعل قام والي إفريقيّة عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ/734-741م) بإرسال جيش بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، ومراسلة حبيب بن أبي عبيدة الذي كان متوجّهاً إلى صقلية، يأمره أن يلتحق بالجيش القيرواني، ولما وصل خالد إلى نواحي طنجة دخل في معركة مع جيش ميسرة، ثمّ رجع كل واحد منهما إلى موضعه، وبعد ذلك اختلفت المصادر في وفاة ميسرة بين سنتي 122هـ/740م و124هـ/742م. انظر: ابن خيّا، المصدر السابق، ص353، 354؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص94-95، 99؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص34، 37-41؛ الرفيق، المصدر السابق، ص67؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص52-53؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص241، ج6، ص156.

⁷ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص94؛ الرفيق، المصدر السابق، ص67؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص64.

ولذلك يبدو أنّ حديثه هذا محمول على الفترة التي قضاها من لدن زعامته على قبيلة مغيلة إلى إعتلائه منصب الإمامة بعد سنة 148هـ/765م¹، ويدعم هذا الطرح، مُشاركته هو وقبيلته في بدايات الثورات الصفرية على الأقلّ في سنة 124هـ/742م²، فإذا كانت زعامته وانتشار الآراء الصفرية في قبيلته كانت قبل هذا التاريخ الأخير، فمن المقبول أن يكون أبو قرّة قد تولّى زعامة هذه القبيلة في سنة 114هـ/732م، وربّما قام بتطبيق مبادئ الصفرية في حكمه، ولهذا عندما تحدّث عن الفترة التي قضاها في الحكم، لم يعتبر نفسه زعيما قبيلا، وإنّما إماما صفريا.

ثانيا- دور أبي قرّة في الصراعات العسكرية ضد ولاية إفريقيّة

تُعتبر بداية مشاركة أبي قرّة في الثورات الصفرية غير معروفة، فأقدم ذكر يُوثّق ظهوره فيها، يرجع إلى سنة 124هـ/742م³، غير أنّ إعلان الصفرية تمردهم في منطقة تلمسان تزامنا مع الثورة التي قادها ميسرة المطغري بالمغرب الأقصى في أواخر سنة 122هـ/740م⁴، يُعطي احتمالية أن يكون لأبي قرّة وقبيلته مغيلة دورا فيها، ولكنّ تركيز المؤرّخين على سير أحداث ثورة ميسرة⁵، أهمل الحديث عن تمرد أبي قرّة في منطقة تلمسان.

ومهما يكن من أمر، فإنّ أبا قرّة انضمّ في سنة 124هـ/742م إلى الحملة التي قادها عُكاشة ابن أيوب الفزاري⁶، وعبد الواحد بن يزيد الهواري المكلف من قبل خالد بن حميد الزناتي⁷ إمام الصفرية في طنجة، وتوجّه أبو قرّة معهم إلى مدينة القيروان⁸. وهناك خاض والي إفريقيّة حنظلة بن صفوان الكلبي (124-127هـ/742-745م) مواجهة حاسمة ضدهم في نهاية

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص17.

² ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص164، ج7، ص17.

³ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103؛ الرقيق، المصدر السابق، ص69.

⁴ ابن خيّا، المصدر السابق، ص353؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص95-96.

⁵ ابن خيّا، المصدر السابق، ص353، 354؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص94-95، 99.

⁶ جاء عُكاشة إلى بلاد المغرب مع جيش الشام الذي قاده ابن الحبحاب عند مجيئه إلى بلاد المغرب سنة 116هـ/734م، ثمّ في سنة 123هـ/741م تزعم الصفرية في نواحي مدينة قابس، وحاول الاستيلاء على هذه المدينة ثمّ قفصة، لكنّه لم يتمكّن من ذلك. انظر: ابن خيّا، المصدر السابق، ص356؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص97؛ الرقيق، المصدر السابق، ص68؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص32.

⁷ تولّى إمامة الصفرية عقب مقتل ميسرة المطغري، وشارك في معركة بقدرورة التي انتصر فيها الصفرية على جيش والي إفريقيّة كلثوم بن عياض القشيري (123-124هـ/741-742م) سنة 124هـ/742م، ثمّ بعد معركة القرن والأصنام اختفت أخباره، فلا يعلم السنة التي توفي فيها. انظر: ابن خيّا، المصدر السابق، ص354؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص98-99؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص36-41؛ الرقيق، المصدر السابق، ص67؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص65.

⁸ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103.

سنة 124هـ/742م وبداية العام التي يليه، فقام بهزيمة عكاشة في موقع يُعرف بالقرن، يبعد عن المدينة بحوالي ستة أميال، ثم دخل في معركة أخرى ضدّ عبد الواحد وأبي قرّة في موضع يبعد عن مدينة القيروان بحوالي ثلاثة أميال يُعرف بالأصنام، فكانت نتيجتها انهزام الصفرية، وقتل قائدهم عبد الواحد، وبعدها لم تمرّ فترة طويلة حتى قبض على عكاشة في نواحي إفريقية، فجيء به إلى حنظلة، وتمّ إعدامه¹.

وأما أبو قرّة فقد نجح من هذه الواقعة، ورجع إلى مدينة تلمسان، واتخذها مركزا لإمارته الصفرية². ثمّ ثار على والي إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127-140هـ/745-757م)³، فخرج مع جيشه من مدينة تلمسان متّجها شرقا، ولما وصل خبره إلى عبد الرحمن، أرسل جيشا بقيادة سليمان بن عثمان من أجل التصدي له، فحدثت معركة بينهما في شهر صفر سنة 129هـ/سبتمبر-أكتوبر 746م بمكان غير معروف بالتحديد، وكانت نتيجتها انهزم جيش عبد الرحمن وقتل قائده، وبعد انتصار أبي قرّة فضل الرجوع إلى مدينة تلمسان⁴، وربما كان هذا لإدراكه صعوبة التوغّل أكثر في نواحي إفريقية، ممّا يكلفه خوض معارك أخرى، فقرّر الاكتفاء بهذا الانتصار، والعودة إلى مدينة تلمسان.

ثمّ في سنة 135هـ/752م قاد عبد الرحمن بن حبيب حملة عسكرية إلى نواحي تلمسان، أخضع فيها القبائل التي كانت خارجة عن سلطته⁵، وتمكّن أيضا من السيطرة على مدينة تلمسان⁶. والجدير بالتنويه هنا، أنّ المصادر لم تشر لأيّ صدام بين عبد الرحمن وأبي قرّة في هذه الحملة، ولما كانت مدينة تلمسان مركزا لإمارة أبي قرّة، فمن المتوقع أنّه كان معنيا بإعادة الإخضاع في هذه الحملة، ولهذا إمّا أن يكون عبد الرحمن قد تمكّن من هزيمة أبي قرّة، ولكنّ المصادر لم تذكر هذه المواجهة⁷، أو ربّما يكون أبو قرّة لم يكن مُستعدا لمواجهة عبد الرحمن، فاضطرّ أن يترك مدينة تلمسان، وكلا الاحتمالين يصبّان في تفوق عبد الرحمن على أبي قرّة.

¹ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103-104؛ الرقيق، المصدر السابق، ص69-72.

² ابن خيّاط، المصدر السابق، ص389.

³ مفاخر البربر، ص141.

⁴ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص389.

⁵ الرقيق، المصدر السابق، ص75؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص65.

⁶ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص395.

⁷ بن عميرة، المرجع السابق، ص87؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص77.

ولكن سيطرة العباسيين باسم واليها عبد الرحمن بن حبيب على مدينة تلمسان، لم تدم طويلا، فأقصى مدة يُمكن تقديرها، هي إلى غاية استيلاء قبيلة ورفجومة النفاوية الصفرية على مدينة القيروان سنة 139هـ/756م، وفقدان العباسيين لنفوذهم في بلاد المغرب¹، فقام أبو قرّة بإرجاع المدينة إليه².

ثم عاد أبو قرّة للظهور من جديد في سنة 148هـ/765م، حيث اجتمعت في نواحي مدينة تلمسان قبيلة مغيلة مع بني يفرن، وبايعوا أبا قرّة إماما عليهم³، وكرّد فعل من والي إفريقية الأغلب بن سالم التميمي (148-150هـ/765-767م) عن هذا التطور، جهّز جيشا بقيادته، وسار به قاصدا نواحي تلمسان، ولما وصل إلى بلاد الزاب بلغه انسحاب أبي قرّة، ورحيله إلى طنجة بالمغرب الأقصى، فأراد الأغلب مواصلة السير إلى مدينة تلمسان، ثمّ إلى طنجة، ولكنّ جنوده تمردوا عليه، ورفضوا الذهاب معه، ممّا اضطره إلى الرجوع إلى مدينة القيروان⁴.

وبعد ذلك شارك أبو قرّة في حصار الوالي عمر بن حفص بمدينة طبنة، وهذه الحادثة اختلفت المصادر في تاريخ وقوعها بين سنتي 153هـ/770م⁵ و154هـ/771م⁶، وللوصول إلى تاريخ مُحدّد لهذا الحصار، يجدر تتبع الأحداث التي جرت قبله وبعده، فقد كانت نهاية هذا الحصار مُرتبطة ببداية حصار أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملوزي لمدينة القيروان⁷، على أنّ مدة حصار القيروان اختلف فيها أيضا بين سنتين، وسنة⁸، وثمانية أشهر⁹، وقد استمر هذا الحصار بعد مقتل الوالي عمر بن حفص في منتصف ذي الحجة 154هـ/أواخر أكتوبر 771م لمدة طويلة، لم تحدّد المصادر بالضبط، إلّا أنّه من المؤكّد انتهاءها قبل مقتل أبي حاتم الملوزي في 26 أو 27 ربيع الأول 155هـ/6 أو 7 مارس 772م بفترة ليست بالقصيرة¹⁰.

¹ الرقيق، المصدر السابق، ص81؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص172؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص75.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص74، 77؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص41.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147، ج7، ص17.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص74؛ Fournel, op. cit., t.1, p.365-366.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج8، ص42؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص77.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص195-196؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص42.

⁷ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص76.

⁸ ابن سلّام، المصدر السابق، ص129-130؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص75.

⁹ الرقيق، المصدر السابق، ص82؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص196.

¹⁰ الرقيق، المصدر السابق، ص92؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص76؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص45، 46.

ولعلّ الذي يُرَجَّح رواية الثمانية أشهر، هو تاريخ مُبايعة أبي حاتم الملووزي، الذي كان في الأشهر الأولى من سنة 154هـ/771م، وذلك بعدما ذهب عمر بن حفص مع جيشه إلى بلاد الزاب لتجديد مدينة طُبنة، فاستغلّ الإباضية في نواحي طرابلس، عدم وجود الجند في القيروان، وبايعوا أبا حاتم إماما عليهم¹.

ولذلك إذا كان دُخول أبي حاتم إلى مدينة القيروان بعد حصارها، قد جرى بين منتصف شهر ذي الحجة 154هـ/نوفمبر 711م، وربيع الأول 155هـ/جانفي-فيفري 772م، فإنّ رواية السنة والسنتين لهذا الحصار، لا تتناسب زمنيا لتكون بعد مُبايعة أبي حاتم، وبهذا يكون حصار مدينة طُبنة وقع قبيل حصار القيروان الذي دام ثمانية أشهر، وحدث جزء مهمّ منه أثناء بداياته بين منتصف ربيع الثاني/أفريل وجمادى الآخر/ماي-جوان سنة 154هـ/771م.

وقد شارك في حصار مدينة طُبنة اثنا عشر جيشا من الصفرية والإباضية، منهم أبو قرّة في أربعين ألفا، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفا، والمسورّ بن هانئ الزناتي الإباضي في عشرة آلاف، وعاصم السدراتي الإباضي في ستة آلاف، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين².

وربّما أدرك الوالي عمر بن حفص مقدار قوّة أبي قرّة عندما اقترب جيشه من طُبنة، فحاول إيجاد طريقة للتخلّص منه دون أن يُواجهه عسكريا، فبعث إليه رسولا يعرض عليه أموالا وكُسا كثيرة، مُقابل أن يرجع إلى بلده، ولكّنه لم يجد موافقة من أبي قرّة، فقام بتوجّيه هذا العرض إلى ابن أبي قرّة أو أخيه فقبله³، وسحب أغلب الجيش وسار بهم إلى تلمسان، فما كان من أبي قرّة

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص195؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص42. ويذكر أيضا ابن سلّام أنّ أبا حاتم بُيع في 154هـ/771م، وتبعه في هذا التاريخ كلّ من الدرجيني والشمّاحي (ابن سلّام، المصدر السابق، ص128؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36؛ الشمّاحي، السير، ص138)، وأمّا أبو زكرياء فقد جاء عنده أنّه بُيع سنة 145هـ/762م، علما أنّ الأحداث التي رواها عن ثورة أبي حاتم كان جزء مهمّ منها مأخوذا من عند ابن سلّام، كما أنّ الدرجيني نقل بصفة مُباشرة عن أبي زكرياء، إلّا أنّه عندما وصل إلى سنة مُبايعة أبي حاتم؛ ذكر تاريخ 154هـ/771م (فان: ابن سلّام، المصدر السابق، ص128-131، أبو زكرياء، المصدر السابق، ص73-79؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36-39)، وهذا ما يفرض التساؤل حول مدى صحة التاريخ الذي جاء عند أبي زكرياء؟ فهل يكون في الأصل نقل من عند ابن سلّام تاريخ 154هـ، ولما جاء الدرجيني بعده، نقل هذا التاريخ عنه، ثمّ بعد ذلك تحرّقت بعض نسخه إلى تاريخ 145هـ، وهي التي وصلت إلينا؟ وهذه المسألة من الصعب إعطاء رأي جازم فيها من دون الرجوع إلى أكبر قدر من النسخة الخطيّة لكتاب أبي زكرياء، ومقارنتها مع بعضها البعض، ولهذا فكلّ ما يمكن قوله هنا، أنّ المصادر الإباضية التي نقل منها أبو زكرياء أو التي نقلت عنه، لا تتوافق معه في تاريخ 145هـ، وهذا ما يجعل روايته محلّ شكّ.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص75؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص43؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص146.

³ الرقيق، المصدر السابق، ص82؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص196؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص43.

إلا أتباعهم في البداية، ثم غادر عمر بن حفص إلى مدينة القيروان، التي كانت مُحاصرة من قبل أبي حاتم، واستخلف المهنا بن المخارق الطائي على المدينة، فلما سمع أبو قرّة برحيله، قرّر الرجوع إلى طبنة من أجل الاستيلاء على ما فيها من ثروات، فقام بإرجاع جزءٍ مُعتبر من جيشه، إلا أن المهنا بن المخارق خرج إليه، وتمكّنت عساكره من هزيمة أبي قرّة، وقتل عدد كبير من جيشه¹. وحسب الطبري² فإنّ أبا قرّة بعد هذه الحادثة شارك في حصار مدينة القيروان، ولكن عندما يُعيد ذكر عدد جيشه البالغ أربعين ألفاً، فهذا يُوحى أنّ هناك خلطاً في الأحداث بين حصار مدينتي طبنة والقيروان، ففي الغالب أنّ أبا قرّة رجع إلى مدينة تلمسان بعد الهزيمة التي تلقاها، وبهذا كانت هذه الواقعة آخر حدث ذكرته المصادر عن نشاطه العسكري.

ثالثاً-المجالات الجغرافية التابعة لإمارة أبي قرّة بالمغرب الأوسط

يبدو من الوهلة الأولى أنّ موضوع الامتداد الجغرافي لإمارة أبي قرّة، يُمكن مُعالجته من خلال توظيف مُقاربتين، الأولى: تهدف إلى تحديد المناطق ومجالات القبائل الخاضعة لسلطة أبي قرّة، والثانية: تسعى إلى رسم حدود تقريبيّة عامّة تعكس الإطار الجغرافي لهذه الإمارة. ولكن في ظلّ النقص الشديد للمادّة الخبرية التي تُورّخ لها، فإنّ الخوض في المقاربة الأولى محفوف بالمخاطر، لأنّ النصوص الحاليّة، قد لا تُعبر عن كل المناطق والقبائل الخاضعة لأبي قرّة، وأمّا المقاربة الثانية، فهناك نصٌّ مُقتضب ذكره صاحب مفاخر البربر، حاول فيه، إعطاء تصوّر عامٍّ للمجالات الجغرافية التي كانت تشملها هذه الإمارة، جاء فيه أنّه "ملك كثيراً من بلاد المغرب، وبلاد مغيلة بجبل وانشريس³، وعمل تيهرت، وبالمغرب ممّا يلي تامسنا"⁴.

¹ الرقيق، المصدر السابق، ص82؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص196.

² الطبري، المصدر السابق، ج8، ص42.

³ هو عبارة عن سلسلة جبلية تابعة لسلسلة الأطلس التليّ، تحدّه جبال اللوح بولاية عين الدفلى شرقاً، وجبال الرمكة بولاية غليزان غرباً، حيث تعتبر هذه الجبال الحد الفاصل بينه وبين تلّول مندا، وتحدّه بلاد الشلف السفلى شمالاً، وبلاد الشلف العليا جنوباً، وهذان المجالان هما عبارة عن شريطين من التدرجات التضاريسية البسيطة، تُحاذي الأولى وادي الشلف من نواحي جبل زكار شرقاً إلى مدينة غليزان غرباً، وتُحاذي الثانية الجهة الشمالية لنهر واصل من نواحي مدينة الشهبونية وقصر البخاري بولاية المدية شرقاً إلى مدينة الدحموني بولاية تيارت غرباً (انظر الملحق رقم: 7). انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص253؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص74، 116، 218؛ شرايف سحنون، دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني (40-429م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، إشراف: محمّد الهادي حارش، 2010-2011م، ص8؛ Xavier (Y.), Les bureaux arabes (Dahra, Chéelif, 8؛ Ouarsenis, Sersou), Edition Larose, Paris, 1953, p.19; Lacroix (N.), Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel, Revue Africaine, N. 272-273, 1909, p.318, 345.

⁴ مفاخر البربر، ص141.

غير أن هذا التحديد الذي ذكره غير دقيق، فقوله: "ملك كثيرا من بلاد المغرب... وبالمغرب مما يلي تامسنا"، لا تُعبّر عن رؤية جغرافية مُحدّدة، وإن كان النصّ يُؤكّد على امتداد نُفوذ المغربيين الأوسط والأقصى. كما أنّه من الصعب التسليم بكلّ ما طُرِح فيه، فحديثه عن تبعيّة منطقة تيهرت له، من المستبعد حُصولها، لأنّ هذه الناحية كانت خاضعة قبل مجيء عبد الرحمن ابن رستم إليها في سنة 144هـ/761م لزعامات محلية إباضية¹، ومن المفترض أنّهم كانوا يتمتّعون بولاء روحي لإخوانهم في المذهب بالمغرب الأدنى، ولهذا عندما جاء عبد الرحمن بن رستم إليهم، رحّبوا به، وعملوا معه على تأسيس الدولة الرستمية².

وأمام عجز المقاربتين السابقتين في الوصول إلى إطار مُقنع للامتداد الجغرافي لإمارة أبي قرّة، فإنّه يُمكن اقتراح مقارنة ثالثة، تعتمد فقط على تحديد المناطق والمجالات التي تحدّثت المصادر عن تبعيتها لأبي قرّة بالمغرب الأوسط (انظر الملحق رقم: 2)، وهذا في انتظار ظهور نُصوص جديدة، قد تُمكننا من الوصول إلى تصوّر أوضح عن جغرافية هذه الإمارة.

اتّخذ أبو قرّة مدينة تلمسان مركزا لإمارته³، ومن الأمور التي بقيت شاهدا على بعض الجوانب الحضارية التي أقامها فيها، تدشينه لأحد الأبواب الموجودة في الجهة الغربية للسور المحيط بالمدينة⁴، وقد يكون هذا العمل في إطار ترميم وتحديد هذا السور، الذي ربّما تضرّر جرّاء الحروب التي حدثت بالمدينة⁵، ثمّ ارتبط هذا الباب باسم أبي قرّة، وبقي مُتداولاً بين سكان المنطقة إلى غاية القرن 5هـ/11م⁶.

وبعد ذلك امتدّ نفوذ أبي قرّة في النواحي الغربية لمدينة تلمسان، وهذا من خلال المجالات التي كانت تُسيطر عليها قبيلة مغيلة⁷. وهناك مجال آخر، يُعتبر من أهمّ المواطن لهذه القبيلة، فقد ذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة⁸ أنّ عبد الرحمن الداخل بعدما تنقلّ في العديد من مناطق

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص25؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

² ابن الصغير، المصدر السابق، ص25-27؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

³ ابن خياط، المصدر السابق، ص393؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص17.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص259.

⁵ ابن خياط، المصدر السابق، ص353، 395.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص259؛ Prevost (V.), Ibadisme et sufrisme dans le Maghreb central, dans Histoire générale de l'Algérie. L'Algérie médiévale, Sous la direction de: Touati Houari, Zaytūn, Alger, 2014, p.323.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص18.

⁸ أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص71-72.

بلاد المغرب، لجأ إلى أبي قرّة وقبيلته مغيلة التي كانت بجانب البحر، واختبأ عندهم مدة حتى غادر إلى الأندلس في سنة 138هـ/755م.

وقد قام ابن خلدون¹ بتحديد موطن هذا الفرع الذي ساعد عبد الرحمن الداخل، فأشار إلى أنهم يمثلون جمهور هذه القبيلة، ويتمركز بالمغرب الأوسط عند مصب وادي الشلف في البحر، وهذا الفرع من وادي الشلف الذي تحدّث عنه ابن خلدون، هو الذي يصبُّ قرب مدينة مستغانم في البحر المتوسط².

ومن المجالات الأخرى التي وصلت إليها مواطن قبيلة مغيلة، وقام أبو قرّة بالسيطرة عليها؛ هي النواحي الشمالية لجبال الونشريس³. والملاحظ أنّ سكّان هذا الجبل ومدينة مازونة، احتفظت ذاكرتهم الجماعية بمساعدتهم لعبد الرحمن الداخل في العبور إلى الأندلس، فعندما زار روني باسي (René Basset)⁴ الونشريس في نهاية القرن 19م، أشار إلى أنّ إحدى الفروع القبلية التي تنحدر من مغرواة، تروي أنّ أحد زعمائها، ساعد عبد الرحمن الداخل أثناء قدومه إلى بلاد المغرب ثمّ رحيله إلى الأندلس، ونقل أبو القاسم الزيّاني (ت. بعد 1320هـ/1902م) هذه الحادثة أيضاً، ولكن مع إضافات جديدة في القصة، فقال: "ثمّ توجه عبد الرحمن إلى المغرب، ولحق بمغيلة أهل وارين بإزاء مازونة، فترل على أبي قرّة شيخهم"⁵.

وعلى الرغم ممّا أدخل على الروايتين من تحريف، إلّا أنّهما يُعطيان تصوّراً أنّ المجالات الجغرافية الممتدّة ما بين مصبّ وادي الشلف في البحر إلى النواحي الشمالية لجبال الونشريس خلال القرن 2هـ/8م، ربّما كانت مجالا تنتجعه قبيلة مغيلة ككتلة واحدة، ثمّ بعد ذلك لما استقرت فروع منها في مدينة مازونة⁶، وبعض الجهات بجبال الونشريس⁷، بقيت مُحفظة بذكريات مُساعدتها لعبد الرحمن الداخل، وهذا في شكل قصص شعبية، ثمّ اشتركت في روايتها فروع قبلية أخرى، مع إدخال بعض التعديلات، لتعطي لنفسها دورا في مُجريات أحداثها.

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص164.

² البكري، المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ المدني، المرجع السابق، ص22.

³ مفاخر البربر، ص141.

⁴ Basset, Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis, p.17.

⁵ الزيّاني (محمّد بن يوسف البرجي)، دليل الحيران وأنيس السهراني في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص88.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج6، ص164؛ الزيّاني، المرجع السابق، ص88.

⁷ المازوني، المصدر السابق، ص398.

وقد تدعّم نُفوذ أبي قرّة بتبعية العديد من الفروع الزناتية له، ومن بينها قبيلة بني يفرن الزناتية التي كانت من المبايعين له بالإمامة سنة 148هـ/765م¹، فسمح هذا بتوسيع نُفوذه السياسي بالجهات الممتدة من النواحي المحيطة بوادي الشلف شرقاً إلى منطقة تلمسان غرباً².

رابعا-مصير إمارة أبي قرّة

يُعتبر مصير إمارة أبي قرّة من الجوانب التاريخية التي لم يُسلط عليها الضوء في المصادر الموجودة بين أيدينا، وهذا ما فتح المجال واسعاً أمام التفسيرات والاجتهادات التي حاول الباحثون من خلالها، إيجاد بعض القرائن التي تُمكنهم من فهم ما حدث لأبي قرّة.

ومن النصوص التي حاولوا الاستنتاج منها، ما جاء عند المقرّي حيث قال: " فلما دخل (أي عبد الرحمن) إلى الأندلس، واستتب أمره به، سار إليه أبو قرّة وانسوس البربري، فأحسن إليه وحظي عنده، وأكرم زوجته تكفات البربرية"³، فذهب بعضهم⁴ إلى أنّ أبا قرّة اتخذ الأندلس موطناً له، ولأولاده، ثمّ ربطوا بين إحدى الفروع القبلية المعروفة في الأندلس ببني وانسوس، فجعلوا أبا قرّة جدّاً أولاً لهم.

ولكن هذا الرأي، يحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص، وذلك من عدّة وجوه، منها؛ أنّه لا يُمكن الجزم بأنّ أبا قرّة استوطن الأندلس، بمجرد وجود رواية تاريخية تذكر زيارته لعبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م)، فعلى فرض صحتها، من الممكن أنّه زاره، ثمّ رجع إلى بلاد المغرب. وأما القول إنّ نسله المعروف ببني وانسوس الذي بقي في الأندلس، يُرجح احتمالية استقراره فيها، فرأي ضعيف ومردود عليه، لأنّ ابن حزم (ت. 456هـ/1064م)⁵ يُصرّح بأنّ بني وانسوس ينحدرون من قبيلة مكناسة، وكذلك من الثابت وجود هذا الفرع القبلي في حياة أبي قرّة بالأندلس، وهذا ضمن الجيش الذي قاده عبد الرحمن الداخل ضدّ جماعة

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147، ج7، ص17؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص86.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص17، 33-34.

³ حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138-316هـ/756-928م)، مطبعة الانتصار، الإسكندرية-مصر، 1993م، ص32؛ حقي محمّد، البربر في الأندلس: دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92/711م-422هـ/1031م)، شركة النشر والتوزيع-المدارس، الدار البيضاء-المغرب، 2001م، ص40.

⁴ المقرّي، المصدر السابق، ج1، ص333.

⁵ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص499.

من القحطانيين الذين انشقوا عنه في سنة 138هـ/756م¹، وهذا ما ينفي احتمالية أن يكون أبو قرّة جدًا لبني وانسوس.

وقد حاول بعض الباحثين الآخرين تحديد مصير أبي قرّة على أساس بقاءه في بلاد المغرب، فمنهم من اعتمد على نصّ لابن خلدون جاء فيه: "وتوغّل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأنّحن في أهله إلى أن استكانوا واستقاموا، ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض"²، ليحدّد سنة 155هـ/772م تاريخًا لسقوطها³. ورجّح بعضهم⁴ أنّ حكم أبي قرّة انتهى أمره قبل ظهور الدعوة الإدريسية، وذلك لما استولى محمد بن خزر المغراوي على مدينة تلمسان. وهذان الرأيان، هما الآخران لا يسلمان من النقد، لأنّهما ذهبا إلى تحديد تاريخ أو سبب معين لسقوط إمارة أبي قرّة من نصوص مصدرية عامّة، لا تتحمّل مثل هذه الاستنتاجات.

وأمام عدم وجود ما يُشكّل أساسا مصدريا يُحدّد تاريخًا مُعينا لسقوطها، فإنّ ممّا يُستنتج من الأحداث التاريخية التي مرّت بها الجهات القريبة من هذه الإمارة، فإنّ الفترة المقدّرة لسقوطها؛ هي بين سنتي 155-171هـ/722-787م، فمن المحتمل جدًّا أنّ أبا قرّة تعرض للحملة العسكرية التي قادها والي إفريقيّة يزيد بن حاتم إلى ناحيته⁵، كما عرفت الدولة الرستمية خلال هذه الفترة توسعا في النواحي الغربية للمغرب الأوسط⁶، فربّما أدّت هذه الحملات إلى إضعاف قبيلة مغيلة، وخضوعها إمّا للرستميين أو لولاة الخلافة العباسية في القيروان، وكان من نتائج ضعفها أيضا، افتكاك قبيلة مغراوة مدينة تلمسان منها، وسطرتها عليها⁷.

¹ ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي تـ. 367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية/دار الكتب اللبنانية، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م، ص52-54.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص17-18.

³ بن حسن محمد، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م، ص110.

⁴ بن عميرة، المرجع السابق، ص90؛ العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 2000م، ج2، ص26؛ Prevost, Ibadisme et sufrisme, p.323.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص18.

⁶ الرازي، المصدر السابق، ص50.

⁷ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21.

المبحث الثاني: الدولة الرستمية: خلفيات قيامها وامتدادها الجغرافي بالمغرب الأوسط

جاء عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة تيهرت، وقام مع الجماعات الإباضية الذين كانوا معه بتأسيس دولة إباضية، اتخذت من مدينة تيهرت عاصمة سياسية لها، وامتدّت سيطرتها على أجزاء واسعة من بلاد المغرب، ولعلّ ممّا ساعد أئمة الدولة الرستمية في تحقيق هذا النفوذ؛ المكانة الروحية التي تبوّؤها، فقد كانوا على حدّ تعبير اليعقوبي "رؤساء إباضية المغرب"¹، وهذا ما جعل من دولتهم من أهمّ الكيانات في عصرها التي عكست الطابع المذهبي في الخارطة السياسية لبلاد المغرب.

أولاً- لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى جبل سوفجج: قراءة في جغرافية الأحداث

تمكّن الإباضية في نواحي طرابلس من إعلان إمامة الظهور ومبايعة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري في سنة 140هـ/757م، فكان من الأعمال المهمة التي قام بها في سنة 141هـ/758م، هو طرد قبيلة ورفجومة الصفرية التي كانت متحكّمة في مدينة القيروان، وبسط سيطرته عليها، ثمّ عين عبد الرحمن بن رستم والياً عليها². غير أنّ هذه الإنجازات التي حقّقها، اصطدمت بقُدوم جيش والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي قام بهزيمة جيشه وقتله بموضع تورغا في النواحي الشرقية لمدينة طرابلس، وقد كان عبد الرحمن بن رستم في طريقه لدعم إمامه، إلّا أنّ افتراق جيشه بعدما سمعوا بهزيمة الإباضية بتورغا، اضطرّه إلى الرجوع لمدينة القيروان، ثمّ الفرار منها في بداية سنة 144هـ/761م³.

وبعد ذلك اختلفت المصادر في بعض التفاصيل التي تخصّ فرار عبد الرحمن بن رستم من مدينة القيروان، فقد جاء عند أبي زكرياء: "وبلغنا أنّ عبد الرحمن بن رستم خرج من القيروان، هو وابنه عبد الوهّاب وعبد لهما، خائفين مُستخفين، فتوجّهوا إلى أرض المغرب، ولم يكن معهم إلّا فرس واحد، فمات لهم ببعض الطريق، ودفنوه مخافة أن يُقتصّ أثرهم... فسُمّي ذلك الموضع الفرس"⁴، وقد علّق الدرجيني⁵ عندما أعاد هذا الكلام، أنّ هذا الموضع في عهده يُسمّى "قبر الفرس"،

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص57-65؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص22-29.

³ ابن سلّام، المصدر السابق، ص128؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص66-71.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71.

⁵ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35.

يُوجد في نواحي بلاد قسطنطينية¹، وهذا يعني حسبه، أن هذه الجماعة سلكت طريق الجنوب الغربي بعد مغادرتها مدينة القيروان، وأمّا المصادر غير الإباضية² التي تناولت هذه الحادثة، فذكرت أن عبد الرحمن خرج من مدينة القيروان مع أهله وما خفّ من ماله، وتوجّه مباشرة إلى نواحي مدينة تيهرت القديمة³.

وعند التأمل في هذه الرويات، يظهر أن رواية أبي زكرياء من الصعب الأخذ بكلّ ما فيها، فلا يُمكن لأشخاص يريدون الفرار بسرعة أن يأخذوا معهم فرسا واحدا، لأنّ هذا سيعطل سيرهم كثيرا، ولذلك إذا سائرنا صحّة موت الفرس، فربّما يكون هذا لأحد الأحصنة التي كانوا يمتطونها، وقد يكون هذا الحصان لعبد الرحمن بن رستم، فاضطرّ الذين معه أن يتناوبوا معه امتطاء أحصنتهم، ريثما يتمكنوا من الحصول على حصان آخر، سواءً بشرائه⁴، أو عن طريق لجوئهم لمعارفهم في الطريق، فيساعدونهم في الحصول على ما يحتاجون إليه.

كما أن عدم ذكر أبي زكرياء لموقع هذا المكان، ثمّ تحديد الدرجيني له بعد قرابة القرنين من الزمن، يفرض تساؤلا مهماً حول مدى معرفة الدرجيني بالمكان الذي أشار إليه أبو زكرياء، وفي هذا المقام، لا يُمكن الجزم بأنّ هذا الموضع الذي ذكره هذا الأخير، هو المكان نفسه الذي حدّده الدرجيني، لأنّ رواية أبي زكرياء لا تحتوي على قرائن معلّمة، من شأنها تضيق المجال الجغرافي للمكان الذي مات هذا الفرس فيه، حتّى يُمكن الفصل في مناسبة الموضع الذي ذكره الدرجيني لهذا الإطار الجغرافي أو لا. ولذلك لا بدّ من عدم التسليم بالمسار المستنتج من رواية الدرجيني بعد خروج عبد الرحمن بن رستم من مدينة القيروان.

¹ تُسمّى أيضا بلاد الجريد، تقع في الجنوب الغربي لإفريقيّة، من مدنها المشهورة: توزر، نفطة، الحامّة، قنطار. انظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص225؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي تـ. 626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، 1977م، ج2، ص58، 348؛ باحة صالح، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى: بحث تاريخي مذهبي، دار بوسلامة، تونس، 1978م، ص6.

² البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص196؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص159.

³ تقع مدينة تيهرت القديمة، في مكان مدينة تيارت حاليا، ومن المحتمل أنّها كانت من بين المراكز العسكرية الرومانية التي شكّلت إحدى المرتكزات ضمن خطّ الليمس الدفاعي الذي أمر الإمبراطور الروماني سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus) (193-211م) بإنشائه لتضيق الخناق على القبائل المورية المناهضة للاحتلال الروماني في موريطانيا القيصرية بصفة عامّة، وجبال الونشريس بصفة خاصّة، ثمّ بعد ذلك تطوّر هذا المركز مع مرور الزمن إلى منشأة مدنية. انظر: وابل أحمد، سياسة الإمبراطور سيفيريس في تطويق منطقة الونشريس، أبحاث اليومين الدراسيين حول التراث والإقليم، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 17-18 ماي 2015م، ص16؛ Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, Paris, 1911, Feuille: 33, N.14, p.2; Ailler (C.), Tahart et les origines de l'imamat rustumide: matrice orientale et ancrage local, Annales islamologique, N. 45, 2011, p.50-51.

⁴ شكّك الأستاذ مجاز في هذه الرواية أيضا؛ فقال: "... كما لا يُعقل أن يكونوا قد هربوا بفرس واحد فقط، ثمّ ألاّ يمكن أن يبتاعوا أحصنة أخرى، وهي كثيرة في بلاد المغرب؟". انظر: الدولة الرستمية، ص116.

وفي المقابل فإنّ عملية اقتراح مسار موثوق به، يكون مدعوما بقرائن جغرافية واضحة، يبقى صعبا في ظلّ سكوت المصادر التاريخية، وحتى لو تمّ اقتراح بعض الفرضيات، فما هي إلّا مجرد تخمينات، ربّما يكون اعتماد واحدة منها، بعيدا كلّ البعد عن الحقيقة.

وعلى كلّ حال، فإنّ عبد الرحمن بن رستم ومن معه لجؤوا إلى جبل سوفجج، واستقرّوا مدّة فيه أو بجانبه¹. ومن أجل التعمق أكثر في جغرافية هذا الجبل، من المفيد معرفة الأصل الطوبونيمي له، وهذا للوصول إلى الشكل الكتابي الذي يكون قريبا من طريقة نطقه.

فمن ناحية كتابة اسمه، فقد ورد عند أبي زكرياء² في شكل "سوف أجج"، وعندما نقل الشماخي³ ما ذكره أبو زكرياء عن هذا الجبل، جاءت طريقة كتابته مخالفة له، فذكرت بصيغة "سوفجج"، وبغضّ النظر إن كانت طريقة كتابة اسمه أصلية في الكتانين، أو تدخلت يد النساخ فيها، فالذي يبدو أنّ الشكل الأقرب من جهة النطق، هو الذي جاء عند الشماخي، فعند تداول اسم الجبل على الألسن، من المستبعد بقاء كلمتي "سوف" و"أجج"، متباعدتين في النطق، لأنّ مثل هذه العملية في اللهجات البربرية، تميل في طبعها إلى التركيب المزجي، لتولّد مفردة جديدة⁴.

وأما عن معنى هذا الاسم، فقد كان الدرجيني⁵ من السبّاقين إلى تعريب جزء من هذا الاسم، فقام باستبدال كلمة "سوف" بالوادي⁶، كما حاول مسكراي (Masqueray)⁷ إتمام تفسير المعنى اللغوي لهذا الطوبونيم، فاعتبر "أجج" صيغة جمع لكلمة "چيچ"، التي تعني الوتد الذي تُرفع عليه الخيمة⁸، وبهذا يكون المعنى العام حسبه، هو "نهر الأوتاد"، ولكن هذا الجمع الذي ذكره لا تؤيّد المعاجم البربرية المتخصصة، فهي تجمع كلمة "چيچ" على "إچاچن"⁹. وهناك لهجة أخرى توجد

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35؛ الشماخي، السير، ص137.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71.

³ الشماخي، السير، ص137.

⁴ أوسوس محمّد، معجم حيواني (فرنسي-أمازيغي-عربي)، مؤسسة تالوت الثقافية، كاليفورنيا-الولايات المتحدة الأمريكية، د.ت، ص16.

⁵ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35.

⁶ تؤيّد المعاجم البربرية هذه الترجمة اللغوية، للاطلاع أكثر. انظر: Basset (R.), Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla et de l'Oued Rer', 1893, p.208; Motylinski (A.) de (C.), Le Djebele Nafousa, Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1898, p.148; Delheure (J.), Dictionnaire Mozabite-Français, Paris, 1984, p.184; Haddadou (M. A.), Dictionnaire des racines Berberes communes (Suivi d'un index français- berbère des termes relevés), Haut-Commissariat à l'Amazighité, Tizi-Ouzou, 2007, p.188.

⁷ Masqueray (E.), Chronique d'Abou Zakaria, Imprimerie de l'association ouvrière V. Aillaud, Alger, 1879, 1879, p.41, note 1.

⁸ Basset, Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis, p.104.

⁹ Basset, Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla et de l'Oued Rer', p.82; Delheure, op. cit., p.261; Haddadou, op. cit., p.67.

عند بعض الفروع القبلية بجبال الونشريس، تسمّى الوتد "زيج"، وتجمعه على "إزاجن"¹، ولذلك من الصعب القبول بمقاربة مسكراي في تفسير هذا الطوبونيم.

وبالتالي فإنّ ما يُمكن استنتاجه من المعنى اللغوي لاسم هذا الجبل؛ هو أنّه مركب من دلاتين لغويتين، الأولى: هي "سوف" التي تُشير إلى وجود واد في هذه المنطقة، والثانية: هي "أجج" التي تدلّ على اسم هذا الوادي، ثمّ تجتمع هاتين الكلمتين في مركّب لغوي واحد، يشكّل اسم علم لأحد الجبال التي تقع بالقرب من هذا الوادي.

وقد حاول العديد من الباحثين البحث عن موقع جبل سوفجج، وذلك بسبب عدم إشارة المصادر إلى هذا الجانب، فمنهم من حدّد موقعه في جنوب مدينة تيهرت²، وهناك من ذهب إلى وُجوده ببلاد الجريد³، ومنهم من جعله في وادي سوف حاليا⁴، ورأى آخر أنّ اسمه تطوّر إلى اسم سبثاف التي تقع في الجنوب الغربي لمدينة آفلو ولاية الأغواط على بعد 22 كم⁵.

ولكن بالرجوع إلى النصوص التاريخية، فإنّها تشير إلى ما يدعم وقوعه في جنوب مدينة تيهرت القديمة، فالمصادر غير الإباضية⁶، صرّحت بتوجهه عبد الرحمن مباشرة بعد خروجه من مدينة القيروان إلى منطقة تيهرت، ولذلك عند جمعها مع الرواية الإباضية⁷ التي ذكرت قدومه إلى جبل سوفجج، فيمكن اعتبار هذه الرواية الأخيرة مُفصّلة لما أجملته الرواية الأولى، وهذا من خلال ذكرها للمنطقة المخصصة التي نزلها عبد الرحمن بن رستم في منطقة تيهرت.

كما يُمكن أيضا إدراج منطقة جبل سوفجج، بالجمال الجغرافي الذي كانت تنتجعه قبيلة لمّاية، وهو يصل بالمغرب الأوسط إلى جنوب مدينة تيهرت القديمة⁸. فإذا كان عبد الرحمن بن رستم جاء إلى منطقة تيهرت، وفيها استضافته هذه القبيلة⁹، فهذا يشير إلى أنّ جبل سوفجج لا بدّ أن يكون هو الآخر في إحدى النواحي الجنوبية لمدينة تيهرت القديمة.

¹ Basset, Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis, p.104.

² دبور محمّد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م، 2010، ج3، ص238.

³ Prevost (V.), Abd al-Rahman ibn Rustum, p.50-51.

⁴ Esquer (G). et Boyer (P.), La Chronique d'Abu Zakariyya al-Wargalani, Revue Africaine, Vol: 104, 1960, p.174, note 45; Prevost, op. cit., p.51-52.

⁵ مختاري فرحات، دراسة أثرية لموقع للمائة بالأغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2006-2007، ص9.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص196؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

⁷ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35؛ الشماخي، السير، ص137.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، 159؛ Zerouki, op. cit., p. 90.

⁹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147، 159.

ويدعم هذا الطرح، وجود واد يُعرف حالياً بسوققيف¹، يقع بين منطقة الفايحة شرقاً، وقصر الشلالة غرباً، وعين مائية معروفة بنفس هذا الاسم، تقع بالقرب من هذا الوادي² في الجنوب الغربي لمدينة الناظورة على بعد حوالي 12 كم (انظر الملحق رقم: 3). والظاهر أن سكان المنطقة، كانوا يتكلمون بلهجة تقلب حرف "ج" بـ"ف"، مثلما هو متداول في بعض لهجات سكان الأطلس الصحراوي³، فتحوّل اسم سوفجج إلى سوفقّف⁴، ثمّ ربّما لتخفيف وتسهيل طريقة نطقه، تغير إلى سوققيف.

وبجانب وادي سوققيف من الجهة الشمالية، تقع سلسلة جبال الناظور بين مدينة السوق شرقاً، وقصر الشلالة غرباً (انظر الملحق رقم: 3)، وهي مؤهّلة أن يكون جزء منها أو كلّها، هي الممثل التاريخي لجبل سوفجج⁵.

وفي هذه المنطقة استقرّ عبد الرحمن بن رستم فترة من الزمن، حاول فيها النهوض بالحركة الإباضية من جديد، فبدأ الإباضية يلتفون حوله، سواء من القادمين إليه من نواحي جبل نفوسة وطرابلس⁶ أو القبائل الإباضية في منطقة تيهرت⁷. فأدّى هذا إلى وصول أخبار هذه التطوّرات إلى والي إفريقيّة الجديد محمّد بن الأشعث، فقام بتجهيز جيش، وقصد به جبل سوفجج لوأد هذه الحركة قبل أن تتزايد قوّتها، ولما وصل إلى هذا الجبل، حاصر عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الإباضية مدّة حتّى فشا مرض الجدري في جيشه، ممّا اضطرّه إلى وقف هذا الحصار، والرجوع خائبا إلى مدينة القيروان⁸.

¹ عن الكتابات الفرنسية التي تحدّثت عن واد سوققيف، انظر على سبيل المثال: Derrier (C.), La région algérienne, Bulletin de la Société de Géographie (France), Septième série, T. 6, 1885, p.279; Welsch (M.), Les terrains jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saïda (Département d'Oran, Algérie), Bulletin de la Société de Géographie (France), Troisième série, T. 18, 1889-1990, p.439; Gsell, op. cit., Feuille: 34, N.36, p.2.

² دبو، المرجع السابق، ج3، ص238.

³ مختاري، المرجع السابق، ص9.

⁴ قمتُ بزيارة ميدانية إلى جنوب منطقة الناظورة مع بعض سكان المنطقة بتاريخ 4 سبتمبر 2019م، وهم التالية أسماؤهم: منورة بلقاسم، بن قسمية الحاج، فغولي بن يعقوب، وقد حدّثني منورة بلقاسم أنّ كبار السنّ في المنطقة، منهم من ينطق واد سوققيف، بلفظ "سوققّف". كما ذكر لي أيضا، أنّهم يتداولون أخبارا عن قدوم عبد الرحمن بن رستم إلى جبل فوجيلة، ومنه أتجه إلى المنطقة التي بُنيت فيها مدينة تيهرت، وهذا الجبل يقع في جنوب مدينة الناظورة على بعد 5 كم، ويندرج ضمن سلسلة جبال الناظور، حيث يتمركز في أقصى جهتها الشرقية.

⁵ Lewicki (T.), The Ibádites in Arabia and Africa, Cahiers d'Histoire Mondiale, V. 13, 1971, p.90.

⁶ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ الباروني، المرجع السابق، ص48.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147.

⁸ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص72؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36.

ثانياً- تأسيس مدينة تيهرت الرستمية

شكل صمود الإباضية في حصار جبل سوفجج انتصاراً معنوياً، جعلهم يُواصلون التخطيط لإعادة إحياء الإمامة الإباضية، خاصة وأن إخوانهم في المذهب بالمغرب الأدنى قد ضيّقت الخناق عليهم جيوش ابن الأشعث¹، وهذا ما جعل من منطقة تيهرت، المكان المناسب لتجسيد الإمامة الإباضية على أرضها، وربما لما كانت بدايات قيام الدولة المدراية الصفرية مرتبطة بتأسيس مدينة سجلماسة، ومبايعة عيسى بن يزيد الأسود إماماً عليهم في سنة 140هـ/757م²، أراد الإباضية في منطقة تيهرت تكرار هذه التجربة في المغرب الأوسط.

وقبل التطرق إلى ظروف ومُجريات بناء مدينة تيهرت الرستمية، ومبايعة عبد الرحمن بن رستم، من المهم الإشارة إلى أن المصادر اختلفت في سنة تأسيس العاصمة الرستمية، فمنها من ذكرت أنها جرت في سنة 144هـ/761-762م³، وذهب أبو زكرياء⁴ إلى إدراج أخبار بنائها عندما تحدّث عن بيعه عبد الرحمن بن رستم، والتي كانت حسبه في سنة 160هـ/777م أو في سنة 162هـ/779م، وجاء في رواية عند ابن عذاري⁵ أنها بُنيت في سنة 161هـ/778م.

ولكن هذه الرواية الأخيرة عبارتها تكاد تتطابق مع ما ذكره البكري عن بناء مدينة تيهرت، إلّا في التاريخ الذي جاء عنده وهو سنة 144هـ⁶، وهذا ما يطرح فرضية تغييره عمداً ليتلاءم مع سنوات الحكم التي جمعها ابن عذاري عن الأئمة الرستميّين⁷، وهي بدورها لا تخلو من اضطراب، وهذا ما يجعل من سنة 161هـ لا تستند على أصل تاريخي متين، يُمكن الاعتماد عليه.

وأما رواية أبي زكرياء فالظاهر أنّها كانت تتحدّث عن بيعه غير البيعة التي كانت في سنة 144هـ، فالبغطوري (ت. بعد 599هـ/1203م) عندما تحدّث عن عُمر الدولة الرستمية

¹ ابن سلام، المصدر السابق، ص 128.

² البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 334؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص 116-117.

³ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 249؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 70-75؛ مفاخر البربر، ص 138؛ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 38-43؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 147، 159.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 81-83. وتبعه في اعتماد هذه الرواية كلّ من الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 40-42؛ الشماخي، السير، ص 141-143.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 196.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 249.

⁷ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 196-197.

قال أنّها دامت "نيفا" ¹ على مائة وخمسين سنة، على ما بلغنا ²، فإذا كانت الدولة الرستمية سقطت في سنة 296هـ/909م، فهذا يعني حسبه أنّ قيامها كان بين سنتي 143-145هـ/760-763م، وهذا الإطار الزمني، يتوافق بشكل واضح مع سنة 144هـ.

ولذلك يظهر أنّ عبد الرحمن بن رستم بُويع بالإمامة ³ مرتين، الأولى كانت إمامة الدفاع، جرت قبيل بناء مدينة تيهرت في سنة 144هـ/761-762م، ثمّ أعيدت مُبايعته مرّة ثانية بإمامة الظهور في سنة 160هـ/777م أو 162هـ/779م ⁴. ولعلّ أبا زكرياء أو من نقل عنهم، عند روايتهم لأخبار الدولة الرستمية، ربطوا أخبار بناء مدينة تيهرت ببيعة عبد الرحمن الثانية.

وبناءً على ما سبق، فلم يمكث عبد الرحمن بن رستم في منطقة جبل سوفجج سوى بضعة أشهر، ثمّ بدأ رُفقة الإباضية الذين كانوا معه، يبحثون عن موقع مُناسب لبناء مدينتهم، فوقع اختيارهم في البداية على مدينة تيهرت القديمة، فاتّجهوا إليها، وشرعوا في البناء بجانبها، ولكنهم ما لبثوا أن وجدوا مُعارضة من أهلها، فكانوا يهدمون في الليل ما قاموا ببنائه في النهار، فعدلوا عن هذا المكان، وانتقوا غربا على بعد حوالي 8 كم في موضع يعرف بتاقدت ⁵.

ومن الواضح أنّ اختيار هذا الموضع لم يكن اعتباطيا، وإثما عن تبصّر بالخصائص والمميّزات التي يتمتّع بها، ومن بينها:

-تمركزه على جبل جزول (ينطق قزول حاليا) ⁶، وهذا ما يُوفر الحماية الطبيعية للمدينة المراد بناؤها، ويجعلها منيعة من الصعب اختراقها عسكريا.

-تتمتّع منطقة تيهرت بمناخ بارد ومُطر شتاءً، وأراضي خصبة، تُساعد على ازدهار النشاط الفلاحي فيها ⁷.

¹ مصطلح يُعبر من الناحية اللغوية عن عدد بين الواحد والثلاثة. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص342؛ المعجم الوسيط، ص964.

² البغطوري (مقرين بن محمّد النفوسي)، روايات الأشياخ: أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق: عمر بوعصانة، مكتبة خزائن الآثار، بركاء-عُمان، 2017م، ص104.

³ يقسم الإباضية الإمامة إلى أربعة أنواع، وهي: إمامة الظهور، وإمامة الدفاع، وإمامة الشراء، وإمامة الكتمان. وللأطلاع أكثر في تعريفاتها. انظر: الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد ت. 928هـ/1522م)، شرح مقدمة التوحيد، دار الحكمة، ط2، لندن-بريطانيا، 2016م، ص69-74؛ معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص377، ج2، ص659، 905.

⁴ محمود إسماعيل، الخوارج، ص150.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص49-50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص49، 50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

⁷ يعقوبي، المصدر السابق، ص198؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص248.

- يزخر الموقع بإمكانات مائة كبيرة، فهو يمرُّ عليه واديان، هما: وادي مينة الذي يأتي من الجهة الجنوبية، ثمَّ يخرق هذا الموضع، وبعد ذلك يتجه غربا (انظر الملحق رقم: 7)، ونهر تاتش الذي يشقه ثمَّ يتجه شرقا¹، وهذا بالإضافة إلى العديد من الجداول والعيون المائية الموجودة في منطقة تيهرت².

- يحتلّ موضع تاقدمت موقعا استراتيجيا مهماً، يسمح بازدهار التجارة فيه، فهو يقع في وسط بلاد المغرب، ممَّا يجعله مؤهلاً لأن يكون محطة وسوقاً تستقطب القوافل التجارية، التي تربط الحركة التجارية بين شرق وغرب بلاد المغرب، وبين الأندلس شمالاً، وسجلماسة وبلاد السودان الغربي جنوباً³.

ولمَّا نزل الإباضية هذا الموقع، قرّروا اختيار إمام يحكمهم، وذلك من أجل البدء في تطبيق الأحكام الشرعية التي تتطلب وجود وليٍّ أمر، ولقطع الطريق أمام الكثير من الخلافات التي ربّما تنشأ من تعدد وجهات النظر، فقاموا بالتشاور بينهم بعدما رشّحوا مجموعة ممّن رأوهم يستطيعون حمل أعباء الإمامة، ثمَّ وقع اختيارهم على عبد الرحمن بن رستم، وهذا نظراً لأنّه تولّى ولاية القيروان، ممَّا يجعل له تجربة سابقة في الحكم، ولنسبه الغريب الذي يسمح بعدم استناده على عصبية قبلية يُرسّخ بها حكمه، أو ربّما يتسلّط بها على الآخرين، وبعد ذلك عرضوا رغبتهم هذه على عبد الرحمن بن رستم، فلمَّا وجدوا القبول منه بايعوه⁴.

وقد كان موضع تاقدمت ملكاً لقوم من قبيلة منداس الهواريّة⁵، وصنهاجة، فطلب عبد الرحمن بن رستم شراءه منهم، ولكنهم رفضوا في البداية، ثمَّ بعد ذلك اشترطوا عليه أن يُعطيهم خراج الأسواق، مُقابل أن يسمحوا له ببناء المساكن⁶، فوافق عبد الرحمن بن رستم، وبعدها شرع الإباضية في بناء مدينتهم، فبنوا المسجد الجامع أولاً، متّبعين في ذلك التقاليد

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص248.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص197؛ المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد تـ. بعد 378هـ/988م)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1906م، ص228؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

³ للاطلاع أكثر على الطرق التجارية التي تمرُّ على مدينة تيهرت. انظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص-129؛ Lewicki (T.), L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle, Cahiers d'études africaines, vol. 2, n°8, 1962, p.513-535.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص25-27.

⁵ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص44؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159، 164، 183.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص250.

الإسلامية التي كانت سائدة في اختطاط المدن¹، وبعدها بنوا منازلهم وقصورهم حوله، ثم أحاطوا ما سبق ذكره بسور، وجعلوا له أبوابا، اشتهرت فيما بعد باسم: باب الصفا، باب المنازل، باب المطاحن، باب الأندلس².

ولا زالت أجزاء من هذا السور مُتناثرة إلى وقتنا هذا، وحسب كادنا (Cadenat)³ فإنَّ السور مُستطيل الشكل، يبلغ طوله حوالي 400م، وعرضه حوالي 200م، وغير بعيد عن هذه المقاسات، اعتمدت إحدى الدراسات الأثرية الحديثة⁴، على الصور الجوية التي أُخذت للموقع سنة 1972م، وحددت مقاساته بـ 343,5م طولا، و186,56م عرضا (انظر الملحق رقم:4).

وبعد ذلك لم تحمل هذه المدينة اسم الموقع الذي تأسست فيه، وإنما أخذت اسم مدينة تيهرت المجاورة لها، غير أن المصادر لم تُجمع على صيغة واحدة لكتابة اسمها، فقد جاء في بعضها بصيغة "تيهت"⁵، بينما كُتب عند البقية الغالبة في شكل "تاهرت"⁶. وبالرجوع إلى مسكوكات الدولة الرستمية، فقد عُثر على فلس ضُرب في عهد الإمام عبد الوهَّاب (171-208هـ/787-823م) جاء فيه اسم "تيهت"⁷ (انظر الملحق رقم: 5)، وهذا ما يؤكد أنَّ هذه الصيغة كانت تُسمى بها العاصمة الرستمية.

ولكن بالنظر إلى كثرة المصادر التي ذكرت هذه المدينة باسم "تاهرت"، فمن الصعب إغفالها أو اتهامها جميعا بالوقوع في الخطأ والتحريف، علما وأنَّ كلمتي تاهرت وتاقدمت من أصلين

¹ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص102.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص82؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص248.

³ Cadenat (P.), Recherche à Tihert-Tagdempt 1958-1959, Bulletin d'Archéologie Algérienne, T. VII, 1977-1979, p.394.

⁴ لجلال فاطمة، موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/777-909م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم آثار المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، إشراف: بلحاج طرشاوي، 2013-2014، ص61.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ الرقيق، المصدر السابق، ص82؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص76؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص138؛ الشماخي، السير، ص141.

⁶ من المصادر التاريخية المغربية التي ذكرتها هذه الصيغة: ابن سلام، المصدر السابق، ص110؛ ابن الصغير، المصدر السابق، ص25؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص81؛ البغطوري، المصدر السابق، ص105؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159. ومن المصادر التاريخية المشرقية: الطبري، المصدر السابق، ج8، ص200؛ المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص343؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج7، ص213. ومن المصادر الجغرافية المشرقية والمغربية: البقوي، المصدر السابق، ص192؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص132؛ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص88؛ قدامة ابن جعفر، المصدر السابق، ص200؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص93؛ المقدسي، المصدر السابق، ص228؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص253؛ وهذه المصادر يمكن اعتبارها أمثلة فقط، ويبقى الكثير مما يصعب حصره هنا

⁷ Liétard, op.cit., p.20; Benchevron (T.) et Liétard (L.), Les Idrissides à la lumière de fulūs frappes à Volubilis et Tahert, Arabica, N. 62, 2015, p. 732.

بربريين¹، وطريقة التأنيث فيهما² تتوافق مع بعضها البعض، وهذا ما يُشير إلى أن هذا الأسلوب التأنيثي، كان مُتداولاً بين سكان هذه المنطقة، ولهذا من الممكن أن تكون صيغة "تاهرت" تعبر عن لهجة أخرى كانت تُعرف بها هذه المدينة.

ثمّ بعد تأسيس العاصمة الرستمية، ظهرت بعض الأسماء أو الإضافات للتمييز بين مدينة تيهرت ذات الأصول الرومانية، والمدينة التي بناها الإباضية، فأُطلق على الأولى أحياناً اسم حصن برقجانة³، وتيهرت عبد الخالق⁴، أو أُضيف لها صفة القديمة أو السفلى⁵، وأما الثانية فأُطلق باسم تيهرت الجديدة أو العليا⁶.

وأما عن المعنى اللغوي لكلمة تيهرت، فقد اختلف الباحثون حوله، فمنهم من ذكر أنّها تعني المحطّة أو الإقامة⁷، وذهب آخرون⁸ إلى أنّها من المرادفات التي تُسمّى بها اللبؤة، ويظهر أن هذا التفسير، أقرب من الطرح الأوّل، لأنّ التركيب اللغوي يتحمّل هذا المعنى بشكل مباشر، فمذكر تيهرت وتاهرت؛ هو "اهر" الذي يعني الأسد⁹. ويسند هذا الرأي وجود الأسود في هذه المنطقة¹⁰، ولهذا لا يُستبعد أن تكون مدينة تيهرت القديمة أخذت اسمها من هذا الحيوان.

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص250. Motylinski, op. cit., p138.

² من صيغ التأنيث الأكثر تداولاً في اللهجات البربرية، وضع الاسم المذكور بين تاءين. انظر: شفيق محمّد، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط-المغرب، 1996م، ج1، ص37.

³ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص155.

⁴ المهلب (الحسن بن أحمد تـ. 380هـ/990م)، الكتاب العزيزيّ أو المسالك والممالك، جمعه وعلّق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، التلويح للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 2006م، ص48.

⁵ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ المقدسي، المصدر السابق، ص229.

⁶ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁷ Canal (J.), Tiaret (Monographie ancienne et moderne), Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, T. 20, 1990, p.7.

⁸ Basset, Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla et de l'Oued Rer', p.21, 70; Motylinski, op. cit., p138; Brugnatelli (V.), La morphologie des noms Berbères en w- Considérations diachroniques, Actes du 1^{er} congrès Chamito-Sémitique de Fès, 12-13 mars 1997, Publications de la Faculté des Sciences Humaines Sais-Fès, 1998, p.51.

⁹ أو سوس، المرجع السابق، ص39-40.

¹⁰ البكري، المصدر السابق، ج2، ص250. استمر وجود الأسود بالمنطقة المحيطة بمدينة تيهرت إلى الفترة الحديثة، فقد سجّل الجنرال مارغريت (Marguerite)، أثناء قيادته للحملة العسكرية لاحتلال جبال الونشريس في منتصف القرن 18م، أنّه تمّ عدّ أربعة عشر أسداً، وثلاثة فهود. انظر: سعيداني سحنون، الإستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ-جامعة الجزائر، إشراف: بوضرساية بوعزة، 2007-2008م، ص4.

ثالثاً- الامتداد الجغرافي للدولة الرستمية بالمغرب الأوسط

اعتمد الامتداد الجغرافي للدولة الرستمية في كثير من الأحيان على ولاء الجماعات القبلية، وخاصةً الإباضية منها¹، ولذلك حاول بعض الباحثين² معالجة نفوذ الرستميّين في الجهات الغربية لمدينة تيهرت بالمغرب الأوسط من خلال البحث في ولاء بعض قبائل هذه الناحية للرستميّين، ومن النصوص التي استنتجوا منها تبعية قبيلتي مغراوة وبنو يفرن للرستميّين قبل سنة 173هـ/789م، ما جاء عند ابن خلدون: "ولم يزل الملك في بني رستم هؤلاء بتيهرت، وحازتهم جيرانهم [وفي طبقات أخرى "وحاربهم جيرانهم"³] من مغراوة وبنو يفرن على الدخول في طاعة الأدارسة لما ملكوا تلمسان، وأخذت بها زناتة من لدن ثلاث وسبعين ومائة، فامتنعوا عليهم سائر أيامهم"⁴.

ومن القرائن الأخرى التي أُضيفت للتأكيد على ولاء قبيلة بني يفرن للرستميّين، ترشيح عبد الرحمن بن رستم قبيل وفاته في سنة 171هـ/787م لسبعة ممن يتولّون الإمامة بعده، فكان منهم أبو قدامة يزيد بن فندين اليفريني⁵، فاستنتج بعضهم⁶ من هذه الواقعة، أنّ قبيلة بني يفرن كانت خاضعة للرستميّين، واعتبروا أبا قدامة زعيماً لها. وبناءً على هذا الاستنتاج، فإنّ المجالات الجغرافية التي توزّعت فيها قبيلتي مغراوة وبنو يفرن، فيما بين وادي الشلف إلى جبل مديونة جنوب مدينة وجدة⁷، يُمكن اعتبارها تابعة للكيان الجغرافي الرستمي.

وقبل مناقشة هذا الرأي، لا بدّ من عرض نصّ آخر ذكره ابن الصغير في معرض حديثه عن المكانة التي وصل إليها الإمام عبد الوهّاب، فقال: "ولقد حكى لي جماعة من الناس، أنّه قد

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ جودت، المرجع السابق، ص59-61؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص143-150.

² جودت، المرجع السابق، ص188؛ بن تاويت محمّد التطواني، دولة الرستميّين - أصحاب تاهرت -، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد: 5، العدد: 1-2، 1377هـ/1957م، ص117؛ التازي عبد الوهّاب، دولة الأدارسة وإمارة الرستميّين الكسراوية..العلاقات السياسية الأولى لمملكة فاس 173هـ/790م، مجلّة دعوة الحق، السنة: 14، العدد: 10، ذو الحجة 1391هـ/جانفي 1972، ص123.

³ اعتمد على هذه القراءة العديد من الباحثين، وعلى أساسها بنوا استنتاجهم الخاصّة. انظر: بن عميرة، المرجع السابق، ص150؛ جودت، المرجع السابق، ص188؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص196؛ بن تاويت، المرجع السابق، ص117؛ التازي، المرجع السابق، ص123.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص84-85؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص160.

⁶ جودت، المرجع السابق، ص188؛ بن تاويت، المرجع السابق، ص113؛ بن حسن، المرجع السابق، ص109-110.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج6، ص165، ج7، ص17، 33.

بلغت سُمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس، وملاً المغرب بأسره إلى مدينة يُقال لها تلمسان¹. وقد استدل بعضهم أيضاً بهذا الكلام²، على امتداد نفوذ الرستميين على النواحي الغربية للمغرب الأوسط ووصولاً إلى مدينة تلمسان، ولكن هذا النصُّ، يطرح بعض التساؤلات، منها: متى تحقَّق هذا الإنجاز؟ وإلى متى دامت مُدته؟

ومن أجل مناقشة هذه الآراء والتساؤلات، من المفيد تقسيم نفوذ الرستميين على النواحي الغربية للمغرب الأوسط إلى مرحلتين تاريخيتين:

- المرحلة الأولى: من تأسيس الدولة الرستمية في سنة 144هـ/761م إلى فترة توسّعات إدريس بن عبد الله بالمغرب الأوسط (173-179هـ/789-795م)³.

فعند النظر في مدلول نصُّ ابن خلدون السابق ذكره، فهو لا يُفهم منه تبعية مغراوة وبنو يفرن للرستميين قبل سنة 173هـ/789م، وإنّما الذي يؤخذ منه، أنّهما قدّما طاعتهم للأدارسة بعد الحملة التي قادها إدريس الأوّل إلى مدينة تلمسان سنة 173هـ/789م⁴، واستمرّوا على عدم طاعة الرستميين إلى أواخر أيامهم.

وقبل خضوعهما لإدريس بن عبد الله، كانت القبائل الزناتية التي في نواحي تلمسان تابعة لأبي قرّة، ومن بينها قبيلة بني يفرن التي بايعته بالإمامة في سنة 148هـ/765م، وبقيت مُتحالفة معه إلى سنة 154هـ/741م⁵، وبعدها قام والي إفريقيّة يزيد بن حاتم (155-170هـ/722-786م) بقيادة حملة عسكرية أوغل بها في بلاد المغرب، فأخضع قبيلة بني يفرن، والعديد من القبائل الأخرى⁶، وقبيل قدوم إدريس بن عبد الله إلى مدينة تلمسان سنة 173هـ/789م كانت قبيلتي مغراوة وبنو يفرن خاضعتين لولاية الخلافة العباسية في القيروان⁷.

كما لا يُفهم من الأحداث التي ارتبطت بأبي قدامة يزيد بن فندين اليفرني، على أنّه كان زعيماً لقبيلة بني يفرن الزناتية، فباعتبار القرابة التي كانت تجمعها مع عبد الوهّاب من جهة

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38-39.

² بن عميرة، المرجع السابق، ص142؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص148؛ Lewicki, Un royaume ibâdite, p.8.

³ الرازي، المصدر السابق، ص50.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147، ج7، ص17-18؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص86-89.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص18؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص80.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص17.

الأحوال¹، فقد يكون أبو قدامة من الفرع اليفريني الذي استوطن إفريقية²، وقدم من ضمن الجماعات الإباضية التي لجأت إلى منطقة تيهرت³.

غير أن عدم خضوع قبيلتي مغراوة وبنو يفرن للرستميّين، لا يعني عدم سيطرتهم على أجزاء من النواحي الغربية للمغرب الأوسط، فقد أشار الرازي إلى أن إدريس بن عبد الله "قاتل عبد الوهّاب بن رستم، فأزاله عن بعض تلك المخاليف"⁴، ولذلك فلا شك أن الرستميّين قبل هذه الفترة، قاموا بتوسّعات في الجهات الغربية والشمالية الغربية للمغرب الأوسط، فبعدها تأسست دولتهم في منطقة داخلية، يبدو أنّهم حاولوا الوصول إلى الساحل، والسيطرة على منافذ بحرية تربطهم بالضفة الشمالية للبحر المتوسّط.

ولعلّ الاضطرابات السياسية التي عرفتها الدولة الرستمية في بداية عهد عبد الوهّاب⁶، جعلت إدريس بن عبد الله يستغلّ هذه الظروف، ويقوم بمدّ نفوذ دولته على حساب المناطق الغربية التابعة للرستميّين بالمغرب الأوسط.

–المرحلة الثانية: من توسّعات إدريس بن عبد الله بالمغرب الأوسط إلى فترة مُكوث ابنه إدريس بن إدريس (188-213هـ/804-828م) في مدينة تلمسان (199-202هـ/815-818م)⁷.

ففي هذه الحقبة، عمل عبد الوهّاب على تعزيز هيبة دولته، واسترجاع ما أخذه الأدارسة منه، فقامت جيوشه بتوسيع نفوذ دولته غربا إلى مدينة تلمسان⁸. وقد عُثر على فلس رستمي ضُرب باسمه جاء فيه اسم هذه المدينة⁹ (انظر الملحق رقم: 6)، وهذا ما يؤكد على أن عبد الوهّاب سيطر على مدينة تلمسان، ولذلك قام بضرب نقود دولته فيها، ووضع اسمها في عملته.

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص86.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص15.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص117؛ Prevost, Ibadisme et sufrisme, p.323.

⁴ جمع لكلمة مِخلاف، وهي تقابل مصطلح الكورة، والإقليم. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص84؛ المعجم الوسيط، ص252.

⁵ الرازي، المصدر السابق، ص50.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص41-44؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص96-113.

⁷ ابن أبي زوع، المصدر السابق، ص50.

⁸ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38-39.

⁹ Liétard, op.cit., p.21; Benchekroun et Liétard, op.cit., p.733.

وأما فيما يخص تاريخ وصول جيوش عبد الوهاب إلى هذه الجهات، فهو غير معروف، ولكن إذا كانت حملة إدريس بن إدريس التي قام فيها بالسيطرة على المجالات الممتدة بين مدينة تلمسان ووادي الشلف حدثت فيما بين سنتي 199-202هـ/815-818م¹، فهذا يعني أن حملة الرستميين كانت قبل حملة إدريس بن إدريس، لأن المناطق التي سيطر عليها إدريس بن إدريس بالمغرب الأوسط، هي التي بقيت تحت يد ابن عمه محمد بن سليمان، واقتسمها أولاده بعد وفاته، ثم أقاموا عليها إماراتهم طيلة العهد الرستمي².

وخلال بقية العهد الرستمي في القرن 3هـ/9م، بقيت أجزاء من الجهات الغربية للمغرب الأوسط تابعة للرستميين، فاليعقوبي³ عندما تحدّث عن مرسى فروخ الذي يقع غرب مدينة مستغانم⁴، وضعه بعد حديثه عن نفوذ الرستميين في منطقة تيهرت، ولذلك قد يكون هذا المرسى يُمثّل جزءاً من منطقة تابعة لهم⁵، شكّلت الواجهة البحرية التي ساهمت في ربط التبادلات التجارية بين مدينة تيهرت والضفة الشمالية للبحر المتوسط بصفة عامة⁶، وبلاد الأندلس بصفة خاصة⁷.

وأما في المناطق المحيطة بمدينة تيهرت، فقد ذكر اليعقوبي-أن مدينة تيهرت يتّصل بها "بلد عظيم... في طاعة محمد بن أفلح"⁸ (261-281هـ/875-894م)، وعلى الرغم من عدم إشارته لحدود هذا البلد، إلّا أنّه بمقارنته مع حدود الكيانات السياسية المحيطة به، يمكن القول إنّ هذا المجال لا يُمكن أن يتجاوز على أقصى تقدير، من الناحية الغربية والشمالية الإمارات العلوية⁹، ومن الجهة الشرقية إمارة الحسن بن سليمان الحسيني، وبلاد الزاب الذي كان تابعا للإمارة الأغلبية¹⁰ (انظر الملحق رقم: 9).

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص18.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص196؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص46؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص23-24.

³ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص271.

⁵ Lewicki, Le repartition géographique, p.310.

⁶ بحاز، الدولة الرستمية، ص284.

⁷ للاطلاع أكثر على المبادلات التجارية بين مدينة تيهرت وبلاد الأندلس. انظر: جودت، المرجع السابق، ص152-167؛ فيلالى عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة-مصر، 1999م، ص98-106؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص285-287.

⁸ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192. ويذكر ابن خرداذبة أنّ في يد الرستميين مدينة تيهرت ما والاها. انظر: المصدر السابق، ص88.

⁹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191-192، 196؛ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص88.

¹⁰ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

وفي هذا البلد الرستمي، من المهمّ الإشارة إلى مجالين جغرافيين هامّين، مثلاً الأرياف التيهرتية التي تركزت فيها العديد من القبائل الإباضية¹، وهما (انظر: الملحق: رقم 7):
 - **تلول منداس**: يقع هذا التلُّ بين جبال الونشريس غرباً، ونواحي وادي مينة شرقاً، ويمتدُّ طولاً فيما بين جبل جزول الذي بنيت عليه مدينة تيهرت جنوباً، وبلاد الشلف السفلى شمالاً².
 - **سهل السرسو**: يمتدُّ بشكل طولي جنوب مدينة تيهرت، يحدّه من الناحية الشمالية نهر واصل، ووادي مينة، وأمّا من الجهة الجنوبية فيصل إلى مجموعة من الجبال أهمّها سلسلة جبال الناظور، وجبال فرنده³.

ثمّ امتدّت نفوذ الدولة الرستمية جنوباً، وهذا من خلال تبعيّة القبائل الإباضية التي امتدّت في المجالات الشمالية لصحراء المغرب الأوسط⁴، ومن ضمن المجالات المهمّة التابعة للرستميّين جنوباً؛ المجال الذي يبدأ من جنوب سهل السرسو، ثمّ يتّجه شرقاً جنوب بلاد الزاب إلى نواحي مدينة وارجلان⁵، وهي من المدن الهامّة التي كانت تابعة للرستميّين، فقد شكّلت إحدى المحطّات التجارية التي يمرُّ عليها الطريق التجاري الذي يربط مدينة تيهرت ببلاد السودان الغربي⁶.
 وبعدها يواصل هذا المجال إلى أن يتّصل ببلاد الجريد، وبهذا يُمكن اعتبار هذا الممر القادم جنوب بلاد الزاب، همزة وصل بين إقليم تيهرت، والمجالات التابعة للدولة الرستمية في بلاد الجريد⁷، والمناطق الأخرى بالمغرب الأدنى⁸.

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، 162.

² نفسه، ج6، ص159، 162، ج7، ص67، 74، 76؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميّين، ص217.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص153-154، ج7، ص67-68، 205؛ Bugéja (M) et Rousseau, Le Niox, op. cit., p.57; Serssou, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3é trimestre, 1904, p.60; Perrin (R.), Le Sersou: Etude de géographie humaine (Premier article), Méditerranée, 1e année, N.2-3, 1960, p.61.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، 159.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص189؛ الدرّجيني، المصدر السابق، ج1، ص331؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص150.

⁶ Lewicki, L'État nord-africain de Tāhert, p.531.

⁷ تيري جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، بنغازي-ليبيا، 2004م، ص212.

⁸ للاطلاع أكثر على الامتداد الرستمي بالمغرب الأدنى. انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص182-185؛ جودت، المرجع السابق، ص59-61؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص144-150؛ Prevost (V.), L'influence de l'État rustumide dans le Sud tunisien, Acta Orientalia, vol. 68, 2007, p.113-133.

المبحث الثالث: الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط

اندلعت ثورة العلويين الزيدية بقيادة الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث في المدينة المنورة سنة 169هـ/786م، حيث قام أتباعه بالاستيلاء على المدينة، ومُبايعته إماما عليهم، وبعد ذلك توجهوا إلى مكة لسيطرتهم عليها، ولما علم الخليفة العباسي الهادي (169-170هـ/785-786م) بما حدث، كلّف أحد أبناء عمومته، وهو محمد بن سليمان بمواجهتهم، فقام هذا الأخير بتجهيز جيش في مكة، وخرج للتصدّي لهم، فالتقى الطرفان في موضع يُعرف بفتح في بداية شهر ذي القعدة من سنة 169هـ/ماي 786م، واستمرت المعركة ثلاثة أيام، كان النصر فيها حليف العباسيين، بينما قُتل الحسين بن عليّ، وعدد كبير من أتباعه، وهرب من بقيّ منهم، خوفا من تنكيل العباسيين بهم¹، ومن بين هؤلاء الذين هربوا إلى بلاد المغرب؛ إدريس بن عبد الله²، الذي تمكّن من أن يجد لدعوته الزيدية حاضنة معتزلية، مهّدت الطريق لتغير الأوضاع السياسية في المغربين الأقصى والأوسط.

أوّلا-امتداد الحكم العلوي بالمغرب الأوسط

ترجع فكرة قدوم إدريس بن عبد الله لبلاد المغرب إلى الاجتماع الذي عقده أخوه يحيى بن عبد الله³ مع أتباعه في موسم الحجّ سنة 170هـ/786م، واتفقوا فيه على أن يُرسلوا دُعاة في البلدان من أجل التعبئة لنصرة قضيتهم، فقام يحيى بإرسال ثلاثة دُعاة إلى العراق، وثلاثة إلى بلاد المغرب، وهم: إدريس بن عبد الله، ومولّى له يُسمّى راشد، ورجل مُعتزلي من البصرة كان من أتباع أخيهما إبراهيم⁴.

¹ الرازي، المصدر السابق، ص26-48؛ الأصفهاني (أبو الفرج عليّ بن الحسين القرشي تـ. 356هـ/967م)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط2، د.م، 1974م، ص364-385؛ الآملي (أبو الحسن عليّ بن بلال ق. 4هـ/10م)، تنمّة كتاب المصايح لأبي العباس الحسيني، تحقيق: عبد الله الحوثي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، ط2، صعدة-اليمن، 2002م، ص463-483.

² الأصفهاني، المصدر السابق، ص406؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص302.

³ تولّى زعامة الحركة الزيدية بعد وفاة الحسين بن عبد الله، وبقيّ متنقلا بين العديد من البلدان متخفيا، إلى أن حاول إقامة دولة علوية في بلاد تركستان، ثمّ في أرض الديلم باليمن، ولكنّ الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) أفضل مشروعه، ودخل معه في مفاوضات وعده فيها بالأمان مقابل الاستسلام، فقبل ذلك واستقرّ بالحجاز، غير أنّ خصومه آثمومه بأنه يدعو لنفسه، فقام الرشيد بنقله إلى بغداد، وحبسه إلى أن توفّي تقديرا بين سنتي 184-186هـ/800-802م. انظر: الرازي، المصدر السابق، ص68-124؛ الآملي، المصدر السابق، ص409-506؛ جرار، المرجع السابق، ص268.

⁴ الرازي، المصدر السابق، ص49، 53، 56؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص407؛ جرار، المرجع السابق، ص269.

وحسب المنصور الزيدي (ت. 614هـ/1217م)¹ فإن مجيء إدريس إلى بلاد المغرب، كان من أجل الدعوة لأخيه يحيى، ولكن لما عرف أخوه العديد من الصعوبات التي حالت دون أن يُقيم دولة علوية في المشرق، بدأ إدريس يدعو لنفسه. ولكن هذا القول، يحتاج إلى إعادة نظر، فإدريس منذ وصوله إلى بلاد المغرب ركّز في دعوته على مظلومية آل البيت، وبيان نسبه الشريف، والتأكيد على حقه في الإمامة²، فإذا كان كلام المنصور صحيحا فهل غير رأيه وهو في مصر³؟ وهذه الفرضية أيضا من الصعب الأخذ بها، لأنّ المدّة التي تفصل افتراقهما ليست بالطويلة حتى يبأس إدريس من فشل المشروع السياسي ليحيى، ويشرع في الدعوة لنفسه. ولذلك بالرجوع إلى الأحداث التي ساقها الرازي عندما تطرّق لبدايات مُغادرة إدريس من المشرق، فإنّه يسرد كلاما يفهم منه عكس ما ذكره المنصور، فيحيى قال لإدريس موصيا إيّاه: "يا أخي إنّ لنا راية في المغرب تُقبل في آخر الزمان، فيُظهر الله الحقّ على أيدي أهلها، فعسى أن تكون أنت أو رجل من ولدك"⁴، وهذا النص يُوحى بأنّ يحيى اتفق مع إدريس منذ البداية على أن الهدف من ذهابه إلى بلاد المغرب، هو محاولة إقامة كيان علويّ مستقلّ. والمهم أنّ إدريس مع راشد رحلا إلى مصر، ومنها إلى مدينة القيروان⁵، وفي نواحيها بدأ إدريس العمل على تجسيد مشروعه السياسي، فقام بمراسلة زعماء العديد من القبائل في بلاد المغرب، ودعاهم إلى نصره قضيتّه، فكان منهم من وعده النصر، والقيام بدعوته، إلّا أنّ نشاطه لفت نظر والي إفريقيّة روح بن حاتم، والإمام الرستمي عبد الوهّاب، ممّا جعله عرضة للتبع والملاحقة⁶، فقام بالانتقال إلى المغرب الأقصى، وهناك لجأ عند زعيم قبيلة أوربة إسحاق بن محمّد ابن عبد الحميد المعتزلي في مدينة ويلي⁷.

¹ المنصور (أبو محمّد عبد الله بن حمزة الحسيني)، الشافعي، حقه واعتنى به وعلّق عليه: مجد الدين بن محمّد المؤيدي، منشورات مكتبة أهل البيت، صعدة-اليمن، 2008م، ج1، ص716.

² الرازي، المصدر السابق، ص56-61؛ المحلي (حميد بن أحمد ت. 652هـ/1254م)، الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى بن زيد المخطوطي، مطبوعات مكتبة مركز بدر، صنعاء-اليمن، 2002م، ج1، ص355-358.

³ الرازي، المصدر السابق، ص53-55؛ البكري، المصدر السابق، ج1، ص303.

⁴ الرازي، المصدر السابق، ص49.

⁵ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص18؛ سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1987م، ص65.

⁶ الرازي، المصدر السابق، ص56-61.

⁷ الرازي، المصدر السابق، ص61؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص302.

وقد وجد إدريس بن عبد الله في قبيلة أوربة المعتزلية السند القوي الذي آمن بقضيته في إقامة كيان علوي، وعمل على تحقيقه في أرض الواقع، فكانت من أولى القبائل التي بايعته في 4 رمضان سنة 172هـ/6 فيفري 789م، ثم بعد ذلك توالى القبائل الأخرى في الدخول تحت طاعته مثل زناتة، وزواغة، ومكناسة، وغمارة وغيرها¹.

وبعد ذلك شرع إدريس في توسيع نفوذ دولته، فقاد حملة إلى مدينة تلمسان في رجب سنة 173هـ/نوفمبر-ديسمبر 789م، وعند اقترابه منها خرج إليه الزعيم المغراوي محمد بن خزر مرحباً به، ومبايعاً له، فقبل إدريس ولاءه، ودخل إلى مدينة تلمسان، ثم بايعته قبيلة بني يفرن، والعديد من الفروع الزناتية الأخرى، وأثناء فترة مكوثه في مدينة تلمسان التي دامت أشهراً، بنى فيها مسجداً، ونقش على منبره نسبة العلوي في صفر سنة 174هـ/جويلية-أوت 790م².

وخلال فترة حكمه قام بتوسيع نفوذه في النواحي الغربية للمغرب الأوسط، فسيطر على بعض المجالات الجغرافية التي كانت تابعة للرسامين في الجهات الغربية لدولتهم³، كما سمح له ولاء الفروع الزناتية التي كانت تستوطن في المناطق الشرقية لمدينة تلمسان⁴، بتبعية المجالات التي كانوا يسيطرون عليها من الناحية الاسمية لدولته. ولما قدم محمد بن سليمان بن عبد الله من المشرق، هارباً من ملاحقات العباسيين للعلويين، عينه والياً على المناطق التابعة له بالمغرب الأوسط⁵.

وعلى الرغم من فقدان الأدارسة لنفوذهم في الجهات الشرقية لمدينة تلمسان، على حساب التوسع الرسامي في عهد الإمام عبد الوهاب⁶، إلا أن إدريس بن إدريس قام بحملة على المغرب الأوسط فيما بين سنتي 199-202هـ/815-818م، أخضع فيها العديد من القبائل الخارجية، ومدّ نفوذ دولته إلى وادي الشلف⁷.

والجدير بالملاحظة هنا، أن سيطرة أبناء محمد بن سليمان على نواحي مدينة تنس القديمة في بداية القرن 3هـ/9م، تشير إلى أن الفرع المقصود من وادي الشلف الذي وصل إليه نفوذ

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص19-20؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص17.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص17، ج7، ص34، ص102.

³ الأمللي، المصدر السابق، ص510؛ الرازي، المصدر السابق، ص50.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص33.

⁵ الأمللي، المصدر السابق، ص510.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38-39.

⁷ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص18.

إدريس بن إدريس، هو الذي يمرُّ غرب هذه المدينة ويصبُّ في البحر¹، ولذلك شكَّلت الجهة الواقعة غرب هذا الوادي منطقة تُخوم تابعة للأغالبة، كانوا يجذِّرون الأدارسة من عدم تجاوزها². وبعد أن وطَّد إدريس بن إدريس أركان حُكمه بالجهات التي ملكها بالمغرب الأوسط، جدَّد ولاية هذه الناحية إلى ابن عمِّه محمَّد بن سليمان، ثمَّ غادر إلى المغرب الأقصى³. وقد سار هذا الوالي وسلالته من بعده في القرن 3هـ/9م، على نفس النهج المذهبي الذي تأسست الدولة الإدريسية عليه، وهو التيار الزيدي على المستوى السياسي، والاعتزال على المستوى العقدي⁴. وإلى جانب الولاية السليمانية، فقد تمكَّن علويان آخران من تأسيس إمارتين مُستقلَّتين بالمغرب الأوسط بين الثلث الثالث من القرن 2هـ/8م، والنصف الأوَّل من القرن 3هـ/9م وهما: محمَّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الذي حكم فيما بين غرب مدينة سوق حمزة (البويرة حاليا)، وشرق بلاد مَتَّيْجَة⁵. والحسن بن سليمان بن سليمان ابن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي امتدَّ حكمه من منطقة سوق حمزة إلى غرب بلاد الزاب⁶ (انظر الملحق رقم: 9).

ثانياً- الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط: مواقعها الجغرافية وسلالات حكامها

اعتلى محمَّد بن إدريس الثاني حُكم الدولة الإدريسية بعد وفاة والده في سنة 213هـ/828م، فأشارت عليه جدُّته لأبيه المسماة بكثرة، أن يُقسِّم دولة والده في شكل مجموعة من الولايات، ويضع إخوته ولاة عليها، بينما يبقى هو مُتولِّي رئاسة الدولة. وبالفعل قام محمَّد بن إدريس بتقسيم ملكه إلى مجموعة من الأقاليم، منها مدينة فاس التي أبقاها لنفسه، وأتخذها عاصمة للدولة

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89؛ ابن جزِّي (أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد الغرناطي تـ. 758هـ/1357م)، الأنوار في نسب آل النبي المختار، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مكتبة سماحة آية الله العظمى، قم-إيران، 2010م، ص 60؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 24.

² ابن خلدون، المقدِّمة، ص 33؛ محمود إسماعيل، الأدارسة (172-375هـ) حقائق حديدية، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1991م، ص 125.

³ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 34.

⁴ ابن حزم (أبو محمَّد عليّ بن أحمد الظاهري تـ. 456هـ/1063م)، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدوِّهم، في رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عبَّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، بيروت-لبنان، 1987م، ج 2، ص 147؛ ابن أبي الرِّجال (أحمد بن صالح تـ. 1092هـ/1681م)، مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة-اليمن، 2004م، ج 3، ص 126؛ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص 54.

⁵ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 44؛ لقبال موسى، زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصاله، العدد: 26، السنة: 4، جويلية-أوت 1975م، ص 95.

⁶ يعقوبي، المصدر السابق، ص 191؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 55.

الإدريسية، ومنها مدينة تلمسان وما والاها من أعمال، فكانت من نصيب أخيه حمزة بن إدريس، وابن عمّه محمد بن سليمان¹.

ولما توفي محمد بن سليمان في سنة 227هـ/842م أو بعدها خلفه ابنه أحمد، فقام بتقسيم ولايته على إخوته²، وبعد ذلك انفصل كل واحد منهم بالجهة التي وُلِّيها، واتخذوها إمارات مستقلة، يتوارثون الحكم فيها³. وتبعهم في هذا التقليد أيضا الأسر العلوية الأخرى التي استقرت بالمغرب الأوسط، فقسّموا المناطق التي حكموها على أولادهم⁴.

وفيما يلي المواقع الجغرافية لعدد مما جاء ذكره في المصادر من المدن والجهات التي سيطروا عليها (انظر الملحق رقم: 8)، وبعض السلالات التي توالى على حكمها في القرن 3هـ/9م.

أ- إمارات بني محمد بن سليمان الحسني:

1- إمارة تلمسان:

خضعت إمارة تلمسان لحكم أحمد بن محمد بن سليمان في الثلث الأول من القرن 3هـ/9م، ثم تولى الحكم بعده ابنه القاسم بن أحمد تقديرا في الثلث الثاني من القرن 3هـ/9م، وبعدها جاء محمد بن القاسم في الثلث الثالث من القرن 3هـ/9م⁵.

وقد عرفت مدينة تلمسان خلال هذا العهد، تطورا عمرانيا ملحوظا، فقد وصفها اليعقوبي خلال حكم محمد بن القاسم قائلا: "المدينة العظمى المشهورة بالغرب التي يُقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة، وخلفه سور آخر حجارة، وبها خلق عظيم، وقصور ومنازل مشيدة"⁶.

2- إمارة فلاوسن:

جاء من ضمن المدن السليمانية التي ذكرها اليعقوبي⁷ مدينة اسمها "فالوس"، وعندما نقل ابن رسته (ت. بعد 300هـ/913م)⁸ هذا النص عنه، جاء هذا الاسم عنده في شكل "فالوسن"، والظاهر أنّ هذين الرسمين مصحّفين من فلاوسن، فهناك جبل يُعرف بهذا الاسم يقع

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 51-52.

² ابن جزّي، المصدر السابق، ص 60؛ Lowck, op. cit., p.177.

³ الأملّي، المصدر السابق، ص 510؛ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شالميتا، ص 264.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 191؛ ابن حزم، جمرة أنساب العرب، ص 55.

⁵ ابن حزم، جمرة أنساب العرب، ص 48.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 196.

⁷ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 196.

⁸ ابن رسته (أبو أحمد بن عمر)، الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1891م، ص 356.

في الشمال الغربي لمدينة تلمسان على بعد حوالي 50 كم، وحسب باسي (Basset)¹ فإن اسم فلاوسن يتكون من كلمتين بربريتين هما: "أفلا": تعني فوق، و"أوسن": تعني القرية، فإذا كان هذا التفسير صحيحا، فقد يكون موقع المدينة، يقع في أعالي الجبل الذي بُنيت عليه، ومن هذا العلو اشتق اسمها.

وأما عن حكامها، فإن المصادر التاريخية-المعتمد عليها في هذا البحث- لم تشر إلى هذا الأمر، إلا أن اليعقوبي أكد على أنها مملكة مُستقلة، ووصفها قائلا: "وأخر مملكة بني محمد بن سليمان... فالوس، وهي مدينة عظيمة، أهلها بَطون من البربر من مطماطة، وترجة، وجزولة، وصنهاجة، وأنجفة، وأنخرة"².

3- إمارَة ترنانا:

اختلفت المصادر الجغرافية في ضبط اسم المدينة التي تُنسب إليها هذه الإمارة، فقد وردت عند ابن حوقل بلفظ "ترفانه"³، وذكرت في بعض المواضع عند البكري⁴، ومن أخذ عنه⁵ باسم "ترنانا"، بينما جاء في موضع آخر عند البكري⁶ اسم لأحد المراسي التي تقع بالقرب من هذه المدينة يسمّى "مرسى ترنانة".

ومّا يرجح هاتين الصيغتين الأخيرتين، وي طرح احتمالية تصحيف اسم هذه المدينة عند ابن حوقل؛ هو وجود قرية في منطقة جبالَة (تابعة لولاية تلمسان) تُعرف حاليا بعين ترنانة، تقع في الجنوب الغربي لمدينة ندرومة على بعد حوالي 15 كم، ويتناسب موقعها مع ما جاء في الجغرافية التاريخية لمدينة ترنانا، فقد حدّد البكري⁷ موقعها في غرب مدينة ندرومة على بعد ثمانية أميال⁸

¹ Basset (R.), Nédrimah et les Tarars, Publication de l'école des lettres d'Alger, Paris, 1901, p.7.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88؛ وتحرّفت في نصّ الإدريسي إلى "برقانة". انظر: المصدر السابق، ج1، ص248.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص263، 264، 266.

⁵ الاستبصار، ص135.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص266.

⁷ البكري، المصدر السابق، ج2، ص263.

⁸ يحدد الميل بالمقاييس الحديثة بـ 1848م، والمرحلة تساوي 24 ميلا، أي 35، 44 كم، ولكن هذه المقاييس لم تكن مضبوطة بهذا الشكل في المصادر الجغرافية، فهي تزيد أحيانا وتنقص أحيانا أخرى. (انظر: زريفي محمد عمران، اليوم والليلة وحدتا قياس غير ثابت ولا مضبوطة في مغرب وأندلس العصر الوسيط، مجلّة كان التاريخية، العدد: 35، مارس 2017م، ص149-153؛ محمد صبحي بن حسن، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء-اليمن، 2007م، ص71)، ولذلك فالمقاربة المقترحة في هذه الدراسة، أن يتمّ حساب هذه المقاييس وفق مجال تقريبي موسع لتقليل نسبة الخطأ، يكون الميل فيه بين 1,5-2 كم، والمرحلة بين 36-52 كم.

(12-16 كم)، ولذلك فقرية ترنانة وأرجائها، مناسبة ليكون موقع مدينة ترنانا التاريخية في منطقتها.

وأما فيما يخص حكام إمارة ترنانا، ففي بداية القرن 3هـ/9م كانت منطقتها من نصيب إدريس بن محمد بن سليمان، وهذا في إطار مجال جغرافي واسع يمتد من الساحل شمالا، وفيما بين منطقة ترنانا شرقا، والجهات الغربية لواد ملوية¹ على الحدود الجزائرية المغربية حاليًا، ثم بعد وفاته قُسم ملكه، فتولّى حكم مدينة ترنانا ابنه عبد الله².

4-إمارة نمالطة:

تنسب المدينة المثلثة لهذه الإمارة إلى إحدى البطون الزناتية المعروفة بنمالطة³، وهي تقع بين مدينة تلمسان غربا ومدينة فلاوسن شرقا، ومنطقتها كانت تحت حكم علي بن محمد بن سليمان، الذي أخذ المجالات الجغرافية الممتدة في الجهة الغربية لمدينة تلمسان، ثم بعد وفاته قُسم ملكه، فكانت مدينة نمالطة وما جاورها من نصيب ابنه محمد، الذي حكم هذه الإمارة في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م⁴.

5-مدينة العلويين:

هذه المدينة كانت تحت حكم إحدى الأسر السليمانية، ولكنهم تنازلوا عليها لأحد شيوخ الفروع الزناتية في منطقة تلمسان، يُقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي، فقام بالاستقرار فيها، وتولّى إدارتها خلال النصف الثاني من القرن 3هـ/9م⁵. وقد اختلف الباحثون في تحديد الموقع الجغرافي لهذه المدينة، فمنهم من جعل مكانها في مدينة صبرة⁶، التي تقع في الجنوب الغربي لمدينة تلمسان على بعد 28 كم، بينما يذهب باحث آخر⁷ إلى أنها هي قرية عين الحوت، التي تقع في شمال مدينة تلمسان على بعد حوالي 7 كم.

¹ الأملّي، المصدر السابق، ص510؛ ابن جزّي، المصدر السابق، ص60؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص35.

² البكري، المصدر السابق، ج2، ص263.

³ ابن خلدون، العبر، ج7، ص69.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص263.

⁵ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

⁶ Basset, op. cit., p.7-8; Marçais, (G.), La Berbérie au IXe siècle d'après El-Ya'qûbî, Revue Africaine, N° 386-389, 1941, p.58.

⁷ عبد الرحيم بن منصور، عين الحوت: مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011م، ص25.

فأمّا القول الأوّل فهو مستبعد، لأنّ اليعقوبي¹ عندما تحدّث عن هذه المدينة، كان متّجهاً إلى مدينة فلاوسن في الشمال الغربي لمدينة تلمسان، وليس للجنوب الغربي الذي يُؤدّي إلى مدينة صبرة. وأمّا القول الثاني، فيبني رأيه على خلفية تاريخية، مفادها أنّ محمّداً بن سليمان عندما جاء إلى منطقة تلمسان، نزل في موضع عين الحوت، ومنها تفرّع نسله، فسُمّيت بذلك مدينة العلويّين². ولكن يبقى هذا الرأي يفتقر إلى الدليل الذي يربط بين قرية عين الحوت الحاليّة، ومدينة العلويّين التي كان يقصدها اليعقوبي، ولذلك من الصعب الذهاب إلى هذا القول. وعلى هذا الأساس، فكلّ ما يُمكن قوله في هذا المقام، أنّ مدينة العلويّين تقع بين غرب مدينة تلمسان وشرق مدينة نمالته³.

6- إمارّة حمّود بن عليّ السليماني:

ذكر ابن حزم⁴ أنّ من سلالة محمّد بن سليمان الذين كانت لهم ممالك في بلاد المغرب، حمّود بن عليّ بن محمّد بن سليمان، ولكنّه لم يشر إلى الجهة أو المدينة التي كان يحكمها، ومع هذا؛ فيمكن تحديد مجالها الجغرافي في النواحي الغربية لمدينة تلمسان، لأنّه أخو محمّد بن عليّ صاحب إمارة نمالته، ونصيبه الذي ورثه من والده عليّ بن محمّد بن سليمان، لا بدّ أن يكون مُجاوراً لهذه الإمارة.

وللإشارة هنا، فإنّ مدينتي فلاوسن والعلويّين، بحكم قرّبهما من مدينة نمالته، من الممكن أن تكون واحدة منهما، تُمثل الإمارة التي حكمها حمّود هذا، إلّا أنّ عدم وجود سند تاريخي يربط حكم هذا الشخص بإحدى المدينتين، مع احتماليّة وجود مُدن سليمانية أُخرى، قد أقام حكمه عليها، اقتضى إفراد عنصر له لوحده، وعدم إدراج اسمه كحاكم مُحتمل للمدينتين المذكورتين.

7- إمارة أرشقول:

يشتمل اسم أرشقول (تُعرف برشقون حالياً) خلال العهد السليماني على مدينة وجزيرة مقابلة لها في البحر⁵، وقد حدّدت بعض المصادر الجغرافية⁶ موقع المدينة بالجانب الغربي لوادي

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

² ابن حزم، المصدر السابق، ص60؛ بلعري، المرجع السابق، ص60.

³ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

⁴ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص48.

⁵ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شالميتا، ص313، 326.

⁶ ابن حوقل، المصدر السابق، ص79؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص260؛ الاستبصار، ص134.

التافنة¹، وعلى بعد نحو ميلين من البحر، وهذا التوصيف الجغرافي يتناسب مع موقع آثار مدينة سيقا (Siga) التي تقع في الجهة الغربية لوادي التافنة على بعد 4 كم من ساحل البحر²، وأما الجزيرة فهي تبعد عن اليابسة بحوالي 2 كم، ومساحتها تُقارب 15 هكتار³.

وتُعتبر جزيرة أرشقول من المناطق الساحلية التي شهدت إستيطاناً فينيقيًا فيما بين منتصف القرن 7 والقرن 5 ق.م، وبعد ذلك يُعتقد أنها هُجرت، وذلك بسبب ازدهار مدينة سيقا خلال القرن 4 ق.م ومينائها الذي كانت تدخل إليه السفن عبر وادي التافنة، ثم في القرن 3 ق.م اتخذها الملك سيفاكس (Syphax) عاصمة لمملكة نوميديا الغربية⁴، وبعد ذلك في العهد الروماني (46 ق.م-429م) استمر ميناء سيقا في أداء وظيفته، وهذا من خلال ربط إنتاج المناطق الداخلية لمنطقة تلمسان بالضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط⁵.

ثم في العهد الإسلامي ظهرت مدينة أرشقول في بداية القرن 3هـ/9م، وهذا بعد تقسيم أبناء محمد بن سليمان ولاية والدهم، فكانت هذه المدينة وما جاورها من نصيب عيسى بن محمد ابن سليمان، وبعد وفاته وليها ابنه إبراهيم بن عيسى، ثم جاء بعده يحيى بن إبراهيم⁶.

8- إماراة عبيد الله السليماني:

كان لهذه المدينة اسم بإحدى اللهجات البربرية، ولكن عندما أشار إليها اليعقوبي⁷، لم يذكر اسمها الأصلي، وإنما أورد معناه بالعربية؛ وهو المدينة الحسنة. والجدير بالتنويه هنا، أن بعض المدن العلوية في منطقة تلمسان تحوّل اسمها إلى "مدينة أو قرية العلويين"⁸، وذلك عندما سيطرت عليها بعض القبائل أو توالى سقوطها مع نهاية العقد الثاني من القرن 4هـ/10م⁹.

¹ ينبع وادي التافنة من جبال تلمسان، ثم يتجه شمالاً إلى أن يصب في البحر قرب مدينة رشقون على بعد حوالي 44 كم غرب مدينة عين تموشنت.

انظر: المدني، المرجع السابق، ص23؛ Niox, op. cit., p.36-38.

² Vuillemot, (G.), Siga et son port fluvial, Antiquités africaines, N. 5, 1971, p.48; Laporte, (J. P.), Siga et l'île de Rachgoun, L'Africa romana, Mobilità delle persone e dei popoli, dinamiche migratorie, emigrazioni ed immigrazioni nelle province occidentali dell'Impero romano, Atti del XVI convegno di studio, Rabat, 15-19 décembre 2004, p.2532-2541.

³ غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص192.

⁴ غانم، المرجع السابق، ص192؛ Vuillemot, op. cit., p.49; Laporte, op. cit., p.2543.

⁵ Laporte, op. cit., p.2543.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص261؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

⁷ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

⁸ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

⁹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص194.

وقد ذكر ابن حوقل قرية باسم العلوّيين في النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، فقال عنها: "ومنها (أي مدينة تلمسان) إلى قرية تُعرف أيضا بالعلوّيين، وهي قرية عظيمة، آهلة على نهر، ولها أجنّة وعيون"¹. وهذا الوصف يندرج ضمن نفس الطريق الذي ذكره اليعقوبي²، ولكن مع الاختلاف في الاتجاه، فاليعقوبي: جاء من الغرب، وذكر "المدينة الحسنة" ثم ربطها مباشرة بمدينة تلمسان، والثاني: جاء من الشرق، وتحدّث عن قرية العلوّيين كأول محطة بعد الخروج من مدينة تلمسان³، ولهذا من المرجح أنّهما كانا يتحدثان عن نفس المحطة، وإنّما الذي تغير بين عصريهما، هو سقوط الإمارات السليمانية في المغرب الأوسط⁴، ممّا جعل اسم المدينة يتحوّل إلى "العلوّيين"، وهذا للدلالة على ماضي من حكموها.

9-مدينة تسفا:

عُرِفَت هذه المدينة أيضا بمدينة العلوّيين، وقد كانت تابعة لإحدى الإمارات السليمانية غير المعروفة، التي تقع في الشمال الغربي لمدينة تيهرت على بُعد ثلاثة أيام منها (108-152 كم)، وتبعد عن البحر بأقل من يوم⁵. والظاهر أنّ هذه المدينة هي التي ذكرها البكري بمدينة العلوّيين، وهذا أثناء وصفه للطريق الذي يخرج من مدينة وهران شرقا، فقال عنها: "من وهران ... إلى قصر منصور بن سنان، ثمّ إلى العلوّيين: وهي مدينة... عليها سور"⁶.

وحسب التوصيف الجغرافي الذي ذكر عنها، فإنّ موقعها يُمكن البحث عنه في النواحي المحاذية لخليج أرزيو في المجال الممتدّ بين جنوب مدينتي مستغانم وأرزيو، وموقعها هذا يجعلها قريبة من مرسى فروخ، ومدينة يبل (تقع غرب مدينة غليزان بجوالي 20 كم) التي تُعتبر إحدى محطات الطريق الرابط بين مُدن حوض الشلف ومدينة تلمسان⁷، وبهذا كانت مدينة تسفا، تُشكّل إحدى المحطّات التي تتفرّع من هذا الطريق، ثمّ يتّجه المسلك الذي يمرّ عليها إلى مدينة وهران.

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص191، 195-196.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88-89.

⁴ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص194.

⁵ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص300-301.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص253-254.

⁷ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192، 195-196؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88-89.

10- إمارة قمتلاس وإيزرج:

لا يُعرف صاحب هذه الإمارة، ولكنها من الإمارات السليمانية المستقلة، تقع في النواحي الشرقية لإمارة عبيد الله السليمان¹، واشتهر لهذه الإمارة مدينتان؛ هما: أ-مدينة قمتلاس²: وهذا نسبة لإحدى الفروع الزناتية المعروفة بهذا الاسم³، وقد كان أغلب سكّانها من قبيلة مطماطة، إضافة إلى فروع أخرى من القبائل البربرية. ب-مدينة إيزرج: تُشكّل قبيلة مطماطة جزءاً من سكّانها⁴، غير أنّها في نهاية القرن 3هـ/9م تملكها أحد زعماء البربر، يقال له إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي⁵.

11- إمارة تنس:

عُرفت مدينة تنس قديماً باسم كارتينا (Cartinna)، حيث كانت من المحطّات التي أسّسها الفينيقيون قبل القرن 4 ق.م⁶، ثمّ في العهد الروماني (46 ق.م-429م) تطوّرت إلى مُستوطنة استقرت فيها العديد من الفرق العسكرية الرومانية، كما انتشرت فيها الديانة النصرانيّة، وأنشئت لأجل ذلك أسقفية أُطلق عليها اسم (Epicopatus Cartenatus)، وبعدها تعرضت للتخريب في بداية العهد الوندالي (429-533م)، ولكن أُعيد ترميمها بعد ذلك، والاستيطان فيها إلى غاية العهد البيزنطي (533-670م)⁷.

وقد استمرت الحياة الاجتماعية في هذه المدينة، عقب الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، وذلك من خلال استقرار بعض الجماعات القبلية بها، كما عرف اسمها تطوراً لغوياً، نتج عنه ظهور اسم "تنس"⁸.

ولمّا قام أولاد محمد بن سليمان بتقسيم الولاية الأدرسية بالمغرب الأوسط على أنفسهم، كانت مدينة تنس من نصيب إبراهيم بن محمد بن سليمان (حيّاً في 256هـ/870م)، وهذا ضمن مجال

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

² ابن رسته، المصدر السابق، ص356.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

⁵ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص88.

⁶ غانم، المرجع السابق، ص196؛ Gsell, op. cit., Feuille: 12, N.20, p.2.

⁷ بن نعمان إسماعيل، مدينة تنس: دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-13هـ/9-19م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار-تخصص

آثار إسلامية، معهد الآثار-جامعة الجزائر، إشراف: علي حملاوي، 2006-2007م، ص15-16.

⁸ بن نعمان، المرجع السابق، ص17.

جغرافي يمتدُّ من سواحل مدينة تنس شمالاً إلى وادي الشلف جنوباً¹، ثمَّ بعدما توفِّي قُسمٌ مُلكه، فتولَّى حكم مدينة تنس ابنه محمَّد بن إبراهيم، ثمَّ جاء بعده يحيى بن محمَّد²، وقد عُثر على بعض النقود التي ضُربت باسمه، جاءت تواريخ ضربها بين سنتي 293هـ و295هـ/ 906 و908م³. وفي عهد أحد الحاكمين السابقين أُسست مدينة تنس الحديثة من طرف جماعات من التجار الأندلسيين في سنة 262هـ/876م⁴.

12- إماراة الخُضراء:

تقع مدينة الخُضراء حسب ابن حوقل⁵ بين مدينتي مليانة وتنس، وتبعد عن الأولى مقدار مرحلة، والملاحظ أنَّ اسم هذه المدينة استمرَّ تداوله في هذه المنطقة إلى العصر الحديث، فقد أشار قزال (Gsell)⁶ إلى منطقة تسمَّى الخُضراء، تقع في الشمال الشرقي لمدينة عين الدفلى على بعد 1,5 كم، وُجدت فيها آثار مدينة أوبدوم نوفوم الرمانية (Oppidum Novum)، التي تأسست في القرن الأوَّل للميلاد، ولذلك يبدو أنَّ طوبونيم الخُضراء، بقي شاهداً على وجود هذه المدينة، إمَّا في موقع المدينة الرومانية⁷ أو في النواحي القريبة منها. وقد خضعت هذه المدينة والنواحي المحيطة بها خلال القرن 3هـ/9م لسلطة إحدى السلالات السليمانية المجهولة⁸. ولعلَّ الاسم العربي الذي عُرفت به، له علاقة بهذه الأسرة الحاكمة، التي ربَّما قامت بتأسيسها أو تجديدها، وأطلقت عليها اسماً عربياً.

13- إماراة مدكرة:

تمثَّل مدينة مدكرة إماراة مستقلة لا يُعرف بالتحديد السلالة السليمانية التي كانت تحكمها، تقع بين مدينة الخُضراء شرقاً، وحصن ابن كرام غرباً⁹، وهذا الحصن تحوَّل اسمه بعد القرن 3هـ/9م إلى سوق كرام، يقع على وادي الشلف شرق مدينة مليانة على بعد مرحلة منها

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192؛ ابن جزِّي، المصدر السابق، ص60؛ Lowck, op. cit., p.179.

² ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

³ Lowck, op. cit., p. 184-185.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص242.

⁵ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

⁶ Gsell, op. cit., Feuille: 13, N.63, p.4.

⁷ يذهب جورج مارسى إلى أنَّ مدينة الخُضراء هي نفسها مدينة أوبدوم نوفوم الرمانية. انظر: Marçais, La Berbérie, p.58.

⁸ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

⁹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192، 196.

(36-52 كم)¹، وعلى بعد مرحلتين من مدينة الخضراء²، ولذلك ربّما تكون مدينة مدكرة، هي الأخرى تقع على وادي الشلف، لتكون واسطة ومحطة للمسافرين، تربط بين حصن ابن كرام ومدينة الخضراء، وبهذا يُفترض البحث عنها في المجال الجغرافي الذي يمرُّ عليه وادي الشلف بين المدن المعروفة حاليا: عين سلطان-خميس مليانة-سيدي الأخضر (ولاية عين الدفلة).

14- إماراة سوق إبراهيم:

تحدّد بعض المصادر الجغرافية³ موقع مدينة سوق إبراهيم على وادي الشلف، وفي النواحي الجنوبية لمدينة تاجنة⁴، ويظهر أنّ هذه المدينة استمرّت وجودها إلى عهد أبي راس الناصري (تـ. 1238هـ/1822م)، ولذلك عندما أشار إليها، تمكّن من تحديد مكانها بدقة، فذكر أنّها تقع "غربي العروسي حيث مكب وادي اسلي في وادي الشلف"⁵، وهذا يعني أنّ مكانها الحالي يقع غرب مدينة وادي السلي على بعد حوالي 5 كم.

وقد كانت هذه المدينة في الثلث الثاني من القرن 3هـ/9م تحت سلطة إبراهيم بن محمد ابن سليمان، وإليه يُنسب اسمها، ولهذا من المحتمل أن يكون هو الذي قام بتأسيسها أو تجديدها، ثم بعد وفاته قسم ملكه، فكانت مدينة سوق إبراهيم وما جاورها من نصيب ابنه عيسى⁶، وتشير بعض المسكوكات المعثور عليها إلى سلالة من حكم هذه الإمارة، وبعض التواريخ التي كان يحكمون فيها، فهناك درهم ضرب باسم عيسى بن إبراهيم في سنة 274هـ/887م⁷، وهذا الأمير هو الذي عاصره اليعقوبي عندما تحدث عن مدينة سوق إبراهيم⁸، ثم بعد وفاته حكمها ابنه القاسم ابن عيسى بن إبراهيم الذي وُجد درهم مضروب باسمه في سنة 281هـ/892م، ثم جاء بعده أخاه أحمد بن عيسى بن إبراهيم الذي ورد اسمه في درهم ضرب سنة 287هـ/900م، وآخر في سنة

¹ ربّما يكون حصن ابن كرام في منطقة حنّاشة، ووادي الشرفاء على الحدود بين ولايتي المدية وعين الدفلى في الجنوب الشرقي لمدينة مليانة.

² ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 241.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 251؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 5.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 247. واسم هذه المدينة يُطلق حاليا على إحدى بلديات ولاية الشلف، تقع في الشمال الغربي للموقع المقترح لمدينة سوق إبراهيم على بعد حوالي 36 كم، وفي الجنوب الغربي لمدينة تنس على بعد حوالي 38 كم.

⁵ أبو راس (محمد بن أحمد الناصري العسكري)، عجائب الأسفار ولطائف الأحبار، تقديم وتحقيق: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأثرولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، د.ت، ج 1، ص 109.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192.

⁷ Lowck, op. cit., p.181.

⁸ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192.

293هـ/906م¹، وقد حدث في عهد هذا الأمير حروب مع ابن عمّه الأمير عبد الله بن محمد ابن إبراهيم، حيث تمّ قتل هذا الأخير فيها².

ب- إمارات بني محمد بن جعفر الحسني:

حكم أبو علي محمد بن جعفر بن الحسن إمارة مستقلة، امتدّت بين مدينة سوق حمزة (البويرة حالياً) شرقاً، وبلاد متيجة غرباً³، ثمّ بعد وفاته اقتسم أولاده ملكه في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، وقد أشار إليهم اليعقوبي عندما تحدث عن بلاد متيجة، فقال: "ثمّ يصير إلى بلد يُقال له متيجة، تغلب فيه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب -عليه السلام- يُقال لهم، بنو محمد بن جعفر، وهو بلد واسع فيه مُدن وحصون، وهو بلد زرع وعمارة"⁴.

وتمتعت بلاد متيجة بموقع جغرافي مهمّ، جعل من مدنها محطّات للقوافل التجارية⁵، فعليها يتفرّع الطريق الذي يمرُّ على حصن ابن كرام في وادي الشلف، ثمّ من هذه البلاد يُمكن المرور على مدنها وحصونها، والاتّجاه شمالاً إلى بعض الموانئ الوسطى للمغرب الأوسط⁶، أو الذهاب في اتّجاه الشمال الغربي إلى مدينة تنس⁷.

ج- إمارة الحسن بن سليمان الحسني:

أسّس الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين إمارة مستقلة في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، امتدّت من نواحي مدينة سوق حمزة شمالاً إلى غرب بلاد الزاب جنوباً⁸، ومن المدن المشهورة التي كانت تحت سلطته؛ مدينة هاز⁹، وهي حسب ابن حوقل¹⁰، تقع على الطريق الرابط بين مدينتي المسيلة وتيهرت، وتبعد عن الأولى بمرحلتين (72-104 كم)، ولذلك فالجبال الجغرافي

¹ Lavoix (H.), Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque nationale: Espagne et Afrique, Imprimerie nationale, Paris, 1891, p. 397; Lowck, op. cit., p.182-183.

² ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص48؛ ابن جرّي، المصدر السابق، ص61.

³ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص44.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

⁵ الاستبصار، ص132.

⁶ المقدسي، المصدر السابق، ص228؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص247.

⁷ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

⁸ البكري، المصدر السابق، ج2، ص246؛ العمري (أبو الحسن علي بن محمد العلوي ق.5هـ/11م)، المجدي في أنساب الطالبين، تحقيق: أحمد المهدي الدامغاني، مطبعة سيد الشهداء، قم-إيران، 1988م، ص211.

⁹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

¹⁰ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85-86.

المتدّد بين منطقتي بوطي السايح والبيرين على الحدود الحاليّة بين ولايتي المسيلة والجللفة، يُمكن أن يكون مناسباً لتموقع مدينة هاز في أرجائه.

وقد مثلت هذه المدينة أولى المدن التي كانت في يد الحسن بن سليمان من ناحية جنوب إمارته، سكنتها قبيلة بني يرانان الزناتية¹، ثمّ امتدّ ملكه غرب بلاد الزاب شمالاً، ليشمل مجموعة من المدن التي شكّلت بعض الجماعات القبلية من صنهاجة وغيرهم جزءاً من تركيبها السكانية². وبعد وفاته خلفه في الحكم ابنه حمزة، تقديراً بين الربع الأخير للقرن 3هـ/9م وبداية القرن 4هـ/10م، ومن الإنجازات التي قام بها، بناؤه لمدينة سوق حمزة التي حملت اسمه³.

وفي نهاية هذا الفصل يتّضح أنّ الحركة المذهبية السياسية التي ظهرت في بلاد المغرب كان لها أثر واضح في تشكيل الخارطة السياسية بالمغرب الأوسط من اندلاع الثورات الصفرية إلى سقوط الدولة الرستمية، فقد قام أبو قرّة المغيلي بتأسيس إمارة صفرية، امتدت مجالاتها بالمغرب الأوسط بين الجهات الشمالية لجبال الونشريس شرقاً ومنطقة تلمسان غرباً.

وأما عبد الرحمن بن رستم، فقد جاء إلى جبل سوفجج أو جبال الناظور حالياً، ثمّ أسّس مع الجماعات الإباضية دولة إباضية، اتخذت من مدينة تيهرت عاصمة لها، وامتدّ نفوذها من منطقة تيهرت إلى مجالات القبائل الإباضية في شمال صحراء المغرب الأوسط، بينما عرفت حدودها الغربية مدّاً وجزراً مع الأدارسة في النصف الثاني من القرن 2هـ/8م، ثمّ في القرن الذي يليه، بقي نفوذها في بعض الجهات الغربية للمغرب الأوسط، مثل منطقة مرسى فروخ.

كما تمكّن إدريس بن إدريس في بداية القرن 3هـ/9م من السيطرة على أجزاء مهمّة فيما بين نواحي تلمسان ووادي الشلف، وجدّد الولاية عليها لابن عمّه محمّد بن سلمان، ثمّ قام أولاد هذا الأخير باقتسام ولايته في الثلث الثاني من القرن 3هـ/9م، وإقامة إمارات مُستقلّة عليها. وإلى جانبهم غرباً، أسّس محمّد بن جعفر إمارة علوية، اقتسمها أولاده أيضاً بين منطقة سوق حمزة وبلاد متيجة في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، ثمّ جاورهم الحسن بن سليمان الذي أسّس إمارته في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م بين منطقة سوق حمزة شمالاً، ومدينة هاز جنوباً.

¹ جاء عند اليعقوبي "يرنيان"، وعند ابن رسته "يرنيان"، والصحيح "يرناتن" كما ذكر البكري، وابن خلدون. انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 191؛ ابن رسته، المصدر السابق، ص 352؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 227؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 78.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص 191؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 227؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 78.

³ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 55؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 246؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص 217.

**الفصل الثاني: الحضور الجغرافي للجماعات المذهبية
بالمغرب الأوسط من بدايات القرن 2هـ/8م إلى نهاية العقد
الثامن للقرن 3هـ/9م**

المبحث الأول: الجماعات الصفرية في المغرب الأوسط

**المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط:
مجالاتها الجغرافية وتوجّعاتها الفكرية**

**المبحث الثالث: التوجّعات المذهبية المزاحمة للجغرافية
الصفرية والإباضية بالمغرب الأوسط**

دخل المغرب الأوسط بعد الفتوحات الإسلامية في فلك دار الإسلام، ثم بعد ذلك عرف الوسط الاجتماعي لهذا المجال الجغرافي تشكّل روابط سياسية وثقافية مهمّة في عهد الدول والإمارات المستقلة (الأغالبة-الرستميون-العلويون)، جعلت منه تحت تأثير التوجّهات المذهبية للكيانات السياسية القائمة في بلاد المغرب، ومُنفتحا على العديد من التيارات المذهبية التي ظهرت في المشرق، وامتدّ انتشارها إلى بلاد المغرب والأندلس.

ولذلك من أجل أخذ تصوّر عن الوضع المذهبي بالمغرب الأوسط في هذه الفترة، يقتضي تتبع الحضور الجغرافي للجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط، ومن هذا السبيل يكون منطلق هذا الفصل طرح إشكالية ماهية التوجّهات العقدية والفقهيّة التي شكّلت الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط من القرن 2هـ/8م إلى قبيل ظهور المشروع السياسي الإسماعيلي ببلاد المغرب في بدايات العقد التاسع للقرن 3هـ/9م؟

المبحث الأوّل: الجماعات الصفرية في المغرب الأوسط

ظهر نشاط الجماعات الصفرية مبكرا في المغرب الأوسط، فقد حاول المعتنقون لهذا التوجّه منذ اندلاع الثورات الصفرية بالمغرب الأقصى في سنة 122هـ/740م، استغلال الظروف السياسية من أجل التمرد على الأنظمة الحاكمة¹. وهنا من المهمّ الإشارة إلى أنّ توزّعهم في مناطق مُتفرّقة، جعل من التحوّلات السياسية التي مرّت عليهم، مرتبطة بالمجالات الجغرافية التي استقروا فيها، ولهذا سيكون الحديث عنهم هنا، مُراعيا لهذه الجزئية في فهم تاريخهم بالمغرب الأوسط.

أوّلا-الصفرية فيما بين نواحي تلمسان ووادي الشلف

تُعَدّ المجالات الممتدّة من النواحي الغربية لمدينة تلمسان إلى وادي الشلف من أهمّ المناطق بالمغرب الأوسط التي انتشرت فيها عقائد الصفرية في الربع الأوّل من القرن 2هـ/8م²، وقد تمكّن أبو قرّة المغيلي الصفري من استغلال هذا الانتشار، وتأسيس إمارة صفرية، ضمّت قبيلة مغيلة، وبني يفرن، والعديد من الفروع الزناتية الأخرى³ (انظر الملحق رقم: 2 و 10)

وقد شهدت الجهات المحيطة بمدينة تلمسان نُزوحا لبعض الجماعات الصفرية التي كانت في نواحي إفريقيّة بعد انهزامهم في معركة القرن بالقرب من مدينة القيروان في سنة

1 ابن خيَّاط، المصدر السابق، ص353، 395، الرقيق، المصدر السابق، ص69، 80.

2 ابن خيَّاط، المصدر السابق، ص353، ابن خلدون، العبر، ج6، ص164، ج7، ص16-17.

3 مفاخر البربر، ص141؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147، ج7، ص17؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص86.

125هـ/743م¹، وتصديّ عبد الرحمن بن حبيب (127-140هـ/745-757م) لثوراتهم في بداية ولايته²، فقام الصقر بن أيّوب الفزاري³ بنقل الجماعات الصفرية التي كانت منضوية تحت قيادته إلى منطقة تلمسان⁴.

ولعلّ أخبار تحرّكات الصفرية في منطقة تلمسان، وإخوانهم في المغرب الأقصى تحت زعامة سليمان بن ذراق المدهمي الهوّاري⁵، قد وصلت إلى عبد الرحمن بن حبيب، فأدرك أنّ أبا قرّة إذا تحالف مع هذين الشخصين، سيؤدي هذا إلى اندلاع تمرد صفري آخر، ربّما ينتج عنه إعادة تكرار ما فعله عبد الواحد بن يزيد وعكاشة بن أيّوب عندما حاصرت جيوشهم مدينة القيروان، فجهّز جيشا، وسار به إلى مدينة تلمسان⁶.

وقبل التطرق إلى أحداث هذه الحملة، من المهمّ الإشارة إلى أنّ ابن خيّا⁷ أورد أخبارها في سنة 130هـ/748م، بينما جاءت عند الرقيق⁸، ومن تبعه من المؤرّخين⁹ في سنة 135هـ/753م، وهنا قد يُطرح السؤال التالي، هل تتحدّث الروايتان عن حملة واحدة أو عن حملتين وقعت كلُّ واحدة منها في سنتها المذكورة؟ وبالنظر إلى العامل المشترك بين الروايتين؛ وهو توجّه عبد الرحمن إلى منطقة تلمسان، ومواجهته للقبائل الموجودة فيها، فهذا يدعم فكرة أنّهما يتحدّثان عن حملة واحدة.

¹ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص104؛ الرقيق، المصدر السابق، ص69-72؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص58-59.

² الرقيق، المصدر السابق، ص73؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص146؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص73.

³ جاء في خضمّ أحداث تمرد عكاشة بن أيّوب بقابس سنة 124هـ/752م، ذكر أخ له لم يُصرّح باسمه، قد يكون هو الصقر بن أيّوب، أرسله إلى السوق القديم الذي يُعرف بسيرت أو صيرة بالقرب من مدينة طرابلس، فقام بمحاصرة أهلها إلى أن جاء إليه أمير طرابلس صفوان بن أبي مالك، فقتل عددا كبيرا من أصحابه، واضطره إلى الهروب إلى أخيه في قابس، ثمّ بعد مقل عكاشة في معركة القرن تولى الصقر بن أيّوب زعامة الجماعات الصفرية في إفريقيّة. انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص96-97؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص184.

⁴ ابن خيّا، المصدر السابق، ص395.

⁵ ذكر ابن خيّا نسبة بصيغة المرهبي، وهي في الغالب مُصحّفة من اسم المدهمي، وهو الفرع الذي ينحدر منه عبد الواحد بن يزيد الهوّاري، وبهذا يكون سليمان بن ذراق تزعم قبيلة هوارة، وربّما حتّى جماعات صفرية أخرى بالمغرب الأقصى، بعد مقتل عبد الواحد في سنة 125هـ/743م. انظر: ابن خيّا، المصدر السابق، ص395؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص104؛ الرقيق، المصدر السابق، ص70-71.

⁶ ابن خيّا، المصدر السابق، ص395.

⁷ نفسه، ص395.

⁸ الرقيق، المصدر السابق، ص76.

⁹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص501؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص61؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص243.

كما أنّ جهود عبد الرحمن لإخماد ثورة الإباضية في نواحي طرابلس، ومُواجهة من أردوا عزله في مدينة القيروان بين سنتي 129-131هـ/747-749م¹، تجعل من الصعوبة أن يقود جيشاً إلى منطقة تلمسان في سنة 130هـ/748م، ويترك الأوضاع مُضطربة في ناحيته، ولذلك عندما تحدّث الرقيق² عن حملة عبد الرحمن على تلمسان، وضعها بعد قضائه على الثورات التي اندلعت في إفريقيّة، وهذا ما يجعل السياق التاريخي لسنة 135هـ/753م مناسباً لوقوعها.

وقد قام عبد الرحمن بن حبيب في هذه الحملة بالاستيلاء على مدينة تلمسان، ثمّ جاءه الصقر ابن أيّوب مع جيشه، فبادر بالخروج إليه، ودخل الطرفان في معركة انهزم فيها الصفرية، وقُتل فيها قائداهم الصقر بن أيّوب. وبعد ذلك جاء سليمان بن ذُراق بجيشه إلى نواحي تلمسان، ولكنّه فيما يبدو عندما وجد جيش الصقر قد هُزم، عرف أنّه لن يتمكّن من مُواجهة عبد الرحمن لوحده، فرجع أدراجه تاركاً المجال لعبد الرحمن الذي واصل إخضاع قبائل هذه الناحية³.

وبعد هذه الواقعة، استطاعت الجماعات الصفرية فيما بين منطقة تلمسان ووادي الشلف اغتنام فرصة خُروج بلاد المغرب من نُفوذ العبّاسيّين في سنة 139هـ/756م لاسترجاع قوّتها واستقلالها السياسي⁴. ولكنّ هذا الحال لم يدم طويلاً، إذ ما لبثت الظروف القبلية والجيوسياسية في منطقتها أن تتغير في بدايات النصف الثاني من القرن 2هـ/8م.

ولفهم هذه التحوّلات القبلية من المفيد معرفة المشروع التوسعي لقبيلة مغراوة الزناتية فيما بين وادي الشلف ومدينة تلمسان. فهذه القبيلة كانت المجالات المحاذية لوادي الشلف من مواطنها الرئيسيّة⁵، ولما انتشرت عقائد الإباضية ببلاد المغرب في القرن 2هـ/8م، كانت من القبائل المعتنقة لها⁶.

¹ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص389؛ الرقيق، المصدر السابق، ص75؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص500-501.

² الرقيق، المصدر السابق، ص76.

³ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص395؛ الرقيق، المصدر السابق، ص76.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص74، 77.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص33، 78، 116.

⁶ تُعتبر النصوص التاريخية التي أشارت لمذهبية قبيلة مغراوة خلال هذه الفترة شحيحة جدّاً، فمنها ما ذكره ابن خلدون عندما تحدّث عن القبائل التي فشت فيها عقائد الإباضية والصفرية، فذكر منهم قبيلة مغراوة، لكنّه لم يحدّد أيّ التوجهين أخذت (انظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص213)، إلّا أنّ قبائل مغراوة وزعمائهم من بني حزر ظهوروا على المذهب الإباضي في النصف الأوّل من القرن 4هـ/10م، وهذا ما يرجّح اعتناق أسلافهم لهذا التوجّه منذ القرن 2هـ/8م. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص201؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص19، 69؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص432.

وخلال فترة الثورات الصفرية، والإباضية في بلاد المغرب في الربع الثاني من القرن 2هـ/8م، استغلَّ زعيمها خزر بن حفص بن صولات مشاركة القبائل في هذه الثورات، وشرع في توسيع نفوذه على باقي الفروع الزناتية بالجهات الغربية للمغرب الأوسط¹. ثمَّ بعد ضعف قبيلتي مغيلة وبني يفرن نتيجة مشاركتهما في ثورات أبي قرّة الصفري²، تمكّنت قبيلة مغراوة بين سنتي 154-173هـ/771-789م من إخضاع قبيلة بني يفرن، والاستيلاء على مدينة تلمسان، واعتلاء زعامة الفروع الزناتية في هذه الناحية³، وبهذا تمكّن الجناح الإباضي في زناتة من السيطرة على نظيره الصفري.

ومن الممكن أنَّ كلاً من وُلاة الخلافة العباسية في بلاد المغرب، وإدريس بن عبد الله، أدركوا أنَّ ضمان ولاء قبيلة مغراوة لهم، يعني سيطرتهم على قبيلة بني يفرن، والعديد من الفروع الزناتية الأخرى في النواحي الغربية للمغرب الأوسط. ولذلك من المتوقع أنَّ محاولة إخضاع هذه القبيلة، بدأت مع والي إفريقية يزيد بن حاتم (155-170هـ/771-787م) الذي أبان عن إرادة واضحة في السيطرة على القبائل العاصية خلال حملته العسكرية بالمغربين الأوسط والأقصى⁴، وحتّى لو لم يتمكّن من إخضاعها، فإنَّ وُلاة الخلافة العباسية في بلاد المغرب قد استطاعوا كسب ولائها، ومن ثمَّ ولاء قبيلة بني يفرن قبل سنة 173هـ/789م⁵.

ثمَّ بعد قدوم إدريس بن عبد الله إلى مدينة تلمسان في شهر رجب/نوفمبر-ديسمبر من هذه السنة، مُجرّد ما بايعه محمّد بن خزر زعيم قبيلة مغراوة، تبعته الفروع الزناتية الموالية له، ومن بينها قبيلة بني يفرن⁶.

وقد كان لهذا الولاء السياسي انعكاسات على المستوى الفكري عند القبائل الصفرية في هذه الناحية، ففي حملة إدريس بن إدريس التي وصلت إلى وادي الشلف بين سنتي 199-202هـ/815-818م⁷، جاء في كلام ابن خلدون عن القبائل التي دخلت تحت طاعته في هذه

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص34.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص77؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص18؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص77-80.

³ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص34؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص142.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص16؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص80.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص17؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص142.

⁶ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص17، ج7، ص102.

⁷ نفسه، ج4، ص18.

الناحية: "وانتظمت كلمة البرابرة، وزناتة، ومحو دعوة الخوارج منهم"¹. وللأسف لم يوضح ابن خلدون أسماء هذه القبائل، وانتماءاتها المذهبية بين صفرية أو إباضية، ولكن المجال الجغرافي الواسع الذي وصلت إليه الحملات الإخضاعية التي قادها إدريس بن إدريس في هذه السنوات الثلاث، يسند احتمالية أن القبائل كانت من التوجهين الصفري والإباضي.

هذا؛ وعندما استدللّ بعض الباحثين بهذا النص، اختلفت آراؤهم في تفسير الآثار المذهبية المترتبة عنه، فمنهم من ذهب² إلى إن القبائل الخارجية في هذه المنطقة، تخلّت عن معتقداتها، ثمّ في عهد السليمانيين اعتنق كثير منهم المذهب الزيدي. بينما يرى آخر³ أن إدريس بن إدريس حارب القبائل الصفرية لتطرفهم، فتحوّلوا إلى اعتناق عقائد الإباضية، لأنها مثلت تياراً مذهبياً معتدلاً. وهناك قول ثالث⁴ يميل إلى أنّهم تحوّلوا إلى التوجّه السنّي.

ولكن بالاطّلاع على مفهوم "الدعوة الدينية" الذي نظّر بها ابن خلدون لإحدى المرتكزات التي قامت عليها الدول الإسلامية في العصر الوسيط، يتّضح أنّها تلك المبادئ المذهبية التي تعتمد عليها الحركات الثورية لشرعنة أفعالها، وكسب تأييدها من أجل الوصول إلى الحكم، أو التي تقرّها الدّول من أجل تحديد المسارات التي تُشكّل هويتها الدينية⁵.

ولذلك لا يُفهم من نصّ ابن خلدون أنّ القبائل في هذه الناحية تركت عقائدها، وإنّما قد يكونوا تخلّوا عن محاولة الدعوة لتنظيم ثورات مذهبية جديدة، مثلما حدث بالنسبة للصفرية في زمن ميسرة المطغري⁶، وخالد بن حميد الزناتي⁷، وأبي قرّة المغيلي⁸، ورضوا أن تسوسهم الدولة الإدريسية ثمّ حكّام الإمارات السليمانية بعد استقلالهم السياسي عن الأدارسة⁹. وهذا التحوّل

¹ ابن خلدون، العبر، ج4، ص18.

² محمود إسماعيل، الأدارسة، ص144، 146.

³ بهلوي، المرجع السابق، ص240-241.

⁴ الدراجي بوزيان، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل، الجزائر، 2011م، ج1، ص72. لم يعتمد بن عميرة على نص ابن خلدون المذكور أعلاه بصفة مباشرة، ولكنه يرى بأنّ زناتة التي تقع بين الدولتين الرستمية والإدريسية تحوّلت إلى التوجّه السنّي. انظر: المرجع السابق، ص156.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص199، 202؛ الشكعة مصطفى، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة-مصر، 1992م، ص91-92.

⁶ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص94-95، 99؛ الرقيق، المصدر السابق، ص67.

⁷ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص98-99؛ الرقيق، المصدر السابق، ص67.

⁸ ابن خياط، المصدر السابق، ص389، 395؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص74، 77.

⁹ الأملّي، المصدر السابق، ص510؛ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص264.

في مستوى الرؤية السياسية لديهم، لا يجب التقليل من شأنه، لأن القبائل الصفرية رضخت لأن تتخلى عن مشروعها في إقامة كيان سياسي مستقل بهذه الناحية.

ثانيا-الصفرية في مدينة تيهرت ونواحيها

دخل تحت الحكم الرستمي العديد من الجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط¹، وقد شكّلت الصفرية مكونا من هذه الطوائف التي تشابقت وضعيتهم السياسية، مع ما حدث لإخوانهم في المذهب بين نواحي تلمسان ووادي الشلف، فمثلا خضع صفرية هذه الجهات للأدارة²، وكذلك دانت الجماعات الصفرية التي خضعت للسلطة الرستمية بالولاء لأئمتها³، وبهذا أضحووا من أهل هذه الدولة الذين لهم الحق في استيطان عاصمتها، والمشاركة في قضاياها الداخلية⁴.

ومن الأمور المهمة التي ساعدتهم في الحفاظ على هويتهم المذهبية، انتهاج الأئمة الرستميين سياسة اللين تجاه الجماعات المذهبية التي عاشت تحت حكمهم⁵، فكانت الطائفة الصفرية من المستفيدين من هذا التسامح، ولذلك تمكّنوا من العيش في مدينة تيهرت، من دون أن يجدوا ما يُهدّدهم أو يُرغمهم على ترك عقائدهم، وبهذا استطاعوا الحفاظ على وجودهم في هذه المنطقة حتى إلى ما بعد سقوط الدولة الرستمية⁶.

كما أنّ العلاقات السياسية كانت حسنة بين الدولتين الرستمية وبني مدرار بسجلماسة⁷، وعرفت التبادلات التجارية في هذه الفترة ازدهارا ملحوظا بين مدينة تيهرت ومُدن المغرب

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص82، 92، أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102، 169.

² ابن خلدون، العبر، ج4، ص18، ج7، ص102.

³ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص169؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص140.

⁵ للاطلاع أكثر على سياسة الأئمة الرستميين مع الأقليات المذهبية في مدينة تيهرت. انظر: محمود إسماعيل، الخوارج، ص294-297؛ مطهري فطيمة، مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م)، مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية-جامعة أبي بكر بلقايد، إشراف: معروف بلحاج، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص227-231؛ بنغاز إبراهيم، تيهرت الرستميين، عاصمة التسامح، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث بغرداية، العدد: 24، رمضان 1400هـ/جوان 2019م، ص93-99.

⁶ مجهول، كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (الجزء الرابع)، عُني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: عمر السعدي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق-سوريا، 1973م، ص242.

⁷ عن العلاقات الرستمية المدرارية. انظر: جودت، المرجع السابق، ص210-217؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص138-141؛ الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م، ص206-208.

الأقصى ومدينة سجلماسة¹، ولذلك من المتوقع أن العاصمة الرستمية قد توافد عليها من هذه الجهات الكثير من التجار، ومنهم من كان على التوجّه الصفري، وربما هناك من استقرّ في هذه المدينة، واتخذها وطناً له، فقد كانت هذه المدينة معروفة بظاهرة استقرار الغرباء فيها منذ عهد عبد الرحمن بن رستم، قال ابن الصغير: "ليس أحد يتزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامه، وعدله في رعيته"².

وأما في النواحي الجنوبية لمدينة تيهرت، فقد جاء ذكر بعض الجماعات الصفرية في بداية عهد الإمام أبي حاتم بن أبي اليقظان (281-294هـ/894-906م) ضمن قبائل الصحراء، ولما طرد أبو حاتم رجلين نافذين من مدينة تيهرت، هما محمد بن رباح، ومحمد بن حماد، وقعت فتنة بينه وبين المطالبين برجوعهما إلى المدينة، ثم بعد اصطفاف العديد من القبائل الصحراوية مع أبي حاتم، كان على الجماعات الصفرية أن تتخذ موقفاً من هذه الفتنة، فاختارت الوقوف في صفّ المعارضين لأبي حاتم، ثم اتجهوا مع أهل حصن تالغمت³ إلى مدينة تيهرت للمحاربة معهم، ولكنّ مساندة القبائل الإباضية وغيرها لأبي حاتم جعلته يتمكن من مواجهة معارضييه، ويفرض نفسه كقوة في مجريات هذه الفتنة⁴.

ثالثاً- قبيلة ورفجومة في النواحي الشرقية للمغرب الأوسط

ترجع الأصول العرقية لقبيلة ورفجومة إلى نفاوة أو نفزة التي تنحدر من إحدى فروع بني لؤا الأكبر بن زُحيك بن مادغيس الأبر⁵، وقد كانت مواطن قبيلة ورفجومة تقع في النواحي الشرقية لجبل الأوراس⁶ (انظر الملحق رقم 10). وخلال العقود الأولى من القرن 2هـ/8م دانت

¹ للاطلاع أكثر على التواصل التجاري بين مدينة تيهرت ومُدن المغرب الأقصى ومدينة سجلماسة. انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص196-198؛ جودت، المرجع السابق، ص203-210، 224-230؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص265-281؛ Lewicki, L'État nord-africain de Tāhert, p.527-529.

² ابن الصغير، المصدر السابق، ص31-32.

³ ذكر الباروني أنّه وقف على موقع حصن تالغمت في نواحي وادي ميزاب، وحسب مُحققِي كتاب أخبار الأئمّة الرستميين، فإنّ هذا المكان يُعرف حالياً بقرية تيلغمت الواقعة شرق مدينة حاسي الرمل (ولاية الأغواط) على بعد حوالي 3كم. ولكن بالرجوع إلى اللّهجات البربرية، فإنّ منها من تنطق اسم الناقة بتالغمت وتيلغمت، ولذلك قد يكون الاختلاف في التأنيث بين اسم حصن تالغمت وقرية تيلغمت، يدلّ على وجود مكانين مُختلفين، ارتبط اسمهما باللّهجة الخاصّة لكلّ منطقة، ولهذا يبقى موقع حصن تالغمت يحتاج إلى مزيد من البحث في الجهات الجنوبية لمنطقة تيهرت. انظر: الباروني، المرجع السابق، ص322؛ ناصر وبحاز، ص94؛ هامش: 161؛ Basset, Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla, p.46; Ibid, Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis, p.81.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص118-119؛ ضيف الله محمّد، نوافذ على تاريخ نفاوة، المغاربية للطباعة، تونس، 2008، ص21-22.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص131؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص150. Gautier, op. cit., p.293.

هذه القبيلة بعقائد الصفرية¹، ولكن لا يُعرف متى وكيف جرى هذا بالضبط؟ ولم اعتنقت هذا التوجّه، في حين غلب انتشار عقائد الإباضية في عامّة القبائل النفاوية الأخرى²، التي تقع المجالات الرئيسية لها بين جنوب وغرب شط الجريد³؟

وقد تكون الإجابة عن هذا السؤال الأخير في العامل الجغرافي، فربّما أدّى انفصال قبيلة ورفجومة عن الكتلة النفاوية، جعل من مسارات التلقي لعقائد الصفرية والإباضية مختلفة بينهما. على أنّ هذا الانفصال الجغرافي والاختلاف المذهبي، لم يمنع من وجود تحالفات بين قبيلة ورفجومة وفروع إباضية أخرى من القبائل النفاوية⁴.

ظهرت قبيلة ورفجومة كقوة لها وزنها العسكري بعد الأحداث التي تمكّن فيها حبيب ابن عبد الرحمن بن حبيب من الإطاحة بحكم عمّه وقاتل والده إلياس بن حبيب، وتولّى زمام حكم إفريقيّة بعده في سنة 138هـ/756م⁵، فهرب من كان مع إلياس، ومن بينهم أخوه عبد الوارث، ولجؤوا إلى قبيلة ورفجومة، فقام حبيب بمراسلة زعيمها عاصم بن جميل، يأمره بتسليم الهاربين إليه، ولكنّ عاصم رفض هذا الطلب. فخرج حبيب مع جيشه قاصداً مُعاقبة عاصم بن جميل على فعلته هذه، إلّا أنّ الزعيم الورفجومي مع أتباع إلياس بن حبيب الذين هربوا إليه، قاموا بالتصدي له، وردّه مُنهزماً إلى مدينة قابس⁶.

وبعد هذا الانتصار حثّ أتباع إلياس بن حبيب وأخيه عبد الوارث عاصم بن جميل على الاستيلاء على مدينة القيروان⁷، ففتح هذا الاقتراح أعين الورفجوميين على استغلال فرصة الاضطرابات السياسية التي أحدثتها الأسرة الفهرية من أجل اعتلاء حكم إفريقيّة، وتحقيق ما فشل فيه الصفرية قبلهم تحت زعامة عبد الواحد بن يزيد الهوّاري، وعكاشة بن أيوب الفزاري في سنة 125هـ/743م⁸.

¹ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص160؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص70؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص39.

² الشّمّاخي، السير، ص147، 202؛ ضيف الله، المرجع السابق، ص52؛ باجية، المرجع السابق، ص33.

³ ضيف الله، المرجع السابق، ص21-22؛ Prevost (V.), L'apport des sources ibadites à la toponymie médiévale du Nafzāwa (Sud Tunisien), Al-Andalus Maghreb, N. 19, 2012, p.362.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص150.

⁵ الرقيق، المصدر السابق، ص78، 80؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص69.

⁶ الرقيق، المصدر السابق، ص80؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص502.

⁷ الرقيق، المصدر السابق، ص80.

⁸ ابن خياط، المصدر السابق، ص355؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص103-104.

وقد لاقى مشروعهم هذا استجابة واسعة من طرف القبائل النفاوية، والعديد من القوى القبلية الأخرى¹، وحسب ابن خلدون² فإن من زعماء نفاوة الإباضية الذين شاركوا في تمرد عاصم بن جميل هما عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم شيخ قبيلة ولهافة، ولكن هناك نصوص أخرى³ تذكر أن عبد الملك كان ورفجوما، وهذا ما يجعله صفريا وليس إباضيا، ومما يرجح هذا الرأي الأخير، توليه زعامة قبيلة ورفجومة بعد مقتل عاصم بن جميل⁴، ولذلك فنصّ ابن خلدون الذي يذكر فيه إباضية عبد الملك، لعلّ الوهم فيه نابع من خلال جمع اسمه مع الزعيم الإباضي يزيد بن سكوم⁵.

وبالعودة إلى مجريات الأحداث، فقد توجه عاصم بن جميل إلى مدينة قابس لمواجهة حبيب ابن عبد الرحمن في سنة 139هـ/756م، ولكن القاضي أبا كريب جميل بن كريب الذي استخلفه حبيب على القيروان، جهّز جيشا، وعندما اقترب عاصم بن جميل من ناحية هذه المدينة خرج لقتاله، فلما اجتمع الجيشان انشق جماعة من الجيش القيروان، وانضموا إلى عاصم بن جميل، ثم في أثناء المعركة افترق الكثير ممن كانوا مع جميل بن كريب، ورجعوا إلى مدينة القيروان، وأما من بقي منهم فقد انهزموا، فقتل جميل بن كريب، وكثير ممن كان معه⁶.

وبعد ذلك دخل عاصم بن جميل وحلفاؤه من نفاوة إلى مدينة القيروان وسيطروا عليها، ثم قام عاصم بتعيين عبد الملك بن أبي الجعد مسيرا لشؤونها، وتوجه إلى مدينة قابس، فألحق الهزيمة بحبيب بن عبد الرحمن، غير أن هذا الأخير استطاع أن يهرب، ولجأ إلى أحواله في جبل الأوراس، فتبعه عاصم بن جميل، وحدثت مواجهة أخرى بينهما، كانت نتيجتها مقتل عاصم، وكثير من أصحابه، ثم حاول حبيب بن عبد الرحمن بعد هذا الانتصار استرجاع مدينة القيروان، ولكن عبد الملك بن أبي الجعد الذي تزعم قبيلة ورفجومة، خرج إليه وتمكّن من قتله وهزيمة جيشه في محرم سنة 140هـ/ماي-جوان 757م⁷.

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص502.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص146، 150.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص502؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص503؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص71؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص38.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص146.

⁶ الرقيق، المصدر السابق، ص80-81؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص172.

⁷ الرقيق، المصدر السابق، ص81؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص503؛ Fournel, op. cit., t.1, p.348-349.

ولما حكمت قبيلة ورفجومة مدينة القيروان، أبانت عن طبيعة الصفرية التي تستحلّ دماء وأعراض مُخالفينهم، قال الرقيق واصفا أفعالهم: "فاستحلّوا المحارم، وارتكبوا العظائم،... [و] قتلوا من كان بها من قريش، وساموهم سوء العذاب، وربطوا دوابهم في المسجد"¹. فلما سمع إمام الإباضية أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بتصرفاتهم، جهّز جيشا، وسار به إلى مدينة القيروان، ولما علم عبد الملك بن أبي الجعد بقدمه، أرسل له جيشا، فقام أبو الخطاب بهزيمته، ثمّ خرج عبد الملك مع قبيلة ورفجومة وجماعة من أهل القيروان لمواجهة الإباضية، غير أنّهم انهزموا وقتل زعيمهم عبد الملك، وبعد ذلك قام أبو الخطاب بالسيطرة على مدينة القيروان، وطرّد قبيلة ورفجومة منها في صفر سنة 141هـ/جوان-جويلية 758م².

وعندما قام والي إفريقيّة عمر بن حفص بتجديد مدينة طبنة في سنة 154هـ/771م، أنزل قبيلة ورفجومة في نواحي بلاد الزاب³، ولعلّ الهدف من وراء هذا الإجراء هو تشديد المراقبة عليهم، فاستقرارهم في جبل الأوراس يصعب مهمّة حراستهم، كما يمكن أيضا أنّه منحهم بعض الأراضي الخصبة في نواحي بلاد الزاب من أجل استمالتهم، والتحالف معهم.

ولكن أثناء مُحاصرته في مدينة طبنة من طرف العديد من القوى الصفرية والإباضية في هذه السنة⁴، اغتنمت قبيلة ورفجومة هذه الاضطرابات السياسية، وبدأت في الاستيلاء على الثروات الموجودة في بلاد الزاب، حتّى "عظم غناؤها" على حدّ تعبير ابن خلدون⁵.

ثمّ ثارت قبيلة ورفجومة في سنة 157هـ/773م تحت زعامة أبي زرجونة ببلاد الزاب⁶، فوجّه إليهم والي إفريقيّة يزيد بن حاتم قائده العلاء بن سعيد المهلبي، وأمر ابنه المهلب الذي كان واليا على إقليم الزاب وكتامة أن ينضمّ إليه، وبعدها استطاع هذا الجيش هزيمة أعدائه من قبيلة ورفجومة، وتتبعوهم حتّى قضى على آخرهم⁷. وفيما يبدو حدّت هذه الهزيمة كثيرا من القوّة العسكرية لقبيلة ورفجومة، ممّا جعلها تخضع لحكم ولاية إفريقيّة، ثمّ الأغلبة بعدهم.

1 الرقيق، المصدر السابق، ص81.

2 أبو زكرياء، المصدر السابق، ص60-63؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص503.

3 النويري، المصدر السابق، ج24، ص42؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص151.

4 الرقيق، المصدر السابق، ص81.

5 ابن خلدون، العبر، ج6، ص151.

6 نفسه، ج6، ص148.

7 الرقيق، المصدر السابق، ص93.

المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط: مجالها الجغرافية وتوجهاتها الفكرية
عرفت عقائد الإباضية انتشارا واسعا بالمغرب الأوسط في القرن 2هـ/8م، إلا أن هذا التوجه المذهبي لم يبق موحدا فكريا، فقد شهدت الساحة الإباضية ببلاد المغرب ظهور العديد من الفرق الإباضية. ولذلك سنحاول في هذا المبحث، تسليط الضوء على ما كشفته المصادر من الجغرافية الإباضية بالمغرب الأوسط، والتعرف على خلفيات ظهور أهم التوجهات الفكرية الإباضية بالمغرب الأوسط، وجانب من المناطق التي انتشرت فيها.

أولا- التوزع الجغرافي للجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط

سُمِّتْ منطقة تيهرت نقطة الانطلاق في الحديث عن جانب من الجغرافية الإباضية بالمغرب الأوسط¹، وذلك باعتبار المكانة السياسية، والروحية لمدينة تيهرت خلال العهد الرستمي، فقد شهدت هذه الناحية انتشارا مهماً لعقائد الإباضية بين قبائلها قبل قدوم عبد الرحمن بن رستم إلى جبل سوفجج في بداية سنة 144هـ/761م²، وبعد هذه الفترة، تدعّم الوجود الإباضي في مدينة تيهرت، وهذا لعدة أسباب، منها:

- الفرار من المتابعات التي مارسها ولاة إفريقية تُجاه الجماعات الإباضية في نوحى المغرب الأدنى، فيما بين ولايتي محمد بن الأشعث وداود بن يزيد بن حاتم (170-171هـ/خلال سنة 787م)³، ولذلك -على الغالب- كانت الجماعات الأولى منهم، من المؤسسين رُفقة عبد الرحمن بن رستم، والقبائل الإباضية المحلية لمنطقة تيهرت⁴، ثم تلاحقت جماعات أخرى منهم على فترات متفرقة.
- وجود أسباب عسكرية، وإدارية، وهذا مثلما حدث مع الجماعات النفوسية الذين قدموا إلى مدينة تيهرت من أجل أن يُوفروا الحماية للأسرة الرستمية الحاكمة، ويتولّوا المناصب الإدارية⁵، فكان لهم في مدينة تيهرت جهة خاصّة بهم، تُعرف بعدوة نفوسة، وقد قاموا في عهد أبي بكر ابن أفلح (258-261هـ/872-875م)، بتدشين أسوار حولها⁶.

¹ عن توزع الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط في القرن 3هـ/9م. انظر الملحق رقم: 10.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

³ ابن سلّام، المصدر السابق، ص128؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص40، 46، 47؛ Prevost, Abd al-Rahman ibn Rustum, p.52.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص25؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁵ ابن الصغير، المصدر السابق، ص54، 61؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص155.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص72.

—قدومهم لأسباب اقتصادية، وثقافية، فلا شك أن النمو الاقتصادي، والنشاط الثقافي الذين عرفتهما مدينة تيهرت خلال العهد الرستمي¹، جعل الإباضية يتوافدون عليها من أجل تحصيل الرزق أو التدرج في مراتب العلم.

وأما في المجالات المحيطة بمدينة تيهرت، فقد استقرت فيها العديد من القبائل الإباضية، منها: قبيلة مطماطة التي امتدت مجالاتها من النواحي الشرقية لمدينة تيهرت إلى الجهات الغربية لجبال الونشريس²، ثم تجاوزت بجانبها في النواحي الشرقية لمدينة تيهرت قبيلة زناتة، ومكناسة³، وأما في الجهة الغربية للعاصمة الرستمية، فقد استوطنتها قبيلة زواغة⁴، وهذه الجهة يمر عليها وادي مينة (انظر الملحق رقم: 7)، فربما اختارت قبيلة زواغة الاستقرار في هذه المنطقة للاستفادة من مياه هذا الوادي.

ثم في الناحية الجنوبية لمدينة تيهرت، توزعت قبيلة لواتة التي بدأت مجالاتها بالقرب من هذه المدينة، وبعدها امتدت على جوانب وادي مينة إلى النواحي القريبة من منابعه في منطقة تاسلونت، وكان لهذه القبيلة حصن يُعرف باسمها يقع على بعد أميال من منطقة تاسلونت⁵.

ولتقريب هذا التحديد المحلي وفق ما عليه الجغرافية الحالية، فإن وادي مينة تأتي منابعه من ناحية مدريسة وغرب جبال فرندة⁶، ولذلك فإن منطقة تاسلونت قد تكون تمثل كامل هذه المنطقة أو جزءا معتبرا منها، وبعدها يتجه وادي مينة شمالا، محترقا سهل السرسر، فيعبر على منطقة توسنية ثم ملاكو إلى أن يخترق جبل جزول في جنوب مدينة تيهرت⁷.

وفي الجهة الغربية لقبيلة لواتة، توزعت قبيلة هوارة، فكان فرع الأوس منهم، مُستقرا بجانب مدينة تيهرت، وأما الفروع الأخرى فكانت تستوطن بجانب وادي هوارة الذي يبعد عن مدينة

¹ للاطلاع أكثر عن الأوضاع الاقتصادية والثقافية في مدينة تيهرت خلال العهد الرستمي. انظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص368-369؛ مطهري، المرجع السابق، ص148-179، 227-302؛ قرواش سميّة، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160-296هـ/777-909م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم العلوم الإنسانية-جامعة الجليلي اليايس بسبيدي بلعباس، إشراف: خالد بلعربي، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص83-155.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، 162، 164.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، ص91؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، 160.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص100؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁵ ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

⁶ المدني، المرجع السابق، ص22؛ Bernard (M.), Les Djedar de la Haute-Mina, Revue Africaine, N. 1, 1856, p.50; Barlette, op. cit., p.314.

⁷ Niox, op. cit., p.49; Barlette, op. cit., p.292, 311.

تيهت غربا بعشرة أميال¹ (15-20 كم)، ويظهر أنّ مجالها امتدّت جنوبا إلى نواحي جبال فرنده، لأنّ هذه الجهة ما زالت مُحْتَفَظَة بشواهد على وجودها، فهناك منطقة اسمها شعبة هوارة تقع في منطقة "بوجحيج" بناحية مدينة فرنده، وأخرى تحمل نفس الاسم تقع في منطقة سيدي عمر في شرق مدينة فرنده.

ولما كانت منطقة تيهت تتمتع بوجود الأودية والعيون المائية، ووفرة الإنتاج الزراعي²، فقد عرفت أريافها بداية من أشهر الربيع، قُدم العديد من القبائل الإباضية الرعوية للانتجاع فيها، مثل قبيلة مزّاتة، وسدراتة³.

ثمّ امتدّ الوجود الإباضي جنوبا بمحاذاة سهل السرسو، ففي الفتنة التي أحدثها محمد بن رباح ومحمد بن حمّاد، تمكن أبو حاتم بن أبي اليقظان من كسب تأييد قبائل الصحراء، فقاموا بالمشاركة معه في الهجوم على مدينة تيهت⁴، ويُفهم من سياق هذه الأحداث، أنّ القبائل التي ساندته كانت كلّها إباضية، فقد نقل ابن الصغير كلام خصومه الذين كانوا في مدينة تيهت، فقالوا: "إنّ القبائل رمتنا عن قوس واحد، والإباضية قد كلبت علينا، وهم لا يكفون عن حربنا"⁵. ولكن-للأسف- لم يذكر ابن الصغير أسماء هذه القبائل الصحراوية، ولا مواطن استقرارها.

ولذلك تبقى الإشارة الوحيدة التي تُحدّد مجالها، هي أنّها تستوطن الصحراء، ممّا يطرح التساؤل حول المفهوم الجغرافي لهذا المصطلح بالنسبة لشخص كان يسرد الأحداث من مدينة تيهت بعد سنة 294هـ/907م؟ وممّا يفتح أفقا لفهم جانب من جغرافية هذا المصطلح، هو ما أشار إليه اليعقوبي⁶ من أنّ بعض أنهار تيهت تأتي من الصحراء. وهذه الأنهار لا شك أنّ منها وادي مينة الذي يُعتبر من أهمّ الأودية في منطقة تيهت، ومنابعه تأتي من منطقة تاسلونت⁷، وهناك العديد من الأودية الأخرى لسهل السرسو التي تنبع من جبال الناظور، وجبال فرنده⁸.

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص45، 46.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص197-198؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص248.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، ص41.

⁴ نفسه، ص92-94.

⁵ نفسه، ص95-96.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص197.

⁷ ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

⁸ المدني، المرجع السابق، ص22؛ Niox, op. cit., p.57; Barlette, op. cit., p.311-312.

وبهذا فمن المحتمل أن توزّع القبائل الإباضية، كان وفق شريطين تضاريسيين، الأوّل: هو سهل السرسو الذي توزّعت في غربه قبيلة لواتة وهوارة¹. والثاني يبدأ جنوب جبال الناظور وجبال فرنّدة، وهي من المجالات الجغرافية التي كانت تجوبها قبائل الصحراء التي أشار إليها ابن الصغير سابقاً، ومن هذه القبائل التي وصلت مواطنها إلى هذه الناحية؛ قبيلة لمّاية، وقد لاحظ ابن خلدون² عندما تحدّث عن مجالاتها، مجاورتها من الناحية الجنوبية للقبائل التي تستقرّ في سهل السرسو.

ولهذا يظهر أنّ عبد الرحمن بن رستم عندما جاء إلى جبل سوفجج³ (جبال الناظور أو جزء منها) في بداية سنة 144هـ/761م، نزل في منطقة تحيط بها القبائل الإباضية من كل جانب، وهذا ليسهل عليه التواصل معها وقيادتها، وقد سلك أبو حاتم بن أبي اليقظان في فتنة ابن رباح وابن حمّاد هذه الطريقة أيضاً، فبعدما نزل مع عشيرته في حصن نماليت في نواحي جبال فرنّدة، وجد نفسه محاطاً بالقبائل الإباضية، مما سهل عليه استمالة قبيلة لواتة والقبائل الصحراوية⁴.

وأما في النواحي الغربية للمغرب الأوسط، فقد قامت إمارة بني مسالة الهوارية، ويرجع انفصال هذه القبيلة إلى عهد الإمام عبد الوهّاب (171-208هـ/787-823م) الذي حدث اختلاف بينه وبين بني مسالة، وهم إحدى الفروع القويّة في قبيلة هوارة، وذلك بسبب خطبة عبد الوهّاب لامرأة، كان أحد زعماء بني مسالة قد خطبها، فقام بنو مسالة بتأليب بقية الفروع الهوارية عليه، ثمّ حدثت بينهما معركة، كان النصر فيها حليف الرستميين، فقامت قبيلة هوارة في هذه الفترة أو بعدها بالرحيل إلى جبل "ينجان"⁵.

وقد ذكر اليعقوبي معلومات مهمّة عن هذه الإمارة في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م فقال: "ومن مدينة تاهرت... إلى مملكة رجل من هوارة يُقال له ابن مسالة الإباضي، إلّا أنّه مُخالف لابن أفلح يُحاربه، ومدينته التي يسكنها، يقال لها الجبل، منها إلى مدينة يقال لها يلل"⁶.

وقبل الحديث عن الموقع الجغرافي لهذه الإمارة، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ اسم جبل "ينجان"، الذي جاء في النسخة المنشورة من كتاب ابن الصغير، يبدو أنّه يحتاج إلى تصويب، وقد حاول

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، ج7، ص67، 205.

² نفسه، ج6، ص158.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص93-94.

⁵ ابن الصغير، المصدر السابق، ص45-48.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص195.

ليفتشكي (Lewicki)¹ تصحيحه، فاقترح صيغة "تيجان"، وهذا نسبة لقبيلة زناتية تُعرف بورتيجان كانت تسكن في جبال الونشريس، وبناء على هذه الفرضية، ذهب إلى أن قبيلة هوارَة انزاحت إلى جبال الونشريس. ولكن هذا الطرح لا يُمكن قبوله، ما دام من الثابت وجود جبل استقرت فيه قبيلة هوارَة اسمه تُوجان، يقع بين مدينتي معسكر ويّلل²، ولذلك ربّما كان اسم الجبل عند ابن الصغير في شكل "تُجان"، ثمّ تصحّف إلى "ينجان".

وهذا الجبل حمل اسم قبيلة هوارَة قبل القرن 7هـ/13م³، وموقعه حاليًا يتطابق مع جبال بني شقران⁴. وأمّا عن المدينة التي سكنها بنو مُسالة، فقد ذكرها البكري في عهده فقال عنها: "قلعة هوارَة ويسمونها تاسقدالت، وهي قلعة في جبل لها ثمار ومزارع، وتحت هذه القلعة يجري نهر سيرات"⁵. ثمّ في أواخر القرن 6هـ/12م وبداية القرن 7هـ/13م قام زعيم قبيلة هوارَة محمّد بن إسحاق باختطاط قلعة في جبل هوارَة⁶، وهذه القلعة حملت بعد ذلك اسم قبيلة بني راشد الزناتية التي استولت على هذا الجبل في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م⁷.

وقد شكّل بناء محمّد بن إسحاق لهذه القلعة، إشكالية في تحديد موقع قلعة هوارَة القديمة، فهل ما قام به هذا الزعيم هو مُجرّد تجديد للقلعة القديمة أو قام بتأسيس قلعة جديد قريبة في جبل هوارَة؟ وهذه الفرضية الثانية أوردها أحد الباحثين⁸ بناءً على مُعطيات ميدانية، فذكر أن القلعة التي أسسها محمّد بن إسحاق هي المعروفة بقلعة بني راشد (تُعرف حاليًا بالقلعة) تقع في الجنوب الغربي لمدينة غليزان على بعد 37 كم، وأمّا قلعة هوارَة القديمة فقد يكون موقعها الحالي في قرية مسرّاتة جنوب قلعة بني راشد على بعد 2 كم. ولكنّه لا يدعم هذا الرأي بمعطيات أثرية أو نصوص تاريخية، ولذلك فكلّ ما يُمكن قوله في هذا المقام، أن قلعة هوارَة القديمة إن لم يكن موقعها الحالي في مدينة القلعة، فهو في إحدى النواحي بجبال بني شقران.

¹ Lewicki, Un royaume ibâdite, p. 10.

² ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق: شالميتا، ص 369.

³ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 190.

⁴ بن معمر محمّد، حفريات في تاريخ قلعة هوارَة من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلّة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد: 12، ديسمبر 2017م، ص 181.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 252.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 190؛ بن معمر، المرجع السابق، ص 187.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 203.

⁸ بن معمر، المرجع السابق، ص 187.

ثم توزّعت في النواحي الغربية للمغرب الأوسط، قبائل بني واسين الزناتية بمحاذاة وادي ملوية¹، وقبائل مغراوة التي شملت مجالات ضعتها من المناطق الممتدة ما بين جبل مديونة في جنوب وجدة غربا إلى وادي الشلف شرقا².

ومن المؤكد أنّ الوجود الإباضي لم يقتصر على هذه القبائل في النواحي الغربية للمغرب الأوسط، وإنّما هناك قبائل أخرى لم تذكرها المصادر، فاليقوي³ عندما تحدّث عن العمل التابع للرسّميّين بين مدينة تيهرت وإمارة بني مسالة الهواريّة، من المفترض أنّه كان عامرا بالقبائل الإباضية التي حسدّت الامتداد السياسي للدولة الرسّمية.

وبعد ذلك امتدّ الوجود الإباضي إلى جبل زكار الذي أقيمت عليه مدينة مليانة⁴، ثمّ توزّعت شرقا قبيلة بني دمر الزناتية بين حصن ابن كرام، ومدينة هاز على بعد مرحلة منها، وقد كانوا في الربع الثالث من القرن 3هـ/9م تحت زعامة رجل يُسمّى مصادف بن جرتيل، وبعد ذلك تستمر مجالات هذه القبيلة، ولكن من خلال فرعها بني برزال بين بلاد الزاب شرقا، ومدينة هاز غربا⁵.

وأما في داخل بلاد الزاب فقد توزّعت العديد من الجماعات القبلية الإباضية، مثل زناتة، وهوارة، ومزّانة⁶، وبني زنداج (أو زنداك) المغراوية في نواحي مدينة مقرّة⁷. ثمّ صعودا في جبل الأوراس كانت قبيلة هوارة من أهمّ الجماعات الإباضية التي استقرّت به، ومنها ينحدر هود ابن محكم الهواري الذي تولّى القضاء بمدينة تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهّاب (208-258هـ/823-872م)⁸. كما امتدّت عقائد الإباضية إلى نواحي مدينة سطيف، فدان بها بنو عغنيت، وهم فرع من قبيلة مسالّنة الكتامية⁹.

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص8، 78.

² نفسه، ج6، ص165، ج7، ص33، 35.

³ اليقوي، المصدر السابق، ص195.

⁴ الرازي، المصدر السابق، ص61.

⁵ اليقوي، المصدر السابق، ص191.

⁶ نفسه، ص190؛ الشّمّاحي، السير، ص279.

⁷ اليقوي، المصدر السابق، ص191؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص19.

⁸ ابن الصغير، المصدر السابق، ص49-52.

⁹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص111.

وبعد ذلك هناك مجال جغرافي مهمّ للوجود الإباضي بالمغرب الأوسط، يأتي من جنوب سهل السرسو ثمّ يتجه جنوب بلاد الزاب إلى أن يصل إلى بلاد الجريد¹، ومن هذه القبائل الإباضية التي توزّعت في هذه الناحية؛ قبائل لمّاية التي ذكر ابن خلدون أنّهم "كانوا طواعن بإفريقيّة المغرب، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط موطنين... ممّا يلي الصحراء"². وقبائل مغراوة التي عرفت توسعات في الجهات الممتدّة بين جبال بني راشد (عمور حالياً) ونواحي بلاد الزاب في القرن 3هـ/9م، وانتقلت أسرة بني خزر زعماء قبيلة مغراوة إلى هذه الجهات³، بعدما خرجت مدينة تلمسان من أيديهم، وتولّى حكمها أبناء محمّد بن سليمان⁴.

وكذلك امتدّ الوجود الإباضي إلى مدينة وارجلان⁵، وحسب ابن خلدون⁶ فإنّ اسم هذه المدينة نسبة إلى بني واركلا الزناتيين الذين قاموا بتأسيسها، ثمّ توزّعت في نواحيها قبيلة سدراتة، وهناك جماعات ينحدرون منها، شكّلوا جزءاً من التركيبة العرقية لمدينة وارجلان⁷. كما انتشرت عقائد الإباضية في قصور وادي أريغ⁸ ونواحيها⁹، ومن أهمّ الجماعات القبلية التي سكنت في هذا الوادي؛ فروع من قبيلة ريغة المغراوية، فقد قاموا باختطاط العديد من القصور بجانبه، ومنهم اشتقّ اسم وادي أريغ¹⁰. ثمّ بعد ذلك امتدّ انتشار عقائد الإباضية إلى وادي أسوف¹¹.

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص331؛ تيري، المرجع السابق، ص212.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

³ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص156؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص63؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص179.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص34.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص189؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص331.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص69.

⁷ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص172؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص432.

⁸ تأتي منابع هذا الوادي بالقرب من مدينة أم الطيور (ولاية الوادي)، ثمّ بعد ذلك يتجه جنوباً إلى غاية قرية قُوق في جنوب مدينة بلدة اعمر (ولاية ورقلة). انظر: بن صغير حضري بمينة، منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية، مجلّة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد: 10، العدد: 2، 2017م، ص1015.

⁹ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص331؛ Basset (R.), Recherches sur la religion des Berbères, Revue de l'histoire des religion, T. 61, 1910, p.43.

¹⁰ ابن خلدون، العبر، ج7، ص64.

¹¹ مجهول، كتاب المعلّقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، دراسة وتحقيق: الحاج سليمان بابيز، منشورات وزارة التراث والثقافة، مسقط-عمان، 2009م، ص311. وينبع وادي سوف من وادي الجبل في نواحي بودخان والميثة، ثمّ يتجه جنوباً إلى منطقة الشطوط في جنوب مدينة طرفاوي (ولاية الوادي). انظر: العوامر ابراهيم محمّد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني العوامر، دار نائلة، الجزائر، 2007م، ص55، 109؛ حسونة عبد العزيز، عمارة المساكن بمنطقة وادي سوف، مجلّة منير التراث الأثري، العدد: 4، ديسمبر 2015م، ص125.

ثانياً- الفرق الإباضية بالمغرب الأوسط

كان من نتائج الارتباط الثقافي بين بلاد المغرب والمشرق، انفتاح الساحة الفكرية في الوسط الإباضية بالمغرب الأوسط، وهذا ما جعل العديد من الآراء الناتجة عن الانشقاقات الفكرية التي كانت تحدث بين الإباضية في مختلف الأقطار الإسلامية، تلقى انتشاراً بين الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط. ولهذا سنعرض هنا ما كشفتته المصادر من هذه التوجّهات الفكرية الإباضية التي انتشرت في المغرب الأوسط¹.

أ- الوهبيّة:

اختلفت المصادر في الشخص الذي اشتقّ منه اسم الوهبيّة، بين عبد الله بن وهب الراسبي (37-38هـ/658-659م)²، الذي يعتبر أوّل إمام انتخبه المحكمة عقب انشقاقهم على الخليفة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-³، والإمام عبد الوهّاب⁴. وحجّة من نفى هذه التسمية عن عبد الوهّاب؛ هو الاشتقاق اللغوي، فحسب هذا الرأى، لو كانت التسمية نسبة لعبد الوهّاب، لقليل الوهائية، وليس الوهبيّة⁵.

ولكن هذا الكلام، يتعارض مع ما ذهب إليه ابن الصغير⁶، الذي ذكر أنّ الوهبيّة سُمّوا بهذا لاتباعهم الإمام عبد الوهّاب. والظاهر أنّ هذا القول الأخير؛ هو الأقرب إلى الصواب، فالعبرة أحياناً ليست بالاشتقاق اللغوي، وإتّما بما هو مُتعارف عليه، فابن الصغير الذي عاش بمدينة تيهرت خلال العهد الرستمي، نقل ما هو مُتداول بين الناس في أصل هذا اللقب، كما أنّ هذه التسمية، ربما تعرضت لبعض التعديلات التي تتماشى مع سهولة نطقها، وفق اللهجة المحليّة التي كان سكان

¹ لا بدّ من الإشارة في سياق الحديث عن الفرق الإباضية بالمغرب الأوسط، أنّ هناك انشقاقان ظهرا بالمغرب الأدنى، الأوّل: قادة خلف بن السمع المعافري بنواحي طرابلس في عهد عبد الوهّاب، وسمي أتباعه بالخلفية. والثاني: نتج عن الآراء الخاصة لنفاث بن نصر النفوسي، وأُطلق على أتباعه لقب النفائية. ولكن المصادر لم تشر إلى انتشار آراء هذين الشخصين بالمغرب الأوسط. للاطلاع أكثر على خلفيات ظهورهما، وآرائهما الخاصة. انظر: المارغني، المصدر السابق، ص56-57؛ النامي عمرو خليفة، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، مراجعة: ماهر حرار، دقق وراجع أصوله وعلّق عليه: محمد صالح ناصر ومصطفى باجو، دار الغرب الإسلامي، ط2، تونس، 2012م، ص209-213.

² البرّادي (أبو القاسم بن إبراهيم عاش في ق.9هـ/15م)، الجواهر المنتقاة فيما أحلّ به كتاب الطبقات، صحّحه وقدم له وعلّق عليه، أحمد ابن سعود السيّبي، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 2014م، ص194.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص75-76، 86-87؛ خليفات، المرجع السابق، ص53.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص37؛ الرقيق، المصدر السابق، ص99.

⁵ البرّادي، المصدر السابق، ص194.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص37.

تيهت يتحدثون بها¹، فبدل إطالة المدّ بعد الهاء، تمّ حذفه ونطق الكلمة مباشرة بالوهبية، وهذا ما جعلها لا تتوافق مع الاشتقاق اللغوي.

وعلى هذا الأساس، يكون اسم الوهبية ظهر بعد الفتنة التي أحدثها النكارية في مدينة تيهت، خلال بداية حكم عبد الوهّاب، فكانت في بادئ الأمر تُعبّر عن الإباضية الذين أقرّوا ببيعة عبد الوهّاب، مُقابل جماعة النكارية الذين أنكروا إمامته، ثمّ بعد ذلك تطوّرت هذه التسمية، لتشمل كافة الإباضية في بلاد المغرب، الذين لم يتبعوا التوجّهات المنشقة عن مذهبهم².

ومن ورد ذكرهم عند ابن الصغير³ على أنّهم وهبية في مدينة تيهت، الأسرة الرسمية الحاكمة، وقبيلة نفوسة. وهذه الإشارة على ما يبدو هي على سبيل التخصيص والإشارة، وخاصة بالنسبة لقبيلة نفوسة التي مثلت العصب الإداري والعسكري للحكم الرستمي⁴، وإلا فمن المتوقع أنّ غالبية الإباضية في مدينة تيهت كانوا وهبية.

ب- النكارية:

ترجع الأصول الفكرية لفرقة النكارية إلى مجموعة من طلبة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁵، ومن أهمهم: أبو المعروف شعيب بن المعروف⁶، وأبو المؤرّج عمر بن محمد القديمي⁷، وأبو سعيد عبد الله بن عبد العزيز⁸، وقد ظهرت لهؤلاء بعض الآراء الخاصة في منتصف القرن 2هـ/8م، منها: قولهم أنّ الصلاة خلف أئمة الجور غير جائزة، وأنّ المرأة التي تُؤتى في الحرام، ما دون الفرج،

¹ النامي، المرجع السابق، ص196.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص93؛ معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص1117.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38.

⁴ نفسه، ص54، 61؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص155.

⁵ الشماخي، السير، ص269؛ صخراوي فوزي، آراء عبد الله بن يزيد الفزاري الكلامية، رسالة ماجستير في الحضارة القديمة، قسم العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، إشراف: محمد شقرون، 2008-2009م، ص11-16.

⁶ أصله من مصر، مكث في البصرة مدة إلى أن أعلن عن آرائه الخاصة، فحاول نشرها فيها، ولكنّه لم يتمكن من ذلك، فخرج من البصرة، واستقرّ في مصر. انظر: مجموعة من علماء الإباضية (عاشوا في ق. 2هـ/8م)، الرسالة الحجّة، دراسة وتحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم بابيز، وزارة التراث والثقافة، عمان، 1430هـ/2009م، ص58-59؛ محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر-قسم المشرق-، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2006م، ص681.

⁷ من أهل قدم باليمن، كان يميل إلى الرأي في المسائل الاجتهادية، وهو من السبعة الذين روى عنهم أبو غانم الخراساني في مدونته. انظر: المنجي (أبو بكر أحمد بن عمر ت. 552هـ/1157م)، جوابات، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيّدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م، ج2، ص25؛ معجم أعلام الإباضية-قسم المشرق-، ص256.

⁸ من علماء البصرة، وربما انتقل في آخر حياته إلى مصر، كان كثير القياس في المسائل الفقهية، وهو من رواة أبي غانم في مدونته. انظر: الشماخي، السير، ص109، 125؛ معجم أعلام الإباضية-قسم المشرق-، ص213.

فهي غير كافرة، وأن أهل القبلة الذين يتأولون الصفات على ما يظنّ به التشبيه، هم مشركون. فأنكر أبو عبيدة أقوالهم هذه، وطردهم من مجلسه، غير أنّهم أظهروا التوبة، ورجعوا إلى الدراسة عنده، ثمّ عادوا بعد وفاته إلى أقولهم السابقة في عهد الربيع بن حبيب الفراهيدي (تـ). بعد 171هـ/787م)¹، وقاموا بالدعوة لها، واشتهر من هذه الجماعة شعيب بن المعروف كأهمّ شخصية، نسبت إليه هذه الآراء، فسُمّي أتباعه بالشعبية².

وأما المكون الثاني للمرجعية العقديّة لفرقة النكارية؛ هو الفكر الكلامي لأبي محمد عبد الله ابن يزيد الفزاري، فقد أسّس هذا الشخص في الكوفة مدرسة إباضية مُوازية للمدرسة الفكرية الإباضية التي رسّخها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة³، ثمّ بعد ذلك انتشرت آراؤه، فوصلت إلى بلاد المغرب في حياته عن طريق أتباعه، ورسائله العلمية⁴ التي كان يبعثها لهم⁵.

ومن آراء عبد الله بن يزيد: قوله إنّ الإيمان الذي لا يسع الناس جهله، هو "شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، وما جاء به حقّ من الموت، والبعث، والحساب، والجنّة، والنار"⁶، وأما الذي يسع جهله حتّى يعلمه الشخص، فهو تفسير التوحيد في الجملة، والفرائض مثل الصلاة، والزكاة، وما أشبهها⁷. ويرى أنّ الكتب السماوية والقرآن، كلها أجسام،

¹ ولد بعمان ثمّ انتقل إلى البصرة، فدرّس عند جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وغيرهم، وبعد وفاة شيخه أبي عبيدة، ترأس الحركة الإباضية، فكان المرجع في الفتوى والتوجيه لغالب الإباضية في أنحاء العالم الإسلامي. خلف الربيع بن حبيب مسندا حديثيا عُرف باسمه، ومجموعة من الفتوى والجوابات المتناثرة في التراث الإباضي. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص273-277؛ الشّمّاحي، السير، ص107-109؛ معجم أعلام الإباضية-قسم المشرق-، ص213.

² الرسالة الحجّة، ص44-58؛ مجموعة من علماء الإباضية المجهولين (ق. 3هـ/9م)، سيرة لبعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصلت بن مالك (تـ. 275هـ/888م)، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م، ج1، ص209.

³ المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص194؛ صخراوي، المرجع السابق، ص11-16.

⁴ ألف عبد الله بن يزيد العديد من الكتابات العلمية، منها: "كتاب التوحيد"، و"كتاب الردّ على الرافضة"، و"كتاب الردّ على المعتزلة"، وكتاب الاستطاعة". (انظر: ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق تـ. 380هـ/990م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1978م، ص227)، ومن مؤلفاته التي وصلتنا: كتاب القدر، وكتاب في الردّ على ابن عمير. وهناك صنف آخر له علاقة بآثاره، وهي الرسائل والجوابات التي قام بإرسالها لأتباعه، ومنها: "رسالة بعثها إلى بلاد المغرب إلى شخصين غير معروفين هما أبو قدامة وأبو خالد" (صخراوي، المرجع السابق، ص12)، و"كتاب التوحيد في معرفة الله"، و"كتاب الفتيا"، وهما عبارة عن أجوبة لأسئلة طُرحت عليه. انظر: كتاب التوحيد، ص25-27، 39، مجهول،

كتاب الفتيا، ص1، 2؛ Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p. 149-152.

⁵ صخراوي، المرجع السابق، ص21-22.

⁶ كتاب التوحيد، ص27.

⁷ نفسه، ص1، 27-29.

وليست بأعراض¹، ومن المسائل الموجبة عنده في كفر الشخص، تركه لإحدى الصلوات حتى يخرج وقتها، إلا إذا كان نائماً أو ناسياً عنها².

وحسب الشّمّاحي³ فإنّ الفكر النكّاري دمج بين الآراء الكلامية لعبد الله بن يزيد الفزّاري، وآراء شعيب بن المعروف وأصحابه، وخاصة في الجانب الفقهي منها. وهذه الإشارة التي تلخّص المرجعية المذهبية للنكّارية، يظهر أنّها لم تكن موحّدة بهذا الشكل في الجماعة التي عارضت إمامة عبد الوهّاب في سنة 171هـ/787م، وهذا بسبب بقاء أصحابها على قيد الحياة، ممّا يجعل آراءهم في طور النشأة، إلا أنّ هذا الانشقاق يُمكن اعتباره مخطّة مهمّة في وضع البذور الأولى لجماعة جعلت من الفكر الشيعي، والفزّاري مرتكزا في بلورة توجّهها المذهبي.

فعند مرض عبد الرحمن بن رستم الأخير، جعل الإمامة شوري بين سبعة أشخاص، منهم ابنه عبد الوهّاب، والفقير مسعود الأندلسي، وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفريني، ثمّ بعد وفاته، بدأت العامّة تختار ممثلها للإمامة، فكانت الأنظار في مجملها، متّجهة صوب مسعود الأندلسي، وعبد الوهّاب، ثمّ مال سكّان مدينة تيهرت لمسعود الأندلسي، ولكنّه تورّع عن هذا المنصب، وقام بالاختفاء عنهم، فما كان منهم إلا أن ذهبوا إلى مبايعة مرشّحهم الثاني؛ وهو عبد الوهّاب، فلمّا سمع ابن فندين بذهابهم إليه، وعرف أنّه لم يلق القبول الكافي ليصل إلى منصب الإمامة، رحّب في البداية بهذا الاختيار، وذلك بسبب الأصول التي تجمعها مع عبد الوهّاب، الذي كانت أمّه يفرينية، وفي أثناء المبايعة جاء ابن فندين وأصحابه، واشتروا في مبايعته أن تكون هناك جماعة معلومة، تشترك معه في الحكم، فتدخّل مسعود الأندلسي، ورفض هذا الشرط، ممّا جعلهم يتراجعوا عن كلامهم، ثمّ تمت البيعة لعبد الوهّاب⁴.

وبعد ذلك رجع ابن فندين وأصحابه إلى الطعن في إمامة عبد الوهّاب، واعتبارها باطلة⁵، ومدار عللهم في إسقاط إمامته، تتلخّص في النقاط التالية⁶:

-قالوا وجدنا من هو أعلم منه، ولا يجوز تولية شخص، وفي الأمّة أعلم منه.

¹ تبغورين، المصدر السابق، ص190.

² كتاب التوحيد، ص28.

³ الشّمّاحي، السير، ص269.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص84-87؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص46-47.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص89.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص41؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص89؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص48-49.

-عادوا إلى شرطهم الأوّل، وهو أن يوّلّي عبد الوهّاب جماعة لا يقضي إلّا باستشارتها.
-طعنوا في عدالة الأشخاص الذين ولّاهم عبد الوهّاب في مناصب الدولة، مثل القضاء، وبيت المال، والشرطة، واعتبروا أنفسهم أولى بها منهم.

وقد فسّر بعض الباحثين¹ رفض ابن فندين وأصحابه لإمامة عبد الوهّاب، على أنّها معارضة منهم لما اعتبروه توريثا للحكم، وهذا السبب، وإن كان من الصعب إنكاره جُملة، إلّا أنّه لا يمثل سببا رئيسا، ووحيدا لمعارضتهم، لأنّ المتأمل في الشروط التي وضعوها، يتّضح أنّ مهمهم في البداية كان منصباً في محاولة الوصول إلى أعلى هرم في السلطة، ولما توّلّي عبد الوهّاب الإمامة، حاولوا فرض هيئة استشارية تشاركه في الحكم، ثمّ طالبوا بأحقّيتهم في تولّي المناصب العليا في الدولة بعدما عيّن عبد الوهّاب أشخاصا غيرهم². ومن الطبيعي أنّ عبد الوهّاب لم يعين هؤلاء الأشخاص، إلّا بعدما رضي أخلاقهم، وكفاءتهم، وسلامة منهجهم الإباضي، فجعل هذا التصرف الأبواب موصدة، أمام اختراق هذا الجماعة المعارضة لأجهزة الدولة.

وبهذا بدأت هذه الفئة في إثارة الشغب، إلى أن وصل الجناح المؤيّد لإمامة عبد الوهّاب إلى اتّفاق مع ابن فندين وأصحابه، مفاده أنّهم يرسلون إلى علمائهم في المشرق، ويسألونهم عن مدى صحّة طعوناتهم في إسقاط إمامة عبد الوهّاب، ولما بعث الطرفان رسولين إلى المشرق، مرّاً في طريقهما على إباضية مصر، وحدثوهم بما جرى في مدينة تيهرت عقب وفاة عبد الرحمن ابن رستم، فلما سمع شعيب بن المعروف جاء مع بعض أتباعه إلى مدينة تيهرت³.

وذكرت المصادر الإباضية⁴ أنّ شعيبا جاء طمعا في الإمامة، وهذا الأمر مُستبعد، لأنّ المتزعم للحركة النكارية أثناء قدومه كان يزيد بن فندين، وبقي على رأسها حتّى توفي، كما أنّ شعيبا عندما قدم إلى مدينة تيهرت، كان موافقا على إمامة عبد الوهّاب⁵، ولذلك فقدوم شعيب إلى العاصمة الرستمية، يدعم فرضية مشاركة أتباعه في هذه الفتنة، فإذا كان عامّة الإباضية في بلاد المغرب على توافق علمي مع الربيع بن حبيب⁶، وشعيب بن المعروف على خلاف مع هذا الأخير،

¹ محمود إسماعيل، الخوارج، ص265؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص161؛ بن تاويت، المرجع السابق، ص113-114.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص89؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص48.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص92؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص49.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص92؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص50؛ الشماخي، السير، ص151.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص92.

⁶ ابن سلّام، المصدر السابق، ص110.

وله أقوال أنكرت عليه قبل وفاة عبد الرحمن بن رستم، ولم يكن الإباضية في مصر على وفاق معه¹، فمن المفترض أن شعيباً كان على علم بأن هناك تياراً واسعاً من الإباضية في مدينة تيهرت، غير راضين عنه، ولن يأخذوا بآرائه وأحكامه، ولهذا من المحتمل أن يكون جاء لنصرة جماعته، عندما علم بتورطهم في هذه الفتنة².

ولما وصل شعيب إلى مدينة تيهرت، اغتم عبد الوهّاب فرصة مجيئه إليه، ليقم الحجّة عليه، فسأله عن الشروط التي وضعها خصومه، فكانت إجابته أن هذه الشروط باطلة والإمامة صحيحة، ولكنّه ما لبث أن غير موقفه لما ذهب لابن فندين وأصحابه³. ثمّ بدأوا في التخطيط لإسقاط إمامة عبد الوهّاب بالقوّة، ولجؤوا إلى الجبال المحيطة بمدينة تيهرت وتمركزوا بها، فأطلق عليهم في هذه الفترة اسم النكار، وسُمّي الموقع الذي نزلوه بكدية النكار⁴.

وقد حاولوا في هذه الفترة اغتيال عبد الوهّاب، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، ثمّ قاموا بالهجوم على مدينة تيهرت، فتصدّى لهم الإباضية، وفيهم أفلح بن عبد الوهّاب، وتمكّنوا من الانتصار عليهم، وقتل زعيمهم ابن فندين، فرجع النكارية إلى مواقعهم خارج المدينة، بينما هرب شعيب بن المعروف إلى طرابلس، وقام بمواصلة الدعوة إلى معتقداته فيها، والظعن في إمامة عبد الوهّاب⁵.

وبعد ذلك جاء جواب علماء الإباضية من المشرق، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب، يُقرّون فيه إمامة عبد الوهّاب، ويتبرّؤون ممّن شارك في هذه الفتنة ضدّه⁶، وهذا ما جعل النكارية ينتفضون من جديد، فقاموا بقتل ميمون بن عبد الوهّاب، ولما اكتشف عبد الوهّاب أنّهم هم من فعلوا هذا، أرسل إليهم جيشاً، فقام بهزيمتهم، وواد حركتهم⁷.

¹ الرسالة الحجّة، ص 59-60.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 92؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 50.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 92؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 51.

⁴ ابن الصغير، المصدر السابق، ص 41-44؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 93.

⁵ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 93-97.

⁶ الرسالة الحجّة، ص 62-65؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 98.

⁷ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 98-99.

ثمّ بعد هذه الفتنة، تمكّنت عقائد النكارية من الانتشار بالمغرب الأوسط، فقد نقل ابن عذاري رواية الورّاق (ت. 363هـ/974م) التي تحدّثت عن التقاء أبي عبد الله الداعي¹ بالحجّاج الكتاميّين في منى بين يومي 10 و12 من ذي الحجة في سنة 279هـ/3-5 مارس 893م، ومّا جاء فيها أنّهم كانوا "ملتفّين على شيخ منهم... فتكلّم أبو عبد الله الداعي في المذاهب، فوجد الشيخ يميل في مذهبه إلى مذهب الأباضية النكارة (كذا)"².

وهذه الرواية لا يُستبعد صحتّها، وذلك لأنّ القاضي النعمان³ ذكر أنّ بني عفتيت هم الفرع الوحيد في القبائل الكتامية، الذي يعتنق عقائد الإباضية، كما أشار في موضع آخر⁴ أنّ نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة، جعل أهلها يتركون الاختلاف في المذاهب، ويجمعون على توجّه مذهبي واحد، وهذا ما يؤكّد على أنّ هناك العديد من التوجّهات المذهبية التي انتشرت في القبائل الكتامية.

ولذلك عندما وصلت الدعوة الإسماعيلية إلى بلاد كتامة⁵، كان الشيخ الكتامي الذي تحدّث عنه الورّاق، واحدا من الذين يعتنقون عقائد النكارية، ثمّ تأثّر بمبادئ الإسماعيلية، إلّا أنّ تحوّله إلى هذا التوجّه لم يكن كاملا⁶، وذلك بسبب طبيعة الدّعوة التي مارسها عبد الله بن عليّ الحلواني وأصحابه، فهم كانوا مأمورين بنشر ظاهر علم الأئمّة وفضائلهم⁷، وبهذا فمن المحتمل أنّ هناك العديد من الأشخاص الكتاميّين الذين اعتنقوا عقائد النكارية، ولم تصلهم الدعوة الإسماعيلية قبل قدوم أبي عبد الله الداعي إلى بلاد كتامة.

¹ هو الحسين بن أحمد بن محمّد، من أهل صنعاء أو الكوفة، عُرف بأبي عبد الله الداعي أو الشيعي، كانت بدايات انضمامه إلى التنظيم الإسماعيلي في سلمية (من أعمال حمص بالشام)، ثمّ بعثه إمام الإسماعيلية في تلك الفترة إلى اليمن عند أبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي ليتلمذ على يديه. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص30-31؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص192-193؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص152؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص41؛ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص230.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص124.

³ نفسه، ص123.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص111.

⁵ نفسه، ص111.

⁶ ذكر القاضي النعمان أنّ أبا عبد الله عندما كان في سوجهار وجد عند أبي عبد الله الأندلسي وأصحابه من فهم التشيع أكثر ممّا وجدته عند الجماعة الذين قدموا معه. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص111؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، تحقيق: السيد محمّد الحسيني الجلال، مؤسسة النشر الإسلامي، ط2، قم-إيران، 1431هـ/2010م، ج3، ص415.

⁷ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص26-27.

والملاحظ أنّ بلاد الزاب المحاذية للجهات الجنوبية لبلاد كتامة، شهدت انتشارا واسعا لعقائد النكارية في النصف الأوّل من القرن 4هـ/10م¹، ولذلك من المرجح أنّ هذا لانتشار، كان وليد تراكمات تدريجية، امتدّت زمنياً من فترات زمنية سابقة. وبهذا قد تكون عقائد النكارية انتقلت من الجماعات الإباضية في بلاد الزاب إلى أفراد أو جماعات في القبائل الكتامية.

ج- العمرية:

تتنسب هذه الفرقة لعيسى بن عمير، الذي عاش في المشرق خلال القرن 2هـ/8م². وقد عاشت جماعة من أتباعه في مدينة تيهرت خلال العهد الرستمي³. ويرى الفرع الوهبي أنّ العمرية لا ينتمون إلى الإباضية، قال أبو زكرياء: "مع أنّ طائفة تتحل اسم الإباضية، يُقال لهم العمرانية، لم تجمعنا وإياهم الكلمة من الأول، وكثيرا ما ينسبون مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، فهم تبعه عيسى بن عمير"⁴. ومع ذلك فإنّ انتساب هذه الفرقة إلى الإباضية، جعل بعض آراء صاحبها حاضرة في التراث الإباضي الوهبي، كإحدى التوجّهات الفكرية المنشقة، التي يتمّ الإشارة إلى بعض آرائها، والردّ عليها⁵.

ومن آراء عيسى بن عمير قوله: أنّ حجّة الله على عباده، يجب أن تكون عن طريق البيّنة والشاهد، مثل معجزات الرسل، وأنّ إرسال الرسل والكتب لوحدهم، لا يُوجب الحجّة، بما في ذلك القرآن الكريم⁶. ويرى أنّ معرفة الله ومعرفة دينه تكون أحيانا بالفكر، وأحيانا أخرى بالنقل⁷. ويذهب إلى أنّ أهل الكتاب يجب مُعاملتهم معاملة المشركين، ولكن لا يُطلق عليهم لفظ

¹ Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.123-124.

² الشّمّاحي، السير، ص109.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص88.

⁵ عن آراء ابن عمير في المصادر الإباضية الوهبية، انظر على سبيل المثال: تبغورين، المصدر السابق، ص214؛ الجنائوي (أبو زكرياء يحيى بن الخير النفوسي ق5هـ/11م)، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقّه، تعليق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وناصر بن محمّد الرموري، تحقيق: أحمد ابن صالح الشيخ أحمد وبكير بن محمّد فخار، مكتبة الظامري، عُمان، 2015م، ص74؛ أبو عمّار (عبد الكافي الإباضي تـ. قبل 570هـ/1174م)، الموجز، تحقيق: عمّار طالي، في آراء الخوارج الكلامية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م، ج2، ص139، 273، 278؛ الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي تـ. 570هـ/1174م)، الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، 1997م، ج3، ص310؛ المارغني، المصدر السابق، ص57.

⁶ الفزّاري (أبو محمّد عبد الله بن يزيد)، كتاب في الردّ على ابن عمير، ص2-3؛ In Six kalām In Early Ibādī Theology texts by 'Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p. 60-122.

⁷ نفسه، ص31.

المشركين¹. كما يرى أنّ المسلمين إذا كانوا أقوياء، ولا يخافون أن يُعطلوا شرع الله -عزّ وجلّ-، جاز لهم ألا يجعلوا إماما يحكم بينهم². واشترط في قبول الأخبار الشرعية حدّ التواتر³.

د-الحسينية:

تنتسب هذه الفرقة إلى أبي زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي المطليبي، وقد ظهرت آراؤه في منطقة طرابلس خلال النصف الثاني من القرن 3هـ/9م⁴، وهي في أصل امتداد لفرقة العمرية، ولكنّ بعض آرائها أقرب إلى عقائد الإباضية الوهبية، قال المارغني: "وأما الفرقة التي تُدعى العمرية، والتي تُسمّى الحسينية، فقريب بعضها من بعض في الموافقة، إلا شيئاً يسيراً بينهما، لأنّ الحسينية أقرب موافقة، والعمرية أقرب للمعتزلة"⁵.

وقد ذكر ابن الصغير⁶ أنّ جماعة العمرية الذين عاشوا في مدينة تيهرت، كانوا يتبعون عيسى بن عمير، وأحمد بن الحسين بعده، ولذلك إذا كانت هذه الجماعة، أخذت بآراء أحمد بن الحسين، فمن المفترض بابن الصغير تسميتهم بالحسينية، لأنّ هذا الشخص أسّس لتوجّه فكري منفصل عن العمرية.

ومن هذه الآراء التي استقلّ بها، قوله: أنّ العقل ثابت عند الإنسان، والتفاضل يكون بين الأشخاص على أساس التكاليف والاستطاعة، ويعتبر خوف الرسل، خوف إجلال وليس خوف عقاب، وأنّ أهل الجنة يطراً عليهم الخوف والرجاء، ويعتقد أنّ الموتى تأكلهم الأرض، إلّا العصص، ووضع شروطاً قيّدت العمل بمسألة الولاء والبراء⁷.

¹ الجناوني، المصدر السابق، ص74؛ المارغني، المصدر السابق، ص58.

² الفزاري، الردّ على ابن عمير، ص57.

³ نفسه، ص17.

⁴ ابن سلّام، المصدر السابق، ص134؛ تبغورين، المصدر السابق، ص183؛ Lewicki, Le répartition géographique, p.313.

⁵ المارغني، المصدر السابق، ص58.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص38.

⁷ المارغني، المصدر السابق، ص58-59.

المبحث الثالث: التوجّهات المذهبية المزاحمة للجغرافية الصفرية والإباضية بالمغرب الأوسط
عرف انتشار العديد من التوجّهات العقدية والفقهية بالمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدّة
من القرن 2هـ/8م إلى نهاية العقد الثامن من القرن 3هـ/9م، تشكيل خارطة مذهبية اتّسمت
بظهور توجّهات مذهبية متفاوتة الانتشار، ومتداخلة في العديد من المراكز الحضرية، والمجالات
الجغرافية بالمغرب الأوسط.

ولذلك من أجل فهم هذه الوضعية المذهبية، من المهمّ إكمال دراسة هذه الخارطة المذهبية،
وذلك من خلال التطرّق إلى انتشار التوجّهات العقدية والفقهية التي تمكّنت من تكوين جماعات
مذهبية زاحمت الوجود الصفري والإباضي الغالبين على الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط.

أولاً-الجماعات السنيّة

إنّ المتتبع لخلفيات تشكّل الوجود السنيّ بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط، يلاحظ أنّ هذه
النواحي عرفت تحولات ديمغرافية، جاءت نتيجة لتوطين العديد من الجماعات القبلية العربية
والفارسية إلى جانب السكان الأصليين من البربر، والأفارقة، والروم في مَدُن وحُصُون إقليم الزاب
ونواحيه¹، وذلك في إطار تجنيدهم من قبل مُمثلي الخلافة الأموية ثمّ العباسية في بلاد المغرب لمراقبة
تحركات القبائل الإباضية والصفرية المتوزّعة في مناطق استقرارهم²، وقد أشارت بعض المصادر
إلى أسماء عدد منهم عندما تحدّثت عن العناصر البشرية التي كانت تستقرّ في هذه الجهات، كما هو
مبين في الجدول التالي:

المدن	العناصر البشرية	المدن والحصون	العناصر البشرية
باغاية	قبائل الجند، عجم خرسانيون	طبنة	جماعات عربية منهم قرشيون
ميلة	عرب من بني سليم	نقاوس	قبائل الجند
سطيف	عرب من بني أسد بن خزيمة	مقرّة	عرب من بني ضبّة

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص190-191؛ الرقيق، المصدر السابق، ص68، 82؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص32؛ زيان، المرجع السابق، ص102-109.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص190-191؛ الرقيق، المصدر السابق، ص68؛ Cambuzat (P. L.), L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII^e au XI^e siècle, Office des publications universitaires, Alger, 1986, t. 1, p.97.

بنو تميم	حصون في محيط مدينة مقرّة	عرب من بني تميم، موالي بني تميم	بلزمة
من المرجح أنهم مشاركة	حصن ابن كرام	عرب منهم قرشيون	قهودة

الجدول رقم 1: توزّع الجماعات العربية والفارسية

في بعض المدن والحصون بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط¹

ومن خلال استقراء الظروف المحيطة بهذه الجماعات، يُمكن استنتاج عاملين مهمّين ساهما في بلورة انتمائهم العقدي والفقيهي، الأوّل: هو أنّ هذه الجماعات كانت تمثّل في الغالب سلطة محليّة تقوم بتطبيق تعليمات الحكّام التابعين لهم²، ولهذا كانوا مُطالبين باتباع وتطبيق التوجّه المذهبي الذي تُقرّه السلطة المركزية. والثاني: نتج عن استقرارهم في المدن والحصون بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط، تشكّل وسط اجتماعي ارتبط بالمؤثرات الثقافية التي كانت تنتجها الحركة العلمية في حاضرة القيروان بصفة خاصّة³.

وهذا ما أدّى بالتوجّهات العقدية والفقهية التي كانت السلطة الرسمية تتبناها منذ أواخر عهد الوّلاة إلى نهاية العهد الأغلي⁴، أو التي كانت وليدة للحركة العلمية القيروانية، بالانتشار في العديد من المدن والقرى بالنواحي الشرقية للمغرب الأوسط⁵. ومن بين هذه التوجّهات العقدية التي تمكّنت من أن تجد لها موطن قدم في هذه الناحية؛ عقائد أهل السنّة، فقد كان أهل حصن ابن كرام الذي ظهر منفصلا عن السلطة الأغلبية في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م "جماعية"⁶، ولا يُستبعد وجود مُدن أخرى في إقليم الزاب ونواحيه، انتشرت فيها أيضا عقائد أهل السنّة.

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص190-191؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص255. وعن مواقع مدن بلاد الزاب. انظر الملحق رقم: 1.

² اليعقوبي، المصدر السابق، ص190-191؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص79، 141، 211.

³ للاطلاع أكثر عن النشاط العلمي في مدينة القيروان خلال هذه الفترة. انظر: حواله يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية - المغرب الأدنى - منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، مطابع جامعة أمّ القرى، مكة-السعودية، 1419هـ/1998م، ج1، ص328-342، 382؛ المنتاقى نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص171-184؛ 146-150.

⁴ حواله، المرجع السابق، ج2، ص9، 21-22.

⁵ أبو العرب، طبقات، ص97، 120؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص254، 255؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص347.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191. وهذا اللَّفظ من المصطلحات الدّالة على أهل السنّة. انظر: الشهرستاني، مقالات، ج2، ص143؛ ابن عبد البر، التمهيد، ج2، ص309؛ ابن حزم، أسماء الخلفاء والوّلاة، ج2، ص147؛ ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي ت. 571هـ/1175م)، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر، ط2، دمشق-سوريا، 1978م، ص35.

كما تبنت الدولة الأموية ببلاد الأندلس التوجه السنّي على المستوى العقدي¹، وأمّا على المستوى الفقهي، فقد كانت على المذهب الأوزاعي إلى أن قام الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (171-180هـ/788-996م) بجعل الفقه المالكي مذهباً رسمياً في دولته، وصير القضاء والفتيا عليه²، وبعد ذلك عرف التوجه السنّي المالكي انتشاراً واسعاً في بلاد الأندلس³.

ولمّا كان المغرب الأوسط قبلة للتجار الأندلسيين⁴، فقد شكّل هذا عاملاً مهماً في دعم الوجود السنّي بالمغرب الأوسط، فمن المتصور أنّ هناك العديد من الجماعات الأندلسية التي كانت على التوجه السنّي المالكي ممّن تردّدت على موانئ ومدن المغرب الأوسط، وربّما كانت من المشاركين في تأسيس مراكز استيطانية لها في المغرب الأوسط.

فقد قامت جماعة من الأندلسيين يعرفون بالكركدن، وبني عائشة، والصقر، وصهيب، وغيرهم، بأخذ الموافقة من سكان منطقة تنس، وتأسيس مدينة تنس الحديثة في سنة 262هـ/876م⁵. وأمّا بجانب ميناء وهران، فقام أيضاً جماعة من الأندلسيين، وعلى رأسهم شخصيتان هما محمّد بن أبي عون، ومحمّد بن عبدون بالاتفاق مع قبيلتي نفزة، وبني مسقن الإزداجية، وأسّسوا مركزاً استيطانياً لهم في سنة 290هـ/903م، حيث شكّل هذا المشروع اللبنة الأساسية لمدينة وهران الوسيطية، وعلى الرغم من تعرّض مدينة وهران للحرق والتخريب بعد هذا التاريخ بسبع سنوات، إلّا أنّها ما لبثت أن أعيد بناؤها في سنة 298هـ/911م⁶.

كما امتدّ الوجود الأندلسي إلى العاصمة الرستمية⁷، فقد ساهمت العلاقات الودية التي جمعت بين الرستميّين والأمويّين ببلاد الأندلس في ازدهار التبادل التجاري بينهم⁸، وهذا ما أدى إلى جعل

¹ محمد بن إبراهيم أبو الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300هـ/888-912م)، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض-السعودية، 1416هـ/1995م، ص385؛ فيلاي، المرجع السابق، ص93.

² القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص15؛ بن عليّ طاهر، عوامل الانتشار والتمكين للمذهب المالكي في الأندلس، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 15 و16، 2012-2013م، ص95.

³ المقدسي، المصدر السابق، ص236؛ Wilk (M.), Le malikisme et les Omeyyades en al-Andalus. Le droit et l'idéologie du pouvoir, Annales islamologiques, N. 45, 2011, p.113-115.

⁴ يعقوبي، المصدر السابق، ص192؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص242، 252؛ فيلاي، المرجع السابق، ص101-104.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص242؛ بن إسماعيل، المرجع السابق، ص19.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص252-253؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص191؛ Bourouiba (R.), Oran, Edition Benmerabet, Alger, 2013, p.30.

⁷ ابن القوطية، المصدر السابق، ص103-104.

⁸ جودت، المرجع السابق، ص152-167؛ فيلاي، المرجع السابق، ص98-106؛ بنغاز، الدولة الرستمية، ص285-287.

مدينة تيهرت قبلة للتجار الأندلسيين، ولعلّ اشتهار أحد أبواب السور الخارجي لمدينة تيهرت الحديثة باسم باب الأندلس، يدلّ على كثرة المتردّدين عليه من الأندلسيين¹. على أنّ هذه الفئة، في الغالب لم تكن الوحيدة التي مثلت الوجود السنّي في مدينة تيهرت، ولذلك من المحتمل جدّاً أنّ جماعات القرويين، والمشاركة الذين عاشوا في مدينة تيهرت، وكانت لهم مساجدهم الخاصّة بها²، كان منهم من اعتنق عقائد أهل السنّة، وبهذا كوّنت هذه الجماعات العرقية، أقلية سنّية، استفادت من سياسة التسامح المذهبي التي انتهجها الأئمّة الرستميون مع الأقليات المذهبية، وبهذا اتّخذت من العاصمة الرستمية موطناً لها.

ثانياً- الجماعات المعتزلية

تدعّم الحضور المعتزلي في الإمارة الأغلبية بداية من القرن 3هـ/9م، وذلك بعدما تبناه خلفاء بني العباس منذ نهاية عهد المأمون (198-218هـ/813-833م) الذي قام بفرض القول بخلق القرآن، وأمر الولاة في أقاليم خلافته بإجبار العلماء بصفة خاصة على القول به، وهذا لما لهم من تأثير على العامّة، وتولية القضاء لمن يعتقد هذا الرأي فقط، وعدم قبول شهادة من يقول بعكسه، واستمرت هذه التعليمات إلى عهد الواثق (227-232هـ/842-847م)³. ولما كان أمراء الأغلبة تابعين لهم، قاموا بفرض القول بخلق القرآن على رعاياهم، وغلبوا تعيين المعتزلة في المناصب التي تجمع بين الديني والإداري في إمارتهم⁴، وحتّى بعد قيام الخليفة المتوكل (232-247هـ/842-861م) بإبطال فرض آراء المعتزلة، وأقرّ التوجّه السنّي في خلافته⁵، استمرّ بعض أمراء الأغلبة في تأييد الفكر المعتزلي⁶.

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص248؛ جودت، المرجع السابق، ص158.

² ابن الصغير، المصدر السابق، ص32.

³ إبراهيم آيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت-لبنان، 1989م، ص88، 91، 98؛ العمرجي أحمد شوقي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله 198-247هـ/813-861م، مكتبة مديبولي، القاهرة-مصر، 2000م، ص58-77.

⁴ الرومي فهد بن عبد الرحمن، مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذبّ عن مذهب السلف، مكتبة التوبة، الرياض-السعودية، 1417هـ/1997م، ص51-54؛ بحاز إبراهيم، القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ/715-909م) عصر الولاة-المدراريون-الرستميون-الأدارسة-الأغلبية، نشر جمعية التراث، ط2، غرداية-الجزائر، 1427هـ/2006م، ج2، ص435-437، 454-458.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص190؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص125؛ العمرجي، المرجع السابق، ص78-82.

⁶ حواله، المرجع السابق، ج2، ص9، 21-22؛ بحاز، القضاء، ج2، ص465-467.

ولا ريب أنّ هؤلاء الأمراء انعكست سياستهم على الجزء الأغلب من المغرب الأوسط، فالتزامهم بتعيين القضاة من المعتزلة، وأوامر بعضهم بتوزيع المنشورات التي تفرض على العامة القول بخلق القرآن، ومحاولة استغلال قراءتها على منابر المساجد لإعطاء الشرعية الدينية لها¹، لا بدّ أن هذه الإجراءات شملت الجهات الخاضعة لهم بالمغرب الأوسط، وذلك بسبب ارتباط عمالها، وقضاها بالسلطة المركزية²، فعصيان أوامرهم قد يعرضهم للعزل والعقاب. ولهذا من المحتمل أنّ عقائد المعتزلة، عرفت انتشارا بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ومن بين هذه المركز الحضرية التي شهدت وجودا للمعتزلة في العهد الأغلب؛ المدن أو القصور الثلاث المشكلة لبنطيسوس³ (انظر الملحق رقم: 10) في جنوب بلاد الزاب، فقد ذكر البكري أنّ في كلّ واحدة منها جامع، اثنان منهم "لأهل السنة، والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، إباضية"⁴. وهذا النص، بادئ ذي بدء لا يمكن التأكد إن كانت المعلومات التي فيه، قد جمعها البكري في عصره، أو ترجع إلى عصر الوراق (تـ. 363هـ/974م) الذي اعتمد عليه البكري كثيرا، كما أنّ هذا الخبر فيه اضطراب من ناحية جعل الواصلية من الإباضية.

والذي يبدو أنّ هذا راجع لتلقيب المعتزلة بالواصلية، ممّا جعل رُواة هذه المعلومات يقعون في الوهم أو الخلط، فنسبوا جماعة الواصلية إلى الإباضية. فإذا صحّ هذا الطرح، فلا بدّ من الوضع في الحسبان أنّ الملاحظة التي أوردها البكري عن المعتزلة في بنطيسوس كانت في فترة عرفت فيها العقائد السنية والآراء الفقهية المالكية انتشارا ملحوظا في بلاد المغرب⁵، ولهذا فمن الممكن أنّ الوجود المعتزلي في بنطيسوس، وحتّى في نواحيها خلال القرن 3هـ/9م، كان أكبر ممّا أشار إليه البكري، ولكن أدّى التحوّل المذهبي فيها بعد هذا القرن إلى تراجع أعداد مُعتنقي الاعتزال.

¹ أبو العرب (محمد بن أحمد التميمي)، كتاب الحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2006م، ص352؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص497؛ الرومي، المرجع السابق، ص52-53؛ بحاز، القضاء، ج2، ص465-467.

² يعقوبي، المصدر السابق، ص190-191؛ أبو العرب، طبقات، ص121؛ نفسه، الحن، ص361.

³ تقع بنطيسوس في الجنوب الغربي لمدينة بسكرة على بعد حوالي 45 كم، ويوجد فيها حاليًا ضريح وزاوية الشيخ عبد الرحمن الأخضر (تـ. 983هـ/1375م). انظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص255؛ الحميري، المصدر السابق، ص401؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص331؛ زباني، المرجع السابق، ص302-305.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص254.

⁵ الإصطخري (أبو الحسن إبراهيم بن محمد الفارسي تـ. بعد 340هـ/951م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1870م، ص37؛ المقدسي، المصدر السابق، ص236؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص171-184.

وإذا خرجنا من المجال الأغلب للمغرب الأوسط، فقد عاش المعتزلة كأقلية مذهبية في مدينة تيهرت¹، بينما توزعت أعداد مُعتبرة منهم في نواحي العاصمة الرسمية، حيث شكّلت القبائل الزناتية غالبيتهم، وكانوا يعرفون باسم الواصلية²، ومما ذكره أبو زكرياء عند حديثه عن بدايات ثورتهم ضدّ الإمام عبد الوهّاب، فقال: "فتكاثفت كلمة الواصلية، واجتمعوا من كلّ نقب، وجازوا من كلّ أوب، فأنحازوا عن تاهرت، وأخذوا عن جبالها"³. وهذا ما يشير إلى أنّهم كانوا عبارة عن مجموعات قبلية، يتوزعون في مناطق متفرقة بالمجالات الجغرافية المحيطة بمدينة تيهرت.

وقد كانت هذه الجماعات الواصلية على الأقل جزء منها يتمييز بطابع البداوة⁴، وهذا ما يطرح تساؤلا مهماً عن علاقتهم بالمعتزلة من قبيلتي زناتة، ومزّانة التي ذكرهما ابن حوقل⁵ فيما بين نواحي بلاد الجريد وجبل نفوسة، والدّاعي ل طرح مثل هذا التساؤل، هو أنّ المجالات الجغرافية التي تشمل تُخوم الصحراء والهضاب العليا بين منطقة تيهرت وبلاد الجريد، كانت عبارة عن مناطق تنتجع فيها الجماعات الرعوية من زناتة، ومزّانة وغيرها⁶.

ولذلك عند الحديث عن كيفية وصول عقائد المعتزلة إلى القبائل البدوية في منطقة تيهرت، فمن المهمّ لفت الانتباه إلى أنّ هذه المجالات المذكورة، ربّما كانت بعض القبائل المعتزلية تنتجعها ككتلة واحدة، ثمّ لما تفرقت ظهرت بعض فروعها في نواحي تيهرت، والبعض الآخر في نواحي بلاد الجريد، أو نتج عن انتجاع القبائل الرعوية في مجال جغرافي واحد، تأثرها ببعضها البعض، فمثلما انتشرت عقائد الإباضية والصفيرية في العديد من قبائلها⁷، كان منها من وصلتها عقائد المعتزلة، فدانت بها، ولذلك قد تكون هناك جماعات معتزلية أخرى من هذه الفروع توزعت في بعض المناطق من تخوم الصحراء والهضاب العليا للمغرب الأوسط، ولكنّ المصادر لم تذكرها.

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص82؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص169؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص94.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁵ ابن حوقل، المصدر السابق، ص94.

⁶ ابن الصغير، المصدر السابق، ص42، 91، 94؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158، ج7، ص15؛ Gautier, op. cit., p.292 ;

Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.119.

⁷ ابن الصغير، المصدر السابق، ص94؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الوجود المعتزلي في منطقة تيهرت ظهر في عهد الإمام عبد الوهّاب قبل سنة 196هـ/812م¹، وهذا عندما أرادوا التمردّ عليه، والظاهر أنّ عبد الوهّاب قد أدرك مدى خطورة هذه الحركة، فنجّاهم في الانفصال عن سلطته، سيّسجّع جماعات قبلية أخرى على القيام بحركات تمردية مشابهة، فحاول في البداية تحذيرهم ومناظرتهم لعلّهم يعدلون عن مخطّطهم، ولما لم يجد هذا الأمر نفعاً، جرت بينهما عدّة مواجهات، كانت نهايتها حدوث معركة فاصلة، انتصر فيها الإباضية، وقُتل عدد كبير من الواصليّة².

وبعد هذه الحادثة، استمرّ وجود المعتزلة في مدينة تيهرت ونواحيها³، فكانوا من الجماعات المذهبية التي كان لها حضور لافت في المجال الفكري، وذلك بسبب طبيعة المعتزلة التي تميل إلى التوسّع في الجدل، وإقامة المناظرات، قصد الدعوة إلى معتقداتها، والدفاع عنها⁴.

وقد ذكرت بعض المصادر⁵ مناظرة حدثت بين جماعتين من المعتزلة والإباضية بجانب وادي مينة في عهد الإمام أبي اليقظان (261-281هـ/875-894م)، يُمكن اعتبارها نموذجاً لمعرفة طبيعة القضايا التي دارت حولها المناقشات بين الطوائف المذهبية في مدينة تيهرت، فعندما التقى الطرفان، جرى نقاش بين شخص من المعتزلة، وأحد علماء الإباضية المعروف بعبد الله بن اللّمطي في مسألة الاستطاعة⁶، وهي من القضايا الكلامية التي اختلف فيها الفريقان، فالمعتزلة يعتقدون أنّ الاستطاعة باقية في الشخص، وسابقة لفعله⁷، بينما يعتقد الإباضية أنّها مرتبطة مع الفعل، وتنتهي بانتهائه⁸. وهذا الرجل المعتزلي أراد أن يُثبت عدم صحّة ما يذهب إليه الإباضية في هذه المسألة، فكان

¹ البغطوري، المصدر السابق، ص229، 253؛ الشّمّاحي، السير، ص163.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102-110؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص57-65.

³ ابن الصغير، المصدر السابق، ص82؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص169؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص249.

⁴ بن حمده عبد المجيد، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، 1986م، ص158.

⁵ ابن الصغير، المصدر السابق، ص82؛ الشّمّاحي، السير، ص218؛ البرّادي، المصدر السابق، ص199.

⁶ تُعرف أيضاً بالقدرة، والقوّة. ويكاد المعتزلة والإباضية يتفقون في تعريفها، وهي عندهم الصحة وسلامة الجوارح التي من خلالها يتمكّن الإنسان من القيام بالفعل. وهذه المسألة تتعلّق ببعض القضايا الكلامية، مثل: الإرادة، وتكليف العبد ما لا يطيق، والفعل الإنساني. انظر: أبو خزر (يغلا ابن زلتان الوسياني ت. 380هـ/990م)، الردّ على جميع المخالفين (الخوارج، المرجئة، المعتزلة...)، تحقيق: عمرو خليفة النامي، مكتبة الظامري، سلطنة عُمان، 2008م، ص63؛ النيسابوري (أبو رشيد سعيد بن محمد ت. بعد 400هـ/1010م)، المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تحقيق وتقديم: معن زيادة ورضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت-لبنان، 1989م، ص241؛ القاضي عبد الجبار، المصدر السابق، ص390؛ الجعيري فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مطبعة الألوان الحديثة، دت، 1989م، ص465-472.

⁷ ابن خيَّاط، المصدر السابق، ص79؛ القاضي عبد الجبار، المصدر السابق، ص390؛ النيسابوري، المصدر السابق، ص252، 257.

⁸ الفزّاري، كتاب القدر، ص23؛ أبو خزر، المصدر السابق، ص63؛ تبغورين، المصدر السابق، ص174؛ الجعيري، المرجع السابق، ص471.

ثمَّ جاء على لسان ابن اللَّمطي، أنَّ المعتزلي قال له: "هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه؟ فقلتُ: لا، فقال: هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه؟ فقلتُ: إذا شئتُ، فقال خرجت منها يا ابن اللَّمطي"¹.

وهنا في السؤال الأوَّل حاول المعتزلي تشتيت ذهن ابن اللَّمطي، بطرح سؤال مُستحيل وُقوعه، ثمَّ في السؤال الثاني، لو قال ابن اللَّمطي: نعم أستطيع أو نعم أقدر، فسُجِّبه المعتزلي مثلاً: إذا كيف تقولون أنَّ الاستطاعة مُرتبطة بالفعل، وقد أثبتَّ الآن أنَّ لك استطاعة من دون أن تقوم بفعل الانتقال، ولكنَّ ابن اللَّمطي تفضَّن لهذا الفخِّ، فأجابته: بتعليق الفعل بالمشيئة، فكأنَّما يقول له: نعم إذا شئتُ أن أنتقل من مكان لآخر، خلق الله لي استطاعة لأنتقل بها.

وهذه المناظرة كانت واحدة من بين المناظرات التي كان المعتزلة يقيمونها مع الإباضية وغيرهم في مدينة تيهرت، فالتعدد المذهبي في العاصمة الرستمية، شجع الجماعات المذهبية على معرفة عقائد بعضها البعض²، ولذلك وجد المعتزلة في منطقة تيهرت، المكان المناسب الذي وفرَّ لهم الحرية الدينية، ورخاء العيش، فكانت هذه الظروف من بين أهمِّ الأسباب التي جعلت الوجود المعتزلي يبقى في منطقة تيهرت إلى نهاية العهد الرستمي³.

ثمَّ امتدَّ الوجود المعتزلي جنوباً إلى وادي ميزاب⁴ (انظر الملحق رقم: 10)، فقد ذكر الشيخ اطفيش (ت. 1332هـ/1914م) بعض أخبارهم، فقال: "ويسافرون منها إلى قتال الإمام في تيهرت من أصحابنا، ومن معه... ولما غلبهم الإمام، تفرَّقوا، وبقي من بقي في بلادنا هذه"⁵. وعلى الرَّغم من عدم ذكره للمصادر التي أخذ منها هذه المعلومات، إلَّا أنَّ مثل هذه الأخبار التي تفصلها فترة طويلة عن زمن اطفيش، فمن المتوقع أنَّه استقاها من مصادر لم تصلنا.

¹ ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82.

² نفسه، ص 102.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 169.

⁴ يقع وادي ميزاب في منطقة صحراوية صخرية، ويبعد عن مدينة وارجلان غرباً بحوالي 185 كم. يرجع اسمه إلى بني مصاب، وهم ينحدرون من بني يادين بن محمَّد بن ورتاجن بن زرعي بن واسين الزناتية. ولما كانت اللهجة الميزابية تقلب حرف الصاد زائماً، يظهر أنَّ اسم مصاب تحول إلى ميزاب. انظر: ابن خلدون العبر، ج 6، ص 29، 80؛ معمر عليّ يحيى، الإباضية في موكب التاريخ - الحلقة الرابعة: الإباضية في الجزائر - مراجعة: الحاج سليمان بابيز، مكتبة الضامري، ط 3، السيب - عُمان، 2008م، ج 2، ص 301-302، 311.

⁵ اطفيش (محمَّد بن يوسف)، رسالة حول دخول الإسلام إلى وادي ميزاب ومبدأ عمرانته، ضمن مجموع، مخطوطات مكتبة محمَّد بن أيوب الحاج سعيد، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية، رقم: 106، ورقة 67. وقد ذكر اطفيش هذه التفاصيل في رسالته الشافية، ولكنَّه لم يشر إلى مشاركة الإمام الرستمي في حرب المعتزلة. انظر: الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، طبعة حجرية، د.م، د.ت، ص 38.

ويظهر أن الجماعات المعتزلية في وادي ميزاب، كانت على علاقة بالقبائل الواصلية في منطقة تيهرت¹، فانتجاعها في نفس المجال الجغرافي الممتد بين جنوب منطقة تيهرت إلى وادي ميزاب، ربّما ساهم في انتشار عقائد المعتزلة فيما بينها. كما أن حروب الرستميين مع معتزلة وادي ميزاب، والواصلية في نواحي تيهرت²، لعلّها كانت تحمل هدفا واحدا، وهو القضاء على تمرّدات القبائل المعتزلة البدوية، والحفاظ على سلطتهم في المناطق الصحراوية بالمغرب الأوسط.

كما شهدت نواحي الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط، انتشار الفكر المعتزلي في بعض الجماعات القبلية المجاورة لها، ففي النصف الثاني من القرن 3هـ/9م سقطت مدينة إيزرج السليمانية في يد إحدى الجماعات القبلية المعتزلية غير المعروفة، وكان ممن تولى حكمها زعيم يسمّى إبراهيم بن محمّد البربري المعتزلي³.

ثالثا- التوجّهات الشيعية بالمغرب الأوسط

قبل الحديث عن أهمّ التوجّهات الشيعية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، لا بدّ من الإشارة، إلى أن هذا العنصر، قد لا يعكس بالضرورة كلّ التوجّهات الشيعية التي انتشرت في هذا المجال الجغرافي، فمن المعروف أن مدينة تيهرت عاشت فيها أقلية شيعية⁴، ولا يستبعد أن هناك مُدنا أخرى بالمغرب الأوسط، عرفت حضورا شيعيا، ولكنّ المصادر لم تسلط الضوء على وجودهم فيها، وماهية القناعات الشيعية التي كانت لديهم. ولهذا فالحديث هنا عن التوجّهات الشيعية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، قد يعبر عن جانب من الجغرافية الشيعية فيه، يُمكن تطويرها أو تعديلها، إذا ما توفّرت نُصوص جديدة من شأنها تقديم الإضافة في هذا الموضوع.

أ- الزيدية:

حظيَ الأدارسة بالمغرب الأقصى، والأسر العلوية الحاكمة بالمغرب الأوسط، بمكانة خاصة من طرف القبائل البربرية، وذلك بسبب انتسابهم لسلالة آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلّم-، ممّا جعلهم محطّ احترام وتعاطف كبيرين. وقد توطّدت هذه العلاقة، بعد المصاهرة التي حدثت

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص57.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص101-113؛ اطفيش، رسالة حول دخول الإسلام إلى وادي ميزاب، ورقة 67.

³ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص88.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص169؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج، ص94.

بينهما، ممّا جعل للعلويين عصبية قبلية، رسّخوا حكمهم من خلالها¹، ولذلك يفرض التساؤل نفسه في خضمّ هذه العلاقة عن وضعية الفكر الزيدي الذي تبنّاه العلويون بالمغرب الأوسط²، ومدى انتشاره بين رعاياهم بالمدن والنواحي التي كانت تحت أيديهم؟ وللإجابة عن هذه التساؤل من الضروري لفت الانتباه إلى أنّ الجهات التي حكمها بنو محمّد ابن سليمان في المناطق الممتدّة بين وادي الشلف شرقا ونواحي مدينة تلمسان غربا، كانت تعجّ بالقبائل الصفرية والإباضية³. وأمّا في نواحي إمارات بني محمّد بن جعفر في بلاد متيجة، وإمارة الحسن بن سليمان فيما بين بلاد هاز جنوبا، وسوق حمزة شمالا⁴، فانتشرت عقائد الإباضية بها⁵، وهذا الوضع المذهبي ربّما جعل الفكر الزيدي يكون مُحاصرا في وسط الآراء المذهبية الصفرية والإباضية.

ومن جهة أخرى، فقد قُسمت الولاية الإدريسية بالمغرب الأوسط على أولاد محمّد بن سليمان، ثمّ تبعهم في هذه العادة أولاد محمّد بن جعفر⁶، بل هناك من أحفاد محمّد بن سليمان من أعادوا تقسيم المناطق التي يحكمها آباؤهم⁷، ولذلك مع هذه الوضع السياسي المفكّك، من الصعب عليهم انتهاج سياسة تسعى لإجبار أتباعهم على اعتناق عقائد الزيدية.

كما عرف الفكر الزيدي تطوّرا في القرنين الثاني والثالث الهجريين/8 و9م، وهذا من خلال تبنّيه لغالب الأطروحات الكلامية للمعتزلة⁸. فإذا كان للزيدية نشاط دعوي في المغرب الأوسط، فإنّ دعوتهم للعقائد التي يشتركون فيها مع المعتزلة، ستكون لصالح الفكر المعتزلي وتسهم في انتشاره بالمغرب الأوسط.

¹ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص262.

² ابن حزم، أسماء الخلفاء والوُلاة، ج2، ص147؛ ابن أبي الرّجال، المصدر السابق، ج3، ص126.

³ ابن خيّاط، المصدر السابق، ص353؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص164، ج7، ص16-17.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص246؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص44.

⁵ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191؛ الرازي، المصدر السابق، ص61.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191؛ ابن جزّي، المصدر السابق، ص60.

⁷ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192، 196؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص260، 263؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

⁸ للاطلاع أكثر عن التأثير الفكري للمعتزلة في الزيدية. انظر: الهادي إلى الحقّ (أبو الحسين يحيى بن الحسين ت. 298هـ/911م)، كتاب المزلّة بين المزلتين، في مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحقّ القويم، تحقيق: عبد الله الشاذلي، منشورات مؤسّسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صعدة-اليمن، 2001م، ص152-177؛ الحفظي عبد اللطيف بن عبد القادر، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة-أسبابه ومظاهره-دار الأندلس الخضراء، جدّة-السعودية، 1421هـ/2000م، ص405-459.

ولذلك من المرجح أن عقائد الزيدية بقيت مُتداولة على نطاق ضيق في الإمارات العلوية. هذا مع ملاحظة أن الانفتاح الثقافي لبلاد المغرب على المشرق، يجعل من المحتمل أن هناك من اعتنق عقائد الزيدية من غير العلويين، وعاشوا في مختلف مدن المغرب الأوسط.

ب-الإسماعيلية:

يرتبط دخول التشيع الإسماعيلي ببلاد المغرب، حسب العديد من المؤرخين¹ إلى إرسال الإمام السادس عند الإمامية جعفر الصادق لداعيين من الشرق في سنة 145هـ/762م، هما: عبد الله ابن علي المشهور بالحلواني، وأبو سفيان الحسن بن القاسم، وأمرهما أن يتجاوزا حدود إفريقية، ويستقران في منطقتين مختلفتين، ثم يدعوان إلى ظاهر علم أئمة آل البيت، وفضائلهم.

ولكن بعض الباحثين² شككوا في تاريخ قُدمهم، ومن الأسباب التي جعلته محل نظر، وجود العديد من الشخصيات التي عاشت أو التقت مع الحلواني، وامتدت حياتها إلى نهاية القرن 3هـ/9م وبداية القرن الذي يليه، منها: إسماعيل بن نصر المعادي الذي أدرك الحلواني، وكان حياً في منتصف العقد التاسع من القرن 3هـ/9م³، و بنت الحلواني المعروفة بأُم موسى التي كانت عجوزا في سنة 289هـ/902م⁴، وقاضي القضاة للفاطميين أفلح بن هارون العبّاني الملوسي الذي التقى بالحلواني، وحدث عنه، وكان حياً في سنة 308هـ/920م⁵.

ولذلك عندما ناقش أحد الباحثين⁶ دخول الحلواني وأبي سفيان إلى بلاد المغرب، اعتبر السنة التي أدركها أفلح بن هارون، ناقضة للتاريخ الذي ذكر عن مجيئهما، وذلك بسبب الفاصل الزمني الطويل بينهما، فلا يمكن لشخص أن يكون حياً في سنة 308هـ/920م، ويدرك الحلواني

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص26-27؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص41؛ المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي تـ. 845هـ/1441م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيبان، مطابع الأهرام، ط2، القاهرة-مصر، 1416هـ/1996م، ج1، ص41.

² لقبال، دور كتامة، ص222-224؛ عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة-مصر، 1991م، ص41؛ بويدي حسين، الداعيان الشيعيان: أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب: دراسة في النصوص، ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير، مجلّة المعالم، العدد: 18، نوفمبر 2015م، ص36.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص182؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص120.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص133؛ بويدي، الداعيان الشيعيان، ص37.

⁵ ابن الهيثم (أبو عبد الله جعفر بن أحمد تـ. بعد 334هـ/946م)، كتاب المناظرات، ص121-122، The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'i Witness, Edited and Translated: Wilferd Madelung and Paul E. Walker, New York, I. B., London, 2000.

⁶ بويدي، الداعيان الشيعيان، ص40.

الذي عاش في القرن 2هـ/8م، ولذلك اقترح أن يكون قدومهما في النصف الأوّل من القرن 3هـ/9م.

ولكن عند التأمل في هذه التواريخ، فمن الصعب استبعاد الربع الأخير من القرن 2هـ/9م كفترة لقدومها، وهذا لأنّ الحلواني عمّر طويلاً¹، فمن الممكن نظرياً إذا جاء إلى بلاد المغرب في الربع الأخير من القرن 2هـ/9م، وهو في أواخر العشرينات، أن يكون حياً في العقد السادس من القرن 3هـ/9م، وفي هذه الفترة أدركه أفلح بن هارون، وهو صغير في السنّ، ولهذا يمكن اقتراح الفترة التي قدم فيها الحلواني، وأبو سفيان إلى بلاد المغرب بين الربع الأخير من القرن 2هـ/8م والربع الأوّل من القرن الذي يليه.

وعندما دخل هذان الداعيان إلى بلاد المغرب، نزل أبو سفيان في موضع يعرف بتالا (تقع في شمال مدينة القصرين التونسية بحوالي 50 كم)، وفيها تزوج، واشترى عبداً، وأمة، وبني مسجداً، بينما تقدم الحلواني إلى منطقة سوجمار، فاستوطن موضعاً يُقال له الناظور عند قبيلة سُمّاتة النفزاوية²، وذلك بالقرب من المجالات الشرقية لقبيلة كتامة، وفعل مثلما قام به صاحبه³.

وهذا الموضع الذي نزله الحلواني لم تذكر المصادر موقعه بالضبط، ولكن هناك منطقة ما زالت معروفة بالناظور، تقع في الجنوب الشرقي لمدينة قالمّة على بعد حوالي 30 كم⁴، ربّما بقي اسمها شاهداً على الموقع الذي استقرّ فيه الحلواني.

وأما عن نشاط هذا الداعي، فقد تمكّن من تكوين أتباع له، ساهموا معه في نشر الدعوة الإسماعيلية في أوساط القبائل القريبة منهم⁵، فتشيع كثير من قبيلة سُمّاتة، ونفزة⁶، وامتدت دعوتهم إلى بعض القبائل الكتامية، مثل ملوسة⁷، وأجانة التي عُرف منها يحيى بن يوسف المعروف بالأصمّ

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 29.

² ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 497؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 150.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 27، 29، 40؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص 85.

⁴ الطالبي، المرجع السابق، ص 654، هامش: 2؛ بويدي، المرجع السابق، ص 52. يرى فورنل، ولقبال أنّ موقع الناظور يقع بالقرب من وادي الرمال الذي يمرّ على مدينة قسنطينة، ولكن منطقة قسنطينة تدخل في بلاد كتامة، وأما موقع الناظور فهو يبعد عن مجالات كتامة شرقاً بمسافة يوم.

انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 169؛ نفسه، شرح الأخبار، ج 3، ص 415؛ لقبال، دور كتامة، ص 221، Fournel, op. cit., t.1, p.48-49.

⁵ ابن الهيثم، المصدر السابق، ص 121-122؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 30، 131، 182؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 42.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 29.

⁷ ابن الهيثم، المصدر السابق، ص 121-122.

الذي كان من أصحاب الحلواني¹. كما اخترق نشاط الحلواني قبيلة ورفجومة الصفرية، فاشتهر منهم أبو القاسم الورفجومي الذي ذكر القاضي النعمان أنه كان من جملة الأشخاص الذين "عندهم من علم الشيعة، وفضل أهل البيت أصلاً قوياً"² (انظر الملحق رقم: 10).

وتسربت الدعوة الإسماعيلية إلى إحدى الجماعات المشرقية، المعروفين ببني حفص من بني معاد ببلاد الزاب، واشتهر بالتشيع منهم إسماعيل بن نصر المعادي الذي لحق بالحلواني، وأخذ عن أصحابه³. وبهذا استطاع الحلواني وأصحابه تشكيل قاعدة صلبة للدعوة الإسماعيلية في نواحي سوجمار قبل مجيء أبي عبد الله الداعي إلى بلاد كتامة في سنة 280هـ/893م.

رابعا- انتشار الفقه الحنفي والمالكي بالمغرب الأوسط

تُعتبر الآراء الحنفية من بين التوجّهات الفقهية السبّاقة في الانتشار ببلاد المغرب بين النصف الثاني من القرن 2هـ/8م، وبدايات القرن الذي يليه، فقد ذكر القاضي عياض (ت. 544هـ/1149م) أن "إفريقيّة وما وراءها... كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيّين"⁴، ولهذا باعتبار حدود المجال الإفريقي تمتدّ لتشمل كافة بلاد الزاب⁵، فلا شكّ أنّ الفقه الحنفي انتشر في النواحي الشرقية للمغرب الأوسط.

ولكن من المهمّ الوضع في الحسبان أنّ هذه الجهات شهدت انتشارا كبيرا للتوجّه الإباضية بين قبائلها، وانتشار محدودا للتوجّه الصفري، ولذلك فنص القاضي عياض تبقى دلالاته مرتبطة بالجماعات السنّية، والمعتزلية التي استوطنت غالبيتها في المراكز الحضرية. ولعلّ ما أشار إليه البكري⁶ من تمذهب أهل مدينة تمودة بالفقه الحنفي، يمكن أن يعود اعتناقهم له إلى الفترة التي تحدّث عنها القاضي عياض.

ثمّ في النصف الأوّل من القرن 3هـ/9م، بدأ الوضع الفقهي في إفريقية يتغيّر لصالح توسّع انتشار الفقه المالكي، ويرجع هذا التطوّر للمجهودات التي بذلها أبو سعيد سحنون بن سعيد

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص131.

² نفسه، ص41.

³ نفسه، ص182.

⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص15.

⁵ قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص200؛ الطالبي، المرجع السابق، ص146.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص255. ومن المحتمل أن تكون المعلومات التي أوردها البكري عن مدينة تمودة، ترجع للورّاق في القرن

4هـ/10م. انظر: Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.127.

التنوحي (ت. 240هـ/854م)¹ في نشر الآراء الفقهية المالكية بإفريقية²، وهنا يمكن الإشارة إلى عاملين مهمين أفادا سحنونا في نشر الفقه المالكي بالمغرب الأوسط:

أ-التدريس: نظرا لشهرة سحنون الواسعة، توافد عليه الكثير من الطلبة، الذين قدموا من أنحاء بلاد المغرب والأندلس³، وهذا ما أثر على تذهب أعداد منهم بالآراء الفقهية المالكية، ثم عملوا على نشرها بعدما رجعوا إلى بلدانهم الأصلية. ومن هؤلاء الذين أخذوا عن سحنون من المغرب الأوسط: إسحاق بن أبي عبد الملك الملتشوني (ت. 226هـ/841م)، نسبة إلى قرية للعجم تقع بالقرب من مدينة قهودة⁴، وأبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي التاهرتي (ت. 296هـ/909م)⁵، وأبو محمد عبد الله بن محمد الطبري التيمي (ت. 299هـ/912م)، المعروف بالبندي، الذي رحل إلى المدينة المنورة، وكان له عناية بالفقه واللغة⁶.

ب-القضاء: عندما تولّى سحنون قضاء الإمارة الأغلبية بين سنتي 234-240هـ/848-854م قام بتعيين أصحابه من المالكية قضاة على أقاليمها، وهذا ما سمح له بنشر الفقه المالكي بصفة رسمية⁷. وقد كان من هؤلاء القضاة الذين عينهم على إقليم الزاب؛ أبو حاتم يحيى بن خالد السهمي الذي بقي في هذا المنصب إلى وفاته سنة 245هـ/859م⁸.

ثم بعد انقضاء عهد سحنون بن سعيد تواصل تعيين القضاة الذين لهم توجهات مالكية على إقليم الزاب، ومن هذه الشخصيات التي تداولت على هذا المنصب:

¹ أصله من حمص ببلاد الشام، أخذ العلم في بداية حياته بإفريقية عن علي بن زياد العبيسي، والبهلول بن راشد، وغيرهم، ثم رحل إلى مصر، فسمع من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب. وبعدها سافر إلى المدينة المنورة، ومكة، وسمع من كبار علمائها، ثم رجع إلى القيروان. قام سحنون بتأليف كتاب المدونة الذي يعدّ من أهمّ مصادر الفقه المالكي إلى عصرنا هذا. انظر: أبو العرب، طبقات، ص101-104؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص345-385؛ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص77-104؛ الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص5.

² القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص15.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص369؛ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص98؛ المنتاق، المرجع السابق، ص50.

⁴ أبو العرب، طبقات، ص97؛ المالكي، المصدر السابق، ج، ص401-402؛ لوزري، المذهب المالكي، ص113.

⁵ طلب العلم بالبصرة، وبعدها رجع إلى القيروان، فأقام بها إلى سنة 295هـ/908م، ثم غادرها إلى مدينة تيهرت. كان فقيها، وراويا للحديث، وشاعرا. انظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص21-26؛ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص281-285؛ سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص99.

⁶ القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى السبتي)، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق: محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م، ص314؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص168.

⁷ الحميدي، المصدر السابق، ص384؛ المنتاق، المرجع السابق، ص51؛ مجاز، القضاء، ج2، ص448.

⁸ أبو العرب، طبقات، ص120؛ السمعاني، المصدر السابق، ج8، ص213؛ لوزري، المذهب المالكي، ص99.

- أبو إسحاق إبراهيم بن يونس المعروف بابن الخشّاب (ت. 308هـ/920م): تولّى قضاء الزاب بعد سنة 257هـ/871م، ثمّ عُزل في سنة 275هـ/888م¹.

- أبو عبد الله حمدون بن عبد الله المعروف بابن الطبنة (ت. 280هـ/893م): أخذ العلم عن سحنون بن سعيد، وولي قضاء طبنة بعد سنة 275هـ/871م².

- أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي المعروف بابن بطريقة الصايغ (ت. 303هـ/915م أو 304هـ/916م): ينحدر أصله من أبناء الجند، تولّى القضاء على بعض جهات إقليم الزاب منها طبنة، وباغاية في أواخر العهد الأغلبي³.

ولمّا كان الأحناف والمالكية يتداولون على مناصب القضاء في عهد الإمارة الأغلبية⁴، فهذا يعني أنّ هناك من الأحناف من تولّى القضاء في الجزء الأغلبي من المغرب الأوسط، ولكنّ المصادر لم تذكرهم. وبهذا يكون هؤلاء القضاة ممّن ساهموا في ممارسة الفقه الحنفي والمالكي على مستوى تطبيقي بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط.

وممّا ساهم كذلك في دعم الوجود المالكي بالمغرب الأوسط، تشكيل الجماعات الأندلسية لشبكة تجارية، يبدو أنّها كانت تتوزّع على أهمّ الموانئ، والمراكز الاقتصادية في المغرب الأوسط⁵، وهذا ما عزّز الحضور المالكي في المكون العام للحرارة المذهبية بالمغرب الأوسط، ولو في شكل أقلّيات تمركزت داخل التجمعات الحضرية.

كما امتدّ الوجود الحنفي والمالكي إلى العاصمة الرستمية، فكانوا من الجماعات المذهبية التي استوطنت في هذه المدينة، وشاركت في تنشيط الحركة الاقتصادية، والثقافية بها⁶. والظاهر أنّ مكانتهم السياسية تزايدت في نهاية العهد الرستمي، ومن هؤلاء الأحناف الذين مثّلوا هذا التأثير السياسي، علوان بن علوان الذي "كانت له رياسة في البلد، ومحبة عند العوام"⁷.

¹ أبو العرب، الحنن، ص361؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص480.

² المالكي، المصدر السابق، ج1، ص291؛ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص373؛ الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص250.

³ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ج1، ص374-376؛ الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص330-333.

⁴ المنتاق، المرجع السابق، ص117-118؛ مجاز، القضاء، ج2، ص454-486.

⁵ اليعقوبي، المصدر السابق، ص192؛ ابن القوطية، المصدر السابق، ص103؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص242، 252.

⁶ للاطلاع أكثر على دور الأحناف والمالكية في النشاط الاقتصادي، والحركة الثقافية بمدينة تيهرت في العهد الرستمي. انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص32، 92؛ جودت، المرجع السابق، ص97-100، 108؛ سبع، المرجع السابق، ص93-124.

⁷ ابن الصغير، المصدر السابق، ص92.

وأما في الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط، فيبدو التساؤل وجيها عن ماهية التوجّه الفقهي الذي أخذ به حكّامها؟ وهنا من المهمّ الإشارة إلى أنّ المصادر المعتمد عليها في هذا البحث، لم تشر إلى هذه القضية، ولذلك تبقى عمليّة الإجابة عن هذا التساؤل، تعتمد على التخمين في إطار السياق التاريخي لانتشار المذاهب الفقهية في بلاد المغرب.

فقد أكّد القاضي عياض¹ على انتشار الفقه الحنفي في إفريقيّة وخارجها من بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن 2هـ/8م. وعيّن إدريس بن إدريس على القضاء أحد تلامذة الإمام مالك، وهو عامر بن محمّد القيسي²، وهذا ما يوحي بإقرار الإمام الإدريسي في أن يكون الفقه المالكي معتمدا في دولته، كما أنّ المذاهب الفقهية من غير الآراء الفقهية الحنفية والمالكية لم تكن واسعة الانتشار بالمغربين الأوسط والأقصى³، ولهذا من الراجح أنّ الأسر العلوية الحاكمة بالمغرب الأوسط لم يخرجوا في الغالب بالأخذ في الفروع بالفقه الحنفي أو المالكي⁴.

يتّضح من خلال ما سبق ذكره، أنّ المغرب الأوسط عرف انتشارا للعديد من التوجّهات العقدية في الفترة الممتدّة من بداية القرن 2هـ/8م إلى نهاية العقد الثامن من القرن 3هـ/9م، منها: فرق الإباضية التي نعرف منها: الوهبية، والنكارية، والعمرية، والحسينية، وهي في مجموعها مثّلت التوجّه الغالب بالمغرب الأوسط، وعقائد الصفرية، التي انتشرت بصفة خاصّة في المجالات الممتدّة بين وادي الشلف ومنطقة تلمسان، وعقائد أهل السنّة، والمعتزلة التي وُجدت في العديد من المراكز الحضرية والنواحي بالمغرب الأوسط، بينما شهدت عقائد الزيدية انتشارا محدودا بالإمارات العلوية، ومثلها الدعوة الإسماعيلية في النواحي المحيطة بمنطقة سوجمار.

وأما عن الفقه الحنفي والمالكي، فقد انتشر في جهات مختلفة بالمغرب الأوسط، منها: العديد من المراكز الحضرية في الجزء الأغلي من المغرب الأوسط، والعاصمة الرستمية، والإمارات العلوية، كما ساهم الوجود الأندلسي في دعم الحضور المالكي في المراكز الاقتصادية بالمغرب الأوسط.

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص15.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص29.

³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص15؛ الجيدي، المرجع السابق، ص18-20.

⁴ دافع قادة سبع على مالكية حكام الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط، ولكنّ القرائن التي قدّمها في حصر انتمائهم بهذا التوجّه الفقهي، تبقى غير مقنعة. انظر: المرجع السابق، ص141-159.

الفصل الثالث: تحولات الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط
من العقد التاسع للقرن 3هـ/9م إلى قيام الدولة الحمّادية
في 408هـ/1017م

المبحث الأول: تحولات الجغرافية الشيعية بالمغرب الأوسط
المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط:
بين توجهاتها الداخلية وتحولاتها الجغرافية
المبحث الثالث: توسع القاعدة السنّية المالكية بالمغرب
الأوسط وملامح من تطوّرات حركتها الروحية

شهدت الحركة المذهبية بالمغرب الأوسط تحوّلات مفصلية بعد قدوم أبي عبد الله الداعي إلى بلاد كتامة في سنة 280هـ/893م، وانتشار الدعوة الإسماعيلية بها، فقد كانت ستة عشر سنة كافية لظهور كيان سياسي جديد عُرف بالخلافة الفاطمية، وحسب قوتيه (Gautier)¹ فإنّ هذه الدولة كسرت التوازن الذي كان سائدا ببلاد المغرب في عهد الدول التي قبلها (الأغالبة-الرستميون-الأدارسة-بنو مدرار).

وبهذا، فقد أنتجت مرحلة ما بعد قيام الخلافة الفاطمية، صراعا محتدما بين العديد من التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط، وذلك من أجل تعزيز تموقعها الجغرافي أو تحقيق مشروعها السياسي. ومن هنا يأتي منطلق الدراسة بإشكال يتساءل عن ماهية التوجّهات المذهبية التي شكّلت معالم تحوّلات الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط من ظهور المشروع السياسي الإسماعيلي على يد أبي عبد الله الداعي في العقد التاسع من القرن 3هـ/9م إلى قيام الدولة الحمّادية في سنة 408هـ/1017م؟

المبحث الأوّل: تحوّلات الجغرافية الشيعية بالمغرب الأوسط

تمكّن الأدارسة من تجسيد المشروع الزيدي في المغربين الأقصى والأوسط، وتأسيس إمامة توارث فيها الحكم الفرع الحسيني من سلالة إدريس بن عبد الله، ثمّ بعد تأسيس بني محمّد ابن سليمان وغيرهم لإماراتهم المستقلّة في القرن 3هـ/9م، بقي هؤلاء الأمراء ممثّلين للحكم الشيعي بالمغرب الأوسط². وفي المقابل عرفت الدعوة الإسماعيلية خلال هذه الفترة نجاحا محدودا في الجهات المحاذية لمنطقة سوجمار، ولكن هذه الوضعية ما لبثت أن تغيرت بداية من العقد التاسع للقرن 3هـ/9م.

بعد وفاة أبي سفيان والحلواني، قام أبو القاسم الحسن بن فرج الكوفي المعروف بابن حوشب المكلف بأمر الدعوة الإسماعيلية في اليمن، بتكليف أبي عبد الله الداعي لمواصلة ما بدأ به سلفيه في بلاد المغرب، وقال له: "إنّ كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وليس لها غيرك فبادر فإنّها موطأة، مُمهّدة لك"³. ولذلك شكّل نشاط أبي عبد الله الداعي في بلاد كتامة محطة

¹ Gautier, op.cit., p.353.

² ابن حزم، أسماء الخلفاء والولاة، ج2، ص147؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص23؛ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص54.

³ المقرئزي، أتعاظ الحنفا، ج1، ص55.

أساسية في صعود المشروع الإسماعيلي في بلاد المغرب، ومنعرجا مهمّا في إعادة رسم معالم الخارطة الشيعية خاصة، والخارطة المذهبية عامّة بالمغرب الأوسط خلال القرن 4هـ/10م.

أوّلا-المجال الكتامي قبل العقد التاسع من القرن 3هـ/9م:

يُعتقد أنّ الجذور العرقية لكتامة تعود إلى جماعة الكواداموزي (Koidamousii) الذين ذكّروهم الجغرافي بطليموس (Ptolémée) في منطقة الوادي الكبير في الجهة الشرقية لجبال البابور في القرن 2م¹. وربّما من هؤلاء ينحدر قبائل الأوتوماني (Ucutumani) الذين ذكّروا في إحدى النقوش الأثرية التي تعود إلى القرن 6م، وقد عاشوا في منطقة جبال البابور في إطار حكم محلي².

وبعد الفتح الإسلامي ظهر لقب كتامة الذي شكّل في العصر الوسيط اسما لإحدى الفروع القبلية الكبرى التي تنتسب إلى كُتّام بن برنس بن مازيغ، الذي يعتبره النسابة جدا أعلى لفرعين قبليين هما "غرسن" و"يسوده"، ثمّ منهما تناسلت بقية القبائل والأفخاذ الكتامية³. وهذا النسب سواء كان حقيقيا أو له ظروف أخرى دعت إلى تبلوره، إلّا أنّه جعل من القبائل المنتسبة لكتامة، تكوّن رابطا عرقيا متينا، عزّز من قوّتهم، وأعطى لمواطنهم هوية البلاد الموحّدة⁴.

وحسب ما ذكر الحجاج الكتاميون لأبي عبد الله الداعي، أثناء قدومهم إلى بلاد المغرب، فإنّ بلادهم طولها خمسة أيّام، وعرضها ثلاثة أيّام⁵. ولكنّ هذا التحديد يفتقر إلى معالم طبيعية أو عمرانية، يُمكن من خلالها فهم حدود بلاد كتامة بشكل دقيق. ولذلك تبقى بعض الإشارات المصدرية التي جاءت عرضا في ذكر بعض الأحداث المرتبطة بالقبائل الكتامية، المعتمد الأساسي في محاولة أخذ تصوّر عن حدود بلاد كتامة قبل التوسّعات التي قادها أبو عبد الله الداعي في العقد التاسع من القرن 3هـ/9م.

¹ الطالبي، المرجع السابق، ص669؛ بويدي حسين، الحراك القبلي الكتامي من ق3-5هـ/9-11م -دراسة في الخلفيات والتداعيات-، الملتقى الوطني: الحجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية، بجامعة 8 ماي 1945م-قالمة، 23 أفريل 2018، الرابط: <http://dspace.univ-guelma.dz:8080/xmlui/handle/123456789/7672>، ص8؛ Laporte (J. P.), Ketama, Kutama (Kutâma, Kotama, Ketama, etc.), Encyclopédie berbère, N. 27, 2005, p.4179.

² لقبال، دور كتامة، ص95؛ Laporte, op.cit., p.4180.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195-196؛ لقبال، دور كتامة، ص92.

⁴ ابن الهيثم، المصدر السابق، ص119، 120؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص37-38.

⁵ نفسه، ص37.

امتدّت مجالات بلاد كتامة شمالاً إلى أن وصلت إلى البحر المتوسط، ومن أهمّ المراسي التابعة لهم: سكيكدة، وجيجل، وقلعة خطّاب، ودنهاجة¹، وأمّا من الجهة الشرقية فهي تقع في النواحي الغربية على بعد يوم من موضع الناظور بقالة الذي استقرّ فيه الحلوان²، ومن هذه الناحية، يُمكن وضع خطٍّ وهميٍّ لحدود بلاد كتامة، يتّجه غرباً إلى منطقة قسنطينة التي كانت تقع على الأطراف من بلاد كتامة، ثمّ يستمرّ هذا الخطّ إلى الجهات القريبة من مدينة ميلة، وبعدها يهبط إلى نواحي مدينة بلزمة التي تُعتبر الحدّ الجنوبي للمجال الكتامي، ثمّ يصعد باتجاه الشمال الغربي إلى مدينة سطيف، وما اتّصل بها شمالاً من سلسلة جبال البابور³.

ولا بدّ من التنويه هنا، أنّ بعض المدن المخاضية للمجالات الكتامية كانت خاضعة لإدارة جماعات من الأسر العربية، فمدينة ميلة خضعت لسلطة بني عبد الصّمد من قبيلة سليم، وكان بنو أبي خنزير من وجهاء هذه المدينة، يُعرفون بالسناجرة، وهم يرجعون إلى قبيلة ربيعة، وقد تحكّم بنو مالك من قبيلة بني تميم في مدينة بلزمة، وبنو أسد بن خزيمه في مدينة سطيف⁴. ولهذا عندما تحدّث الحجاج الكتاميون لأبي عبد الله الداعي عن هذه المدن، يُفهم من كلامهم أنّهم لا يعتبرونها داخلية ضمن بلاد كتامة⁵.

ثمّ تمتدّ حدود المجالات الكتامية غرب مدينة سطيف، فالمسافة بين هذه المدينة والجهة التي تمثّل الحدّ الشرقي لبلاد كتامة في النواحي الغربية لمنطقة الناظور بقالة على بعد مسافة يوم، يُمكن تقديرها في حدود 160 كم، وأمّا متوسط مسافة خمسة أيام التي ذُكرت في طول بلاد كتامة⁶، فإنّها تقارب 220 كم، ولذلك إذا كانت هذه الرواية صحيحة، فمن المفترض أنّ الحدود الغربية لبلاد كتامة تتجاوز غرباً مدينة سطيف بمسافة مُعتبرة، ولذلك من الممكن أن تكون النواحي الشرقية لجبال جرجرة مؤهّلة لتصل مجالات القبائل الكتامية إليها⁷ (انظر الملحق رقم: 11).

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص190؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص247؛ لقبال، دور كتامة، ص92.

² القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج3، ص415.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36، 169، 70؛ الطالبي، المرجع السابق، ص672؛ بويدي، الحراك القبلي، ص9.

⁴ اليعقوبي، المصدر السابق، ص190؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص135، 140، 165.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36؛ هالم هاينتس، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين (875-973م)، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق، بيروت-لبنان، 2013م، ص142.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص37.

⁷ نفسه، ص113؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص111.

وقد اشتهر اسم جيغل للدلالة على المنطقة التي استقرّ فيها أبو عبد الله الداعي أثناء مكوثه بين القبائل الكتامية¹، ولذلك إذا لم يكن هذا الاسم، كان يُطلق على كامل بلاد كتامة في تلك الفترة، فهو يعبر على جزء مُعتبر منها.

ثانياً-المشروع الإسماعيلي في بلاد كتامة:

بدأت مهمة أبي عبد الله الداعي عندما خرج من اليمن متوجّهاً إلى مكة في موسم الحجّ، وأثناء مكوث الحجّاج بمخى، سأل أبو عبد الله عن موضع نزول الحجّاج المغاربة فدلوه عليهم، ثمّ مرّ على جماعة من كتامة، كانوا يذكرون فضائل عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، فجلس معهم، وساهم في إثراء الموضوع الذي كانوا يتحدثون فيه، وبعد ذلك تعرّف عليهم، فوجد بعضهم متشيّعين، فأدرك أنّه وجد ضالته².

ويظهر أنّ أبا عبد الله لو لم يجد هؤلاء على معرفة بالتشيّع، ربّما لكان تركهم، وبحث عن آخرين ممّن يدينون بهذا المعتقد، لأنّ التوافق المذهبي بين الداعي والجماعة التي يأتي معها إلى بلاد المغرب، يُسهّل التفاهم معهم، ويجعل منهم وُسطاء يساعده في الاستقرار ببلاد كتامة.

وبعد انقضاء موسم الحجّ توجه معهم إلى مصر، وفي هذه الرحلة تعرّف بعضهما على بعض، وازداد احترام وتقدير الكتاميين له أكثر، ثمّ عندما وصلوا إلى مصر أبدى أبو عبد الله أنّه يريد المقام فيها من أجل الاشتغال بالتعليم، ولكنّ الكتاميين أصرّوا على الذهاب معهم إلى بلادهم، ورغبوه في التعليم بها، فأظهر أبو عبد الله الموافقة، ثمّ أكمل المسير معهم إلى أن وصلوا إلى سوجمار ببلاد سُماتة³.

وفيها التقى أبو عبد الله مع بعض الشيعة الذين يستقروّن في هذه الناحية، وهم أبو المفتش الذي أدرك الحلواني، وأبو القاسم الورفجومي، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي الذي كان مُعلّماً في هذه المنطقة، وهو الذي بات عنده أبو عبد الله⁴. ثمّ في الليل لما تعارفوا، كشف أبو عبد الله أمره لأبي عبد الله الأندلسي، وعندما حلّ اليوم الثاني عرف أبو المفتش وأبو القاسم بحقيقته أيضاً، ولهذا قرّر أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم مرافقة أبا عبد الله إلى بلاد كتامة⁵.

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص68؛ نفسه، شرح الأخبار، ج3، ص417.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص34-35؛ نفسه، شرح الأخبار، ج3، ص415؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص35-40؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450؛ المقرئ، أتعاط الحنفا، ج1، ص56.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص41؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص42.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص41-43؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص85-87.

وصل أبو عبد الله مع الحجاج الكتاميين وأصحابه إلى بلاد كتامة في منتصف ربيع الأول سنة 280هـ/ بداية شهر جوان 893م، فبدأ الكتاميون يتنازعون حول أمر استضافته، ولكنّ أبا عبد الله تعامل مع هذا الموقف بحنكة، فلم يدع قضية اختيار مكان استضافته، تُوهم بأنّه فضل طرفاً على آخر، ولكنّه ربط مكان إقامته بالتنبؤات الشيعة، وهذا للتأثير فيهم، فسألهم عن مكان يُسمّى "فجّ الأخيار"، وهذا المكان لم يكن الحجاج الكتاميون قد ذكروه له، ممّا استدعى استغرابهم، فأجابوه بأنّه يقع في جبل إكجان، فقرر أبو عبد الله التزول فيه¹.

ثمّ لما نزلوا في هذا الموضع، قال لهم أبو عبد الله: "لقد جاء في الحديث: إنّ للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان فتنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتقّ اسمهم من الكتمان، فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفجّ، يُسمّى فجّ الأخيار"². ومن الواضح أنّ أبا عبد الله حاول من خلال هذا الكلام، غرس فكرة الشعور بأهميتهم، والمهمّة الدينية الكبيرة التي تنتظرهم.

ويقع جبل إكجان الذي استقرّ فيه أبو عبد الله في محيط منطقة بني عزيز ولاية سطيف³، وأصل اسم هذا الجبل يعني الكلاب بالبربريّة، وربما تكون هذه التسمية مُرتبطة بكثرة هذه الحيوانات في جبل إكجان، سواء بسبب وجودها الطبيعي أو لكثرة استعمالها من قبل سكّان هذه الناحية⁴. كما يتميّز هذا الجبل بموقع جغرافي منيع، يحتوي على مجموعة من الممرّات الضيقة، التي يُمكن استغلالها كمخابئ أو خنادق إذا ما تعرّض هذا الجبل للحصار⁵.

وحسب القاضي النعمان فإنّ أبا عبد الله لما سأله الكتاميون عن كيفية معرفته بفجّ الأخيار الذي في جبل إكجان، قال لهم: "أمرتُ أن يكون دخولي إلى بلاد كتامة منه"⁶. وهذا ما يدلّ

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص47؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص451؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص56.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص48؛ Fournel, op.cit., t. 2, p.52-53. ويروي ابن عذارى عن محمّد بن يوسف الوراق كلاماً مشابهاً لما جاء عند القاضي النعمان. انظر: المصدر السابق، ج1، ص127.

³ لقبال، دور كتامة، ص157؛ عقاب محمّد الطيب وبويحيوي عزّ الدين، موقع إكجان بين المسح الأثري والنصوص التاريخية، مجلة بحوث، مجلد: 6، العدد: 1، 15 جوان 2000م، ص11.

⁴ الطالبي، المرجع السابق، ص680؛ هامش رقم: 5. Vonderheyden (E.), La berbérie orientale sous la dynastie des Benou Al-Arlab, Librairie orientaliste Paul Guethner, Paris, 1927, p.288, note 1.

⁵ لقبال، دور كتامة، ص156-157؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص87؛ Gautier, op.cit., p.343.

⁶ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج3، ص416. وجاء في افتتاح الدعوة عندما سئل أبو عبد الله عن فجّ الأخيار، "قال: البلدان تُوصف للناس، وتذكر لهم، وإن لم يروها". انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص48.

على أن القائمين على شُؤون الدعوة الإسماعيلية في بلاد المشرق، كانوا على علم مُسبق بجانب من الخصائص الطبيعية لمنطقة كتامة، ولهذا ربّما يكون ابن حوشب هو الذي أمر أبا عبد الله بأن يبدأ نشاطه الدعوي والسياسي في مثل هذه الجبال.

وأما عن الذين استقرّ أبو عبد الله عندهم، فهم يعرفون ببني سكتان¹، ينحدر أصلهم من قبيلة جيملة الكتامية التي تتوزّع في محيط جبل إكجان² (انظر الملحق رقم: 11)، ولا زالت هناك منطقة تعرف بهذا الاسم في الشمال الشرقي لجبل إكجان على بعد حوالي 25 كم. ومن سكان منطقة بني عزيز في الفترة المعاصرة من يُعرفون ببني سكفان، ولذلك من الممكن أن يكونوا من بقايا بني سكتان³، ولكن اسم قبيلتهم، وقع عليه بعض التحوير.

وبعد نزول أبي عبد الله عند بني سكتان، ذهب الحجاج الكتاميون إلى مناطقهم، ونشروا خبر وجوده في جبل إكجان، فبدأ الناس يأتون إليه من كلّ ناحية، وبهذا شرع أبو عبد الله في نشر الدعوة الإسماعيلية بينهم، فكان يحدثهم بفضائل أئمة آل البيت، فإذا رأى الشخص منهم، أبدى اقتناعا بما حدثهم به، تعمّق له في جوانب العقائد الإسماعيلية، ثمّ بعدما اتسع نطاق المعتنقين لهذه العقائد، أُطلق على أبي عبد الله أثناء إقامته في بلاد كتامة اسم المشرقي، وعلى أتباعه لقب "المشاركة"⁴، وأما هو فسمّى أتباعه بعض الأسماء، منها: "الإخوان" و"المؤمنون"⁵.

ويُمكن من خلال نشاط أبي عبد الله في هذه الفترة، أخذ فكرة عن مدى انتشار الدعوة الإسماعيلية في القبائل الكتامية، فقد لقيت ترحيبا واسعا في قبيلة جيملة، وفرعها بني سكتان، وبعض القبائل القريبة منها⁶، بينما عرفت انتشارا متفاوت المستويات في بعض القبائل الأخرى من كتامة⁷.

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص47؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص89.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص88؛ نفسه، شرح الأخبار، ج3، ص416؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص42، ج6، ص196.

³ لقبال، دور كتامة، ص157.

⁴ عرف هذا المصطلح تطوّرا دلالياً عند أهل السنّة في بلاد المغرب خلال العهد الفاطمي، فشمّل العديد من معاني القدح، مثل الكفر، والمروق عن الدين، وتحليل الحرمات، وفعل المنكرات. انظر: بن حمّادي عمر، حول نعت الدعوة الفاطمية بـ"التشريق" ونعت الداخلين فيها بـ"المشاركة"، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 39، 1995م، ص281-304؛ الجلاصي بثينة، التشريق: مقالة أصولية عبد الإسماعيلية، مجلة أصول الدين، العدد: 1، ديسمبر 2016م، ص237-239.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص49، 79، 87، 123؛ ابن حمّاد (أبو عبد الله محمد بن عليّ الصنهاجي تـ. 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة-مصر، د.ت، ص38.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص81، 84؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص127، 128.

⁷ النويري، المصدر السابق، ج29، ص48؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص89.

ولما انتشرت أخبار نشاط أبي عبد الله في إفريقيّة، أرسل موسى بن العباس والي ميلّة إلى بني سكتان بأن يسلموا له أبا عبد الله ليتحقّق من أمره، ولكنهم رفضوا بشدّة تسليمه، ثمّ بعث الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (261-289هـ/875-902م) رسولا إلى أبي عبد الله يحذّره ويهدّده إذا ما أقدم على الخروج عليه، ولكنّ أبا عبد الله حاول إظهار مدى إخلاص أتباعه، وتأييد الله-عزّ وجلّ- لهم، وأنّه يدعو إلى المهدي الذي اقترب ظهوره¹.

ويذكر القاضي النعمان² أنّ انتشار الدعوة الإسماعيلية، وعدم تدخّل إبراهيم بن أحمد في مواجهة أبي عبد الله، جعل ولاة البلدان، وزعماء القبائل يخافون على زوال رئاستهم، ولهذا اتفقوا على مواجهة أبي عبد الله. إلّا أنّ هذه الرواية تحتاج إلى إعادة نظر، فلما يبعث الأمير الأغلبي جيشا، وله من الأتباع في نواحي بلاد كتامة، من يستطيعون مقارعة أبي عبد الله وأتباعه من القبائل كتامة؟ فالذي يبدو أنّ إبراهيم بن أحمد لم يرسل جيشا لمواجهة أبي عبد الله، لأنّه كان وراء اتفاق ولاة البلدان وزعماء القبائل، أو على الأقلّ كان على علم بتحركهم، وهذا ربّما ما جعله يكون مطمئنّا على وجود قوّة عسكرية يمكنها القضاء على خطر أبي عبد الله.

ومن الولاة الذين جاء اسمهم في هذا التكتّل: موسى بن العباس والي ميلّة، وحيّ بن تميم والي بلزمة، وعليّ بن عسلوكة والي سطيف³، وأمّا زعماء القبائل الكتامية الذين تحالفوا معهم، فمنهم: فتح بن يحيى أمير قبيلة مسالطة، التي تتوزّع في النواحي الشرقية لمدينة سطيف⁴، ومهدي بن أبي كناوة زعيم قبيلة لهيصة، التي تقع مجالاها بالجهات الغربية لجبل إكجان⁵، وفرح ابن حيران زعيم قبيلة أجانة، التي تحاذي قبيلة جيملة، وتتوزّع مواطنها بالنواحي الشمالية لمدينة بلزمة⁶، وقيم بن فحل زعيم قبيلة لطاية، التي تتمركز بالقرب من مدينة ميلّة⁷، وزيايد المتوسي زعيم قبيلة متوسة⁸، وهذه القبيلة لم تشر المصادر إلى مواطن استقرارها، ولكن حسب موسى

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص53-58؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص49-53.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص79.

³ نفسه، ص81؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص94-95.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص100، 106. وحسب فرحات الدشراوي فإنّ مجالات قبيلة مسالطة تمتدّ إلى شمال مدينة سطيف، ولكنّه لا يوضّح كيف استنتج هذا التحديد. انظر: المرجع السابق، ص89.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص149؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص113.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص170؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص453.

⁷ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص143؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص112.

⁸ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص81؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص95.

لقبال¹ فإنّ هناك جماعة قبلية تعرف بالمتوسين، توجد في منطقة عين البيضاء بالجنوب الشرقي لمدينة قسنطينة على بعد حوالي 30 كم، من الممكن أن يكونوا من بقايا قبيلة متوسة.

وقد لجأ هؤلاء إلى بيان بن صقلان، وهو من وُجَّهَاء قبيلة بني سكتان، ولم يكن من أنصار أبي عبد الله، فطلبوا منه أن يقبض على أبي عبد الله، ويُخرجه من بلاد كتامة، مقابل أن يولّوه زعامة القبائل الكتامية، ولكنّه رفض هذا الطلب، وعرض عليهم أن يجمعوا بعض العلماء، وقيموا مناظرة مع أبي عبد الله، فإن ظهر على الباطل، سيتفرّق عنه أتباعه، وبهذا يُمكن طرده، فكان هذا العرض، فرصة لأعداء أبي عبد الله الذين حاولوا استغلالها لقتله، فوافقوا على طلبه، ثمّ عندما حان وقت المناظرة، جاؤوا بعدد كبير من الرجال، فلمّا عرف بنو سكتان بقدمهم، قاموا مع قبيلة جيملة بقتالهم، وتمكّنوا من إلحاق الهزيمة بهم².

ثمّ رجع خصوم أبي عبد الله إلى بيان بن صقلان، وطلبوا منه إخراج أبي عبد الله من أجل حقن دماء القبائل الكتامية، ولمّ شملها، فوافق هذه المرّة، وبدأ يحدّر قومه من عاقبة بقاء أبي عبد الله عندهم، وهذا ما شكّل تهديدا للدعوة الإسماعيلية من داخل قبيلة بني سكتان. فلمّا بلغت هذه التطوّرات الحسن بن هارون الغشمي، أحد زعماء قبيلة غشمان، طلب من أبي عبد الله الانتقال إلى منطقة تازورت التي تستوطنها قبيلته، فتشاور أبو عبد الله مع أتباعه، ثمّ قرّروا الانتقال إليها³.

ويتمركز موضع تازورت على هضبة ما زالت تعرف حاليا بكاف تازورت، تقع في منطقة عين ملوك بولاية سطيف⁴. ويتميّز موقعه بتمركزه في منطقة قريبة من العديد من القبائل الكتامية، مثل: أجانة، وهيصة، ولطاية، وجيملة⁵، وملوسة التي تتوزّع في نواحيه الغربية⁶ (انظر الملحق رقم: 11)، وهذا ما يسهّل احتكاك أبي عبد الله وأتباعه بأفراد هذه القبائل، ونشر الدعوة الإسماعيلية بينهم.

¹ لقبال، دور كتامة، ص111.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص81-84؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص51.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص84-87؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص51-52؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص56.

⁴ لقبال، دور كتامة، ص152، هامش: 322؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص102.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص88؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص98.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص84-87.

ولذلك انتقل أتباع أبي عبد الله من بني سكتان وغيرهم إلى تازورت، ثمّ واصل أبو عبد الله المضي في توسيع نطاق دعوته بين القبائل الكتامية، فتمكّن من كسب تأييد واسع في قبيلة غشمان، وجماعات مختلفة من القبائل الكتامية الذين قدموا إليه من أجل حمايته، حتّى أنّ الزعيم بيان بن صقلان الذي كان سببا في طرده من جبل إكجان، عاد وأعلن ولاءه لأبي عبد الله، وبعدها انضمت إليه قبيلة ملوسة صلحا، ثمّ لهيصة بعد محاربتهم لأبي عبد الله، ومقتل زعيمهم مهدي بن أبي كناوة¹.

كما قام أبو عبد الله وأتباعه ببناء قلعة بتازورت² في سنة 287هـ/902م، واختطّوا فيها قصرا لأبي عبد الله، ثمّ بنوا حوله ديارا لأنفسهم، وقصدتهم في هذه الفترة الكثير من أتباع الدعوة الإسماعيلية، واستقرّوا في هذه القلعة³.

وبالموازاة مع بناء وإعمار قلعة تازورت، أكمل أبو عبد الله مع أتباعه إخضاع القبائل المجاورة لهم، قال القاضي النعمان: "و حاربوا من عندّ منهم عليهم ممّن قرب ممّا لديهم، وشتّوا الغارات على من بعد منهم، فقلّ يوم إلّا ولهم فيه رُقعة موضع، وحلّول بساحة قوم، وأسلم أكثر الناس إليهم، وأقبلوا يسألون الدخول في الدعوة رغبة ورهبة"⁴.

وبهذا تمكّن أبو عبد الله من بسط سلطته على غالب بلد كتامة، فقام أبو عبد الله بتقسيم القبائل الكتامية الخاضعة له إلى سبعة أجزاء، وجعل على كلّ جزء منها عسكريا، وعيّن لقيادته مقدّما، ووزّع دعاته على العديد من مناطق بلاد كتامة، وأطلق على المقدّمين والدعاة اسم المشايخ⁵.

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص88-89، 94-98؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص97-102.

² ربط القاضي النعمان بناء قلعة تازورت، ثمّ بعد ذلك بناء قلعة إكجان بمفهوم دار الحجر، مع الإشارة إلى أنّ ابن الهيثم واليمني المعاصرين له عندما ذكرا إكجان لم يشيرا إلى ما يصرّح أو يلمّح لهذا المصطلح. ولذلك ذهب عمارة علاوة إلى أنّ هذا المفهوم لم يكن موجودا في هذه الفترة، وإنّما أخذه القاضي النعمان من التحوّلات التي حدثت للفكر الإسماعيلي في عهد القائم (322-334هـ/909-946م)، وبعدها أسقطه على هاتين القلعتين، وذلك لإعطاء الشرعية للخلفاء الفاطميين في جعل مكان إقامتهم دار هجرة للإسماعيلية، وهذا ما كان له أثر في تحجير الكتاميين من بلادهم إلى مدن شرق إفريقيا. انظر: ابن الهيثم، المصدر السابق، ص119؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص109؛ اليماني (محمد بن محمد تـ. بعد 365هـ/975م)، سيرة الحاجب جعفر بن عليّ وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، نشره: و. إبانوف، مجلّة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد: 4، ديسمبر 1936م، ج2، ص128؛ Allaoua, Peuplement et arabisation, p.278-279.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص109؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص55؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص110.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص110.

⁵ نفسه، ص124-125؛ هام، المرجع السابق، ص144-145.

ولم يبق من الكتاميين الذين لم يخضعوا لحكمه، إلّا رؤساء القبائل، ووُجوه العشائر، وبعض الجماعات القبلية التي كانت قريبة من المدن في نواحي بلد كتامة¹.

وقد وضع أبو عبد الله في الحسبان خطر بقاء هذه المدن والجماعات الكتامية خارجة عن نطاق سيطرته، فوجّه جهوده في هذه الفترة لمحاولة إخضاعها، فقام بالسيطرة على مدينة ميله، وولّى عليها أبا يوسف ماكنون بن ضبارة الأجنبي بعد شهر رجب من سنة 289هـ/جوان-جويلية 902م، ولكن مشروع أبي عبد الله تعطلّ بعدما فرّ أبو إبراهيم بن موسى بن العباس والي ميله مع جماعة معه، وذهبوا إلى الأمير الأغلي أبي العباس بن إبراهيم (289-290هـ/902-903م)، وطلبوا منه أن يعث جيشا لمواجهة أبي عبد الله².

فقام أبو العباس بتعين ابنه محمّدا المعروف بأبي حوَال على رأس اثني عشر ألف بين فارس وراجل، ثم توجه هذا الجيش إلى بلاد كتامة في ذي العقدة سنة 289هـ/أكتوبر 902م، وقد ازداد تعداداه في الطريق بمن انضمّ إليه من مُحاربي الجماعات القبلية إلى أن وصل إلى مدينة سطيف، ومنها تقدّم إلى نواحي قلعة تازورت. فلما علم أبو عبد الله بقدوم خصومه، خرج إليهم وقاتلهم، ولكنّه انهزم مع أتباعه، واضطروا أن ينتقلوا إلى جبل إكجان، فقام أبو حوَال بحرق قلعة تازورت، ثمّ رجع إلى ميله، وبعد ذلك حدثت مواجهة أخرى في نواحيها استطاع أتباع أبي عبد الله هزيمة أبي حوَال، وإرجاعه إلى مدينة تونس³.

ثمّ قام أبو عبد الله مع أتباعه ببناء قلعة أخرى في جبل إكجان⁴، واستقرّوا بها⁵. بينما عاد أبو حوَال في جيش أضخم من الأوّل إلى مدينة سطيف، ودخل في معركة ضدّ أبي عبد الله، كانت نتيجتها انهزام جيش أبي حوَال، وانسحابه إلى سطيف، وأثناء هذه الأحداث، كان زيادة الله ابن أبي العباس قد اعتلى عرش الإمارة الأغلبية في 29 رجب 290هـ/28 أو 29 جوان 902م، فبعث إلى أبي حوَال بالقدوم إليه، وأمر من معه بإلقاء القبض عليه في الطريق⁶.

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص117، 136؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص109.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص135-137؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص451.

³ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص136-142؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص452.

⁴ يوجد موقع أثري يقع في شمال مدينة بني عزيز (ولاية سطيف) على بعد 2كم، يحتوي على أجزاء من سور دفاعي، يُعتقد أنّه من بقايا قلعة إكجان. انظر: لقبال، دور كتامة، ص157-159؛ عقاب وبويجاوي، المرجع السابق، ص11.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص146؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص57.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص148-154؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص57.

وبعد ذلك واصل أبو عبد الله مخطّطه في السيطرة على المدن القريبة من بلاد كتامة، فقام بالاستيلاء على مدينة سطيف، ثمّ هدم أسوارها، وعيّن عاملاً عليها، ثمّ قاتل أهل مدينة بلزمة ثلاث سنوات إلى أن تمكّن من دخولها في سنة 293هـ/906م¹، وبهذا استطاع أبو عبد الله القضاء على أهمّ الوُلاة الذين كانوا يهدّدون سلطته، وأن يسيطر على باقي الجماعات الكتامية التي كانت متحالفة معهم²، وهذا ما جعله يؤمّن نفوذه على بلاد كتامة ونواحيها، ثمّ يتفرّغ للتنسيق مع عبيد الله المهدي³ للقدوم إلى بلاد المغرب⁴، والإطاحة بالإمارة الأغلبية⁵.

ثالثاً-الجماعات الكتامية بالمغرب الأوسط: بين التوسّعات المجالية والتداعيات الديمغرافية

عرف الوجود الكتامي بالمغرب الأوسط تحوّلات مجالية مهمّة بعد قيام الدولة الفاطمية في سنة 296هـ/919م، فالظاهر أنّ بلاد كتامة بلغت أقصى توسّعات لها في عهد هذه الدولة⁶، فقد وصلت حدودها من الناحية الشرقية بمحاذاة البحر إلى نواحي مدينة بونة⁷، وأمّا غرباً فامتدّت مواطن قبائلها إلى منطقة بجاية⁸، ومن الناحية الجنوبية، توسّعت بلاد كتامة لتشمل كلّاً من مدينة ميله، وسطيف، والنواحي القريبة لمدينة تيجس⁹، وبلزمة (انظر: الملحق رقم: 11)¹⁰. ولكن لا بدّ

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص164-173، 178-179؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص141.

² القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص117؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص109.

³ اختلفت المصادر في اسمه ونسبه، فذكر غالبية الإسماعيلية أنّ اسمه هو عبد الله أو عبيد الله بن الحسين، ويرجع نسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، بينما ذهب غالبية أهل السنّة إلى أنّ هذا النسب مدّعى، وإلّا اسمه الحقيقي هو سعيد ويلقب بعبيد الله، ويرجع أصله إلى ميمون القدّاح من ولد ديصان الثنوي الأهوازي. ولد عبيد الله في مدينة عسكر مكرم في خوزستان في حوالي سنة 260هـ/874م، وبعد ذلك انتقل به والده إلى سلمية ببلاد الشام، فنشأ بها، ثمّ تقلّد رتبة حجّة الإمام المستور في سنة 280هـ/893م، وبعدها إماماً مستودعاً، ولمّا بلغته أخبار انتصارات أبي عبد الله جاء مع ابنه أبي القاسم إلى بلاد المغرب، واضطراً إلى التوجّه إلى سجاسة، وفيها قبض عليهما أمير سجلماسة السبع بن مدرار، وبقياً محجوزين عنده إلى أن فكّ سراحهما أبو عبد الله الداعي، ورجع معهما إلى رقّادة، ثمّ بويع عبيد الله كأول خليفة فاطمي في 21 ربيع الثاني 297هـ/7 جانفي 910م. انظر: البماني، المصدر السابق، ص107-133؛ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص35-52؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا، ج1، ص35-53؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص143-161؛ حسن إبراهيم وطه أحمد، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947م، ص77-91، 143-169.

⁴ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص126-127؛ هالم، المرجع السابق، ص147.

⁵ للاطلاع أكثر على توسّعات أبي عبد الله في إفريقيّة، ثمّ سقوط الإمارة الأغلبية. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص174-245؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص139-152؛ الطالبي، المرجع السابق، ص744-780.

⁶ الطالبي، المرجع السابق، ص670؛ بويدي، الحراك القبلي، ص14.

⁷ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص269؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

⁸ البكري، المصدر السابق، ج2، ص268؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص169.

⁹ كانت تُعرف في العهد الروماني بتيجسيس (Tigisis)، وهي تقع في منطقة عين البرج بولاية أمّ البواقي. انظر: عبيش، المرجع السابق، ص410-413؛ زياني، المرجع السابق، ص171.

¹⁰ ابن حوقل، المصدر السابق، ص93؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص232؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

من الإشارة هنا، أنّ المجالات التي امتدّت إليها بلاد كتامة، لم تكن خالصة للقبائل الكتامية، وإنّما تشاركوا فيها مع قبائل بربرية أخرى¹.

كما توزّعت الجماعات الكتامية في العديد من المدن والقرى بالمغرب الأوسط، ولذلك في الغالب للمساهمة في بسط النفوذ الفاطمي بها، فمن هذه المدن والقرى التي ذكرت المصادر استقرار الجماعات الكتامية بها: مدينة طنبنة²، وباغاية، ونقاوس³، واستوطنوا أيضا في بعض القرى التي تقع على الطريق الرابط بين مدينتي تيجس والمسيلة، مثل: مهريين التي تقع غرب مدينة تيجس بمسافة مرحلة، وقد كان غالب سكانها من كتامة، ومزّاتة، ثمّ في غرب هذه القرية على مسافة مرحلة، استقرّت جماعة من كتامة مع مزّاتة في قرية تامسنت، وبعدها على بعد مرحلة منها غربا، تقع قرية دكمة، وقد كان غالب سكانها من كتامة، ثمّ تأتي قرية أوجيست التي كانت تبعد عن المسيلة شرقا بمسافة مرحلة خفيفة، وكان للكتاميين فيها بعض الحوانيت⁴.

ولا شكّ أنّ الكتاميين استقروا أيضا في مدينة المسيلة، وهذا بعدما أرسل المهدي ابنه أبا القاسم للسيطرة على القبائل المتمرّدة بالمغرب الأوسط في سنة 315هـ/927م، فأمر أبو القاسم ببناء مدينة المسيلة، وأطلق عليها اسم "المحمّدية"⁵، ولذلك فوجود الكتاميين في هذه المدينة، كان

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص100، 113؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص269؛ بويدي، الحراك القبلي، ص14.

² يذكر ابن الهيثم أنّ داعي كتامة أبا موسى هارون بن يونس المسالي اعترض على أبي عبد الله الداعي في تعيين محمّد بن عمر المروذي قاضيا على القيروان في سنة 296هـ/909م، وقال له "وما حاجتنا إلى هذا... إنّما نريد أنّ نردّهم إلى رأيّنا وسنّتنا، كما فعلنا في طنبنة وغيرها، قال: وما علينا من هذا، نجعل لكلّ مزبلة كنسا". فهذا النصّ قد يُفهم من ظاهره، أنّ سكان مدينة طنبنة، وعدد من المدن الأخرى تحوّلوا إلى المذهب الإسماعيلي. ولوضع هذا النصّ في سياقه التاريخي، من المهمّ الرجوع إلى أحداث استيلاء أبي عبد الله على بعض مدن بلاد الزاب، فابن عذارى يذكر أنّ أبا عبد الله عندما دخل مدينة طنبنة في آخر ذي الحجّة سنة 293هـ/أكتوبر 906م، كاتبه أهلها، ودخلوا في طاعته. ويشير القاضي النعمان أيضا عند استيلاء أبي عبد الله بعد ذلك على مدينة تيجس، جاء إليه وجوه أهل المدينة، ودخلوا في الدعوة. ولذلك يظهر أنّ مدينة طنبنة لم يعتنق أهلها عقائد الإسماعيلية، وإنّما تقبّل أعيان هذه المدينة، تحكيم الدعوة الإسماعيلية في الشؤون العامّة لمدينتهم، ويبدو أنّ هذا الأمر حدث في مدينة تيجس، والعديد من المدن الأخرى التي استولى عليها أبو عبد الله، ولهذا من المرجّح أنّ نصّ ابن الهيثم يتحدّث عن هذه السياسة، ولهذا اعترض أبو هارون على أبي عبد الله في تعيين المروذي على القضاء، فهو يرى أنّ طريقة تكليف أهل المدن بتطبيق الدعوة الإسماعيلية بينهم، أجدى من أن يُعيّن لكلّ مدينة قاضٍ، يكلف بالسهرة على هذه المهمّة. انظر: ابن الهيثم، المصدر السابق، ص64؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص185؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص142.

³ البكري، المصدر السابق، ج2، ص228؛ ابن حيّان، المصدر السابق، ص258؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

⁴ ابن حوقل، المصدر السابق، ص87.

⁵ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص45؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص217؛ رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط -دراسة منوغرافية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، إشراف: علاوة عمارة، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص33-35.

ضرورياً من أجل تكوين قوّة عسكرية، يكون من مهامها، مراقبة القبائل الإباضية المتمركزة في هذه الناحية، والسيطرة على الطريق التجاري الذي يمرّ عليها¹.

كما امتدّ الوجود الكتامي إلى مدينة تيهرت، وذلك عندما أسقط أبو عبد الله الداعي الدولة الرستمية في سنة 296هـ/919م، فعين أبا حميد دواسا بن صولات اللهيصي الكتامي والياً عليها، وترك قوّة عسكرية معه²، للحفاظ على نفوذه في هذه المنطقة. ويظهر أنّ الوجود الكتامي في هذه الناحية، قد تعزّز في العديد من المرّات خلال العهد الفاطمي، وذلك بسبب توالي الحملات التي أرسلها الفاطميون لإخماد التمردات التي كانت يحدثها أهل منطقة تيهرت³.

ويذكر الإدريسي⁴ وجود جماعة قبيلة من كتامة، وأخرى من زواوة⁵ بجبال الونشريس في منتصف القرن 6هـ/12م، ويبدو أنّ هاتين الجماعتين قدمتا إلى منطقة تيهرت في إطار الحملات العسكرية التي بعثها الفاطميون، ثمّ استقرّتا بها إلى أن سيطرت قبيلة بني توجين الزناتية على هذه المنطقة في القرن 5هـ/11م، فانزاحت كتامة، وزواوة مع قبائل أخرى، مثل مكناسة، ومطماطة إلى جبال الونشريس⁶.

وقد خلّف التوسع الكتامي في بلاد المغرب خلال العهد الفاطمي نتائج متباينة، فمن جهة خرجت القبائل الكتامية من عزلتها الجغرافية، كما عرفت الجماعات التي تولّت منهم تسيير الشؤون الإدارية والعسكرية في الدولة الفاطمية ارتقاء اجتماعياً⁷، قال القاضي النعمان عنهم: "فلبسوا خير الثياب، وحلّوا سُروجهم ولجّهمهم... فخرجوا من الحليّة التي كانوا عليها، واتسعت أموالهم، وكثرت نعمهم، لما أصابوا من الأعمال، وملكوا من البلدان"⁸.

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85، 86؛ زباني، المرجع السابق، ص57.

² ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص165، 197؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص191.

³ للاطلاع أكثر على حملات الفاطميين لمواجهة تمردات أهل منطقة تيهرت. انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص160، 197-198؛

ابن خلدون، العبر، ج4، ص51، 57؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص166، 179، 226، 464.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص253.

⁵ اختلف النسابة في أصل قبيلة زواوة، ولكنّ ابن خلدون يرجح أصلها الكتامي، فهو يرى أنّ الوهم وقع عندما تمّ تصحيف اسم قبيلة زواوة إلى زواوة، مما جعل البعض يجعل قبيلة زواوة تنحدر من أصل القبيلة الأولى، وهو بنو سمكن بن يحيى بن ضريس. انظر: ابن حزم، جمرة أنساب

العرب، ص501؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص200؛ لقبال، دور كتامة، ص114-115.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص205-206.

⁷ لقبال، دور كتامة، ص434-435؛ بويدي، الحراك القبلي، ص15.

⁸ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص303.

ولكن في المقابل شهد العنصر البشري في بلاد كتامة نزيفا حاداً، وذلك بسبب الهجرة الجماعية التي عرفتها، فالقاضي النعمان يذكر أنّ أبا عبد الله الداعي عندما دخل إلى مدينة رقّادة في 1 رجب من سنة 296هـ/26 مارس 909م، قسّم دورها على الجماعات الكتامية، ثمّ يصف انتشارهم حولها، "بالجراد المنتشر"¹. وحسب ابن عذاري فإنّ الذين دخلوا إلى هذه المدينة، كانوا "ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل"². وهذا العدد، وإن كان يصعب التأكد من صحّته، إلّا أنّه يتوافق مع رواية القاضي النعمان في الإشارة إلى كثرة عدد جيش أبي عبد الله الذي دخل إلى مدينة رقّادة.

وعندما أمر الخليفة الفاطمي أبو طاهر إسماعيل بن محمّد الملقّب بالمنصور بالله (334-341هـ/946-953م) في سنة 334هـ/946م، ببناء عاصمة جديدة لدولته في موضع صبرة بجنوب مدينة القيروان على بعد حوالي 2 كم، وتسميتها بالمنصورية³، فرض على القبائل الكتامية انتقال أربعة عشر ألف بيت منهم من بلاد كتامة، لإعمار هذه المدينة الجديدة في جمادى الأوّل من سنة 336هـ/نوفمبر-ديسمبر 947م⁴.

وهذا بالإضافة إلى مشاركة الجماعات الكتامية في تكوين قوّات عسكرية توزّعت على العديد من المدن والقرى في بلاد المغرب⁵. كما أدّت مشاركة الكتاميين في الكثير من الحروب التي خاضوها في سبيل ترسيخ أركان الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، ومدّ نفوذها إلى مصر، إلى مقتل أعداد كبيرة منهم⁶.

وبذلك بدأت تتراجع القوّة العسكرية لدى القبائل الكتامية، ويتّضح هذا بعدما تولّى الزيريون حكم بلاد المغرب لصالح الفاطميين في مصر⁷، فقد حاول الكتاميون التمرد على والي الفاطميين في بلاد المغرب المنصور بن بلكين الصنهاجي (373-386هـ/984-996م) بين سنتي 377

¹ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص245-246.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص150.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص73؛ ابن حنّاد، المصدر السابق، ص60؛ هالم، المرجع السابق، ص453. وتمّ الانتهاء من بناء المدينة، واستقرار المنصور فيها سنة 337هـ/948م. انظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص198.

⁴ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص467. Allaoua, Peuplement et arabisation, p.279.

⁵ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص303.

⁶ للاطلاع أكثر على بعض الخسائر البشرية للكتاميين في مواجهتهم العسكرية. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص321، 322، 333؛ ابن حنّاد، المصدر السابق، ص45؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص165، 168، 173؛ بويدي، الحراك القبلي، ص15-16.

⁷ ابن حنّاد، المصدر السابق، ص92؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص93.

و379هـ/987 و989م، إلا أنّهم لم يتمكنوا من مُجابهته، فألحق بهم العديد من الهزائم الثقيلة في بلاد كتامة¹.

وكان من بين الآثار الديمغرافية والعمرانية لهذه الحروب على هذه البلاد، قيام جيش المنصور في سنة 378هـ/988م بهدم أسوار مدينة ميلة، وتهجير أهلها إلى مدينة باغاية، وبعدها توغل في بلاد كتامة، فهدم وأحرق الكثير من دورها وقصورها².

ثمّ في سنة 379هـ/988م، عيّن المنصور عليها عمّالا من قبله، وحاصرها بالعساكر، وفرض على الكتاميين دفع الضرائب بعدما كانوا معفيين منها³. وبهذا شكّلت هذه الإجراءات ضربة قاسية للقبائل الكتامية، عمقت من تفهقرهم العسكري، وجعلتهم يفقدون المكانة السياسية التي كانوا يتمتعون بها في العهد الفاطمي.

رابعا-الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط: من التبعية إلى السقوط

أرسل عبيد الله المهدي أبا عبد الله الداعي في ذي العقدة من سنة 297هـ/أوت-سبتمبر 910م لإخضاع القبائل المتمردة وتوسيع نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب، ومن الجهات التي قام أبو عبد الله بإخضاعها، مناطق العلويين بنواحي مدينة تنس، ومدغرة، والخضراء في سنة 289هـ/911م⁴، وبعد ذلك لا توضح المصادر كيفية دخول بقية الإمارات العلوية في المغرب الأوسط تحت سلطة الفاطميين؟ ومتى كان ذلك؟

ولكن في رسالة مهمة نقلها ابن حيّان، بعثها إدريس بن إبراهيم بن محمّد بن سليمان أمير أرقشوق لعبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) في سنة 317هـ/929م، يؤكّد فيها خضوع أغلب السليمانيين للسلطة الفاطمية، ومّا جاء فيها، قوله: "فرّق الله ملأنا بقيام هذا الدعيّ الغويّ، صاحب إفريقيّة (يقصد عبيد الله المهدي)، وافتتان أكثرنا بالتعصب له، فلما أن نجّاني الله من ضلّالته... تسامع بذلك بنو عمّي، وبلغهم ما صنعته... فتبرّؤوا منّي، وتمالأوا عليّ، ورموني عن قوس واحدة، وقالوا: ليس هذا الرجل منّا، إذ فارق دعوته إلى ضدّها، وخرج من عُترة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-"⁵.

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431، 440؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص100-102؛ لقبال، دور كتامة، ص590-592.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص441؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص101.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص102؛ بويدي، الحراك القبلي، ص17-18.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص161؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص178.

⁵ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص264.

وقد انتهج عبيد الله المهدي مع العلويين بالمغرب الأوسط والأقصى سياسة الإبقاء على مُلكهم مُقابل إعلان طاعتهم له¹، وهذا من أجل بعض الاعتبارات، لعلّ من أهمها؛ نسبهم العلويّ، ومكانتهم في وسط القبائل التي يحكمونها، ومذهبهم الزيدي²، وبذلك كانت هذه الأمور مُطلقاً في تكوين تحالف بين عبيد الله المهديّ والسليمانيين، وهذا ما يظهر في رسالة إدريس بن إبراهيم التي جاء فيها أنّ الخروج على عبيد الله المهدي يُعدّ خروجاً من "عترة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-"، وبهذا يُمكن لعبيد الله المهدي من خلال هذا التحالف استعمال السليمانيين لبسط سلطته في الجهات الغربية للمغرب الأوسط.

غير أنّ الظروف السياسية بالمغرب الأوسط والأقصى، عرفت تطوّرات مهمّة، وذلك بعدما نصّب الأمير الأموي عبد الرحمن نفسه خليفة، وأمر أن يلقّب بالناصر لدين الله في سنة 316هـ/928م³، ثمّ شرع في تحريض العلويين من الأدارسة والسليمانيين، وزعماء القبائل المغربية للخروج من طاعة الفاطميين، وإعلان ولائهم له⁴. فكان من الأمراء والزعماء الذين استجابوا لدعوته؛ إدريس بن إبراهيم أمير أرشقول، ومحمّد بن خزر المغراوي زعيم القبائل الزناتية في المغرب الأوسط، وموسى بن أبي العافية المكناسي في المغرب الأقصى⁵.

وبعد ذلك بدأ زعماء بني خزر وموسى بن أبي العافية يعملون على إسقاط الإمارات السليمانية الموالية للفاطميين، فقام الخير بن محمّد بن خزر بالسيطرة على مدينة تنس في سنة 317هـ/929م، ثمّ قام والده محمّد بن خزر بالاستيلاء على مدينة تاسفا المشهورة بمدينة العلويين في سنة 319هـ/931م⁶.

¹ عندما توجه القائد الفاطمي مصالة بن حبوس المكناسي لإخضاع الأدارسة في سنة 305هـ/918م، عمل على الحدّ من نفوذهم، فترك مدينة فاس وأعمالها ليحيى بن إدريس، بينما أقطع العديد من أقاليم المغرب الأقصى لموسى بن أبي العافية المكناسي. انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص80؛ سعدون نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب والأندلس (القسم الثاني)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1996م، ص21-22.

² ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص262؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص40؛ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص162؛ بجلولي، المرجع السابق، ص323.

³ الحميدي، المصدر السابق، ج1، ص13؛ ابن الأبار (أبو عبد الله محمّد بن عبد الله البنسي تـ. 658هـ/1260م)، كتاب الحلة السيرة، حقّقه وعلّق على حواشيه: حسن مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة-مصر، 1985م، ج1، ص197-199؛ سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ / 912-1008م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000م، ص25-27.

⁴ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص255؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص23، 35.

⁵ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص257-264؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص51، ج7، ص23، 35.

⁶ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص260، 300-301؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص35.

كما قام موسى بن أبي العافية في هذه السنة بمحاصرة الحسن بن عيسى بن إدريس بن محمّد ابن سليمان المعروف بابن أبي العيش صاحب مدينة جراوة¹، ولما لم يتمكّن ابن أبي العيش من رده، غادرها ليلا مع أهله وأتباعه إلى مدينة تلمسان، فتبعه موسى إليها، ثمّ هرب ابن أبي العيش إلى جزيرة أرشقول، وتحصّن بها².

فبعث موسى لعبد الرحمن الناصر، يطلب منه دعمه لمواجهة ابن أبي العيش، فأرسل له عبد الرحمن أسطولا في جمادى الأوّل من سنة 319هـ/ماي-جوان 931م، قام بمحاصرة ابن أبي العيش وأتباعه في جزيرة أرشقول مدّة، فقتلوا الكثير منهم، وأمّا الباقي فقد قاربوا على الهلاك من العطش، إلّا أنّ نزول الأمطار، جعل أهل الجزيرة يتزوّدون بما يحتاجونه من الماء الشروب، وبهذا يئس أصحاب الأسطول من اقتحام الجزيرة، فرجعوا إلى الأندلس³.

وفي هذه الفترة، قام موسى بالسيطرة على مدينة تلمسان⁴، ثمّ أخذ حسب ما جاء عند ابن عذاري: "مدينة تربية، ومدينة أرشقول، وهرب كلّ من في ذلك الجانب من آل محمّد ابن سليمان"⁵. وهذا النصّ يُوحى بأنّ إدريس بن إبراهيم أمير أرشقول كان من الفارّين مع بني محمّد بن سليمان، ولكن في الواقع أنّ حكمه على مدينة أرشقول استمرّ لصالح موسى ابن أبي العافية⁶. كما يحتمل أن يكون اسم مدينة تربية مصحّفا من اسم مدينة ترنانة، فالمصادر لم تشر إلى مدينة باسم تربية كانت تابعة للسليمانيين، بينما مدينة ترنانة التي تقع في الجهة الغربية لمدينة أرشقول⁷، يؤهّلها موقعها الجغرافي لأن تكون هي المقصودة في نص ابن عذاري.

ولكنّ مكاسب موسى بن أبي العافية ما لبث أن فقدها، فقد تمكّن القائد الفاطمي ميسور الفتي من استرجاع مدينة أرشقول، ووضع أميرها إدريس بن إبراهيم في السجن، وولّى مكانه

¹ أسّس مدينة جراوة أبو العيش عيسى بن إدريس في سنة 257هـ/871م أو 259هـ/873م، وهي تقع بالقرب من قرية عين الرقادة بين مدينتي أحفير، وأبركان بالمغرب الأقصى. انظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص326؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص196؛ عزايوي أحمد، جراوة، معلمة المغرب، مطابع سلا، الدار البيضاء-المغرب، 1998م، ج9، ص2951.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص194؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص84.

³ البكري، المصدر السابق، ج2، ص261-262؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص205.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص84.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص194.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص261؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص23.

⁷ ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

أبا العيش بن عيسى السليماني في سنة 323هـ/935م¹، ثمّ واصل تقدّمه إلى المغرب الأقصى، فقاتل مع بعض أمراء الأدارسة موسى بن أبي العافية، واضطّروه للجوء إلى صحراء المغرب الأقصى².

وقد استغلّ ابن أبي العيش تفهقر موسى، فحافظ على جزيرة أرشقول، التي كانت فارغة في عهده، فقام هو وأتباعه بعمارتهما، وبعد ذلك أعاد إلى حكمه مدينتي تلمسان وجراوة في سنة 323هـ/935م، وبعض الأعمال الأخرى التي لا تبعد كثيرا عن مدينة جراوة³.

وللوقوف أمام توسّعات ابن أبي العيش، بعث عبد الرحمن الناصر أسطولا آخر في سنة 325هـ/937م، ولما علم ابن أبي العيش بقدومه، هرب من جزيرة أرشقول إلى مدينة جراوة، فعمد موسى بن أبي العافية إلى إرسال مجموعة من أتباعه إلى جزيرة أرشقول، فقاموا بتخريبها، وإرجاعها مثلما كانت في الأوّل. ثمّ توجه موسى إلى مدينة جراوة، فخرج ابن أبي العيش لقتاله، ولكنّه انهزم، ولجأ إلى إحدى القلاع القريبة من المدينة، فقام موسى بالاستيلاء على مدينة جراوة، وضرب حصارا على ابن أبي العيش⁴.

ولما لم يتمكن الأمير السليماني من فكّ هذا الحصار، قام بالتنازل على كلّ الأعمال التي كان يتنازع فيها مع موسى بن أبي العافية، ثمّ انتقل إلى مدينة تلمسان⁵. وبعد ذلك اختفت أخباره إلى سنة 338هـ/949م، حيث قام الزعيم البوري بن موسى بن أبي العافية بالقبض عليه، وبعثه إلى عبد الرحمن الناصر الذي أسكنه في مدينة قرطبة⁶.

وقد ظهر في هذه الفترة أمير سليمان⁷ آخر، وهو عليّ بن يحيى بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد ابن سليمان، الذي استطاع أن يوسّع إمارته في المجالات الممتدّة بين مدينتي تنس وأرشقول⁷، وقد كان مواليا للأمويين، وهذا ما جعل الفاطميين ينقمون منه، فقام الزعيم

¹ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص385؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص178.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص86؛ ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله تـ. 776هـ/1374م)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1964م، ص216.

³ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص414، 415؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص196.

⁴ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص414-415.

⁵ نفسه، ص415؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص196.

⁶ البكري، المصدر السابق، ج2، ص262؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

⁷ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص219.

الصنهاجي زيري بن مناد بإسقاط حكمه في سنة 342هـ/953م، ففرّ عليّ وولداه حمزة ويحيى إلى عبد الرحمن الناصر ببلاد الأندلس¹.

وبعد ذلك عاد عليّ بن يحيى إلى المغرب الأوسط مدعوما بجيش من عبد الرحمن الناصر لاسترجاع حكمه في سنة 343هـ/954م، ولكنه فشل في ذلك، كما جاء أيضا ابنه يحيى، ولم يحقق أيّ نتيجة²، وبهذا يعتبر عليّ بن يحيى آخر أمير سليمانيّ سقط حكمه بالمغرب الأوسط. وأمّا فيما يخصّ بني الحسن بن سليمان الحسيني الذين حكموا بين منطقة سوق حمزة شمالا، ومدينة هاز جنوبا، فقد خضعوا للحكم الفاطمي³، وبعد ذلك تمردوا في عهد الخليفة الفاطمي أبو تميم معدّ بن إسماعيل الملقّب بالمعز بالله (341-465هـ/953-975م)، ويظهر أنّ فترة هذا التمرد كانت قبيل حملة القائد الفاطمي جوهر الصقلي للمغرب الأوسط والأقصى بين سنتي 347هـ/958م و349هـ/960م⁴، ولذلك قام جوهر الصقلي في هذه الحملة بوأد حركتهم⁵.

وقد كان هذا القائد يأخذ أثناء حملته أبناء ورؤساء أهل المغرب، ومن يخاف تأثيرهم في قبائل البربر، كرهائن عنده⁶، فكان ممّن قبض عليهم؛ وجوه بني الحسن بن سليمان، وذلك فيما يبدو خوفا من تأثيرهم على القبائل التي يحكمونها، ممّا يستدعي احتمالية تمردهم مرّة أخرى، قال الصفدي (ت. 764هـ/1363م): "فحمل كلّ مشهور منهم إلى مولاه (أي المعز)، وخلعهم عن ملكهم، وبقيت منهم بقايا في الجبال والأطراف، وهم مشهورون مكرّمون عند قبائل البربر"⁷.

¹ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص219؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

³ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص217، 405.

⁴ النويري، المصدر السابق، ج28، ص75.

⁵ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1420هـ/2000م، ج13، ص107.

⁶ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص614.

⁷ الصفدي، المصدر السابق، ج13، ص107.

المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط: بين توجّهاها الداخلية وتحوّلاتها الجغرافية بعد سقوط الدولة الرستمية في سنة 296هـ/919م، ذهب ذلك الغطاء السياسي، والمذهبي الذي كانت العديد من الجماعات الإباضية منضوية تحت حكمه في بلاد المغرب، وبدأت الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط تواجه تحديات سياسية، ومذهبية مختلفة، وهذا ما جعل الخارطة الإباضية بمختلف توجّهاها الداخلية بالمغرب الأوسط، تعرف تحوّلات جغرافية مهمّة في القرن 4هـ/10م.

أوّلا - ظهور فرقة الفرثية بوارجلان:

عاش أبو سليمان بن يعقوب بن أفلق في مدينة وارجلان¹، إلّا أنّ المصادر لم تذكر إن كان من مواليد مدينة تيهرت، ثمّ لجأ مع والده يعقوب بن أفلق إلى مدينة وارجلان بعد سقوط الدولة الرستمية في سنة 296هـ/919م²، أو ولد في هذه المدينة الأخيرة بعد استقرار والده فيها، ولكن عند الرجوع إلى أحداث انشقاقه، يُمكن ترجيح الرأي الأوّل، فقد كان يعقوب بن أفلق يحذّر من أبي سليمان قبل وفاته في سنة 310هـ/922م³، وهذا ما يدلّ على أنّه بلغ مرحلة من النضج الفكري، ولذلك لو كان من مواليد مدينة وارجلان، لكان عمره في فترة تحذير والده لا يتجاوز الأربعة عشر سنة، وهذا من المستبعد حصوله.

وبهذا يكون أبو سليمان ولد بمدينة تيهرت في أواخر العهد الرستمي، ثمّ أكمل حياته بعد سقوط الدولة الرستمية في مدينة وارجلان، وبها طلب العلم، وقد كان لأبي سليمان اهتمام بقراءة الكتب المخالفة للتوجّه الوهبي، منها ديوان أحمد بن الحسين صاحب فرقة الحسينية، وهذا ما أثار حفيظة والده، فكان يحذّر منه، وينصح بعض أهل العلم بوارجلان بعدم الاطمئنان له⁴.

ثمّ بعد وفاة يعقوب بن أفلق، ظهرت الآراء الخاصّة لأبي سليمان، ومنها: قوله بنجاسة الفرث، وما طبخ عليه، وهذه المسألة تعتبر أهمّ قضية ذهب إليها، فكان لا يعذر فيها من يخالفه، ومن هذه المسألة، أطلق مُخالفوه على من يقول بأقواله اسم "الفرثية"، وكان يقول أيضا بتحريم أكل الجنين من البهائم، ونجاسة دم العروق، ونجاسة عرق الجُنُب وعرق الحائض، ووجوب إعطاء الزكاة

1 أبو زكرياء، المصدر السابق، ص191؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص106.

2 أبو زكرياء، المصدر السابق، ص189؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص105.

3 أبو زكرياء، المصدر السابق، ص191؛ معجم أعلام الإباضية - قسم المغرب -، ج2، ص473.

4 أبو زكرياء، المصدر السابق، ص191؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص508؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص106.

للقربى فقط¹. وعلى الرغم من محدودية انتشار هذه الآراء في منطقة وارجلان، إلا أنّها شكّلت فتنة²، هدّدت المنظومة الفكرية والاجتماعية عند إباضية هذه الناحية.

وحسب رواية أبي زكرياء³ فقد حاول الشيخ أبو صالح جنون بن يمران⁴ أن يتصدّى لهم، فقام بمباهلة أبي سليمان وجماعته، فدعا كلّ طرف على الآخر، ثمّ انقضت هذه الجماعة بدعوة الشيخ أبي صالح، وهذه الرواية تبدو مُبالغاً في سرعة اختفاء هذه الجماعة، فالمارغني⁵ يشير إلى بقائها بعد هذه المباهلة، وبناء أصحابها لمساجدهم الخاصّة في مدينتي وارجلان، وتالا بالجنوب الغربي التونسي.

ولهذا من الواضح أنّ فرقة الفرثية بقيت موجودة لفترة أطول ممّا تصوّره رواية أبي زكرياء، بل وانتشرت خارج مدينة وارجلان، ولعلّ من أسباب تشكّل تفاصيل سرعة اختفاء هذه الجماعة، كان من أجل ربطها بكرامة الشيخ أبي صالح، وسرعة تحقّق دعوته فيهم.

ثانياً- جوانب من الجغرافية النكارية بالمغرب الأوسط في الثلث الأوّل من القرن 4هـ/10م

تعتبر النصوص التاريخية التي تحدّثت عن الجماعات النكارية بالمغرب الأوسط في القرن 4هـ/11م، في مُحملها مُستفاعة من الأحداث التي اهتمّت بثورة النكارية التي تزعمها أبو يزيد مخلد بن كيداد⁶ (332-336هـ/943-948م)⁷، ولذلك من المهمّ هنا محاولة استقرارها لأخذ تصوّر عن جانب من الجغرافية النكارية بالمغرب الأوسط في هذه الفترة (انظر الملحق رقم: 12).

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192؛ المارغني، المصدر السابق، ص60؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص106، 108.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص107.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192.

⁴ أصله من سدراتة إيزوزام في نواحي وارجلان، كان من أهمّ العلماء في هذه المدينة الذين تصدّروا للتدريس، والفتوى، وزعامة الشؤون السياسية والاجتماعية بها. لا يعرف تاريخ وفاته، إلا أنّه كان حيّاً في الربع الثاني من القرن 4هـ/11م. انظر: الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص432؛ الدرجيني، المصدر السابق، ص341-345؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص115.

⁵ المارغني، المصدر السابق، ص60.

⁶ ينتسب أبو يزيد على الراجح إلى قبيلة بني يفرن الزناتية، ولد بمدينة كوكو في بلاد السودان حيث كان والده يمارس التجارة، ثمّ جاء به إلى توزر ببلاد الجريد، وبها نشأ وتعلّم، وبعدها سافر في طلب العلم إلى تيهرت وسجلماسة، ثمّ رجع إلى توزر، وكان يُعلّم القرآن بها، وبعد ذلك اعتق آراء النكارية، وبدأ يجرّض للخروج على الفاطميين، فقام والي قسطنطينية بسجنه، إلا أنّ جماعته تمكّنت من إخراجه منه، فهرب أبو يزيد إلى صحراء سماطة في نواحي بسكرة، وشرع منها في الدعوة والتخطيط لإعلان الثورة ضدّ الفاطميين. انظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص175-178، 194-195؛ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص53-54؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص188؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص18؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص265.

⁷ للاطلاع أكثر على أحداث ثورة النكارية. انظر: ابن حمّاد، المصدر السابق، ص52-80؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص264-452، 470-488؛ الدشاوي، المرجع السابق، ص247-306، 310-313؛ هام، المرجع السابق، ص393-423.

عرف جبل الأوراس انتشارا واسعا للفكر النكاري¹، ومن بين هذه الجماعات القبلية التي أخذت به؛ فرع من قبيلة هوارة تمركز في منطقة سريانة²، التي تقع في شمال مدينة باتنة على بعد حوالي 15 كم، ثم في النواحي الغربية لهذه المنطقة، يوجد جبل يُعرف بمستاوة يقع في المنطقة الممتدة بين سريانة ومروانة (ولاية باتنة)، واسم هذا الجبل، كان يُطلق على جماعة قبيلة اشتهرت باعتناقها لمبادئ النكارية، ثم بعد ذلك انتقل هذا الاسم ليكون من الأسماء التي يُلقب بها النكارية³، ولهذا فعلى الغالب يُعتبر هذا الطوبونيم شاهدا على استقرار جماعة نكارية في هذا الجبل⁴.

وبعدها امتدّت قبيلة هوارة التي انتشرت فيها عقائد النكارية في جبل الأوراس⁵، ومنها ينحدر فرع بني كملان الذين يعدّون من أقوى الجماعات القبلية في جبل الأوراس خلال هذه الفترة، وهم الذين لجأ إليهم أبو يزيد أثناء بدايات دعوته لإعلان الثورة على السلطة الفاطمية⁶، ثم كانوا معه في حملاته على العديد من مدن إفريقية⁷.

كما توزّعت قبيلة ورفجومة النفاوية في النواحي الشرقية لجبل الأوراس⁸، وهذه القبيلة كانت على التوجّه الصفري في القرن 2هـ/8م⁹، ثم جاء أجيال منها عاشوا بين النصف الثاني للقرن 3هـ/9م والنصف الأوّل من القرن الذي يليه، بدأوا ينسلخون من نحلة أجدادهم، ويعتقدون توجّهات أخرى برزت في عصرهم، مثل أبي القاسم الورفجومي الذي أخذ بعقائد الإسماعيلية في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م¹⁰، وجماعات أخرى اعتنقت عقائد النكارية، متأثرة بانتشارها الواسع في جبل الأوراس، وبعد ذلك كانوا من المشاركين مع أبي يزيد في ثورته¹¹.

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص19، 70؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص303، 318، 373.

² نفسه، ص336.

³ الشّمّاخي، السير، ص269، 270؛ Fekhar, op.cit., p.362.

⁴ Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.123.

⁵ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص322؛ Fekhar, op.cit., p.74.

⁶ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص55؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص153.

⁷ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص191، 193، 194؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص296، 318، 322، 373.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج6، ص150؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص270.

⁹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص70؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص39.

¹⁰ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص41.

¹¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص193؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص317.

ومن المرجح أن الآراء النكارية تسرّبت إلى العديد من القبائل في النواحي الشرقية لبلاد الزاب، مثل: مكناسة، وبني مناوة المغراوية¹، ومزّاتة²، ولكن ما يجدر التنبيه إليه هنا، أن المشاركين من قبيلة مزّاتة في هذه الثورة لم يكونوا كلهم على التوجّه النكاري، وإثما شارك أيضا الجناح الوهبي منهم³، ولهذا من المتوقع أن انتشار الآراء النكارية لم يكن مسيطرا في قبيلة مزّاتة، وهذه الوضعية المذهبية لا يستبعد أن تكون قد حدثت في قبائل إباضية أخرى بهذه الناحية.

كما امتدّت الآراء النكارية إلى منطقة المسيلة والجلال الشمالية المحاذية لها، فأخذت بها قبيلة بني برزال وأوغمرت الزناتيتين، وبني كملان⁴، وانتشرت في قبيلة هوّارة التي تمركزت في منطقة الغدير بالنواحي الشرقية لمدينة المسيلة⁵، وفي جبل سآلات في الجهة الشمالية لمدينة بوسعادة (ولاية المسيلة)⁶، الذي سكن فيه العديد من القبائل الإباضية، منهم قبيلة بني برزال⁷.

وقد تغلغل هذا التوجّه أيضا في الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط، فأخذ به أهل حصن ماواس بجنوب بلاد الزاب⁸، وقبيلة بني زنداك المغراوية في نواحي مدينة وارجلان⁹، ويبدو أن انتشار عقائد النكارية في مناطق الواحات بنواحي وارجلان، وأريغ، وأسوف¹⁰ لم يكن واسعا، وهذا بسبب سيطرة التوجّه الوهبي فيها، ولهذا لم يجد أبو يزيد الكثير من الأنصار أثناء إقامته عند بني زنداك، بعدما فرّ من السجن بمدينة توزر في سنة 325هـ/937م¹¹، وهذا عكس استنفار الجماعات الإباضية بهذه الجهات في ثورة الوهبية التي انطلقت من نواحي مدينة الحامة ببلاد الجريد، وجرت وقائعها في نواحي مدينة باغاية سنة 358هـ/969م¹².

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص328؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص477.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص179، 185؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص295، 317، 332.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص180.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج4، ص56، ج7، ص68؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص397، 399، 407.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص232، 240؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص397، 399، 407.

⁶ الميللي مبارك، تاريخ الجزائر في القدم والحديث، تقديم وتصحيح: محمّد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ج2، ص212.

⁷ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص66؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص392، 393، 394.

⁸ نفسه، ص472-473، 477.

⁹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص19، 69.

¹⁰ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص243، 244.

¹¹ الدرّجيني، المصدر السابق، ج1، ص98؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص69.

¹² للاطلاع أكثر على ثورة الوهبية. انظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص214-225؛ الدرّجيني، المصدر السابق، ج2، ص119-135؛

Prevost, (V.), La révolte de Bagaya (358/969): le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Eastern Studies, Vol. 65, N.3, 2006, p.197-206.

ثالثاً-تحوّلات الجغرافية الإباضية بالمغرب الأوسط

عرف الوجود الإباضي بالمغرب الأوسط تحوّلات جغرافية واسعة بعد سقوط الدولة الرستمية في سنة 296هـ/919م، فقد بدأت مدينة تيهرت ونواحيها تشهد هجرة جماعية إلى مناطق أخرى من بلاد المغرب، فعندما دخل أبو عبد الله الداعي إلى هذه المدينة، قتل الإمام الرستمي اليقظان ابن أبي اليقظان (294-296هـ/894-808م) وأولاده، وأجلى الكثير من أهلها¹. ومن الذين غادروا هذه المدينة هرباً من أبي عبد الله؛ يعقوب بن أفلق وأصحابه مع عائلاتهم وأهلهم، وتوجّهوا للاستقرار في مدينة وارجلان².

ثم بعد ذلك امتدّ نشاط الزعيم اليفريقي يعلى بن محمّد بين سنتي 338 و347هـ/949 و958م للسيطرة على القبائل الإباضية في مدينة تيهرت ونواحيها³، ولكن قبل عرض الأحداث التي جعلته يسيطر على هذه المنطقة، وآثارها على التحوّلات القبلية بها، من المفيد معرفة جانب من الجغرافية القبلية التي كانت في الأرياف المحيطة بمدينة تيهرت.

ففي هذه الفترة ظهرت قبيلة بني وجديجن الزناتية، التي لا يُعرف توجّهها المذهبي بالضبط، فقامت بإزاحة قبيلة مطماطة إلى الجهات الغربية من جبال الونشريس، ثمّ توسّعت في تلول منداس⁴، وأمّا قبيلة لواتة، فبعد متابعة المنصور لها، وهروبها إلى المناطق الصحراوية في سنة 336هـ/947م⁵، رجعت إلى مناطقها في جنوب مدينة تيهرت، ثمّ توسّعت في الجهات الغربية لسهل السرسو، وبهذا بدأ الحدّ الفاصل بين قبيلتي لواتة وبني وجديجن، هو الفرع الذي يجري من وادي مينة غرب مدينة تيهرت⁶.

وبعدها نشب صراع بين لواتة، وبني وجديجن، فلجأ زعيم هذه القبيلة الأخيرة المعروف بعنان، للاستعانة ببعلى بن محمّد اليفريقي، فتحالف معه، ثمّ انضمّ إليهم غزّانة زعيم قبيلة مطماطة، وكلمام بن حيّان (أو حيّاني) زعيم قبيلة مغيلة الصفرية⁷، التي حافظت على مجالاتها في حوض

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص17. يذكر روني باسي أنّ جزءاً من الذين فرّوا من مدينة تيهرت، توجّهوا للاستقرار في جزيرة جربة، ولكنّه

لا يشير إلى المصادر التي تحدّثت عن هذا الموضوع. انظر: Basset, Recherches sur la religion des Berbères, p.45.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص188.

³ الإصطخري، المصدر السابق، ص39، 45؛ العيون والحدايق، ص242؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص223-225.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص68.

⁵ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص465-466.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج6، ص154.

⁷ نفسه، ج7، ص68.

الشلف¹، ثمّ قاموا بطرد قبيلة لواتة، وبذلك تمكّن الزعيم يعلى بن محمد من السيطرة على مدينة تيهرت ونواحيها، واستغلّ بنو وجديجن ومطماطة تحالفهما مع يعلى، فوسعا مجالاتهم في سهل السرسو الغربي².

والظاهر أنّ مواجهة أخرى حدثت في نواحي مدينة تيهرت، قام فيها هذا التحالف بهزيمة قبيلة زناتة التي كانت مجالاها في النواحي الشرقية لمدينة تيهرت³، وبهذا انزاحت كلّ من قبيلة لواتة، وزناتة جنوبا إلى جبل كريكرة⁴، ثمّ تعرّضت قبيلة لواتة إلى القتل والسلب من قبل إحدى فروع قبيلة مغراوة التي كانت تستوطن هذا الجبل، فانتقلت لواتة إلى جبل دراك (يسمى درااف حاليًا)⁵ في نواحي مدينة المدية، وجبل يعود⁶ في الجهات الشرقية لوادي مينة⁷.

وأما في النواحي الشرقية للمغرب الأوسط، فإنّ معالم التحوّلات الجغرافية للجماعات الإباضية، وضع أسسها الصراع الإباضي الفاطمي، فقد حاول محمد بن خزر المغراوي مع العديد من القبائل الزناتية وغيرهم السيطرة على مدينة طبنة عاصمة إقليم الزاب، فقام عبيد الله المهدي بإرسال أبي عبد الله الداعي على رأس جيش في ذي القعدة من سنة 297هـ/جويلية 809م، فحدثت مواجهة بين الطرفين، كانت نتيجتها، مقتل العديد من المتمرّدين، وهروب محمد بن خزر إلى الصحراء⁸.

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص164.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص88؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص154، ج7، ص68.

³ البكري، المصدر السابق، ج2، ص262؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

⁴ ورد بهذا الشكل عند عبد الرحمن بن خلدون، ولكن عند يحيى بن خلدون جاء بصيغة أخرى، هي جريجرة، والملاحظ أنّ هذين المؤرّخين اختلفا أيضا في كتابة اسم الجبل الذي تأسّست عليه مدينة تيهرت، فجاء عند يحيى بصيغة جزول، فيما كتبه عبد الرحمن في شكل كزول (ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر تـ. 780هـ/1378م)، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م ج2، ص242؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159)، والظاهر أنّ الطريقة الأصلية في نطق هذين الجبلين، كانت وراء الاجتهاد في وضع الحرف المناسب الذي يُعبّر عن نطق الحرف الأصلي في اسمهما. وأما عن موقعه، فيفهم من كلام يحيى بن خلدون أنّه يقع بالقرب من وادي سوف اسلم (يُعرف بسوسلم حاليًا) في جنوب سهل السرسو. انظر: ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج2، ص187.

⁵ يقع جبل درااف في منطقة عزيز ولاية المدية، وهو من الناحية التضاريسية يرتبط بسلسلة جبال مطماطة، انظر: Ficheur (E.), Le crétacé inférieur dans le massif des Matmatas (Alger), Bulletin de la Société Géologique de France, N.8 , 1900, p.568, 569.

⁶ يبدو أنّ اسم هذا الجبل كما جاء عند عبد الرحمن بن خلدون مُصحّف من كلمة يغود أو إيغود، لأنّ يحيى بن خلدون تحدّث عن مكان باسم "يغود" يقع بالقرب من جبال الونشريس، وتوجد حاليًا هضبة بجنوب جبال الونشريس تحمل اسم "إيغود"، تقع في منطقة خميسي ولاية تيسمسيلت. انظر: ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج2، ص75.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج6، ص154، ج7، ص35، ص68.

⁸ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص178-179؛ هالم، المرجع السابق، ص221.

وبعد ذلك عاد الإباضية للثورة من جديد، ففي سنة 315هـ/ 927م حدث تمرد عام بالمغرب الأوسط، جعل عبيد الله المهدي يبعث ابنه أبا القاسم لاسترجاع سلطته على هذه النواحي، فترّل أبو القاسم في مدينة باغاية بين شهريّ ربيع الأوّل و ربيع الآخر من سنة 315هـ/ ماي-جوان 927م، وفرض على القبائل الإباضية من مزّانة، وهوّارة، وزنّانة وغيرهم، تسليم وجهاء رجالهم مع أولادهم، ثمّ بعثهم إلى مدينة المهديّة¹.

ثمّ سار أبو القاسم إلى مدينة سطيف، وبعث منها جيشا من كتامة على رأسهم جعفر بن عبيد إلى قلعة عقار بجبل الأوراس في جمادى الآخر/ أوت من هذه السنة، وكان قد اجتمع فيها جيش تكوّن من كيانة، وبني كملان، وزنّانة، فقام الجيش الفاطميّ بهدم حصنهم، وحرّق ديارهم، وقتل أكثرهم، ولما طلب بنو كملان الأمان من أبي القاسم، قبل منهم ذلك، ولكّنه لجأ إلى تفريقهم، فأرسل جزءا منهم إلى نواحي مدينة تيهرت².

وبعدها تقدّم أبو القاسم إلى النواحي الغربية لبلاد الزاب، فأخضع هوّارة، وزنّانة بين شهريّ رجب وشعبان/ سبتمبر-أكتوبر من هذه السنة، ثمّ أمر ببناء مدينة المسيلة في مجالات قبيلة بني كملان، وبني برزال، لتكون مركزا لمراقبة القبائل الإباضية في هذه الناحية، وعيّن عليها عليّ بن حمدون الأندلسي³، وبعدها قام بإخراج جزء من بني كملان الذين يستقرّون في هذه الناحية، وبعثهم إلى نواحي مدينة القيروان⁴.

ثمّ بعد هذه الحملة بعامين، شهدت بلاد الزاب نزوحا لبعض الجماعات الإباضية إلى النواحي الغربية للمغرب الأوسط، وترجع خلفيات هذا النزوح إلى إعلان فلفل بن خزر المغراوي ولاءه لعبيد الله المهدي في سنة 317هـ/ 929م، وبهذا التصرّف انشقّ عن أخيه محمّد بن خزر الموالي للأمويين⁵. وقد ذكر محمّد بن خزر الذي كان في هذه الفترة بالنواحي الغربية للمغرب الأوسط⁶ هذا الانشقاق في رسالة بعثها لعبد الرحمن الناصر، ومما جاء فيها: "فتزع إليه، هو وولده، وشرذمة معه ممّن تبعه وشايعه في أمره... وصدروا عنه على سروجهم إلى نحو بلد الزاب، إلى القبائل بتلك

¹ النويري، المصدر السابق، ج28، ص70؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص215-216؛ هام، المرجع السابق، ص353.

² الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص216-217؛ Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.122.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص190؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص217؛ زياتي، المرجع السابق، ص57.

⁴ النويري، المصدر السابق، ج28، ص70.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص36؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص217.

⁶ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص300.

الأطراف من بني مغراوة خاصّة، ليسعوا لهم ويطيّعوا أمرهم، فمنهم من رحل إلينا، هارين بأنفسهم وأموالهم، ومنهم من لم يشتغل بهم، ولم يحفل بأمرهم¹.

كما عرفت المنطقة الممتدّة بين مدينة المسيلة وجبل زكار، سياسة إخضاع وتطوير القبائل المناهضة للفاطميين، وهذا ما انعكس على إعادة هيكلة موازين القوى فيها، فقد شرع الزعيم الصنهاجي زيري بن مناد في تأسيس مدينة أشير سنة 324هـ/935م²، وللتعجيل في بنائها، أرسل له الخليفة الفاطمي أبو القاسم محمد بن عبيد الله الملقّب بالقائم بأمر الله (322-334هـ/909-946م) مهندسا معماريًّا، وكميّة معتبرة من الحديد³. ثمّ بعد ذلك جدّد زيري مدينة المدية في جبال التيطري، ومدينة مليانة في جبل زكار، وأسكن فيها ابنه بلكين⁴.

والملاحظ في هذه المدن التي قام زيري بن مناد ببنائها، هي تمركزها في مناطق جبلية، تجعلها محصّنة من الهجمات المحتملة عليها، وبهذا تمكّن زيري من التصدي لهجمات الجماعات الزناتية، التي كانت تُغير على المناطق المحيطة بمدينة أشير⁵. كما عمل على إدخال مدينتي أشير ومليانة في محطّات الطريق التجاري الذي يخرج من بلاد الزاب، ويتّجه إلى مدينة الخضراء (عين الدفلة)، وذلك من أجل السيطرة على هذا الطريق، وتنشيط الحركة الاقتصادية بهذين المدينتين.

ولذلك بالرجوع إلى هذا الطريق في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، نجد أنّ اليعقوبي⁶ ذكر محطّات هذا الطريق على الشكل التالي: أذنة-هاز-حصن ابن كرام-حصن مصادف بن جرتيل-مذكرة-الخضراء. وأمّا عند ابن حوقل⁷ في الثلث الثاني من القرن 4هـ/10م، فتحوّلت أهمّ محطّات هذا الطريق كالآتي: المسيلة-هاز (قام زيري بن مناد بتخريبها، وطرده أهلها من بني يرانان

¹ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص304.

² تقع خرائب مدينة أشير بجبال التيطري بين منطقتي الكاف الأخضر وعين بوسيف (ولاية المدية). وقد أُجريت العديد من التنقيبات في موقعها الأثري، أسفرت عن وضع مخطّط عام لها، والكشف عن قصر زيري بن مناد، والمسجد الجامع، والعديد من القطع الخزفية. انظر: Golvin (L.), *Le Maghrib central à l'époque des Zirides, Arts et métiers graphiques, Paris, 1957, p.180-182*; Rodet (C.), *Les ruines d'Achir, Revue Africaine, N° 268, 1908, p.86-104*; Marçais (G.), *Recherches d'archéologie musulmane, Revue Africaine, N° 312-313, 1922, p.21-38.*

³ النويري، المصدر السابق، ج24، ص88؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م، ج1، ص44.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص204؛ بن النية، المرجع السابق، ص38، 39. وتزامنا مع بناء هذه المدن، قام بلكين بأمر من والده بتجديد مدينة جزائر بني مزغنة (الجزائر العاصمة حاليًّا) على ساحل البحر. انظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص204.

⁵ النويري، المصدر السابق، ج24، ص89.

⁶ اليعقوبي، المصدر السابق، ص191-192.

⁷ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85-86، 89.

الزناتية، فبقيت عبارة عن موضع خرب فيه عيون مائة¹ - تامزكيدا - أشير - سوق كرام - مليانة - الخضراء.

كما تعرّضت الجماعات الإباضية التي شاركت في ثورة أبي يزيد النكاري لانتقام الفاطميين، وهذا ما حدّ من قوّتهم. فعندما كان الخليفة الفاطمي المنصور يُطارِدُ أبا يزيد النكاري بنواحي مدينة المسيلة في سنة 336هـ/948م، قتل الكثير من قبيلة أوغمرت في النواحي الجنوبية لجبال التيطري²، وأمر أتباعه الزناتيين في نواحي الأغواط، بالهجوم على قبيلة سدراتة التي كانت ترسل المؤونة إلى أبي يزيد وأصحابه من مجالاتها في نواحي مدينة بسكرة، فقام الزناتيون بقتل الكثير منهم، وسبي حريمهم، ونهب أموالهم³.

ثمّ بعد وفاة أبي يزيد، تزعم الحركة النكارية بعده ابنه فضل بن مخلد في النصف الثاني من سنة 336هـ/948م، فلما ساندته قبيلة مكناسة، وبنو مناوة بالزاب الشرقي، وأهل حصن ماواس في جنوب الزاب، تعرضوا من قبل المنصور للتقتيل، والنهب، وتدمير حصونهم⁴.

وبعد هذه الفترة عاد أهل جبل الأوراس من قبيلة هوارة النكارية وغيرها للثورة من جديد في سنة 442هـ/953م⁵، فأرسل المعزّ إليهم بلكين بن زيري، الذي قام بهزيمتهم، وطردهم من جبل الأوراس، ففرّقوا في بلاد الزاب وغيرها، ومنهم من اتّجهوا جنوبا إلى المناطق الصحراوية⁶.

ومن أجل مواجهة سياسة الصنهاجيين في منطقة المسيلة، حاولت قبيلة بني برزال النكارية ربط علاقات ولاء مع والي بلاد الزاب للفاطميين جعفر بن عليّ بن حمدون الأندلسي، وهذا للدخول في جملة رعاياه بمنطقة المسيلة، والاحتماء به من مضايقات زيري بن مناد⁷. ولكن بعد انشقاق جعفر بن عليّ عن الفاطميين، وهروبه إلى أمراء زناتة، شارك بنو برزال في المعركة التي قادها

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص327.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص68.

³ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص70-71.

⁴ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص474، 477، Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.124-125.

⁵ ابن ظافر (أبو الحسن عليّ بن منصور الأزدي تـ. 613هـ/1216م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عاصم مصطفى هزيمية وجماعة، دار الكندي، أربد-الأردن، 1999م، ص174؛ العيون والحدائق، ص473؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص549.

⁶ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص83؛ الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص57.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص73.

زيري بن مناد ضدّ جعفر بن عليّ وحلفائه من زناتة، وقد أسفرت هذه المواجهة على انهزام زيري ابن مناد، وقتله من طرف بني برزال في رمضان من سنة 360هـ/971م¹.

ثمّ بعد هذه المعركة قام جعفر بن عليّ مع أسرته بالانتقال إلى الأندلس، ووجد بنو برزال أنفسهم معرّضين لانتقام الصنهاجيين منهم، فراسلوا جعفر بن عليّ يطلبون منه التوسّط عند الخليفة الأموي الحكم بن عبد الرحمن الملقّب بالمستنصر بالله (350-366هـ/961-986م) ليأذن لهم في القدوم إلى الأندلس، فلمّا أذن لهم المستنصر، قاموا بالانتقال إليها في أواخر سنة 363هـ/974م، واستقرّوا بكورة قرمونة في النواحي الغربية لمدينة قرطبة².

وبعد ذلك كلّف المعزّ الزعيم بلكين بن زيري مواجهة معارضيه بالمغرب الأوسط في سنة 361هـ/971م، وأمدّه بالرجال والسلاح، فقام هذا الزعيم بتتبع قبيلة مغراوة، والعديد من الجماعات الزناتية الأخرى، وطردهم من بلاد الزاب، ومنطقة تيهرت، وما اتّصل بمجالاتهم من بوادي، وصحاري المغرب الأوسط إلى ما وراء وادي ملوية بالمغرب الأقصى³.

وبعدما هاجرت العديد من الجماعات الإباضية من مواطنها ببلاد المغرب، بدأ الكثير منها يختار التوجّه إلى مناطق الواحات في وارجلان، وأريغ، وأسوف⁴. وقد كان منهم من كانوا يعيشون في منطقة تيهرت وغيرها، ثمّ توجّهوا بعد سقوط الدولة الرستمية إلى جنوب مدينة وارجلان على بعد حوالي 14 كم، واستوطنوا في منطقة قبيلة سدراتة⁵.

ولكنّ الباحثين اختلفوا حول علاقة هؤلاء المهاجرين بتأسيس مدينة سدراتة، فمنهم من ذكر أنّ الوافدين من الإباضية، هم من قاموا باختطاطها⁶، ومنهم من رجّح أنّهم قاموا بالاستقرار فيها، لأنّها كانت قائمة في العهد الرستمي⁷. وهذا الرأي الأخير، يبدو منسجما مع فرضية وجود نواة

¹ ابن حيّان (أبو مروان بن خلف القرطبي تـ. 469هـ/1076م)، المتقبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1965م، ص192؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص91؛ حمدي عبد المنعم محمّد حسين، دراسات في التاريخ الأندلسي "دولة بني برزال في قرمونة" (404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، 1990م، ص8.

² ابن حيّان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص192؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص73؛ حمدي، المرجع السابق، ص3، 25.

³ مفاخر البربر، ص97-98؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص37-38.

⁴ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص188؛ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص83.

⁵ بلغراد محمّد، الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، مجلّة الأصالة، العدد: 41، محرم 1397هـ/جانفي 1977م، ص46؛ بورويبة رشيد، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلّة الأصالة، العدد: 41، محرم 1397هـ/جانفي 1977م، ص188.

⁶ بلغراد، المرجع السابق، ص46؛ بورويبة، الفن الرستمي، ص188؛ Fekhar, op.cit., p.75.

⁷ مزهودي، المرجع السابق، ص35-37؛ Lewicki, L'État nord-africain de Tahert, p.533.

معمارية لسدراتة في العهد الرستمي، فمن المعروف أنّ قبيلة سدراتة كانت تتوزّع في نواحي وارجلان في القرن 3هـ/9م، وكان لها موضع يعرف بسدراتة إبزوزام ينحدر منه الشيخ أبو صالح جنون بن يمران¹، ولهذا قد يكون ارتباط اسم سدراتة بمنطقة معينة، يشير إلى أنّها كانت من القبائل المستقرّة، وربّما كان لأهلها قصورا يسكنون فيها، وما سدراتة إبزوزام إلّا واحد منها، ولذلك من المحتمل أن يكون موقع قصور قبيلة سدراتة، قد جذب بعض الجماعات الإباضية إليها، وذلك بسبب وقوعها على الطريق التجاري الرابط بين مدينة وارجلان وبلاد السودان، فقاموا بالاستيطان فيها، وتنشيط الحركة الاقتصادية بها، وهذا ما جعلها تتطوّر إلى مدينة كبيرة².

ولا ريب أنّ مدينة سدراتة لم تكن الوحيدة التي عرفت نموّاً عمرانيا، وإنّما قدوم الجماعات الإباضية من أنحاء بلاد المغرب إلى هذه الناحية، جعل المناطق المحيطة بوادي أريغ، وأسوف تشهد هي الأخرى نموّاً ديمغرافيا، وعمرانيا³. كما كان من نتائج هذه الهجرة أيضا، اهتمام إباضية هذه النواحي بالحفاظ على مذهبهم، وهذا ما انعكس على بروز حركة علمية نشطة بها⁴.

ولكن في المقابل ظهرت بعض الجوانب السلبية التي جعلت هذه المناطق تشهد اضطرابات، هدّدت الوحدة المجتمعية للإباضية، فقد أدّت الصراعات بين الفاطميين وقبيلة مغرواة، إلى نزوح هذه القبيلة في مناطق الواحات بين مدينتي بسكرة، وارجلان، ثمّ بدأت تتسلط على إباضية هذه الجهات⁵. كما ظهرت في مدينة وارجلان مظاهر التحزّب الضيّف في الثلث الثاني من القرن 4هـ/10م، حتّى بدأت جماعات منها، يقولون لبعضهم البعض "مسجدنا، ومسجدكم ... وحصيرنا، وحصيركم"⁶. وهذه الظاهرة ربّما من أسبابها، قدوم الإباضية من أنحاء مختلفة ببلاد المغرب، فبقيت فيهم روح الانتماء القبلي أو الجهوي.

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص172؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص432.

² مزهودي، المرجع السابق، ص156-157؛ Lewicki, L'État nord-africain de Tahert, p.533.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص218، 244؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص324، 330، 447، 368.

⁴ للاطلاع أكثر على تطوّر الحركة العلمية في مدينة وارجلان، وواحات أريغ، وأسوف خلال هذه الفترة. انظر: إلياس حاج عيسى، دور علماء وارجلان في النشاط الثقافي والحركة الفكرية، دراسات تراثية، العدد: 4، 2010م، ص87-102؛ بن عمر علّال، حاضرة أسوف وأريغ ومكانتهما في الفكر الإباضي من القرن 2هـ/8م إلى القرن 6هـ/12م، مجلّة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد: 17، ديسمبر 2017م، ص360-369.

⁵ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص258؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص230؛ الشّمّاخي، السير، ص348.

⁶ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص247.

المبحث الثالث: توسّع القاعدة السنّية المالكية بالمغرب الأوسط وملامح من تطوّرات حركتها الروحية

عرفت بلاد المغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، تكوين مجتمع مذهبي يُدين بالعقائد السنّية في الأصول، وبالآراء الفقهية المالكية في الفروع، ويتراوح بين الزهد والتصوّف في الجوانب السلوكية والتعبدية. وقد تمكّن هذا المجتمع من قطع أشواط معتبرة في السيطرة على الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط، ولذلك يبدو التساؤل وجيها عن مدى التوسع السنّي المالكي بالمغرب الأوسط؟ والتطوّرات الفكرية التي ساهمت في بلورة حركته الروحية؟

أولاً-انتشار العقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية بالمغرب الأوسط

كانت الجماعات التي تُدين بالعقائد السنّية، والآراء الفقهية المالكية، تمثّل أقلية مذهبية بالمغرب الأوسط قبل سقوط الدولة الرستمية في سنة 296هـ/919م، ولكن تغيّر مسار انتشار هذا التوجّه المذهبي بالمغرب الأوسط بعد هذه الفترة. ولعلّ من أهمّ العوامل التي كانت وراء تحوّل الجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط، هي الجهود التي بذلها الأمويّون بالأندلس في نشر العقائد السنّية، والآراء الفقهية المالكية فيهم.

فقد تحدّثت المصادر عن مصطلح "الدعوة الأموية"¹ التي كان عبد الرحمن الناصر ومن جاء بعده، يسعون لنشرها في بلاد المغرب، ويُمكن تقسيمها إلى محورين أساسيين، الأوّل: يتمثّل في الدعوة السياسية، التي من خلالها يمدّ الأمويّون نفوذهم السياسي ببلاد المغرب. والثاني: يتمثّل في الدعوة الدينية، التي تسمح بنشر التوجّه السنّي المالكي الذي يعتبر المذهب الرسمي للأمويّين بالأندلس². وبهذا كانت الدعوة الأموية وسيلة، جعلت القبائل في بلاد المغرب التي توالي الأمويّين سياسياً، تتحول بصفة تدريجية لاعتماد مذهبهم العقدي، والفقه³.

ولذلك عندما أعلن الزعيم موسى بن أبي العافية المكناسي بالمغرب الأقصى ولاءه لعبد الرحمن الناصر⁴، يُفهم من إحدى الرسائل التي بعثها هذا الزعيم لعبد الرحمن الناصر، تقبّله للعقائد

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص219؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص85؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص178، ج7، ص35.

² المقدسي، المصدر السابق، ص236؛ ابن حيان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص24؛ فيلاي، المرجع السابق، ص93-94.

³ Allaoua (A.), L'ibadisme et la malikisation du Maghreb central: étude d'un processus long et complexe (IV^e-VI^e/X^e-XII^e siècle), dans L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval: Modèles et interactions, Walter de Gruyter, 2018, p.335-336.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج4، ص51.

السنيّة، وتحكيم آرائها في مجال الصراع السنّي الشيعي، ومّا جاء فيها، أنّه: "يُدين الله بمحبته، والتشيع لدولته، مع الرغبة في مجاهدة هؤلاء الخنازير (يقصدُ الفاطميّين) الذين جهادهم عند أهل السنّة أولى من جهاد الروم"¹.

كما يعدّ محمّد بن خزر المغراوي من أهمّ زعماء الإباضية الذين مهّدوا الطريق للتمدّد الأموي بالمغرب الأوسط، فقد ذكر ابن خلدون أنّه قام في سنة 317هـ/929م: "بطرده أولياء الشيعة من الزاب، وملك شلف وتنس من أيديهم، وملك وهران ووّلّى عليها ابنه المنير، وبثّ دعوة الأموية في أعمال المغرب الأوسط ما عدا تاهرت"².

وكان من المناطق التي سيطر عليها محمّد بن خزر في هذه الفترة، الجهات الممتدّة بين مدينة تاسفا وسواحل القرية منها، فعمد إلى إخضاع قبائل هذه الناحية، وأخذ الرهائن منهم، ثمّ فرض عليهم مبايعة عبد الرحمن الناصر، وذكر اسمه على منابر مساجدهم³.

وبعد ذلك تمكّن موسى بن أبي العافية في سنة 323هـ/935م من كسب ولاء العديد من القبائل بالنواحي الغربية للمغرب الأوسط لصالح الأمويّين، منها: قبائل مكناسة، ولواتة، وهوارة، وزناتة، وزواغة التي في منطقة شلف، وأهل جبل توجان، والقبائل التي تمركزت بجانب وادي ملوية، من بني يفرن، وبني واسين، ومطماطة، وبني يزناسن⁴.

وقد ذكر موسى بن أبي العافية في إحدى رسائله لعبد الرحمن الناصر في هذه السنة، تمرد قبائل تيهرت واتفاقهم مع القبائل السنّيّة التي تجاوزهم بالنواحي الغربية لبلادهم على طاعة عبد الرحمن الناصر⁵، وهذا ما يشير إلى أنّ حركة التحوّل السنّي في هذه الفترة، بدأت في تكوين جماعات سنّيّة بالنواحي الغربية للمغرب الأوسط.

وعلى الرغم من تذبذب ولاءات الزعيم محمّد بن خزر وأولاده بين الفاطميّين والأمويّين بعد هذه الفترة⁶، إلّا أنّ الأمويّين عرفوا كيف يستغلّون صراعات القبائل المغربية ضدّ بعضها

¹ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص373.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص35.

³ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص300-302.

⁴ نفسه، ص369، 370.

⁵ نفسه، ص373-374.

⁶ للاطلاع أكثر على علاقات زعماء بني خزر المغراوية مع الفاطميّين والأمويّين. انظر: بن عميرة، المرجع السابق، ص186-195، 218-233؛ سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة-مصر، 1986م، ص230-231، 241-243؛ Gautier, op.cit., p.387-397.

البعض من أجل كسب ولاء بعض الأطراف القبلية، ودعمها لتوسيع نفوذهم بالمغرب الأوسط.

فلما أعلن محمد بن خزر من مدينة الأغواط ولاءه للمنصور في سنة 336هـ/947م¹، كانت هناك فتنة بين مغراوة وبنو يفرن في نواحي مدينة تلمسان، وذلك بسبب تصرفات الزعيم عبد الله ابن بكّار اليفرنى الذي كان منحازا لمغراوة، ثمّ إقدامه على قتل محمد بن صالح؛ أحد رؤساء قبيلة بني يفرن، فتولّى يعلى بن محمد بعد وفاة والده زعامة بني يفرن²، ثمّ أعلن ولاءه لعبد الرحمن الناصر في سنة 338هـ/949م³، ويبدو أنّ هذا الولاة كان من أجل دعم عبد الرحمن الناصر له في مواجهة الزعيم عبد الله بن بكّار، والجناح المغراوي الداعم له.

وبعدها بدأ يعلى بن محمد اليفرنى في هذه السنة ترسيخ نفوذه لحساب الأمويين بالمغرب الأوسط والأقصى، فاختار موقعا يعرف بإفكان (عين افكان حاليًا)، يقع في الجنوب الغربي لمدينة معسكر على بعد حوالي 20 كم، وهو عبارة عن سوق للقبائل الزناتية، فأسس فيه مدينة، وجعلها مركزا لحكمه⁴. وحسب ابن خلدون⁵ فإنّ حكم يعلى بن محمد كان منسلخا من أيّ انتماءات خارجية، وهذا الرواية إن صحت، فإنّها تشير إلى مرحلة مهمّة من تاريخ التحوّل السّني لقبيلة بني يفرن.

وبعد ذلك تمكّن يعلى بن محمد من أن ييسط سيطرته على الجهات الممتدّة من منطقة تيهرت شرقا إلى نواحي مدينة طنجة بالمغرب الأقصى غربا، وكان يأمر أتباعه في هذه النواحي، أن يخطبوا على منابر مساجدهم لعبد الرحمن الناصر⁶.

ولا ريب أنّ مساهمة الأمويين في نشر الآراء الفقهية المالكية بالمغرب الأوسط والأقصى، أتت أكلها، وهذا ما لاحظته الإصطخري (ت. بعد 340هـ/951م) عند حديثه عن التوجّه المذهبي

¹ ابن حَمّاد، المصدر السابق، ص70؛ بلهوّاري فاطمة، الفاطميّون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م، ص376.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص24؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص222.

³ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص255؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص157.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص262؛ بن داهية عدّة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م، ص50، Fournel, op.cit., t. 2, p.292-293.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص16.

⁶ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص88-89؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص24؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص229-230.

الغالب ببلاد المغرب، فقال: "والغالب على مذاهب أهل المغرب كلّهم مذاهب الحديث، وأغلبها عليهم في الفُتية مذهب مالك بن أنس"¹.

هذا مع الإشارة إلى أنّ ملاحظات الإصطخري في هذه الفترة تشير إلى أنّ الإباضية ما زالوا يشكّلون الغالبية في مدينة تيهرت²، ومن المرجّح أيضا أنّ العديد من الجماعات القبلية المحيطة بهذه المدينة بقيت محتفظة بإباضيتها³، ولهذا يمكن الاستنتاج أنّ عملية التحول السني لم تكن واسعة في مدينة تيهرت ونواحيها في الثلث الأوّل من القرن 4هـ/10م.

وبالرجوع إلى يعلى بن محمّد، فإنّ القائد الفاطمي جوهر الصقلي وضع لحكمه حدّاً أثناء حملته على المغربين الأوسط والأقصى في سنة 347هـ/958م، فقد قام بقتله، وتخریب مدينة افكان، وتشريد قبائل بني يفرن، ومن كان يتبعها من الفروع الزناتية الأخرى⁴. وبهذا خرجت النواحي الغربية للمغرب الأوسط من نفوذ بني يفرن، وانتقل نشاطهم إلى المغرب الأقصى تحت زعامة يدو بن يعلى بن محمّد⁵.

وعلى الرغم من نزوح قبائل بني يفرن إلى المغرب الأقصى، إلّا أنّه بقي لدى الأمويين العديد من القبائل التابعة لهم في النواحي الممتدة من منطقة تيهرت شرقا إلى وادي ملوية غربا في النصف الثاني من القرن 4هـ/10م⁶، وبهذا واصل الأمويون مطالبة أتباعهم بممارسة العبادات وفق المذهب المالكي⁷، وهذا ما سمح للآراء الفقهية المالكية بتوسيع انتشارها بالجهات الغربية للمغرب الأوسط.

كما أنّ فترة غياب زعماء بني خزر، والجموع المغراوية عن المغرب الأوسط لم تدم طويلا، وهم أثناء رجوعهم في هذه المرّة، كانوا قد قطعوا أشواطاً مهمّة في التحوّل إلى التوجّه السني⁸. فقد قام زعيم القبائل المغراوية بالمغرب الأقصى زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمّد بن خزر

¹ الإصطخري، المصدر السابق، ص 29.

² نفسه، ص 39، 45.

³ العيون والحدائق، ص 242؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص 223-225.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 89-90؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 25.

⁵ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 89، 104؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 231.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 162.

⁷ ابن حيّان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص 174.

⁸ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 463؛ ابن حيّان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص 52؛ بلهوّاري، المرجع السابق، ص 341.

بالاستيلاء على العديد من المدن والجهات الممتدة من مدينة تلمسان إلى نواحي بلاد الزاب في سنة 377هـ/983م¹.

وبعد ذلك استمرّ هذا الزعيم في توسيع نفوذه حتى بلغت المجالات الخاضعة له من السوس الأقصى بالمغرب الأقصى إلى نواحي بلاد الزاب، ومن أجل ترسيخ حكمه على المناطق التابعة له بالمغرب الأوسط، أمر ابنه المعزّ بالاستقرار في مدينة تلمسان سنة 381هـ/991م، ثم قام باستقدام جموع من قبيلة مغرواة، وغيرها من الفروع الزناتية إلى الجهات الغربية بالمغرب الأوسط².

وقد تزامن انتشار العقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية بالمغرب الأوسط، مع ظهور أجيال جديدة من القبائل الزناتية، ولعلّ من أهمها في الجهات الغربية للمغرب الأوسط؛ قبيلة بني واسين التي توزّعت بمحاذاة وادي ملوية في الربع الأوّل من القرن 4هـ/10م، وهي من القبائل التي كانت خاضعة لزعامات بني يفرن، ثمّ مغرواة في الثلثين الأوّلين من القرن 4هـ/10م³.

ولكن بعد تهجير حمّاد بن بلكين لقبيلة مغرواة، والعديد من الفروع الزناتية من نواحي المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى في سنة 361هـ/971م⁴، تحرّرت قبيلة بني واسين من سيطرة مغرواة، وبعدها ظهرت لها العديد من الفروع من أهمها: بنو مرين، وبنو عبد الواد، وبنو توجين أو يوجين، وبنو راشد⁵، ثمّ شرعت هذه الفروع ابتداءً من الثلث الثالث للقرن 4هـ/10م في توسيع مجالاتها، "فتشعبت أحياءهم، وبطونهم في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب، وما إليها من صحراء أفريقية"⁶.

وحسب ابن حزم⁷ فإنّ بني واسين الذين عاشوا قريبا من عهده، استمروا على إباضيتهم، إلّا أنّ هذه الملاحظة من المجازفة تعميمها على جميع الجماعات التي تنتسب لبني واسين⁸ في بلاد

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 102-103.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 103، 107؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 161؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 279.

³ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص 370؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 83.

⁴ مفاخر البربر، ص 97-98؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 37-38؛ سنوسي، المرجع السابق، ص 284-285.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 79.

⁶ نفسه، ج 7، ص 81.

⁷ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 463.

⁸ ينحدر من قبيلة بني واسين التي عاشت بالقرب من وادي ملوية، فرع بني ميزاب، وهم كانوا يعيشون في الوادي المعروف باسمهم، ويعتقدون الآراء المعتزلية في النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م، وهذا ما يشير إلى أنّ بني واسين لم يكونوا كلّهم إباضية، وإنّما فيهم من أخذ بالآراء المعتزلية. انظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 266؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 79.

المغرب، فقبائل بني واسين التي عاشت بالقرب من وادي ملوية، كانت تابعة للأمميين بالربع الأوّل من القرن 4هـ/10م¹، كما أشار الوسياني² أنّ بني يوجين الوسيانيين كانوا مخالفيين للمذهب الإباضي في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، ولهذا بالنظر إلى الانتشار الواسع الذي عرفه التوجّه السنّي المالكي بالنواحي الغربية للمغرب الأوسط بين القرن 4هـ/10م والنصف الأوّل من القرن الذي يليه³، من المستبعد أن تبقى غالبية فروع بني واسين على التوجّه الإباضي.

كما تدعّم الوجود المالكي في بعض المدن الغربية للمغرب الأوسط، وذلك بظهور العديد من العلماء الذين ينتسبون لها أو جاؤوا من مناطق أخرى، واستوطنوا فيها، فكانت لهم مساهمة في دفع عجلة الحركة الفقهية المالكية بها.

فمن هؤلاء الفقهاء الذين برزوا في هذه الفترة؛ أبو جعفر أحمد بن نصر الأسدي الداودي (ت. 402هـ/1012م)⁴، وهو من كبار علماء المالكية ببلاد المغرب في عهده، جاء إلى مدينة تلمسان، واستوطنها إلى أن توفي. ولا شك أنّ استقرار مثل الداودي في هذه المدينة، قد ساهم في إثراء مختلف النشاطات العلمية بها، مثل: التدريس، والفتوى، والتأليف، وهذا الجانب الأخير، برع فيه الداودي، فكان له العديد من المصنّفات النافعة، منها: "النامي في شرح كتاب الموطأ"، و"النصيحة في شرح صحيح البخاري"، و"الواعي في الفقه"، و"كتاب الأموال"⁵.

وأما في مدينة وهران، فقد اشتهر منها، قاضيها أحمد بن أبي عون (حيّاً في 341هـ/952م)، وهو من الموالين للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر⁶، والحافظ والفقير سعيد بن خلف الوهراني

¹ ابن حيّان، المصدر السابق، نشرة: شلميتا، ص370.

² الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص390-391.

³ الإصطخري، المصدر السابق، ص29؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص463؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص260؛ Allaoua, L'ibadisme et la malikisation, p.336.

⁴ من المرجح أنّ أصله من مدينة المسيلة، لم يكن له الكثير من الشيوخ المشهورين، وإنّما وصل إلى المشيخة في العلم عن طريق جهده الخاص، رحل إلى مدينة طرابلس الغرب، وعاش فيها فترة، ثمّ رجع إلى مدينة المسيلة، ومكث بها مدّة، وبعد ذلك رحل إلى مدينة تلمسان، واستقرّ بها. اشتهر الداودي بإنكاره على علماء القيروان استيطانهم بين أظهر الفاطميين، إلّا أنّهم ردّوا عليه، بأنّ مكوّنهم بها، هو تثبيت للعامة من التشيع. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص228-229؛ ابن خبير (أبو بكر عبد الحقّ بن خبير الإشبيلي ت. 575هـ/1179م)، فهرسة ابن الخبير الإشبيلي: ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998م، ص76؛ ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين المالكي ت. 788هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1996م، ص94؛ دخان عبد العزيز الصغير، موسوعة الإمام العلامة أحمد ابن نصر المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م، ج1، ص43-64.

⁵ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص228؛ دخان، المرجع السابق، ج1، ص78-83؛ سيع، المرجع السابق، ص205.

⁶ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111؛ نويهض، المرجع السابق، ص347.

(تـ. بعد 375هـ/986م)، الذي نشأ في هذه المدينة، ثمّ قام برحلة في طلب العلم إلى المشرق، دخل فيها مدينة بغداد¹.

وعاش أبو القاسم سوار بن كيسان (تـ. بعد 380هـ/990م) في مدينة تنس، وكان من العلماء المقصودين بالأخذ عنه²، وينتسب إلى هذه المدينة أيضا، الفقيه والمفتي أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي (تـ. 387هـ/997م)، الذي عاش بها، ثمّ انتقل إلى الأندلس، وسكن في مدينة الزهراء، وكان يُفتي في جامعها³.

وإذا كانت الحركة السنّية المالكية تمكّنت من الانتشار على مستوى واسع في المناطق الممتدّة بين نواحي مدينة تيهرت شرقا إلى وادي ملوية غربا، فإنّ العديد من المناطق الأخرى في الجهات الشرقية للمغرب الأوسط، كانت عملية اعتناق الجماعات المذهبية للعقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية تسير بوتيرة بطيئة، فبعد انتشار الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة ونواحيها، حاول الفاطميّون فرض مذهبهم الإسماعيلي في الجهات الممتدّة من مدينة تيهرت إلى الجهات الشرقية بالمغرب الأوسط⁴، وهذا عكس المغرب الأقصى، والجهات الغربية للمغرب الأوسط التي كانت علاقة الفاطميّين بها، مُعتمدة بالأساس على رابط الولاء السياسي⁵.

كما أنّ الجماعات الإباضية تمكّنت من الحفاظ على مذهبها خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/11م في العديد من الجهات الممتدّة من جبل الأوراس شمالا إلى واحات وارجلان وسدراتة جنوبا، ومن تبسة شرقا إلى منطقة المسيلة غربا⁶.

ولهذا من أجل فهم مدى انتشار التوجّه السنّي المالكي بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط، يمكن الإشارة إلى أنّ المصادر التراجمية ذكرت عددا من علماء المالكية، الذين ينحدرون من المدن الشرقية

¹ القيسي (شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي تـ. 842هـ/1438م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، حقّقه وعلّق عليه: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، دت، ج9، ص194؛ نويهض، المرجع السابق، ص348.

² ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص52.

³ الضيّبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى تـ. 599هـ/1203م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، مصر/لبنان، 1989م، ج1، ص268؛ نويهض، المرجع السابق، ص84.

⁴ الحشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني تـ. 361هـ/972م)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقيّة، عُني بنشره: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة-مصر، 1994م، ص283؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص241؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

⁵ القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد التميمي تـ. 363هـ/973م)، كتاب المجالس والمسائرات، تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شيوخ ومحمد العيلاوي، دار المنتظر، بيروت-لبنان، 1996م، ص459؛ سبع، المرجع السابق، ص194-198.

⁶ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85، 93؛ ابن حيّان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص192؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص218، 244؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص328، 329. Fekhar, op.cit., p.72-75.

للمغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، وهذا ما يشير إلى وجود أوساط اجتماعية، تعتقد هذا التوجّه في العديد من المركز الحضريّة بهذه النواحي.

فمن مدينة ميلة، ينحدر أبو محمّد بن نصر بن أبي البار، الذي كان حيّا في العقد السادس من القرن 4هـ/10م¹، وولد أبو عمر أحمد بن الحسين التميمي (ت. 390هـ/1000م) في مدينة طنبنة، ولما كان في مقتبل العمر، رحل إلى مدينة قرطبة، فأخذ العلم بها، ثمّ استوطنها إلى أن توفّي²، ويرجع أصل أبو العباس أحمد بن عليّ الربيعي (ت. 401هـ/1011م) من مدينة مقرّة، ولكّنه ولد في مدينة باغاية سنة 345هـ/956م، ثمّ رحل في طلب العلم إلى المشرق، وبعدها استقرّ بالأندلس³.

كما ساهمت حركة التجارة بين الأندلس وبلاد المغرب في النمو الاقتصادي لمدينة بونة، وجعلها محطة لإحدى الطرق البحرية القادمة من الأندلس، وبذلك كثر التجار الأندلسيون بها⁴. وربّما هذا ما ساعد في تكوين وسط مالكي، كان عاملا في استقطاب بعض الشخصيات العلمية الأندلسية إلى هذه المدينة، ومُساهمتها في تنشيط الحركة الفقهية المالكية بها.

فمن هؤلاء العلماء الذين جاؤوا إليها: أبو سهل العلاء بن محمّد الأندلسي (ت. 347هـ/959م)، الذي ولد ونشأ في تدمير، وبعدها طلب العلم في مصر، والقيروان، وتونس، ثمّ استوطن مدينة بونة إلى توفّي⁵، قال ابن الفرضي عنه: "كان كثير الكتب، حسن التقيّد"⁶. وأبو عبد الملك مروان بن عليّ الأسدي القرطبي (ت. 440هـ/1048م)⁷، الذي لم تشر المصادر إلى تاريخ قدومه إلى مدينة بونة، ولكن من المؤكّد أنّه كان فيها سنة

¹ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص462؛ لوزري، المذهب المالكي، ص182.

² ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمّد الأزدي القرطبي ت. 403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م، ج1، ص128؛ نويهض، المرجع السابق، ص201.

³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص265؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص325.

⁴ ابن حوقل، المصدر السابق، ص77؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص223، 269.

⁵ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص554-555؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص53.

⁶ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص555.

⁷ ولد في مدينة قرطبة، ثمّ رحل في طلب العلم إلى المشرق، ومنها قدم إلى بلاد المغرب، فلزم أبا جعفر الداودي في مدينة طرابلس مدّة خمسة أعوام، أخذ فيها جميع مروياته، وتآليفه، وبعد ذلك قصد مدينة القيروان فأخذ عن أبي الحسن القاسبي. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص285؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889؛ مخلوف (محمّد بن محمّد ت. 1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، ج1، ص164.

405هـ/1014م¹. وقد كان لأبي عبد الملك دور مهمّ في وضع قاعدة صلبة للحركة العلمية بها، فقد عرف كتابه "تفسير الموطأ"² انتشاراً بين الأوساط العلمية³، وكان مشهوراً برواية مرويات وكتب شيخه أبي جعفر الداودي⁴، وهذا ما جعله قبلة لطلّاب العلم، فمن هؤلاء الذين أخذوا عنه؛ أبو عمر أحمد بن محمّد بن الحذّاء القرطبي (ت. 467هـ/1094م)⁵ الذي قدم إليه في سنة 405هـ/1014م، وأخذ عنه شرحه للموطأ، وروايات وكتب الداودي⁶.

كما بدأ جعفر بن عليّ الأندلسي (334-360هـ/945-971م) في فترة ولايته على إقليم الزاب، يربط علاقات مع الأمويين بالأندلس، وأتباعهم الزناتيين في بلاد المغرب، وخاصة منهم الزعيم المغراوي محمّد بن الخير⁷، وبذلك اغتنم الأمويون هذه الفرصة، لبثّ دعوتهم في منطقة المسيلة، فقد كان أبو جعفر أحمد الوهراني كاتب جعفر بن عليّ متّهماً بميوله الأموية⁸، كما وُجد شخص آخر يسمّى عثمان بن أمين، كان يُكاتب الأمويين، ويطعن في الدولة الفاطمية، وهذا بعلم جعفر بن عليّ، ولكنّه لم يتخذ أيّ إجراء ضده⁹، وهذه الحادثة، تطرح فرضية من الصعب تجاهلها، وهي أن يكون عثمان بن أمين من أعوان الأمويين، الذين كانوا يتواصلون من خلاله مع جعفر بن عليّ.

ولعلّ ميل هذا الشخص للأمويين في هذه الفترة، جعل جُهوده في تقريب العلماء والشعراء، وإغداقهم بالعطايا، من أجل تنشيط الحركة الثقافية في مدينة المسيلة¹⁰، تصبّ في صالح تسامحه

¹ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889.

² حقّقه: عبد العزيز دخان، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة-قطر، 1432هـ/2011م.

³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص285؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889؛ نويهض، المرجع السابق، ص52.

⁴ القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى السبتي ت. 544هـ/1149م)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982م، ص106؛ ابن خير، المصدر السابق، ص391-392.

⁵ تولّى القضاء، وخطّة الوثائق، والشورى في عدد من مدن الأندلس، مثل: إشبيلية، وبجّانة، ودانية، ثمّ استقرّ في سرقسطة إلى أن توفي. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص301؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص243.

⁶ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889؛ ابن خير، المصدر السابق، ص391-392.

⁷ ابن حيّان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص192؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص354.

⁸ العياوي محمّد، ابن هانئ المغربي الأندلسي (931/320-973/362) شاعر الدولة الفاطمية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م، ص103.

⁹ الجوذري (أبو عليّ منصور العزيري ت. بعد 386هـ/996م)، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقعات الأئمّة الفاطميين، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين ومحمّد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، مصر، د.ت، ص123.

¹⁰ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص137؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص108.

مع أتباع التوجّه المذهبي الذي كان الأمويّون يتبعونه في الأندلس، وهذا ما ساهم في تشكّل حركة علمية مالكية في وسط أقلية شيعية، وغالبية إباضية¹.

ثمّ بعد مغادرة جموع من قبيلة بني برزال النكارية إلى الأندلس في أواخر سنة 363هـ/974م²، ربّما كانت هذه الهجرة الجماعية من العوامل التي فسحت المجال أمام الحركة الفقهية المالكية لترسيخ وجودها في منطقة المسيلة خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م.

ومن هؤلاء الفقهاء الذين شاركوا في تنشيط الحركة الفقهية المالكية بهذه المدينة خلال هذه الفترة؛ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الذي مكث فترة في مدينة المسيلة، وذلك بعد مغادرته من مدينة طرابلس الغرب، وقبل استقراره في مدينة تلمسان، فقام بالتدريس بها، وقد ساهمت شهرته الواسعة في جعل هذه المدينة مقصدا لطلبة العلم الذين قدموا إليه من أجل الأخذ عنه، ورواية مروياته وكتبه، فكان من هؤلاء الطلبة الذين جاؤوا إليه، وأخذوا عنه؛ أبو جعفر أحمد بن محمّد الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون (ت. 400هـ/1010م)³، وذلك على الأرجح بعد سنة 380هـ/990م⁴.

وينحدر من هذه المدينة أيضا، أبو جعفر أحمد بن خلوف أو خلف المسيلي المعروف بالخياط (ت. 393هـ/1002م) الذي ولد وعاش بها، ثمّ انتقل إلى الأندلس، وتوفّي في مدينة قرطبة⁵، قال ابن الفرضي عنه: "كان فقيها عالما بالمسائل، حافظا على مذهب مالك، حسن التكلم في الفقه"⁶.

وإلى جانب هذا النشاط الفقهي، عرفت المجالات الجغرافية الممتدّة من نواحي بلاد الزاب إلى مدينة أشير، انتشار الجماعات الزناتية التي كانت تابعة للزعيم المغراوي زيري بن عطية⁷، وهذه الجماعات كان جزء كبير منها، استقدمه زيري بن عطية مع جماعات مغراوية من المغرب الأقصى،

¹ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص217؛ رحلي، المرجع السابق، ص71-72.

² ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص192.

³ ولد في طليطلة سنة 353هـ/964م، أخذ العلم بالأندلس ثمّ بالشرق، وبعدها جاء إلى بلاد المغرب، فأخذ عن عدد من علماء حواضرها، ثمّ من مدينة تنس، رجع إلى طليطلة واستوطنها، وكان من العلماء المعروفين بجمع الكتب، وإعادة نسخها وضبطها. انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص54-56؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص150.

⁴ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص51، 52؛ دخان، المرجع السابق، ج1، ص44.

⁵ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص129؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص231.

⁶ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص129.

⁷ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص103، 106، 107؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص209، ج7، ص61.

والجهات الغربية للمغرب الأوسط، من أجل تثبيت نفوذه في هذه الجهات، والضغط على مواطن صنهاجة في جبال التيطري¹.

ولذلك إذا كانت القبائل المغراوية خلال هذه الفترة في طور التحوّل السنّي²، فمن المفترض أنّ الجماعات الزناتية التي جاء بها زيري بن عطية إلى هذه النواحي، هي الأخرى قد اخترقتها العقائد السنّية، فليس من المنطقي أن تعيش هذه الجماعات مع القبائل المغراوية، وتكون تابعة لزعمائها، ومع هذا تبقى بمعزل عن التحوّل السنّي الذي كان في القبائل المغراوية.

كما امتدّ الوجود المغراوي المتأثر بالعقائد السنّية إلى منطقة طبنة، ففي سنة 377هـ/988م انشقّ سعيد بن خزرون بن فلقول بن خزر عن موالة الأمويين في المغرب الأقصى، وبعدها توجه مع جموع مغراوة إلى مدينة أشير معلنا ولاءه لوالي الفاطميين في بلاد المغرب المنصور بن بلكين (373-386هـ/984-996م)، فكافأه هذا الأخير على انشقاقه، بتوليته عمل طبنة في سنة 381هـ/991م، وبذلك استقرت الجماعات المغراوية التابعة له في هذه المنطقة³.

إلا أنّ أهمّ تطوّر بالنسبة للحركة السنّية المالكية بالمغرب الأوسط، وخاصّة في الجهات الشرقية منها، هو التحوّل المذهبي الذي عرفته الأسرة الزيرية الحاكمة في بلاد المغرب، فعندما رحل الخليفة الفاطمي المعزّ إلى مصر في سنة 361هـ/972م، عمّن بلكين بن زيري الصنهاجي واليا على بلاد المغرب، وسماه بأبي الفتوح يوسف⁴. وقد حاول بلكين خلال فترة حكمه التقرب من علماء المالكية في القيروان⁵، وذلك بسبب تأثيرهم الكبير في أوساط العامّة من المالكية في بلاد المغرب، وبهذا فإنّ تجنّب سخطهم، يكون عاملا مهمّا في كسب تأييد شرائح واسعة من ساكنة إفريقيّة⁶.

والظاهر أنّ بعض أولاد بلكين بن زيري، ازداد ميلهم للتوجه السنّي المالكي، فابن عذارى يذكر أنّ المنصور بن بلكين في سنة 381هـ/991م "رُفِع له في عبد من عبده أنّه قذف بعض

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص107؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص208، 227، ج7، ص54-55.

² ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص463؛ ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص52؛ بلهوّاري، المرجع السابق، ص341، Amara.

Entre le massif de l'Aurès et les oasis, p.126.

³ ابن خلدون، العبر، ج7، ص54؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص258-259، 271.

⁴ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص92؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص93.

⁵ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص141؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص230.

⁶ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص228؛ المقدسي، المصدر السابق، ص236؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص171-184.

من الصحابة-رضي الله عنهم-، فأمر بقتله، وصلب جسّته، ونودي على رأسه بمدينة القيروان¹. وهذا التصرف يُوحى بأن المنصور أراد التشهير بفعله هذا العبد في مدينة القيروان، ليعلم الناس بموقفه من هذه المسألة، ويكون تحذيراً للشيعة من الوقوع في هذا المحذور.

كما أنّ أخاه حمّادا بن بلكين قرأ الفقه في مدينة القيروان، وكان له اهتمام بالجدل²، ثمّ بدأت تظهر ميولاته السنّية مع مشروع انفصاله عن باديس بن المنصور (386-406هـ/996-1016م)، فقد تمكّن حمّاد بن بلكين خلال هذه الفترة من تولّي عمل أشير، والعديد من المجالات الأخرى بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط، وكثرت عساكره³، وأسس مدينة القلعة⁴ في سنة 398هـ/1007م، لتكون حصنا، يُمكنه من مُجابهة القبائل الزناتية في هذه الناحية⁵.

ومن الممكن أنّ باديس خاف من ازدياد نفوذه، فأمره بالتنازل عن بعض أعماله الشرقية لابنه المنصور في سنة 405هـ/1114م، ولكن حمّادا رفض هذا الأمر، وأعلن تمردّه عليه⁶، ثمّ حسب ما ذكر ابن خلدون: "قتل الرفضة، وأظهر السنّة، ورضي عن الشيخين، ونبذ طاعة العبيديين، وراجع دعوة آل العباس"⁷. وبعد ذلك عُقد صلح بين المعز بن باديس (406-454هـ/1015-1062م) وحمّاد بن بلكين في سنة 408هـ/1018م، يقضي بانقسام مُلك الزيريين، وقيام الدولة الحمّادية بصفة رسمية⁸. ولهذا يعدّ قيام هذه الدولة، نصرا للحركة السنّية المالكية بالمغرب الأوسط، وتحوّلها إلى عصبية مذهبية، شكّلت الهوية العقديّة والفقهيّة للحكم الحمّادي.

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص246.

² ابن الخطيب، المصدر السابق، ص71.

³ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص248؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص102.

⁴ اشتهرت باسم قلعة أبي طويل، وقلعة حمّاد أو بني حمّاد، بنيت في جبل عجيسة (المعازيد حاليًا)، وهي تقع في الشمال الشرقي لمدينة المسيلة على بعد 36 كم. انظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص226؛ الاستبصار، ص167؛ بورويبة رشيد، الدولة الحمّادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص20؛ Beylié (G.) de, La Kalaa des Beni-Hammad –une capitale berbère de l' Afrique de Nord au IX^e siècle-, Ernest Leroux, Paris, 1909, p.6.

⁵ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص390؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص227.

⁶ النويري، المصدر السابق، ج24، ص106-107؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص71-72.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج6، ص227.

⁸ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص76؛ الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص192-194؛ عويس، المرجع السابق، ص69-70.

ثانيا- تطوّرات الحركة الروحية في الوسط المالكي بالمغرب الأوسط

قبل التطرّق إلى طبيعة الحركة السلوكية، والتعبدية عند أصحاب الرغبة الانزوائية عن الدنيا والمقبلة على الآخرة في الوسط المالكي بالمغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التصوّف في هذه الفترة لم يلق قبولا عاماّ ببلاد المغرب¹، وهذا ما جعل التوجّه السلوكي والتعبدي في المجتمع المالكي بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، يسير وفق حركتين متوازيتين هما:

أ- **الحركة الزهدية:** وهي نزعة مبكّرة الظهور في الفكر الإسلامي، استمدّت أسسها من الكتاب والسنة النبوية، وسيرة الصحابة -رضي الله عنهم-، ودعت إلى ترك ملذات الدنيا، والإقبال على كلّ ما يقرب العبد من ربّه -سبحانه وتعالى-². وقد ساهمت العديد من العوامل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والنفسية ببلاد المغرب بعد الفتوحات الإسلامية في تكوين أرض خصبة، تبلورت فيها الحركة الزهدية³.

ب- **الحركة الصوفية:** برز نشاطها في إفريقيّة خلال القرن 3هـ/9م، وهي تجعل من الزهد مرحلة أولية في التجربة الصوفية، ثمّ تتعداه لتكوّن منهجا يقوم على أساس تطويع النفس البشرية، من أجل تحقيق السعادة الروحية، والمعرفة والمحبة الإلهية⁴.

ولكنّ الحديث عن الحركة الزهدية والصوفية عند مالكية المغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م يصطدم بإشكالية النصوص التاريخية التي تتحدّث عنهما، ففي الكثير من الأحيان يصعب الفصل بينهما، ويرجع هذا إلى أنّ المغاربة كانوا يستعملون مسمّيات واحدة للتعبير عن الزهاد والمتصوّفة، فكانوا يطلقون على الفريقين صفات مشتركة، مثل: الزهد، والورع، والصلاح، والتقوى⁵. كما أنّ هناك نصوصا أخرى، عند التحقق من سياقها التاريخي، لا يُمكن لدلائلها المعرفية أن تصبّ في موضوع تاريخية الحركة الزهدية والصوفية في الوسط المالكي بالمغرب الأوسط.

¹ للاطلاع أكثر على التيار المعارض من علماء المالكية للممارسات الصوفية ببلاد المغرب. انظر: الدبّاغ وابن ناخي، المصدر السابق، ج3، ص146؛ التهامي، المرجع السابق، ص407-426؛ دخان، المرجع السابق، ج1، ص82.

² القشيري، المصدر السابق، ص42؛ ابن خلدون، المقادّة، ص611؛ عرفان، نشأة الفلاسفة الصوفية، ص49.

³ للاطلاع أكثر على العوامل التي ساهمت في ظهور الحركة الزهدية في بلاد المغرب. انظر: البيلي محمّد بركات، الزهاد والمتصوّفة في بلاد المغرب والأندلس حتّى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1993م، ص53-89.

⁴ نفسه، ص92؛ بن الطيب، المرجع السابق، ص19، 43.

⁵ البيلي، المرجع السابق، ص90.

ومن بين هذه الإشارات المصدرية التي حاول أحد الباحثين¹ التأكيد من خلالها على الحضور الصوفي عند مالكية المغرب الأوسط في النصف الأوّل من القرن 4هـ/10م، ما ذكره ابن حمّاد² من أنّ المنصور عندما كان يُطارِد أبا يزيد النكّاري في سنة 335هـ/946م، ثار أحد القيروانيين في جبل الأوراس، و"كان ينظر كتب الصوفية ويقرؤها"³. فقامت العديد من القبائل، بالاتّفاق حوله، منها: زاووة، وعجيسة، وصنهاجة، إلّا أنّ والي الزاب جعفر بن عليّ الأندلسي تمكّن من القبض عليه، ثمّ سلّمه إلى المنصور، الذي أمر بقتله، والتمثيل بجثته.

ولكن هذا الثائر القيرواني، هناك من الإشارات ما ترجّح عدم انتمائه للمالكية، فهذا الشخص يذكر ابن حمّاد⁴ أنه أطلق على نفسه اسم "القائم بأمر الله"، ويذكر الداعي إدريس⁵ أنه أطلق على نفسه اسم "الناصر لدين الله"، وادّعى النبوة، وجاء بخوارق جذب بها العامّة. ولهذا على الرغم ممّا قد يعترى هذه الاتّهامات من مبالغات لتشويه صورة هذا الشخص، إلّا أنّ هذه الأوصاف لا يُوجد فيها ما يُثبت انتمائه المالكي، وتمّردّه هذا شبيه بحركة قادها شخص شيعي من قبيلة بني ماوطي أو ماوطنت الكتامية بين سنتي 299 و300هـ/912 و913م، كان يشاع عنه أنّه ادّعى النبوة، والمهدوية⁶، ولذلك من المحتمل أن يكون هذا القيرواني أيضا من الشيعة.

وبالرجوع إلى الحركة الزهدية والصوفية عند مالكية المغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، فقد نقلت المصادر بعض الإشارات المهمّة التي تعكس ملامح من تطورات هاتين الحركتين في هذه الفترة، فالملاحظ من خلالها استمرار الرافد الإفريقي في تكوينه لإحدى أهمّ القنوات المؤثّرة في الفكر الزهدي والصوفي بالمغرب الأوسط.

فمن هؤلاء الشخصيات التي تنحدر من المغرب الأوسط، ويُمكن اعتبارها نموذجا في تشكيل هذه الروابط الفكرية مع زهاد ومتصوّفة إفريقيّة؛ أبو محمّد بن نصر بن أبي البار المليبي الذي كان على علاقة بالعابد أبي سعيد خلفون النوفلي (ت. 354هـ/965م)⁷، وروى بعض أقواله

¹ بوناي الطاهر، الحركة الصوفية، ص31.

² ابن حمّاد، المصدر السابق، ص64-66.

³ نفسه، ص65.

⁴ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص65.

⁵ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص391-392.

⁶ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص324-325؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص190.

⁷ من عبّاد المنستير، وهو قصر ساحلي، يقع في النواحي الشرقية لمدينة سوسة، كان أبو سعيد معروفا برباطه الذي ينقطع فيه العبّاد والمرابطون.

انظر: المالكي المصدر السابق، ج2، ص461-466؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص210.

الزهدية¹، وإبراهيم البسكري الذي كان من أصحاب المؤدب محرز بن خلف التونسي (تـ. 413هـ/1022م)²، والمقرين إليه كثيرا³.

كما شهدت مدينة القيروان ظهور صراع فكري بين الصوفية والفقهاء، برز فيه عالمان، فمن الطرف الأوّل ادّعى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد البكري الصقلي (تـ. قبل 386هـ/996م)⁴ حصول بعض الكرامات له، ودافع عن قضية كرامات الأولياء، وإمكانية الأولياء رؤيتهم لله -عزّ وجلّ- في اليقظة، وقدح في الفقهاء، متّهما إياهم بعدم إدراك هذه المسائل. وأمّا من الطرف الثاني، فقد نفى أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد النفزاوي القيرواني (تـ. 386هـ/996م)⁵ كثيرا ممّا ادّعه البكري من خوارق العادات، وردّ عليه في كتابين هما "الاستظهار في الردّ على البكرية"، و"كشف التلبيس"، وهذا ما جعل الصوفية، يتهمون عليه، ويتّهمونه بإنكار كرامات الأولياء بالكلية⁶.

وقد وجدت الآراء التي دافع عنها أبو القاسم البكري أنصارا لها في بلاد المغرب⁷، فكان الكثير من المريدين يدّعون رؤية الله -عزّ وجلّ- في اليقظة⁸، ولهذا من الممكن أن هذا الآراء الصوفية عرفت انتشارا في مدينة تلمسان⁹، ومناطق أخرى من المغرب الأوسط، وبذلك وجد

¹ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص462.

² عاش في مدينة تونس وتوفّي بها، كان من علماء المالكية، معروفا بالعبادة، والزهد، وليس الصوف. ومن أقواله في الصوفية: "الصوفي من لبس الصوف على الصفاء، ورمى الدنيا خلف القفاء". انظر: أبو الطاهر (محمّد بن الحسين الفارسي تـ. بعد 431هـ/1040م)، مناقب محرز ابن خلف، طبع مع مناقب أبي إسحاق الجبنياني، تحقيق: الهادي روجي إدريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 1959م، ص106، 143؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص287-288.

³ أبو طاهر، المصدر السابق، ص96.

⁴ درس في القيروان على أبي العرب، وزيايد بن يونس، وحبيب بن نصر الجزري وغيرهم، ثمّ رحل إلى بلاد المشرق فأخذ العلم عن عدد من العلماء في حواضرها، وبعدها رجع إلى مدينة القيروان، وعاش بها إلى أن توفّي. ألّف العديد من المصنّفات في التصوّف، منها: "كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان"، و"صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء" و"الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار" (مطبوع). انظر: الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص144؛ مخلوف المرجع السابق، ج1، ص146.

⁵ إمام المالكية في عصره، الملقّب بمالك الصغير، عاش في مدينة القيروان ومات بها. ألّف العديد من المؤلفات في الفقه المالكي، منها، "النوادر والزيادات على المدوّنة"، و"مختصر المدوّنة، والرسالة"، و"كتاب المناسك"، و"الافتداء بأهل المدينة". انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص141-158؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص222-223؛ مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص143.

⁶ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص143؛ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص146؛ التهامي، المرجع السابق، ص399.

⁷ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص143؛ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص146.

⁸ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص146.

⁹ بوناوي، التصوف في الجزائر، ص51.

أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي حاجة في الردّ عليهم، فألف مصنفًا سماه "الإيضاح في الردّ على البكرية"¹.

ولا ريب أنّ الرافد الإفريقي لم يكن المؤثر الوحيد في الفكر الزهدي والصوفي عند مالكية المغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، فافتتاح هذا المجال الجغرافي على الحركة الثقافية ببلاد المشرق والأندلس²، شكّل قنوات أخرى لانتقال الأفكار والتوجّهات التي ساهمت في بلورة الفكر الزهدي والصوفي بالمغرب الأوسط.

وقد نقلت المصادر بعض تراجم العلماء الذين تعكس رحلاتهم العلمية، ملامح من احتكاك النخب العلمية للمغرب الأوسط بجواضر بلاد المشرق والأندلس، فقد رحل أبو الفضل أحمد ابن قاسم التاهرتي المعروف بالبزار (ت. 395هـ/1005م) مع والده من مدينة تيهرت إلى قرطبة، فأخذ العلم بها، واستوطنها إلى أن توفي³، قال ابن بشكوال عنه: "كان شيخا صالحا، زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الناس"⁴. وانتقل أبو الحسن عبد الرحمن بن زيادة الله الطبري (ت. 401هـ/1010م) إلى مدينة قرطبة واستقرّ بها، وكان على زهد، ونُسك⁵.

وقام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الوهراني (ت. 411هـ/1020م) برحلة طويلة إلى المشرق، دامت عشرين سنة، طاف فيها على العديد من مراكز العلم، والزهد، والتصوّف، مثل: الحجاز، وبغداد، والبصرة، وخراسان، وبلخ، ونيسابور، ثمّ رجع واستوطن الأندلس، وكان معروفا بالصلاح، والورع⁶.

¹ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت. 748هـ/1374م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حقّقه: عواد بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2003م، ج9، ص41. ويذكر أبو العباس أحمد بن عليّ الدقاق (ت. 931 أو 932هـ/1524 أو 1525م) في إحدى فتاويه التي نقلها العلمي في نوازل، أنّ الداودي صوّف في مدينة تلمسان كثيرا كثيرة، ولهذا باستثناء كتاب "النامي في شرح الموطأ" الذي أملاه في طرابلس الغرب، فمن الممكن أنّ رسالة "الإيضاح في الردّ على البكرية" كانت من بين المصنّفات التي كتبها الداودي في هذه المدينة. انظر: العلمي (أبو الحسن عليّ بن عيسى الحسيني ق. 12هـ/18م)، كتاب النوازل، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ج1، ص310؛ دخان، المرجع السابق، ج1، ص51، 82.

² تصاعدت وتيرة انتشار الفكر الصوفي في الأوساط الاجتماعية ببلاد الأندلس خلال القرن 4هـ/10م، ومن هذه التوجّهات الصوفية التي أحدثت جدلا في الأندلس؛ آراء أبو عبد الله محمد بن مسرة (ت. 319هـ/931م) التي شكّلت محطة مهمّة في غرس أسس المدرسة الصوفية الفلسفية في الأندلس. انظر: البيلي، المرجع السابق، ص177-195؛ البختي جمال غلال، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري-دراسة تاريخية في مواقف ابن خمير السبتي من التصوّف والمتصوّفة- مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 2005م؛ ص9-30.

³ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص140؛ نويهض، المرجع السابق، ص58.

⁴ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص140.

⁵ نفسه، ج2، ص466.

⁶ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص272؛ نويهض، المرجع السابق، ص348؛ بوناي، التصوف في الجزائر، ص50-51.

وهؤلاء العلماء المذكورين، وإن كانوا لم يرجعوا إلى المغرب الأوسط، فغالب الظنّ أنّ هناك من هم مثلهم، رحلوا إلى بلاد المشرق والأندلس، وتأثروا بفكر الزهّاد والمتصوّفة الذين كانوا بهم، ثمّ رجعوا إلى بلدانهم في المغرب الأوسط.

كما يُمكن أن يكون هناك زهّاد، ومتصوّفة آخرون، قدموا من أقطار إسلامية مختلفة، واستقرّوا بالمغرب الأوسط، وهذا مثل أبي عبد الملك البوني الذي نقل القاضي عياض عن تلميذه أبي عمر ابن الحذاء قوله فيه: "كان صالحا عفيفا عاقلا، حسن اللسان"¹. وأبي سهل العلاء بن محمّد التدميري الأندلسي الذي استوطن في مدينة بونة، قال ابن الفرضي عنه: "كان رجلا صالحا فاضلا، فقيه البدن"².

وقد أدّت سيطرة المالكية على الحياة الثقافية ببلاد الأندلس، إلى استمرار نشاط الحركة الزهدية الملتزمة بالكتاب والسنة³، كما بقيت العديد من الممارسات الصوفية تلقى معارضة من جناح مُعتبر من علماء المالكية في إفريقية⁴، ولذلك يظهر أنّ التواصل الثقافي للمغرب الأوسط مع إفريقية وبلاد الأندلس، قد ساهم في دعم وجود الحركة الزهدية في المجتمع المالكي بالمغرب الأوسط، وتكوين جبهة معارضة للممارسات الصوفية بالمغرب الأوسط⁵.

يتضح من خلال ما سبق ذكره، أنّ الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط شهدت تحولات مهمّة بعد انتشار الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة ثمّ قيام الدولة الفاطمية، فقد عرفت بلاد كتامة توسعات محلية في العهد الفاطمي، وتوزّيع العديد من الجماعات الكتامية في نواحي المغرب الأوسط، من أجل تسير بعض الجهات، والدفاع عن نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب، إلّا أنّ مشاركة الكتاميين في الكثير من المعارك، أدّى إلى تراجع قوّتهم، وهذا ما سمح ب بروز الصنهاجيين كقوّة لها وزنها في بلاد المغرب.

وأما العلويون فقد وجدوا أنفسهم في خضمّ الصرع الفاطمي - الأموي ببلاد المغرب، عرضة لعداوة الطرف الذي لا يعلنون الولاء له، فبدأت إماراتهم بالسقوط على التوالي في النصف الأوّل من القرن 4هـ/11م.

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص285.

² ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص555.

³ البيهقي، المرجع السابق، ص130-161.

⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص143؛ التهامي، المرجع السابق، ص407-426.

⁵ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص41؛ دخان، المرجع السابق، ج1، ص82.

كما عرفت الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية تراجعاً جغرافياً، وذلك بسبب العديد من الأسباب، من بينها الحروب التي خاضوها، والتحوّل المذهبي، والهجرة خارج المغرب الأوسط أو داخله. وأمّا داخل الوسط الإباضي، فعلى الرغم من غلبت التوجّه الوهبي على إباضية المغرب الأوسط، إلّا أنّ ظهور فرقة الفرثية في وارجلان، وانتشار عقائد النكارية في العديد من الجماعات القبيلة في جبل الأوراس وبلاد الزاب، ساهم في عدم توحد الإباضية فكرياً بالمغرب الأوسط.

وأمّا العقائد السنية والآراء الفقهية المالكية فقد شكّلت توجّهاً مذهبياً موحداً شهد انتشاراً واسعاً في المغرب الأوسط، وخاصّة في الجهات الممتدّة من منطقة تيهرت شرقاً إلى وادي ملوية غرباً، وبالتوازي مع هذا الانتشار، بدأ التصوّف يتغلغل في الوسط المالكي بالمغرب الأوسط، وبذلك يمكن القول إنّ الانتماء المذهبي المتشكّل من المالكية فقهاً، والصوفية سلوكاً، بدأ يضع أسساً متينة في بداية السيطرة على الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط.

الفصل الرابع: معالم الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط
في القرنين 5 و6هـ/11 و12م

المبحث الأول: سيطرة المالكية على المرجعية المذهبية
بالمغرب الأوسط

المبحث الثاني: انتشار الأشعرية والتصوف بالمغرب الأوسط

المبحث الثالث: الحضور الجغرافي للجماعات الإباضية
بالمغرب الأوسط

تعتبر التطوّرات المذهبية التي شكّلت خارطة التوجّهات العقديّة والفقهية والروحية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م من أهمّ الحقب الزمنية في التاريخ المذهبي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وذلك لأنّ الانتماء المذهبي الذي تكوّن عند غالبية ساكنة المغرب الأوسط؛ وهو اتّباع الأشعرية في العقيدة، والمالكية في الفقه، والتصوّف في السلوك، وتراجع الوجود الإباضي وانحساره في بعض المناطق الصحراوية بالمغرب الأوسط، شكّل ملامح الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط طيلة العصر الوسيط، وبالتالي فالسؤال الذي يُمكن طرحه في بداية هذا الفصل؛ هو كيف تمكّنت هذه التوجّهات المذهبية من تكوين معالم الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م؟

المبحث الأوّل: سيطرة المالكية على المرجعية الفقهية بالمغرب الأوسط

بعد الانتشار الواسع للتوجّه السنّي المالكي بالمغرب الأوسط في القرن 4هـ/10م، واصل هذا التوجّه المذهبي مسيرة انتشاره وتثبيت وجوده في مدن وأرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، ولكن بعد قيام دولة الموحدّين كانت محاولة بعض حكامها فرض المذهب الظاهري على رعيتهم، اختباراً حقيقياً أثبت فيه المالكية سيطرتهم على الساحة الفقهية في بلاد المغرب.

أوّلاً - تطوّر انتشار التوجّه السنّي المالكي بالمغرب الأوسط

استمرّت التحوّلات المذهبية في أوساط الجماعات الإباضية والإسماعيلية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، وعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخية كانت شحيحة في توضيح كيفية تحوّل هذه الجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط، إلّا أنّ هذا لا يمنع من تمييز بعض العوامل التي ساهمت في اعتناقها للعقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية.

ولعلّ من أهمّ هذه العوامل تأثيراً في هذه الفترة، التبنّي الرسمي للمذهب المالكي من قبل الدولة الحمّادية، فقد كان أمراؤها يدعمون الحركة الفقهية المالكية في حواضر دولتهم، ويعيّنون فقهاء المالكية في العديد من المؤسسات الدينية والمدنية مثل القضاء، والإفتاء، والإمامة¹، وفي المقابل رأوا

¹ لوزري سعيدة، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف خلال العصر الحمّادي (395-547هـ/1005-1153م)، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، إشراف: لطيفة بشاري بن عميرة، 1438-1439هـ/2017-2018م، ص133، 164؛ بوعقّادة عبد القادر، التحوّل المذهبي في العهد الصنهاجي-الحمّادي الزيري، مجلّة آفاق الثقافة والتراث، السنة: 19، العدد: 74، رجب 1432هـ/ جوان 2011م، ص13-14.

في الجماعات المذهبية المخالفة لهم بالمغرب الأوسط خطرا يهدّد نفوذهم السياسي، وهذا ما نتج عنه تكوين علاقة تتراوح بين العداة والحذر منهم¹.

وقد أدّى نشاط الحركة الفقهية المالكية في بعض المدن بالنواحي الشرقية للمغرب الأوسط إلى نشر الآراء الفقهية المالكية في مجالات القبائل الكتامية، فقد ساهم نشاط الحركة الفقهية المالكية في مدينتي بونة وقسنطينة في نشر الفقه المالكي بالجهات الشرقية والجنوبية من بلاد كتامة². كما نتج عن ازدهار الحركة العلمية في مدينة بجاية انتشار الفقه المالكي والتصوّف في بعض الجهات الغربية لبلاد كتامة³.

وأما في مدينة ميلة التي كانت الجماعات الكتامية الإسماعيلية تشكّل جزءا مهمّا منها⁴، فبعدما هدم المنصور بن بلكين أسوارها ونقل أهلها إلى مدينة باغاية في بداية سنة 378هـ/988م، بقيت هذه المدينة خرابا فترة من الزمن، ثمّ قدم إليها جماعات من العرب والجنود وغيرهم، وقاموا بإعادة إعمارها مرّة أخرى⁵. وبهذا تحوّل الانتماء المذهبي في هذه المدينة، وأضحت من المناطق السنيّة المالكية في المغرب الأوسط⁶.

وبعد حركة التحوّل السنيّ المالكي التي عرفها المجال الكتامي، بدأت تتقلّص قاعدة انتشار عقائد الإسماعيلية، ومن هذه المناطق التي اشتهرت ببقاء هذا المعتقد فيها خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م؛ جبال كتامة في النواحي الشرقية لمدينة بجاية التي حافظ قبائلها على انتمائهم الإسماعيلي⁷. ويذكر أبو زكرياء شهادة مهمّة تؤرّخ للوجود الإسماعيلي في عهده، فيقول: "وحدّثني من دخل بلد كتامة أنّ بقية الشيعة فيهم إلى يومنا هذا بقلعة من قلاعهم تسمّى حلافة"⁸.

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص439؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص174.

² البيذق (أبو بكر بن عليّ الصنهاجي تـ. 555هـ/1180م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1971م، ص12؛ السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمّد الأصبهاني تـ. 576هـ/1180م)، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1913م، ص450؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889.

³ ابن الزيات، المصدر السابق، ص428، 430؛ الغبريني، المصدر السابق، ص45، 127.

⁴ ابن حوقل، المصدر السابق، ص93؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص245؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص101.

⁶ أبو طاهر، المصدر السابق، ص94؛ البيذق، المصدر السابق، ص12، 13.

⁷ البكري، المصدر السابق، ج2، ص268.

⁸ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص165.

وعند الحديث عن التحوّلات المذهبية للقبائل الكتامية في هذه الفترة، من المهمّ الإشارة إلى كلام ابن خلدون عن القبائل الكتامية في عهده، ومّا جاء فيه قوله: "وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرّون منه لِمَا وقع منذ أربعمئة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة، وعداوة الدول"¹. ويبدو أنّ تبرّأ بعض القبائل الكتامية من نسبها، كان نابعا قبل هذه الفترة من استخدامها للتقيّة التي تُخفي من خلالها عقيدتها الإسماعيلية، وهذا خوفا من محاربة الحكّام لهم، ولذلك من الممكن افتراض أنّ عملية اختفاء ثمّ زوال عقائد الإسماعيلية مرّت بمرحلتين، الأولى: تمثّلت في عدم إظهار بعض القبائل الكتامية لنسبها وعقائدها الإسماعيلية، والثانية: بعد مُرور أجيال متلاحقة من الكتاميين، بدأت حركة التحوّل السنيّ المالكي تشملهم بصفة تدريجية.

كما واصل التوجّه السنيّ المالكي انتشاره في أوساط الجماعات الإباضية ببلاد الزاب، ومن المدن التي يمكن اعتبارها نموذجا للتحوّل المذهبي الذي عرفته هذه المنطقة، مدينة الغدير في غرب بلاد الزاب التي كان سكانها إباضية نكّارية ينحدرون من قبيلة هوّارة في القرن 4هـ/11م²، ثمّ بعد هذه الفترة، تعيّر الأوضاع المذهبية في هذه المدينة والأرياف المحيطة بها³، وبدأت الحركة العلمية بها تصطبغ بالتوجّه المالكي، ومن النخب العلمية المالكية التي اشتهرت منها؛ أبو عبد الله الغديري الذي كان معلما للقرآن في الثلث الثاني من القرن 6هـ/12م⁴. ومدينة بسكرة في جنوب بلاد الزاب التي تحوّل أهلها من الإباضية إلى المالكية في القرن 5هـ/11م⁵.

وقد تزامنت هذه التحوّلات المذهبية التي عرفتها الجهات الشرقية للمغرب الأوسط، مع انتشار الجماعات الهلالية في هذه النواحي، فبعدها أعلن الأمير الصنهاجي المعزّ بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) القطيعة السياسية والمذهبية مع الفاطميين في مصر على الراجح في سنة 335هـ/1043م⁶، وقام بمبايعة الخلافة العباسية، وإقرار المذهب المالكي كمذهبي رسمي

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص197.

² البكري، المصدر السابق، ج2، ص232، 240؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص397، 399، 407.

³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص331-332؛ السلفي، المصدر السابق، ص147، 122.

⁴ السلفي، المصدر السابق، ص231؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص188.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص230.

⁶ للاطلاع أكثر عن الخلاف الواقع في سنة قطيعة المعزّ بن باديس للفاطميين، وترجيح بعض الباحثين للتاريخ أعلاه. انظر: بن زاوي طارق، استقلال المعزّ بن باديس الزييري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: رافعي نشيدة، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص141-152.

في دولته¹، قام الفاطميون بمعاقبته، وذلك بإرسالهم لقبائل بني هلال وبني سليم من نهر النيل إلى بلاد المغرب في سنة 442هـ/1050م².

ولما دخلت هذه القبائل إلى إفريقيّة، كانت بحكم ولائها للفاطميّين، ينتمون لمذهبهم الشيعي الإسماعيلي³، ولكن هذا الانتماء المذهبي لا يعدو أن يكون تدبّينا سطحيا، فقد قال عنهم ابن خلدون عند بدايات توسّعهم ببلاد المغرب: "فلما غلبوا صنهاجة... سُميت الرعايا بالأمصار عسفهم وعيْثهم باختلاف الأيدي، إذ الوازع مفقود من أهل هذا الجليل العربي"⁴. ثمّ بعد استقرارهم في بلاد المغرب كان تقبلهم للتصوّف بؤابة لاندماجهم في المنظومة الدينية السنّية المالكية خلال القرن 6هـ/12م⁵.

ويعود انتشار الجماعات الهلالية في أرياف بلاد الزاب إلى منتصف القرن 5هـ/11م⁶، فكان من فروعهم المعروفة التي توزّعت في هذه النواحي، جماعات من قبيلتي الإثنج وعدي⁷، ثمّ بعد معركة سببية التي هُزم فيها الأمير الحمّادي الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م) أمام الأمير الزيري تميم بن المعتزّ (454-481هـ/1062-1088م) في سنة 457هـ/1065م، نزلت جماعات من قبيلة رياح في نواحي قلعة بني حمّاد، وقامت بتخريب بعض الجهات الخارجية من هذه المدينة. بينما تمكّنت في هذه الفترة بعض الفروع الهلالية تحت قيادة زعيمهم حسن بن فرحان من السيطرة على منطقة قسنطينة، وهناك جماعات أخرى توزّعت في نواحي مدينتي المسيلة وطبنة، وقاموا بأعمال تخريبية فيهما⁸.

كما امتدّ انتشار بعض الجماعات العربية جنوبا إلى معاقل الإباضية بنواحي بلاد أريغ ووارجلان في الثلث الثاني من القرن 5هـ/11م، ويمكن تقسيم هذه الجماعات إلى قسمين، الأولى: بدأت

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص265-266؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص277-280.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص295-296؛ بن زاوي، المرجع السابق، ص170.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص19؛ تيرس نوح، المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب، مجلّة الحقيقة، المجلد: 14، العدد: 35، ديسمبر 2015م، ص161-167.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص26-27.

⁵ مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م)، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء-المغرب، 1982م، ص252؛ بونابي، الحركة الصوفية، ص340.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج6، ص27؛ بوعقادة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م، ميم للنشر، الجزائر، 2015م، ص185-186.

⁷ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص372-373؛ زياتي، المرجع السابق، ص136.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج6، ص26-27؛ بوعقادة، المرجع السابق، ص196، 207.

تستحوذ على بعض المجالات القريبة من قصور بلاد أريغ¹، والثانية: كانت تجوب هذه النواحي، ولكن النصوص الإباضية لم تشر إلى الأماكن التي قدمت منها².

وقد ساهم انتشار الجماعات الهلالية في المناطق المحيطة بوارجلان، وأريغ في زيادة الاضطرابات الأمنية بها، وذلك بسبب ما كانت تقوم به من عمليات سلب ونهب لممتلكات الساكنة، والقوافل التجارية التي تمرّ على هذه المنطقة³.

ثمّ واصلت الجماعات الهلالية سيطرتها على بعض المراكز الحضرية والمجالات المرتبطة بها في الجهات الشرقية للمغرب الأوسط، ففي منتصف القرن 6هـ/12م كانوا يتوزّعون بين القلّ وقسنطينة، وفي الجهات الشمالية لقلعة بني حمّاد⁴، وحول مدينتي باغاية، ودار ملول⁵، وسيطرون على حصن بادس في جنوب جبل الأوراس⁶، وحصن بشر في نواحي بسكرة⁷ (انظر: الملحق رقم: 14).

وهذا الانتشار الهلالي في النواحي الشرقية والجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، يعتبر من العوامل المهمّة في تغيير التركيبة الاجتماعية في العديد من المجالات الجغرافية، فقد أدّى وجودهم إلى تراجع نفوذ القبائل البربرية في هذه النواحي، وخضوع العديد منها لسلطة الجماعات الهلالية ودفع المغارم لها⁸. كما دفع هذا الوضع ببعض الجماعات الإباضية إلى مغادرة بلاد الزاب والتروح إلى نواحي وارجلان، وأريغ⁹.

كما بدأت العقائد السنيّة والآراء الفقهية المالكية تتغلغل بشكل جزئي في معقل الإباضية بين منطقة أسوف شرقا وقصور بلاد أريغ غربا خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م¹⁰، وكان من الجماعات القبليّة البربرية التي يبدو أنّها دانت بالعقائد السنيّة؛ قبيلة بني يوجين

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص403، 483.

² الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص686؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص434، 462.

³ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص391؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص462.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص262، 263، 269.

⁵ نفسه، ج1، ص267، 276.

⁶ نفسه، ج1، ص264.

⁷ نفسه، ج1، ص270.

⁸ زيان، المرجع السابق، ص143، 130، 128، p. Amara, Entre le massif de l'Aurès et les oasis,

⁹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص27؛ ج7، ص64، 84؛ مزهودي، المرجع السابق، ص53.

¹⁰ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص353، 448، 622.

الوسيانية¹، وبعض الفروع من قبيلة مغراوة². وهذه الجماعات القبيلة هي الأخرى كانت تقوم بأعمال سلب ونهب لممتلكات الإباضية³، وهذا ما زاد من الاضطرابات الأمنية في هذه الناحية.

ثانياً- حواضر ومراكز الفقه المالكي بالمغرب الأوسط:

وجدت النخب المالكية ظروفًا مساعدة للاستقرار في العديد من مدن المغرب الأوسط بداية من العهد الحمّادي، وبذلك قامت بتنشيط الحركة العلمية بها، وجعلها قبلة لطلبة العلم من داخل البلاد وخارجها، وإثرائها بمختلف المصنّفات العلمية، وخاصة ما ارتبط منها بالفقه المالكي، وهذا ما ساهم في ترسيخ الوجود المالكي بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م.

1- قلعة بني حمّاد:

عرفت الحركة العلمية في قلعة بني حمّاد نهضة كبيرة بعد تأسيسها في سنة 398هـ/1007م⁴، وعلى الرغم من تراجع مكانتها السياسية بعدما نقل الأمير الحمّادي المنصور بالله بن الناصر (481-498هـ/1089-1105م) مقرّ حكمه إلى مدينة بجاية في سنة 484هـ/1091م، ثمّ تعرّضها لتخريب كبير من قبل جيش عبد المؤمن بن عليّ في سنة 547هـ/1152م، إلّا أنّ النشاط العلمي بقي مستمرّاً فيها⁵.

وقد اصطبغت الحركة الفقيه في قلعة بني حمّاد منذ تأسيسها بالتوجّه المالكي، وهذا ما يظهر من خلال تراجم عدد من فقهاء المالكية الذين عاشوا فيها، فقد أخذ الفقيه أبو عثمان بن أبي سوار في بداية حياته عن شيوخ القلعة وغيرهم، ثمّ رحل في طلب العلم إلى المغرب الأقصى، فأخذ فيها عن ابن العجوز (ت. 413هـ/1030م)⁶ بمدينة سبتة، وبعدها رجع إلى قلعة بني حمّاد⁷، وعاش

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص390-391.

² نفسه، ج1، ص353، ج2، ص722.

³ نفسه، ج1، ص391، ص441.

⁴ حروز عبد الغني، جوانب من الحياة العلمية بقلعة بني حمّاد (408-461هـ/1017-1070م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد: 2، العدد: 3، جانفي 2014م، ص285-308.

⁵ عمارة علاوة، قلعة بني حمّاد: نشأة وأقول حضرة إسلامية، في دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص89-92.

⁶ أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي، أخذ العلم في الأندلس وإفريقية ولازم ابن أبي زيد القيرواني وأخذ عنه كتبه، مثل: "النوادر"، و"المختصر"، ثمّ رجع إلى مدينة سبتة، وفيها اشتهر اسمه، وأضحى مقصدا لطلاب العلم. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص292؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص561؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص251.

⁷ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص331؛ لوزري، المذهب المالكي، ص225.

في نواحيها أبو القاسم بن أبي مالك (حيًا في 438هـ/1046م) الذي كان موصوفًا بالتفقه، والزهد¹، ويعتبر أبو حفص عمر بن الحسين الصابوني، من كبار علماء المالكية في القلعة خلال القرن 5هـ/11م، قال عنه القاضي عياض: "طال عُمره، فانفرد برئاسة جهته، وكان فقيهاً، نظاراً، محققاً، حسن الفهم، جيد الكلام في الفقه"². ومكث فيها مدة أبو القاسم عبد الجليل ابن أبي بكر الديباجي (ت. بعد 478هـ/1086م)³، وكان من علماء المالكية المشهورين بتدريس أصول الفقه، وله فيه بعض المؤلفات، منها "الكتاب المستوعب في أصول الفقه"⁴.

كما اشتهر في هذه الفترة الجامع الأعظم في قلعة بني حمّاد الذي كان منارة علمية، تدرّس فيه شتى أنواع المعارف⁵، ومن هؤلاء العلماء الذين درسوا به؛ قاضي القلعة أبو محمد عبد الله ابن محمد الأنصاري الأوسي المعروف بالتامغلي (ت. بعد 513هـ/1119م)، الذي كان يعقد فيه مجالسه العلمية خلال شهر رمضان لقراءة كتاب سنن أبي داود⁶.

وقد توافد على التامغلي العديد من طلبة العلم للتفقه عليه وأخذ مروياته، فمن هؤلاء الذين اشتهروا بالأخذ عنه: قاضي بجاية الحافظ أبو الحسن عليّ بن طاهر بن محشرة، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حبوس الذي روى عنه كتاب الموطأ⁷، وقرأ عليه أبو محمد عبد الله القلعي كتاب "الملخص لمسند الموطأ" لأبي الحسن عليّ بن محمد القابسي (ت. 403هـ/1012م)⁸، ثمّ لما رحل أبو محمد القلعي إلى الإسكندرية، أخذ الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت. 576هـ/1180م) عنه هذا الكتاب بسند التامغلي⁹.

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، 332؛ حروز، المرجع السابق، ص287.

² القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص331.

³ أصله من القيروان، ثمّ جاء إلى قلعة بني حمّاد وسكنها مدة، وبعدها انتقل إلى مدينة فاس ثمّ دخل الأندلس. انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص543، 573؛ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص133؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص347.

⁴ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص133.

⁵ نفسه، ج2، ص303؛ عمارة، قلعة بني حمّاد، ص92؛ حروز، المرجع السابق، ص288.

⁶ السلفي، المصدر السابق، ص161.

⁷ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص158، 304.

⁸ من كبار فقهاء المالكية القيروانيين في وقته، كان عالماً بالحديث، والفقه، والأصول، والكلام. من مؤلفاته: "كتاب الاعتقادات"، و"المنقذ من التأويل". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص157-162؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص296-297؛ الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص326.

⁹ السلفي، المصدر السابق، ص161.

وقد تمكّنت الحركة الفقهية المالكية من الامتداد إلى بعض النواحي الريفية المحيطة بقلعة بني حمّاد، فقد ظهر النشاط التعليمي لهارون بن النضر الريفى بإقليم ريغ الذي يقع بالقرب من القلعة قبل سنة 576هـ/1180م، فكان عشرات الطلبة يحضرون عنده، فيدرّسهم "كتاب الموطأ"، و"صحيح البخاري"، و"كتاب المدونة" لسحنون بن سعيد التنوخي، وكتاب "التلقين في الفقه المالكي" للقاضي أبي محمد عبد الوهّاب البغدادي (ت. 422هـ/1031م)، وغيرها من كتب المذهب المالكي. ومن هؤلاء المشايخ الذين حضروا مجالسه في قراءة كتاب الموطأ، وصحيح البخاري؛ أبو محمد عبد الله بن محمد الزناتي الضرير (ق. 6هـ/12م)¹.

2-بجاية:

بدأت الحركة العلمية في مدينة بجاية تنمو بشكل مُتسارع بعد بنائها في سنة 460هـ/1067م²، فقد اجتمعت العديد من العوامل التي ساهمت في تطوّر النشاط الثقافي فيها خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، ولعلّ من أهمها: تشجيع السلطة الحمّادية للحركة الثقافية في عاصمة دولتها، وانتقال العديد من علماء قلعة بني حمّاد وبلاد الأندلس إليها³، ووقوعها في مركز الطرق التجارية التي تأتي من المدن الساحلية للمغرب الأقصى والأندلس وتنتجّه إلى مدن بلاد المشرق، وهذا ما ساعد في وضعها على خارطة رحلات طلاب العلم الذين جعلوا منها محطة يمرّون عليها أثناء توجّههم إلى بلاد المشرق⁴، وبهذا تمكّنت مدينة بجاية من أن تكون حاضرة علمية مرموقة، تضاهي مكانتها الثقافية الحواضر العلمية مشرقاً، ومغرباً.

ولمّا كان المذهب المالكي يشكّل التوجّه الرسمي للسلطة الحمّادية، فقد ساهم العديد من العلماء الذين تنحدر أصولهم من منطقة بجاية أو من جهات أخرى من بلاد المغرب في ازدهار النشاط العلمي في مدينة بجاية بصفة عامّة، والفقه المالكي فيها بصفة خاصّة. فمن هؤلاء الذين يمكن الإشارة إليهم: الفقيه والأصولي أبو محمد عبد الله بن محمد المقرّي، الذي يعدّ من كبار فقهاء المالكية في العاصمة الحمّادية خلال النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م⁵، وأبو الحسين عليّ

¹ السلفي، المصدر السابق، ص147.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص231؛ علاوة عمارة، التطوّر العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 26، سبتمبر 2008م، ص229-234.

³ الغريبي، المصدر السابق، ص55؛ عويس، المرجع السابق، ص249.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص260؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص119.

⁵ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص43، 44، ج2، ص158، ج3، ص120؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص316.

ابن طاهر بن محشرة القيسي، من أهل قلعة بني حمّاد، نشأ وطلب العلم فيها، ثم تولّى قضاء بجاية في النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م¹.

وأما في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، فمن الذين اشتهروا في هذه المدينة: الفقيه والصوفي أبو عليّ حسن بن عليّ المسيلي (ت. نحو 580هـ/1185م)، نشأ وتعلم ببجاية، ثمّ تولّى قضاءها، وله العديد من المؤلفات، منها في مجال أصول الفقه، كتاب "النبراس في الردّ على منكر القياس"²، وتولّى القضاء فيها أيضاً، أبو تميم ميمون بن جبارة الفرداوي (ت. 584هـ/1189م)³، وكان يدرّس في بيت الكتّاب بقصر بجاية في سنة 582هـ/1187م⁴، ونشأ في هذه المدينة الفقيه أبو طاهر عمارة ابن يحيى الشريف الحسيني (ت. بعد 585هـ/1189م)، ثمّ تولّى القضاء في نواحيها، واشتهر بتأليف "نظم في علم الفرائض"⁵.

كما استقرّ في مدينة بجاية العديد من علماء الأندلس، وكانت لهم مساهمة مهمّة في ازدهار النشاط العلمي بها، فمن هؤلاء: أبو عبد الله محمد بن عمّار الميورقي الأصل والمنشأ المعروف بالكلاعي (ت. بعد 485هـ/1092م)، جاء إلى مدينة بجاية، واستوطنها، وكان من كبار فقهاء المالكية فيها⁶، وأبو جعفر أحمد بن عبد الصّمد الأنصاري (ت. بعد 582هـ/1186م)، أصله من قرطبة، أخذ العلم بالأندلس، ثمّ جاء إلى مدينة بجاية، واستوطنها مدّة، وبعدها رحل إلى فاس، وبها توفّي. من مؤلّفاته: "كتاب في أحكام الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-"⁷، وأبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشي (ق. 6هـ/12م)، من أهل إشبيلية، كان من العلماء المتصدّرين للتدريس، والتحديث في مدينة بجاية⁸.

¹ ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ت. 708هـ/1308م)، كتاب صلة الصلة، تحقيق: شريف العدوي، طبع مع كتاب الصلة لابن بشكوال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 2008م، ج3، ص311؛ نويهض، المرجع السابق، ص288.

² الغبريني، المصدر السابق، ص53-39؛ نويهض، المرجع السابق، ص299-300.

³ من أهل بجاية، رحل في طلب العلم إلى المشرق، ثمّ انتقل إلى الأندلس فولي قضاء بلنسية لمُدّة ثلاثة عشر سنة، ثمّ استقضى في بجاية، وبعد ذلك نُقل ليتولّى قضاء مرسية، ولكنّه توفّي وهو في طريقه إلى مدينة تلمسان. انظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص197؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص295؛ الغبريني، المصدر السابق، ص206-207؛ نويهض، المرجع السابق، ص253.

⁴ الغبريني، المصدر السابق، ص206-207؛ نويهض، المرجع السابق، ص253.

⁵ الغبريني، المصدر السابق، ص45؛ نويهض، المرجع السابق، ص241.

⁶ ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري ت. 543هـ/1148م)، قانون التأويل، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، دار القبلة للثقافة الإسلامية/مؤسسة علوم القرآن، جدّة-السعودية/بيروت-لبنان، 1986م، ص424؛ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص326.

⁷ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص76؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص420-421.

⁸ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص34؛ الغبريني، المصدر السابق، ص36.

ولعلّ من أشهر علماء الأندلس الذين كان لهم أثر واضح في الحركة العلمية في مدينة بجاية؛ هو أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (ت. 582هـ/1186م)، ولد في مدينة إشبيلية على الراجح في سنة 510هـ/1116م، وأخذ عن عدد من علماء الأندلس، ثمّ رحل إلى مدينة بجاية، واستقرّ بها بعد سنة 550هـ/1155م، فاستقضى فيها لمدة وجيزة، وتولّى الخطبة، وصلاة الجماعة في مسجدها الأعظم، وكان قبلة لطلبة العلم من مختلف نواحي بلاد المغرب والأندلس¹. له العديد من المؤلفات، من أهمها: "الجمع بين الصحيحين"، "الجمع بين المصنّفات الستّة"، "الجامع الصحيح"، "الأحكام الكبرى"، "الأحكام الصغرى"، "فضل الحجّ والزيارة"، "تلقين الوليد"، "كتاب التهجد"².

وللإشارة هنا، فإنّ هذه الشخصيات المذكورة، ما هي إلّا نماذج، ويبقى عدد علماء بجاية أكثر بكثير في القرن 6هـ/12م، فقد جاء تعليق الغبريني على قول أبي عليّ حسن المسيلي: "أدركت بجاية ما ينيف على تسعين مفتياً..."، فقال الغبريني: "وإذا كان من المفتين تسعون، فكم يكون من المحدثين، ومن النحاة، والأدباء، وغيرهم، ممّن تقدّم عصرهم ممّن لم يدركه، كان الناس على اجتهاد، وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"³.

3- تلمسان:

ذكر البكري المتزلة العلمية التي بلغتها مدينة تلمسان خلال القرن 5هـ/11م، فقال: "و لم تزل تلمسان داراً للعلماء، والمحدثين، وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس"⁴. ولا ريب أنّ دخول الجهات الممتدة بين مدينتي تلمسان ووهران تحت نفوذ المرابطين (462-541هـ/1069-1146م) بين سنتي 472 و474هـ/1079 و1081م⁵، قد ساهم في ترسيخ المذهب المالكي في هذه النواحي، وذلك لأنّ أمراء المرابطين كانوا مهتمّين بتحكيم الفقه المالكي في كافّة أرجاء دولتهم، ونبذ كلّ التوجّهات المذهبية المخالفة له⁶.

¹ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص120؛ الغبريني، المصدر السابق، ص41-44؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص739.

² ابن الأثير، التكملة، ج3، ص121-121؛ الغبريني، المصدر السابق، ص42-43؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص60.

³ الغبريني، المصدر السابق، ص55.

⁴ البكري، المصدر السابق، ج2، ص260.

⁵ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص143؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

⁶ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1980م، ص464-465؛ عدّة الشيخ ولد جلول، الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 2، الإصدار: 1، 2021م، ص207-229.

وقد ساهم العديد من العلماء في تنشيط الحركة الفقهية المالكية بمدينة تلمسان، فمن هؤلاء: أبو محمد عبد الله بن عليّ المعروف بابن سمجون (ت. 524هـ/1130م)، من أهل غرناطة، ولي القضاء بها، ثم انتقل إلى تلمسان واستوطنها إلى أن توفي، وقد كان واسع الرواية، حافظاً للمسائل الفقهية¹، وأبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر المزياتي، الذي عاش في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، واشتهر بحفظه لمسائل الفقه، وضبطه لمسائل المدوّنة²، وأبو بكر محمد بن يوسف ابن مفرج (ت. 600هـ/1204م)، من أهل إشبيلية، واستوطن مدينة تلمسان، وهو من رواة كتاب الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234هـ/848م)³.

كما خدم علماء تلمسان المذهب المالكي بمؤلفات مهمّة، منها: كتاب "اعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من الحلال والحرام"، لأبي عليّ حسن بن إبراهيم المشهور بابن زكوان (ت. 553هـ/1158م)، نزيل مدينة فاس، جمع فيه صاحبه الفتوى على نسق كتاب المدونة⁴، وكتاب "مجموعة في غريب الموطأ" لأبي بكر حسن بن عبد الله الأشيري (حيّاً في 569هـ/1173م)، الذي عاش في مدينة تلمسان، ثمّ انتقل إلى الأندلس قبل سنة 540هـ/1145م⁵.

وأما أبو عبد الله محمد بن عبد الحقّ بن سليمان اليفرنّي (536-625هـ/1141-1228م)⁶، فيعتبر من أهمّ العلماء التلمسانيّين تأليفاً في عهده، فمن مصنفاته: "الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب"⁷، و"المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار"، جمع فيه بين كتابي "المنتقى في شرح أحاديث موطأ الإمام مالك" لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت. 494هـ/1101م)، و"الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار" لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت. 463هـ/1071م).

¹ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص253؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص84.

² ابن الأثير، التكملة، ج1، ص256؛ ج3، ص160؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج4، ص187.

³ ابن الأثير، التكملة، ج2، ص86؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص205.

⁴ ابن الأثير، التكملة، ج1، ص217؛ نويهض، المرجع السابق، ص159؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص299.

⁵ البيهقي، المصدر السابق، ص58؛ ابن الأثير، التكملة، ج1، ص218؛ نويهض، المرجع السابق، ص16.

⁶ أصله من مدينة ندرومة، درس في صغره عند مشايخ تلمسان، ثمّ رحل في طلب العلم إلى عدد من حواضر بلاد المغرب والأندلس، مثل مراكش، وفاس، وسبتة، وإشبيلية، وبعد ذلك رجع إلى مدينة تلمسان، وتولّى القضاء بها مرتين. انظر: ابن الأثير، التكملة، ج2، ص165؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص208؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص802؛ نويهض، المرجع السابق، ص77.

⁷ حقّقه وقدم له وعلّق عليه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، 1421هـ/2001م.

وألف أيضا كتاب "إرشاد المسترشد وبغية المستبصر المجتهد"، و"حدود أنواع الحكم الشرعي". وفي الفتاوى جاء من ضمن مؤلفاته كتاب سماه "الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة"¹.

4- وهران:

عاش في مدينة وهران العديد من العلماء، الذين جعلوها من مراكز العلم المالكية بالمغرب الأوسط، فمن هؤلاء: أبو محمد عبد الله بن يوسف (حيًا في 429هـ/1038م)، الذي رحل في طلب العلم إلى مدينة القيروان، فأخذ عن بن أبي زيد القيرواني ونظرائه، ويبدو أنه رجع إلى مدينة وهران، واشتهر بكثرة الرواية عن شيوخه القيروانيين، ثم انتقل إلى مدينة إشبيلية في سنة 429هـ/1038م، واستقر بها²، وأبو بكر يحيى بن عبد الله الجمحي (ت. 430 أو 431هـ/1039 أو 1040م)، من أهل هذه المدينة، وكانت له رحلة في طلب العلم إلى الأندلس، قال ابن بشكوال عنه: "كان متصرفًا في العلوم، قويّ الحفظ، حسن الفهم، وكان علم الحديث أغلب عليه"³.

وأما العلماء الذين اشتهروا من هذه المدينة في القرن 6هـ/12م فمنهم: أبو بكر محمد بن جعفر اللّخمي القرطبي (ت. 544هـ/1149م)، تصدر للإقراء بقرطبة، وغرناطة، وبلنسية، ثم جاء إلى مدينة وهران، واستقر بها أن توفي⁴، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني (ت. 557هـ/1162م)، أصله من الأندلس، ونشأ في مدينة وهران، وكان من الفقهاء والخطباء المفوّهين، تولّى القضاء في مدينة مراكش، وبها توفي⁵، وأبو بكر أو أبو الحسن عليّ بن عبد الله الوهراني (ت. 615هـ/1219م) الذي رحل إلى المشرق، وتولّى الخطابة في أحد مساجد قرية داريا من أعمال مدينة دمشق، له بعض المؤلفات، منها: "تفسير القرآن الكريم"⁶.

¹ ابن الأثير، التكملة، ج2، ص166؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص210-211.

² ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص450-451؛ نويهض، المرجع السابق، ص349.

³ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص956-957؛ نويهض، المرجع السابق، ص348.

⁴ ابن الأثير، التكملة، ج2، ص5-6؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص247.

⁵ المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن عليّ ت. 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الوهّاري، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2006م، ص150؛ ابن الأثير، التكملة، ج2، ص304؛ بوباية عبد القادر، الروابط الثقافية والعلمية بين وهران والعدوة الأندلسية، مجلة إنسانيات، العدد: 23-24، جوان 2004م، ص71.

⁶ ابن الصابوني (أبو حامد محمد بن عليّ الحمودي ت. 680هـ/1281م)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، حقه وعلق عليه: مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق، 1957م، ص363؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص461.

5- جزائر بني مزغنة:

شهدت مدينة جزائر بني مزغنة في ظلّ حكم الحمّادي استقرارا سياسيا، وازدهارا عمرانيا واقتصاديا كبيرا¹، ولعلّ هذا ما انعكس على الجانب الثقافي، فبدأ يظهر فيها العديد من العلماء، الذين قاموا بتنشيط الحركة العلمية بها.

ومن هؤلاء العلماء الذين عاشوا في هذه المدينة خلال النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م: اللغوي أبو الحسن عليّ بن محمّد القيسي (ت. 537هـ/1142م)، أصله من مدينة أشونة الواقعة بالقرب من إستيجة في النواحي الجنوبية لقرطبة²، جاء إلى هذه المدينة، واستوطنها، وكان من المعروفين بالتدريس بها³، والمحدّث أبو محمّد عبد الواحد بن محمّد اللّخمي الجزائري (ت. بعد 537هـ/1142م)، وهو من الذين أخذوا عن أبي الحسن الأشوني⁴، والأصولي والفقهاء أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن خميس الأزدي (ت. 547 أو 548هـ/1152 أو 1153م)، من أهل بلنسية، أخذ العلم بالأندلس، ثمّ قدم إلى مدينة جزائر بني مزغنة، واستقرّ بها إلى أن توفّي⁵.

ومن العلماء الذين ساهموا في تنشيط الحركة العلمية بها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م: أبو محمّد عبد المنعم بن عشير (حيّاً في 561هـ/1166م)، وأبو يوسف حجّاج بن سكاتة الجزائري (حيّاً في 561هـ/1166م)، وهما من العلماء المقصودين بالأخذ عنهم في هذه المدينة⁶، وجاء إليها الفقيه والمحدّث أبو عمران موسى بن حجّاج الأشيري (ت. 589هـ/1193م) في سنة 540هـ/1145م، بعدما أخذ العلم بالأندلس، فتولّى بها الإمامة لصلاة الفريضة، وكان يروي الحديث بها، ومدينة تدلس (دلس حالياً)، وفي هذه الأخيرة توفّي⁷.

6- بونة:

عرفت الحركة العلمية في مدينة بونة ازدهارا مهمّما في بداية القرن 5هـ/11م، ومن أشهر علماء المالكية الذين استوطنوا هذه المدينة، وساهموا في جعلها مركزا علميا، ومقصدا لطلبة العلم؛

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص258؛ عمارة علاوة وموساوي زينب، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج: 44-45، سبتمبر 2009م، ص36-37.

² الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص537؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص202.

³ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص188؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج3، ص327.

⁴ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج3، ص327؛ نويهض، المرجع السابق، ص105.

⁵ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص54؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص327.

⁶ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج3، ص101؛ نويهض، المرجع السابق، ص99، 105.

⁷ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص182؛ نويهض، المرجع السابق، ص17.

أبو عبد الملك مروان بن عليّ الأسدي القطان (ت. 440هـ/1048م)¹، ومن هؤلاء الذين أخذوا عنه في هذه المدينة: أبو حفص عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي (ت. بعد 440هـ/1048م) الذي استوطن هو الآخر مدينة بونة إلى أن توفي بها²، وحضر مجلسه أبو زكرياء يحيى بن محمد الغساني القلعي (ت. 442هـ/1050م)³ وذلك أثناء رحلته في طلب العلم إلى المشرق⁴، وأخذ عنه ابنه أبو الحسن عليّ بن مروان بن عليّ الأسدي (ت. بعد 456هـ/1073م)، الذي رحل إلى مدينة قرطبة في سنة 456هـ/1073م واستوطنها إلى أن توفي، وكان يحدث فيها بشرح الموطأ لوالده⁵.

وقد واصلت الحركة الفقهية والصوفية نشاطها في مدينة بونة خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م، فقد كانت عامرة بمجموعة من العلماء، والصلحاء⁶، ومن بين هؤلاء العلماء الذين اشتهروا منها خلال هذه الفترة: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الإفريقي الترشكي (ت. بعد 536هـ/1141م)، الذي كانت له رحلة إلى بلدة المنكب من أعمال المرية، فحدث بها ببعض الكتب المجاز فيها⁷.

7- قسنطينة:

بعد انتشار التوجه السنّي المالكي في المجالات الكتامية، بدأ طلبة وعلماء مدينة قسنطينة يظهرون على خارطة رحلات طلب العلم السنّي في حواضر بلاد المغرب والمشرق، وهذا مثل أحمد القسنطيني (ت. بعد 494هـ/1198م) الذي كانت رحلة إلى دكالة في شمال المغرب الأقصى، التقى فيها بأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي (ت. 543هـ/1148م)⁸

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص285؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889؛ نويهض، المرجع السابق، ص52.

² ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص580؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص137.

³ أصله من غرناطة، أخذ العلم عن العديد من علماء الأندلس، والمغرب، والمشرق، ثمّ رجع إلى غرناطة، فكان من كبار علمائها. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص365؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص960؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص435.

⁴ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص365.

⁵ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص242؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص74.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص391.

⁷ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص12؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص311؛ نويهض، المرجع السابق، ص51.

⁸ ولد بإشبيلية وأخذ العلم بها، ثمّ رحل إلى المشرق ودرّس عند العديد من العلماء، مثل أبي حامد الغزالي، وأبي بكر الشاسي، وبعدها رجع إلى الأندلس وتولّى القضاء بها، ثمّ رحل إلى فاس، وبها توفي. له العديد من المؤلفات منها "تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر"، و"العواصم من القواصم"، و"المسالك في شرح موطأ مالك". انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص296-297؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص252-252؛ الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص230.

في سنة 494هـ/1198م¹، ورحل أبو زكرياء يحيى بن علي الكتامي (ت. 519هـ/1125م) إلى بعض حواضر المشرق، وسكن في مدينة القدس مدة، ثم استوطن مدينة الإسكندرية²، قال السلفي عنه: "يحيى هذا من فقهاء المالكية وصلحائهم، وقد سمع الحديث الكثير"³.

كما ذكر البيذق (ت. 555هـ/1160م) نصاً مهماً يشير إلى بعض الشخصيات العلمية التي عاشت في مدينة قسنطينة، وذلك عندما تطرّق إلى رجوع أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالمهدي بن تومرت (ت. 524هـ/1130م)⁴ من رحلته المشرقية إلى بلاد المغرب في سنة 511هـ/1117م، فقال: "ولما دخل سيّدنا المعصوم قسنطينة نزل بها عند الفقيه عبد الرحمان الميلي، ويحيا (كذا) بن القاسم، وعبد العزيز بن محمد...، وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمان، وكان الطلبة الذين بها، يأتون المعصوم يقرأون عليه"⁵. وهذا النصّ يشير إلى وجود نشاط علمي في هذه المدينة، كان هؤلاء العلماء، وربّما يوجد غيرهم ممن لم يذكرهم، يشرفون عليه.

وإلى جانب هذه الأسماء المذكورة، أوردت مصادر التراجم بعضاً ممن ينتسب لهذه المدينة من الشخصيات العلمية المالكية خلال القرن 6هـ/12م، منهم الفقيه أبو العباس أحمد بن خلف ابن يعيش الأزدي القسنطيني (ت. بعد 537هـ/1142م) الذي كانت له رحلة في طلب العلم إلى إشبيلية⁶، وأبو الفضل قاسم بن عليّ بن عبدون الذي تولّى قضاء هذه المدينة في منتصف القرن 6هـ/12م، وكان من رُواة سنن الترمذي⁷.

¹ الزباني (أبو القاسم ت. 1249هـ/1833م)، الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برّاً وبحراً، حقّقه وعلّق عليه: عبد الكريم الفيلاي، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط-المغرب، 1991م، ص78.

² السلفي، المصدر السابق، ص450؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص172.

³ السلفي، المصدر السابق، ص450.

⁴ أصله من قبيلة هرغة المصمودية، وهناك من المؤرّخين من يجعل نسبه متّصلاً بالحسن بن عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنهما-، نشأ في بيت نسك ورباط بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى، ثم غادر بلاده في بداية القرن 6هـ/12م من أجل طلب العلم، فمرّ على الأندلس، وإفريقيّة، والإسكندرية، ومكّة، ثم استقرّ في بغداد، وبها درس على جماعة من العلماء أمثال أبي بكر الشاشي، واليكيا الهراسي، والمبارك بن عبد الجبار، وبعدها رجع إلى بلاد المغرب، وقاد دعوة مذهبية وسياسية أدّت على يد أتباعه إلى إسقاط الدولة المرابطية. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص45-55؛ المراكشي، المصدر السابق، ص245-345؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص301-302؛ ابن زرع، المصدر السابق، ص172-185؛ النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م، ص23-129.

⁵ البيذق، المصدر السابق، ص12.

⁶ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص296؛ نويهض، المرجع السابق، ص260.

⁷ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص130؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص189.

8-بسكرة:

بعد تحوّل أهل مدينة بسكرة من الإباضية إلى التوجّه السنّي المالكي، بدأت الحركة الفقهية المالكية تشهد ازدهارا ملحوظا في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، وهذا ما أشار إليه البكري في قوله: "وبسكرة علم كثير، وأهلها على مذهب أهل المدينة"¹. ومن العلماء الذين ساهموا في تنشيط الحركة العلمية بها: أبو طاهر البسكري الذي عاش في القرن 5هـ/11م²، والفقير أبو العباس أحمد بن مكّي (ت. بعد 517هـ/1224م)، الذي أمضى جزءا من حياته في هذه المدينة، ثمّ رحل إلى مصر في سنة 516هـ/1223م، واستقرّ بها³، وعاش فيها أبو الفضل البسكري (ق. 6هـ/12م)، وكان له نشاط تعليمي بها، ومُنّ اشتهر بالأخذ عنه؛ أبو عبد الله البسكري الذين رحل إلى نواحي القيروان، واستقرّ بها مدّة في منتصف القرن 6هـ/12م⁴، وجاء إلى مدينة بسكرة أبو الوليد يزيد بن عبد الرحمن القرطبي (ت. بعد 580هـ/1184م)، فتولّى القضاء بها مدّة، ثمّ رحل إلى مدينة مرّاكش، واستوطنها إلى أن توفّي⁵.

ثالثا-محاولة لنشر الفقه الظاهري بالمغرب الأوسط

لم يحظ المذهب الظاهري بانتشار واسع في بلاد المغرب قبل عهد الخليفة الموحدّي يعقوب ابن يوسف الملقب بالمنصور (580-595هـ/1184-1198م)، وبقي محصورا في بعض الحواضر مثل القيروان التي ظهر فيها مع نهاية القرن 3هـ/9م⁶، ومدينة بجاية التي جاء إليها من الأندلس أبو بكر محمّد بن الحسين الميورقي (حيّا في 537هـ/1142م)، وذلك بعدما سجّنه الأمير المرابطي عليّ بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م)، فاستوطنها إلى أن توفّي، وكان فقيها على المذهب الظاهري الداودي، ومحدّثا عارفا بعلل الحديث ورجاله⁷. بينما شهد المذهب

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص230.

² قاسم علي سعد، جمهرة تراجم فقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي-الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ج2، ص649.

³ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص169؛ نويهض، المرجع السابق، ص42.

⁴ الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص216.

⁵ ابن الأثير، التكملة، ج4، ص233-234؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص925.

⁶ الدباغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج2، ص289.

⁷ السلفي، المصدر السابق، ص361-362؛ ابن الأثير، التكملة، ج1، ص359؛ الغليزوري، المرجع السابق، ص273-274.

الظاهري حضوراً لافتاً في بلاد الأندلس، خاصة في عهد ابن حزم الذي ساهم في نشره بين طلبته، وفي جماعات من الأندلسيين كان غالبهم في جزيرة ميورقة¹.
ثم بعد قيام الدولة الموحدية كان عبد المؤمن بن عليّ ثم ابنه يوسف (557-580هـ/1184-1198م) يسعيان لتطبيق الرؤية الظاهرية² في استنباط الأحكام الشرعية، ولكنهما لم يتمكنوا من إقرارها وتعميم العمل بها في دولتهم³، ثم بعدما تولّى المنصور الحكم، أعلن فرض ما كان يسعى له والده وجده، وأمر بمنع علم الفروع، وإحراق أمّهات الفقه المالكي⁴.
وبدأ نشاط ونفوذ الظاهرية في البروز بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فقد عاش في مدينة بجاية بعض علماء الظاهرية في عهد المنصور⁵، منهم أبو بكر عبد الكريم بن عبد الملك الأزدي المعروف بابن بيكي، أصله من قلعة بني حمّاد، وهو من أقران أبي عبد الحقّ الإشبيلي، كانت له رابطة معروفة برابطة ابن بيكي بالجانب الداخلي لباب أمسيون إحدى أبواب مدينة بجاية⁶، قال الغبريني عنه: "من جملة أهل العلم، ومن أكابر أولي النهي والفهم، وكان معروفاً عند خلفاء بني المؤمن، وكان ينحو للظاهر"⁷.

¹ للاطلاع أكثر عن انتشار الفقه الظاهري في الأندلس. انظر: الغلبوري، المرجع السابق، ص187-219؛ بن علي طاهر، ابن حزم وظاهرة التجديد، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: موسى لقبال، 2000-2001م، ص33-41.
² يرى بعض المؤرخين القدامى مثل ابن خلكان وابن سعيد المغربي أنّ الموحدّين لم يكونوا ظاهريّة، وتبعهم في هذا الرأي بعض الباحثين المحدثين (انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص11؛ ابن سعيد (أبو الحسن عليّ بن موسى المغربي تـ. 685هـ/1286م)، الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، د.ت، ص30؛ كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1276م، ج1، ص124؛ النجار، المهدي بن تومرت، ص492)، ولكن هذا الرأي لا يُمكن الأخذ به على إطلاقه، فهناك مؤرّخون آخرون صرّحوا بظاهريّة الموحدّين مثل عبد الواحد المراكشي وابن حموي الدمشقي (تـ. 642هـ/1244م) (المراكشي، المصدر السابق، ص204؛ المقرّي، المصدر السابق، ج3، ص102)، كما أنّ بعض خلفاء الموحدّين كانوا يُشنون على ابن حزم، ويقرّبون علماء الظاهريّة، ويعينونهم في مناصب القضاء (الغلبوري، المرجع السابق، ص705-721)، ولعلّ ما يُؤخذ من القول الأوّل، أنّ الموحدّين لم يلتزموا بالمذهب الظاهري الداودي أو الحزمي بخفايره، وإنّما أخذوا من الظاهريّة ما يوافق دعوتهم في الاعتماد المباشر على الكتاب والسنة، وترك الاشتغال بالأراء الفقهية، ولذلك قال ابن الأثير عن المنصور: "كان يتظاهر بمذهب الظاهريّة، وأعرض عن مذهب مالك" انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص258.

³ المراكشي، المصدر السابق، ص204؛ الغلبوري، المرجع السابق، ص661-676.

⁴ المراكشي، المصدر السابق، ص202-204.

⁵ ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني تـ. بعد 1025هـ/1616م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به وعلّق عليه: محمد بن أبي شنب، دار الأبحاث، الجزائر، 2013م، ص161.

⁶ الغبريني، المصدر السابق، ص213؛ نويهض، المرجع السابق، ص352.

⁷ الغبريني، المصدر السابق، ص213.

وقد حاول بعض علماء الظاهرية في مدينة بجاية استغلال نفوذهم السياسي للتضييق على المالكية، فقاموا بتحذير المنصور من الصوفي أبي مدين شعيب بن الحسن الأنصاري¹، وذلك لأنه كان متمسكا بالفتوى على المذهب المالكي، وله أتباع كثيرون، وهذا ما جعل المنصور يرسل إليه للحضور عنده في مراكش، إلا أن أبا مدين توفي في طريقه إليه بمدينة تلمسان².

وعندما تحدّث الغبريني عن كتاب "النبراس في الردّ على منكر القياس" لأبي الحسن المسيلي قال: "ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسّكين بالظاهر وهو من أنبلهم أنه رأى هذا الكتاب وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله"³. وهذا ما يشير إلى وجود حركة علمية ظاهرية في مدينة بجاية ساهمت في الحفاظ على استمرارية هذا التوجّه الفقهي بها إلى القرن 7هـ/11م.

ومن الذين اعتنقوا المذهب الظاهري في هذه الفترة؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان الهمداني (ت. 601هـ/1204م)، ولد في مدينة وهران، ونشأ وتعلّم في مدينة تلمسان، وفيها تحوّل إلى المذهب الظاهري، وكان معروفا بمطالعة كتب ابن حزم، تولّى قضاء هذه المدينة، ولما تولّى المنصور الحكم عينه في منصب قاضي الجماعة في مراكش، ثمّ عزله وولاه على قضاء إشبيلية، وبعدها أُعيد إلى منصبه في مراكش، وبقي به إلى أن توفي⁴.

وعلى الرغم من محاولات الموحدّين فرض ظاهريتهم في بلاد المغرب، إلا أن هذا التوجّه الفقهي وجد مقاومة صلبة في بلاد المغرب، فقد استمرّ المالكية في تدريس مذهبهم، والتأليف فيه، والإفتاء به⁵، والردّ على من خالفه، وهذا مثل كتاب "النبراس" لأبي عليّ المسيلي الذي رد على ما ذهب إليه الظاهرية من إبطال القياس، و"حجة الأيام وقدوة الأنام" لأبي زكرياء يحيى بن أبي عليّ الزواوي (ت. 611هـ/1214م) الذي ردّ فيه على ابن حزم⁶، وبذلك بقي الحضور الظاهري يمثّل أقلّية في وسط غالبية مالكية تمكّنت من ترسيخ سيطرتها على الساحة الفقهية ببلاد المغرب.

¹ ولد ونشأ في حصن قطنبانة من عمل إشبيلية، ثمّ قدم إلى فاس، فأخذ العلم والتصوّف عن العديد من شيوخها، منهم أبو يعزى آل النور ابن عبد الله، وأبو عبد الله اللّفاق، وأبو الحسن بن حزمهم، ثمّ رحل لأداء فريضة الحجّ، والتقى بعبد القادر الجيلاني، وبعدها رجع إلى مدينة فاس وأقام بها مدّة، ومنها انتقل إلى مدينة بجاية واستوطنها، وكان من أهمّ الصوفية تأثيرا فيها. انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص319-332؛ الغبريني، المصدر السابق، ص22-32؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص11-27؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص153-162.

² ابن مريم، المصدر السابق، ص161.

³ الغبريني، المصدر السابق، ص33.

⁴ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص161؛ ابن سعيد، الغصون الياض، ص29.

⁵ الغلبزوري، المرجع السابق، ص728-729.

⁶ الغبريني، المصدر السابق، ص247.

المبحث الثاني: انتشار الأشعرية والتصوّف بالمغرب الأوسط

إذا كان التوجّه السنّي المالكي قد تمكّن من توسيع رقعته الجغرافية على حساب العديد من التوجّهات العقدية والفقهية الأخرى في المغرب الأوسط، فإنّ هناك تحولات عقدية وروحية أخرى عرفتها القبة السنّية المالكية بالمغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، تمثّلت في انتشار العقائد الأشعرية على حساب عقائد أهل الحديث، وانتشار التصوّف الذي شهدت تيّاراته وممارساته اكتساحاً للنسيج الاجتماعي في مدن وأرياف المغرب الأوسط.

أولاً- انتشار الأشعرية بالمغرب الأوسط

اشتهر المالكية في بلاد المغرب باتباعهم لمعتقد الإمام مالك الذي كان يعتبر من أئمة فرقة أهل الحديث في عصره¹، فكانوا يُثبتون صفات الله -عزّ وجلّ-، مع تزييه -سبحانه وتعالى- عن مُشابهة المخلوقين، ولا يخوضون في مسائل علم الكلام². غير أنّ عقائد الأشعرية بدأت في منافسة هذا المعتقد ببلاد المغرب، وتمكّنت من الانتشار على نطاق ضيق في الوسط المالكي بالقيروان خلال النصف الأوّل من القرن 4هـ/11م³.

وأما في المغرب الأوسط، فلم تشر المصادر إلى تاريخ دخول عقائد الأشعرية فيه، ولكن بالنظر إلى انتشار هذا المعتقد في أوساط النخب المالكية ببلاد المشرق في القرن 4هـ/10م، وإقبال الطلبة للأخذ عنهم من بلاد المغرب والأندلس⁴، فإنّه لا يُستبعد أن يكون منهم طلبة من المغرب الأوسط، أخذوا عنهم عقائد الأشعرية، ثمّ رجعوا بها إلى مناطقهم الأصلية، وقاموا بنشرها فيها. ومن أهمّ علماء المشرق الذين كان لهم دور في نشر عقائد الأشعرية في النخب العلمية ببلاد المغرب خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م والنصف الأوّل من القرن الذي يليه؛ القاضي أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلاّني (ت. 403هـ/1012م)⁵ الذي كان مقصوداً من قبل طلبة بلاد

¹ حواله، المرجع السابق، ج2، ص6-7؛ التهامي، المرجع السابق، ص43، 106-118.

² الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص555؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص302؛ التهامي، المرجع السابق، ص149-166.

³ الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص315؛ التهامي، المرجع السابق، ص250-251.

⁴ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص557؛ توفيق مزاري عبد الصمد، أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتّى القرن السادس الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد: 10، العدد: 17، نوفمبر 2018م، ص140-141.

⁵ أصله من البصرة، أخذ عقائد الأشعرية عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري، وكان متصدراً للتدريس في البصرة وبغداد، كثير المناظرة والرّد على الروافض، والخوارج، والمعتزلة، وغيرهم. ألف العديد من الكتب، منها: "تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل"، "إعجاز القرآن"، "أسرار الباطنية". انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص269-270؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ص217-226؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص190-193.

المغرب للأخذ عنه¹. كما جاء من تلامذة الباقلاني المشاركة إلى مدينة القيروان أبو عبد الله الحسين ابن حاتم الأذري (ت. 423هـ/1031م)، وأبو طاهر محمد بن عليّ البغدادي (ت. 448هـ/1048م)، فاستوطنها، وعملا على نشر عقائد الأشعرية بها².

كما كان لأبي ذرّ عبد بن أحمد الأنصاري الهروي (ت. 435هـ/1044م)³ تلميذ الباقلاني تأثير مهمّ في نشر عقائد الأشعرية بين طلبته من الغرب الإسلامي، قال الذهبي عنه: "أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبثّ ذلك بمكّة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس"⁴.

وإذا كانت عقائد الأشعرية قد انتشرت في إفريقيّة وبلاد الأندلس، فإنّ التواصل العلمي بين المغرب الأوسط وهذين القطرين، سيضيف قناة أخرى لدخول الأشعرية إلى المغرب الأوسط. ومن الشخصيات العلمية التي تمثّل هذا الطرح؛ أبو عبد الملك مروان بن عليّ البوني الذي أخذ العلم بقرطبة، ثمّ في مدينة القيروان عن أبي الحسن القابسي⁵، ومن الممكن أنّ أبا عبد الملك تأثر بالفكر الأشعري أثناء دراسته في هذين الحاضرتين، وخاصة عن شيخه أبي الحسن القابسي، المشهور بدفاعه عن الأشعرية⁶.

ولذلك عندما ألف أبو عبد الملك كتابه "تفسير الموطأ"، أظهر فيه تأثره بالفكر الأشعري، وذلك في المسائل المتعلقة بتأويل بعض صفات الله -عزّ وجلّ-⁷. وبهذا فمن الممكن أن النشاط التعليمي الذي قام به في مدينة بونة، وكثرة تداول كتابه في الوسط العلمي⁸، قد ساهم في نشر عقائد الأشعرية على الأقلّ في مدينة بونة ونواحيها خلال النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م.

¹ نصير محمد، دور الباقلاني في تلقين الأسانيد الأشعرية ببلاد المغرب، أعمال الملتقى الدولي الأوّل المنعقد بتطوان بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الإمام أبي ذرّ الهروي، الموسوم بـ "الفكر الأشعري بالمغرب خلال مرحلتي التأسيس والترسيم-المؤثرات المشرقية والخصوصيات المحلية"، إصدارات الرابطة المحمدية للعلماء، تنسيق: جمال علال البختي، الرباط-المغرب، 2017م، ج1، ص72-77.

² ابن عساكر، المصدر السابق، ص120-121، 216-217؛ نصير، المرجع السابق، ص77-81.

³ أصله من هرة بخرسان، رحل في طلب العلم، فأخذ عن مجموعة من العلماء في البصرة، وبغداد، ومكّة، ودمشق، ومصر، ثمّ بعد تصدّره في العلم، حدّث بخرسان، وبغداد، ومكّة وما توفي، ومن مؤلفاته: "فضائل مالك"، "كتاب السنّة"، "مسانيد الموطأ". انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ص255-256؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص554-563؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص269.

⁴ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص557.

⁵ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889.

⁶ ابن عساكر، المصدر السابق، ص122-123؛ نصير، المرجع السابق، ص70-71.

⁷ البوني، المصدر السابق، ج1، ص228-229، 566-567، 613.

⁸ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص285؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص889.

كما مكث في قلعة بني حمّاد بعض العلماء الذين ساهموا في تدريس ونشر عقائد الأشعرية، وهذا من أمثال أبي القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي الذي نشأ في مدينة القيروان، وأخذ العلم بها عن أبي عبد الله الأذري وغيره، ثمّ جاء إلى قلعة بني حمّاد وعاش بها فترة، وكان من المدرّسين بها¹. وأبو بسّام موسى بن عبد الله الأشعري (ت. 486هـ/1093م)، أصله من الكوفة، جاء إلى جزيرة صقلية، ثمّ انتقل إلى جزيرة مئورقة ودرّس بها، وبعدها دخل إلى الأندلس، ومنها قدم إلى قلعة بني حمّاد أو نواحيها، فامتحن بها، وقُتل ذبحاً².

وللإشارة هنا، فإنّ الوسياني (ق. 6هـ/12م) يروي عن أبي محمّد عبد الله بن محمّد اللواتي (ت. 528هـ/1133م)³ أنّه ذهب إلى سوق قلعة بني حمّاد، فقال: "وجدتهم في تلك الأيام قتلوا الأشعرية، وسمعت رجلاً منهم (أي من أعداء الأشعرية) يقول: قل لهم يخرجوا أو يظهرنا إذا نقتلهم"⁴. وهذه الحادثة تستدعي التساؤل عن علاقة مقتل أبي بسام بها؟ ولذلك على الرغم من عدم الاهتمام إلى ما يربط بينهما، إلّا أنّ حادثة قتل الأشعرية، تدعم فرضية مقتل أبي بسام بسبب معتقده، فحتّى لو لم يكن من الذين قتلوا في هذه الفتنة، فإنّ وجود من يعادي هذا المعتقد في قلعة بني حمّاد، يجعل من دوافع مقتل أبي بسام بسبب تبنيه للأشعرية تبقى قائمة⁵.

ويظهر أنّ نشاط العلماء الذين سبق ذكرهم في نشر عقائد الأشعرية بمدنيتي بونة وقلعة بني حمّاد لم يكن مقتصرًا عليهم فقط، وإّما هناك علماء آخرون ساهموا في تكوين جماعات أشعرية في مدن ومناطق مختلفة من المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م.

وهذا انتشار يفرض إعادة تقييم ما ذهب إليه بعض المؤرّخين من إرجاع الفضل في إدخال عقائد الأشعرية ونشرها ببلاد المغرب إلى المهدي بن تومرت⁶. ففي البداية عندما قدم ابن تومرت

¹ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص133؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص347؛ نصير، المرجع السابق، ص83-87.

² ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص883-884؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ص32.

³ أصله من بركة، ولد في حوالي سنة 432هـ/1041م، ثمّ قدم إلى أريغ في سنة 450هـ/1058م، فدرس عند يزيد بن يخلف الزواغي وغيره، وبعد ذلك اشتهر بتمكّنه في الفقه، والتفسير، والأدب، وحفظه للأخبار وتقييدها. انظر: الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص416-422؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص470-481؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص272.

⁴ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص418. يظهر أنّ الدرجيني عندما نقل أخبار اللواتي عن الوسياني، حدث عنده وهم أو اعتمد على بعض النسخ التي فيها تصحيف، فذكر أنّ أهل وارجلان هم من قتلوا الأشعرية، ولكن عند الوسياني يذكر اللواتي أنّه عندما كان في القلعة، وجدهم قد قتلوا الأشعريّة، وهذا ما يؤكّد أنّ فعل القتل كان في هذه المدينة، وليس في وارجلان. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص472.

⁵ ابن الزبير، المصدر السابق، ص32؛ لوزري، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط، ص149.

⁶ المرّاكشي، المصدر السابق، ص139؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص302؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج4، ص167.

إلى بلاد المغرب في سنة 511هـ/1117م¹، عُرفت قناعاته المذهبية التي كان يدعو إليها، بالمزج والتوفيق بين المقررات الأشعرية التي شكّلت عماد توجّهاته العقديّة، والعديد من الآراء الأخرى التي استوحاها من بعض الفرق الإسلامية الأخرى، مثل فكرة المهدي وعصمته التي استلهمها من الفكر الشيعي².

ولذلك فلا يُمكن إنكار جهود ابن تومرت في تدريس ونشر عقائد الأشعرية، خاصّة في أواسط العامّة ببلاد المغرب³، ولكنّ عقائد الأشعرية في هذه الفترة كانت قد قطعت أشواطاً مهمّة من الانتشار ببلاد المغرب⁴. ولعلّ هذا ما ساهم في وجود قاعدة أشعرية رحّبت بابن تومرت عندما مكث بضعة أشهر متنقلاً بين قسنطينة، وبجاية، وتلمسان⁵.

كما أدّت الدعوة الموحدية التي بثّها ابن تومرت وأتباعه إلى اتهام عقيدة أهل الحديث التي كان المرابطون يتبنونها بصفة رسمية، بأنّها عقيدة تجسيم لله - سبحانه وتعالى-، وسموا أتباعها بالمجسّمة⁶، وهذا ما خدم انتشار عقائد الأشعرية ببلاد المغرب، وذلك من خلال إظهارها على أنّها عقيدة تُثّر الله - عزّ وجلّ- عن مشابهة مخلوقاته، وبهذا تمكّنت عقائد الأشعرية عن طريق المذهب الذي صاغه ابن تومرت بعد قيام الدولة الموحدية من أن تتحوّل إلى توجّه عقدي رسمي في بلاد المغرب، قال عبد المجيد النجار: "وجدت الأشعرية طريقها إلى السيطرة المطلقة على المغرب منذ قيام الدولة الموحدية بسبب موافقة التقرير العقدي لابن تومرت في أغلبه للمذهب الأشعري، وقد قامت رسائله المبسطة الموجزة في العقيدة، وخاصّة رسالة "المرشدة" بالدور الكبير في ذلك حيث أصبحت مقرراً للحفظ والدراسة في كثير من مناطق المغرب على مرّ الأيام"⁷.

¹ ابن القطّان، المصدر السابق، ص76؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص47.

² للاطلاع أكثر على المذهب الذي صاغه ابن تومرت. انظر: النجار، المهدي بن تومرت، ص349-364؛ Goldziher (I.), Mohammed Ibn Toumert et la théologie de l'islam dans le nord de l'Afrique au XI^e siècle, Imprimerie orientale Pierre Fontana, Alger, 1903, p.54-85 ; Brunshvig (R.), Sur la doctrine du Mahdi ibn Tumart, Arabica, 1955, Vol. 2, T. 2, p.138-149.

³ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص177؛ بولطيف لخضر، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي (510-668هـ/1116-1269م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م، ص117.

⁴ المنتاق، المرجع السابق، ص185-186؛ التهامي، المرجع السابق، ص253-264.

⁵ البيدق، المصدر السابق، ص12-20؛ المراكشي، المصدر السابق، ص137-139؛ النجار، المهدي بن تومرت، ص89-95.

⁶ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص555.

⁷ تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م، ص139.

ثانياً- انتشار التصوف بالمغرب الأوسط:

تمكّنت الممارسات الصوفية من التغلغل في الحياة الروحية والسلوكية للمجتمعات المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م، وهذا ما جعلها تتحوّل إلى إحدى مكوّنات الانتماء المذهبي التي طبعت الهوية الدينية لهذه المجتمعات، ولذلك من المفيد هنا محاولة إعطاء تصوّر جغرافي عن انتشار الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م.

أ- الحركة الصوفية في المدن:

وجدت الحركة الصوفية ظروفًا مناسبة في العديد من مدن المغرب الأوسط، ساعدت على ظهور نشاط كوكبة من العلماء والمتصوّفة الذين عملوا على نقل المعرفة الصوفية إليها، ونشرها في محيطهم العلمي والمجتمعي خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، وبهذا ساهموا في بلورة التيارات والاتجاهات العامّة للفكر الصوفي في مدنها، وباقي المناطق الأخرى من المغرب الأوسط.

ففي مدينة تلمسان، كثر أعداد المتصوّفة بها خلال القرن 6هـ/12م¹، وشاع الاعتقاد عند التلمسانيين -عامّة وحكاماً- أنّ الصلحاء لهم مكانة عليا عند الله -عزّ وجلّ-، وهذا ما يجعل دعواتهم وبركاتهم، تجلب المنافع لهم، وتدفع عنهم المضار².

كما عرفت الساحة الصوفية في هذه المدينة بُروز بعض التيارات والاتجاهات الصوفية، وهذا مثل تيار التصوف التلقائي³ الذي يتميز ببساطة فكره، وعدم التأثير بالقضايا الفلسفية كالحلول والاتحاد، وهو بدوره تعدّدت اتجاهاته⁴، فاشتهر منها في مدينة تلمسان اتجاه المجاهدة النفسية، وذلك من خلال التقشّف في الأكل والملبس، والإكثار من العبادة، ومحاسبة النفس، وكان من هؤلاء الصوفية الذين التزموا بهذه الطريقة: أبو عمرو عثمان بن عليّ التلمساني (ت. 542هـ/1147م)⁵، وأبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت. 573هـ/1177م)⁶،

¹ ابن الزيّات، المصدر السابق، ص436، 437.

² نفسه، ص111، 112، 124.

³ يُطلق عليه بوتشيش اسم "التصوف السنّي الساذج"، بينما يكتفي بونابي باسم "التصوف السنّي". (انظر: بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في العصر المرابطي: المجتمع- الذهنيات-الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1993م، ص130؛ بونابي، التصوف في الجزائر، ص103)، ولكن هذه التسمية فيها نظر، لأنّه ليس كلّ من ينتمي إلى هذا التيار كان ملتزماً بالسنة في عبادته وزهده، فقد ظهرت في أوساطهم بعض الانحرافات العقديّة والسلوكية. انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص12، 323، 370، 436-437، 446-447.

⁴ بوتشيش، المرجع السابق، ص130؛ بونابي، التصوف في الجزائر، ص103.

⁵ انتقل إلى سجلماسة، وتوفّي بها. انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص140، 156؛ ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص144.

⁶ ابن الزيّات، المصدر السابق، ص123؛ ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص135.

وأبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن الصنهاجي (ت. 579هـ/1183م)¹، وأميمة بنت يغروسن (ق. 6هـ/12م)².

ومنهم من اختار اتجاه الوعظ والتذكير في الإقبال على طاعة الله -عزّ وجلّ-، وهذا مثل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التيجيبي (ت. 610هـ/1214م)³ الذي استقرّ في مدينة تلمسان سنة 574هـ/1179م أو بعدها، وكانت له مجموعة من المؤلفات في الوعظ، منها كتاب "أربعون حديثاً في الوعظ"، وكتاب "المواعظ والرفائق"⁴.

وإلى جانب هذه الاتجاهات، انتشر في مدينة تلمسان تيار التصوّف المتأثر بالنظرة الفلسفية في مناحي الكشف العرفاني⁵، ومن اتجاهاته التي انتشرت بشكل ملحوظ في هذه المدينة؛ الآراء الصوفية لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت. 505هـ/1111م)⁶، فقد كان كتاب "إحياء علوم الدين" الذي يعتبر من أهم مؤلفات الغزالي التي بسط فيها مذهبه الصوفي⁷، يباع في سوق الوراقين في مدينة تلمسان، ومن هؤلاء الصوفية الذين اطلعوا عليه في هذه المدينة؛ أبو عبد الله محمد بن محيو الهوّاري التنسي (ق. 6هـ/12م) الذي دلّه شيخه أبو محمد عبد السلام التونسي (ت. 512هـ/1114م)⁸ إلى قراءته، فقام أبو عبد الله بنسخه وحفظه⁹.

¹ انتقل إلى مدينة سلا بالمغرب الأقصى وكان يعمل موثقاً بها، وحسب ابن الزيّات فإنه توفي في مدينة فاس، بينما يذكر يحيى بن خلدون بأنه توفي في مدينة سلا. انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص294؛ ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص144.

² ابن الزيّات، المصدر السابق، ص112.

³ أصله من لقتت بعمل مرسية، وقيل من إشبيلية، درس عند جماعة من العلماء بمرسية، منهم أبو محمد بن معط الذي أخذ عنه علم القراءات، ثم واصل طلب العلم في بلاد المشرق، ومنها جاء مدينة سبتة، ثم استوطن مدينة تلمسان. انظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص102-103؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص248؛ المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص379.

⁴ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص102-103.

⁵ بوتشيش، المرجع السابق، ص132؛ بونا، التصوّف في الجزائر، ص116.

⁶ تقوم طريقة الغزالي في التصوّف على مُجاهدة النفس البشرية بكثرة العبادة، وتصفية النفس، والتزام الخلوة، والجوع، والسهر، وهذا من أجل الوصول إلى الكشف العرفاني الذي يحقّق المعرفة اليقينية، والحبّ الإلهي، والسعادة الروحية. انظر: التفتازاني، المرجع السابق، ص168-183؛ بوتشيش، المرجع السابق، ص132؛ الطويل توفيق، في رحاب التصوّف الإسلامي، في تراثنا العربي الإسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 1985م، ص158-159.

⁷ التفتازاني، المرجع السابق، ص168.

⁸ أصله من تونس، انتقل للأخذ عن عمّه عبد العزيز التونسي في أعماق المغرب الأقصى، فلابد له أن توفي، وبعدها رحل إلى مدينة تلمسان في سنة 486هـ/1093م، واستقرّ في موضع يعرف بالرهبان إلى أن توفي. انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص100؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص176.

⁹ المازوني، المصدر السابق، ص398-399.

كما ساهم أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي (ت. 513هـ/1119م)¹ في نشر تعاليم الغزالي الصوفية في قلعة بني حمّاد، فقد كان في مدينة فاس عندما أمر المرابطون بحرق كتاب الإحياء في بدايات القرن 6هـ/12م، فقام بمراسلة الأمير المرابطي عليّ بن يوسف ابن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م) يُدافع عن صحّة ما جاء في هذا الكتاب، ولكن لما وجد أنّ قراره لم يتغيّر، رحل إلى قلعة بني حمّاد واستقرّ بها².

وكان أبو الفضل يُدرّس كتاب الإحياء في مجالسه العلمية، ويحثّ طلبته على قراءته، ومن هؤلاء الذين أخذوه عنه؛ أبو عبد الله محمد بن عليّ بن جعفر المعروف بابن الرمامة (ت. 567هـ/1171م)³، الذي قام باختصاره، وكان له اهتمام بكتب الغزالي الأخرى⁴.

وبعد بناء مدينة بجاية في سنة 460هـ/1067م تطوّرت الحركة الصوفية فيها، وأضحت هذه المدينة من مراكز الإشعاع الصوفي في بلاد المغرب خلال القرن 6هـ/12م⁵، ومن هؤلاء العلماء والصوفية الذين ساهموا في تنشيط الحركة الصوفية بها: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البجائي (ت. بعد 577هـ/1181م) الذي ألّف كتابا في مقامات الصوفية سماه "قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصدّيقين"⁶، وأبو عليّ الحسن بن عليّ المسيلي الذي ساهم في نشر آراء الغزالي الصوفية في مدينة بجاية، فألّف مصنفا سماه "التفكّر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"، ولأجل هذا الكتاب أُطلق عليه لقب أبي حامد الصغير⁷.

كما تزعم أبو محمد عبد الحقّ الإشبيلي أنّ اتجاه الوعظ والتذكير في مدينة بجاية، وألّف فيه العديد من المؤلّفات والقصائد الشعرية، منها كتاب "الزهد"، و"الصلاة والتّهجد"، و"العاقبة في ذكر

¹ أصله من توزر ببلاد الجريد، رحل إلى سجلماسة، ثمّ سكن في مدينة فاس مدّة، كان فقيها، نحويا، وشاعرا، ومن آثاره قصيدة اشتهرت باسم "المنفرجة". انظر: ابن الزيّات، المصدر السابق، ص95-100؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص107؛ نويهض، المرجع السابق، ص329.

² ابن الزيّات، المصدر السابق، ص95-101؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج8، ص434-436.

³ من أهل قلعة بني حمّاد، أخذ العلم بها ثمّ في مدينتي جزائر بني مزغنة وبجاية، وبعدها رحل إلى الأندلس تاجرا وطالبا للعلم، ومنها انتقل إلى مدينة فاس وولي القضاء بها. كان يميل إلى المذهب الشافعي، وله العديد من المؤلّفات، منها: "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" و"التقصّي عن فوائد التقصّي" و"التلقين في شرح التلقين". انظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص158؛ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج5، ص217؛ نويهض، المرجع السابق، ص152.

⁴ ابن الزيّات، المصدر السابق، ص96؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص158.

⁵ ابن القطّان، المصدر السابق، ص76-77؛ الغبريني، المصدر السابق، ص51؛ بلعري خالد، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، مجلّة حوليات التراث، العدد: 14، 2014م، ص61-63.

⁶ نويهض، المرجع السابق، ص36؛ بلعري، المرجع السابق، ص63.

⁷ الغبريني، المصدر السابق، ص33-34.

الموت"، "ومجموع يحوي أشعار زهدية"¹، بينما سلك جماعة من صوفية بجاية أتجاه التقشّف والمجاهدة النفسية، وهذا مثل أبي عبد الله العربي (ت. بعد 591هـ/1195م)²، وأبي عبد الله محمد بن الموفق³، وأبي زكرياء يحيى الزواوي الذي كان كثير القيام والصيام، وتميّز أسلوبه الدعوي بالتركيز على الترهيب⁴، فما كان "بمّرّ مجلسه إلّا ذكر النار، والأغلال، والسعير"⁵.

إلا أنّ أهمّ شخصية صوفية عرفتها مدينة بجاية في الربع الأخير من القرن 6هـ/12م؛ هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الإشبيلي الذي حاول الجمع بين التصوّف المشرقي المتمثل بصفة خاصّة في الأطروحات الصوفية للحارث بن أسد المحاسبي (ت. 243هـ/895م)⁶، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت. 465هـ/1072م)⁷، وأبي حامد الغزالي، والتصوّف المغربي والأندلسي الذي يعتمد على أنواع المجاهدات النفسية، ولكن مع إحداث بعض التغييرات، فجعل معنى الزهد والتقشّف مُحصراً في تطهير القلب من حبّ الدنيا، وهذا ما انعكس على بعض سلوكياته، فكان معروفاً بلبس الثياب الفاخرة، ووضع المسك والطيب، كما قام بتبسيط أفكار هذه المدارس الصوفية، ممّا جعلها في متناول أفهام العامّة⁸.

وعندما استقرّ أبو مدين في مدينة بجاية، توافد عليه المريدون من مختلف أنحاء بلاد المغرب⁹، وكان منهم من أخذوا آراءه الصوفية ثمّ عملوا على نشرها في مناطق متفرقة من المغرب الأوسط، فقد كان أبو عبد الله البوني يذهب إلى أبي مدين في مدينة بجاية للاسترشاد بآرائه والتبرك به،

¹ ابن الأثير، التكملة، ج3، ص120-121؛ الغبريني، المصدر السابق، ص41-44؛ بوناي، التصوّف في الجزائر، ص103-104.

² الغبريني، المصدر السابق، ص49-51.

³ ابن الزيات، المصدر السابق، ص429-430.

⁴ الغبريني، المصدر السابق، ص127؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص28.

⁵ الغبريني، المصدر السابق، ص128.

⁶ حاول المحاسبي أن يوظف منها منطقاً للفكر الصوفي، فوضع مجموعة من الأسس التي يرتقي بها العابد في مقامات التصوّف، وهذه الأسس تتمثّل في تحقيق الجوانب الأخلاقية والنفسية كالورع، والتقوى، ومحاسبة النفس، والخوف، والرجاء، والعلم بالوعد والوعيد. انظر: التفتازاني، المرجع السابق، ص104-106؛ عفيفي أبو العلا، التصوّف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت-لبنان، د.ت، ص89.

⁷ يعتبر القشيري من المتصوّفة الذين دعوا إلى نبذ البدع والخرافات، والرجوع بالتصوّف إلى منابعه الأولى، ولذلك بنى رؤيته الصوفية على ضرورة موافقة الفكر الصوفي للمعتقد السني. انظر: التفتازاني، المرجع السابق، ص146-148؛ عفيفي، المرجع السابق، ص111-112.

⁸ بوناي، التصوّف في الجزائر، ص120-121؛ فرحات عبد الوهاب، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوّف المغربي، مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد: 18، العدد: 1، فيفري 2003م، ص86-95؛ Bouattou (B.), Le Soufisme en Algérie: Initiation à

la sociologie religieuse, Dar essabil, Alger, 2013, p.302-303.

⁹ ابن مريم، المصدر السابق، ص161؛ فرحات، المرجع السابق، ص84-88.

ثمَّ يرجع إلى منطقة بونة ويعمل بها¹، وتتلמד أبو مسعود بن عريف عند أبي مدين، وبعدها استقرَّ في جبال الشلف، وساهم في نشر آراء شيخه بهذه الناحية²، وانتقل كلَّ من عبد الرحمن المقرّي (ت. بعد 594هـ/1198م)، وبلال بن عبد الله الحبشي (ق. 7هـ/13م) إلى مدينة تلمسان، وكانا من أوائل الصوفية الذين نشروا طريقة أبي مدين في هذه المدينة³، كما أنَّ بلالا الحبشي أخذ سند إلباس الخرقَة الصوفية عن أبي مدين، ثمَّ ألبسها للعديد من صوفية تلمسان، وهم بدورهم ألبسوها لمريديهم، وهذا ما عزّز الحضور المديني في الفكر الصوفي بهذه المدينة⁴.

ومن المدن الأخرى التي نشطت فيها الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط؛ مدينة بونة التي كانت عامرة بمجموعة من الصلحاء في النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م⁵. كما أدّى انتشار التوجّه السنّي المالكي في القبائل الكتامية الإسماعيلية والقبائل الإباضية بالجهات الشرقية للمغرب الأوسط إلى تكوين مناطق جديدة نشطت فيها الحركة الصوفية، وهذا مثل مدينتي قسنطينة⁶، وبسكرة⁷.

وأما في مدينتي جزائر بني مزغنة، وتنس، فقد ساهم بعض العلماء والصوفية في نشر أفكار أبي حامد الغزالي الصوفية فيهما خلال القرن 6هـ/12م، منهم حجاج بن يوسف الجزائري⁸ الذي اشتهر بكثرة من أخذوا عنه في مدينة جزائر بني مزغنة⁹، وأبو عبد الله الهوّاري الذي درس كتاب الإحياء للغزالي في مدينة تلمسان، ثمَّ رجع إلى مدينة تنس وسكن فيها فترة، وبعدها انتقل إلى باديتها، وكانت له شهرة واسعة، ومكانة مؤثّرة في هذه المنطقة¹⁰.

¹ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص94-95.

² نفسه، ص40؛ المازوني، المصدر السابق، ص356.

³ ابن مريم، المصدر السابق، ص100؛ المقرّي، المصدر السابق، ج5، ص203-204، 242.

⁴ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص93؛ المقرّي، المصدر السابق، ج5، ص242.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص391.

⁶ العزبي (أبو العباس أحمد بن محمّد اللّخمي ت. 633هـ/1236م)، دعامة اليقين في زعامة المتقين -مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، د.ت، ص53.

⁷ الدبّاغ وابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص216.

⁸ رحل إلى إشبيلية وأخذ عن أبي بكر بن العربي الذي أخذ عن الغزالي آراءه الصوفية، ثمَّ رجع إلى جزائر بني مزغنة، وولي القضاء بها، وأما عن وفاته فهي غير معروفة. انظر: الغريبي، المصدر السابق، ص245؛ بوناي، التصوّف في الجزائر، ص67.

⁹ الغريبي، المصدر السابق، ص245.

¹⁰ المازوني، المصدر السابق، ص408، 420، 445-446.

كما كانت الحركة الصوفية نشطة في مدينة وهران ونواحيها منذ القرن 5هـ/11م، وبدأ صوفيتها يمارسون نشاطاتهم بصفة جماعية في منطقتها¹. والظاهر أن نشاط الحركة العلمية في مدينة مازونة خلال النصف الثاني من القرن 6هـ/12م²، ساهم في نمو الحركة الصوفية بها، وهذا ما جعلها تتحوّل إلى إحدى المراكز التي ساهمت في نشر التصوّف في المناطق المحيطة بها³. وفي ختام هذا العنصر، لا بدّ من الإشارة إلى أن المصادر كلّما ابتعد حديثها عن الحركة الصوفية في الحواضر الكبرى والمراكز العلمية بالمغرب الأوسط، كلّما كانت معلوماً شحيحة، وهذا ما يقف عقبة في محاولة أخذ تصوّر عامّ عن ماهية الفكر الصوفي الذي كان منتشرًا في عامّة مدن المغرب الأوسط، ولكن بالنظر إلى ما كشفته المصادر عن التوجّهات الصوفية التي أطّرت النشاط الصوفي في بعض مدن المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م، فيمكن اعتبارها نموذجًا كان سائدًا في غالب مدن المغرب الأوسط.

ب- الحركة الصوفية في الأرياف:

بدأت الحركة الصوفية في السيطرة على الحياة الروحية والسلوكية في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، ولعلّ من هذه العوامل التي ساهمت في هذا الانتشار، طبيعة الفكر الصوفي الذي يميل إلى العزلة والانقطاع للعبادة⁴، ولذلك كانت الربط من المنشآت التي وفّرت للزهاد والصوفية هذه الظروف.

فبعد اتّساع رقعة دار الإسلام عقب الفتوحات الإسلامية، كان من ضمن المنشآت ذات الطابع الديني والعسكري التي أنشأها المسلمون في مناطق الثغور، والسواحل، والطرق غير الآمنة، مجموعة من القلاع، وأبراج المراقبة وغيرها، اشتهرت بأسماء عديدة منها الرُّبَط⁵، فكان المرابطون يقيمون فيها للعبادة، واستعدادًا لمواجهة خطر أعداء الإسلام المحيطين بهم⁶، إلا أن الطبيعة الدينية

¹ البكري، المصدر السابق، ج2، ص252؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص126؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص166.

² المازوني، المصدر السابق، ص191، 351.

³ نفسه، ص191، 266.

⁴ عرفان، نشأة الفلسفة الصوفية، ص38.

⁵ الرباط في اللغة هو الوصلة التي تشدّ بين الشيفين، ومن هذا المعنى جاء اسم منشأة الرباط، وذلك لأنها المكان الذي يُلازمه الشخص المرابط أثناء الحراسة. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص303؛ المعجم الوسيط، ج1، ص323.

⁶ الباشا حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1990م، ص133؛ جلول ناجي، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م، ص16؛ Golvin (L.), Note sur le mot 'ribât' (terme d'architecture) et son interprétation en Occident musulman, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, N. 6, 1969, p.99.

لهذه الربط، شكّلت أرضية خصبة احتضنت الممارسات الصوفية، ثمّ ساهمت في نشرها ببلاد المغرب¹.

ومن هذه الربط التي ذكرتها المصادر في بعض الأرياف الساحلية بالمغرب الأوسط خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م؛ رباط وادي ماسين الذي يقع بالقرب من ساحل مدينة ندرومة، قال البكري عنه: "رباط حسن مقصود يتبرّك به، إذا سرق فيه أو أوتي بفاحشة لم تتأخّر عقوبته، قد تعارفوا ذلك من بركتته، وحسن صنع الله فيه"².

كما أشار البكري³ إلى مجموعة من الربط تقع في نواحي مدينة شرشال، كان الناس يجتمعون فيها كلّ السنة، ولكنّه لم يوضح طبيعة هذا الاجتماع، وماذا كان يجري فيها، إلّا أنّ الممارسات التي كانت تحدث في هذه الربط، من المفترض أنّها تتشابه مع ما ذكره البكري عن رباط وادي ماسين، ولهذا فاجتماع الناس كلّ سنة في رُبط مدينة شرشال، قد يكون من أجل إقامة احتفال أو نشاط جماعي، تقام فيه العديد من الممارسات، مثل الذكر الجماعي، والتبرّك بالصلحاء الذين في الربط⁴.

ومن الرُبط الأخرى التي اشتهرت في هذه الفترة؛ رباط مرسى مغيلة بني هاشم الذي يقع في الجهة الغربية لمدينة تنس، كان مأهولا بالمتعبدين والمرابطين⁵. كما عرف رباط آخر في إحدى الجبال المحاذية لمدينة أرزيو (تقع في الشمال الشرقي لمدينة وهران على بعد حوالي 37 كم)، كان مشهورا بتردّد الناس إليه⁶.

وقد فقدت الرُبط دورها العسكري ببلاد المغرب بداية من النصف الأوّل للقرن 6هـ/12م، واقتصر نشاط أهلها على تدريس العلوم الشرعية، والانقطاع للعبادة والذكر⁷. ويبدو أنّ الزوايا التي بدأ المتصوّفة ينشئونها في بلاد المغرب خلال القرن 6هـ/12م، قد استلهمت بعض الجوانب

¹ بلغيث محمّد أمين، الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف: عبد الحميد حاجيات، 1406-1407هـ / 1986-1987م، ص 281-282.

² البكري، المصدر السابق، ج2، ص263.

³ نفسه، ج، ص268.

⁴ بوناي، التصوف في الجزائر، ص60.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2، ص267.

⁶ نفسه، ج2، ص252.

⁷ الباشا، المرجع السابق، ص133؛ بوناي، التصوف في الجزائر، ص62.

من نظامها الداخلي بما كان يحدث في الربط ببلاد المغرب، ولهذا بدأ يظهر اسم "الرابطة" الذي أطلق على كليهما¹.

وقد انتشرت هذه الرباطات في العديد من مناطق المغرب الأوسط، منها رابطة كانت تقع في موضع يسمّى تكوش في النواحي الشرقية لمدينة بونة، سكنها جماعة من المتعبدين خلال النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م²، وكان الصوفي أبو مروان بن عبد الملك اليحصبي يتعبّد في رابطة تقع في موضع يعرف برأس الحمراء بسواحل بونة في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م³.

وأما في نواحي مدينة بجاية، فاشتهر رباط ملالة الذي يقع في الجهة الغربية لمدينة بجاية عند قبيلة بني ورياكل الصنهاجية، وهو الذي مكث فيه المهدي بن تومرت أثناء رحلة رجوعه إلى المغرب الأقصى في سنة 511 أو 512هـ/1117 أو 1118م⁴، وقد كان عامرا بالطلبة والصلحاء الذين يدرسون عنده⁵.

وأسس عبد السلام التونسي رابطة في موضع العباد خارج مدينة تلمسان، وكان يدرّس فيه⁶. كما توجد في نواحي مدينة وهران، رابطة تقع على ربوة تعرف بصلب الفتح تحاذي ساحل البحر، كان الصلحاء يجتمعون بها في النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م⁷.

وإلى جانب الزهّاد والمتصوّفة الذين كانوا يمارسون نشاطهم في هذه الرباطات، انتشرت أعداد أخرى من المتصوّفة في أرياف المغرب الأوسط، فكانوا يعيشون بين العامّة، ويعملون على نشر العلم والتصوّف بينهم، فمن هؤلاء أبو عبد الله الهوّاري الذي كان مزارعا في بادية مدينة تنس، ولما توفّي دفن في خارج باب البحر لهذه المدينة⁸، وكان ابنه أبو يعقوب الهوّاري أيضا من صلحاء هذه المنطقة، وعاش بالقرب منهما أبو زكرياء المديوني، وعندما توفّي، دفن بالقرب من قبر أبي يعقوب، وتحوّلت قبور هؤلاء المتصوّفة إلى مزارات يتركّ بها⁹.

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص112؛ بونا، التصوّف بالجزائر، ص67.

² الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص275.

³ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص95؛ بونا، التصوّف في الجزائر، ص128، 281.

⁴ ابن القطان، المصدر السابق، ص76-77؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص302؛ النجار، المهدي بن تومرت، ص90.

⁵ ابن القطان، المصدر السابق، ص77.

⁶ ابن الزيات، المصدر السابق، ص319.

⁷ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج7، ص126.

⁸ المازوني، المصدر السابق، ص408، 445.

⁹ نفسه، ص408، 445، 446.

ومن الذين تتلمذوا على يد أبي عبد الله الهواري أبو زكرياء يحيى بن عبد الله المغيلي (حيا في 594هـ/1198م)، الذي سكن في ضواحي مدينة مليانة، ثم انتقل إلى جبل بيسة في نواحي بني حوّة (ولاية الشلف)¹، وكان له العديد من المريدين في هذا الجبل²، منهم أبو يعقوب الذي كانت له زاوية في نواحي مدينة مازونة في الثلث الأوّل من القرن 7هـ/11م³. وبالقرب من جبل بيسة استقرّ أبو مسعود بن العريف في جبال الشلف، وذلك بعدما أخذ التصوّف عن أبي مدين شعيب⁴، قال المازوني عنه: "وله صيت عظيم بهذه النواحي، وشأن عظيم"⁵.

وقد أدّى التصوّف بعض الأدوار التي ساهمت في تغلغله في المنظومة الاجتماعية للقبيلة بالمغرب الأوسط، فقد شكّل التصوّف بابا جذب بعض الجماعات الهلالية بالمغرب الأوسط للتوبة والإقلاع عن نمط السلب والنهب الذي كان منتشرًا فيهم، وظهور ممارسة الانقطاع للعبادة في الربط بالمناطق كانوا يستقرون بها⁶.

كما لجأت بعض القبائل الضعيفة إلى رفع مكانة الصلحاء في منظومتها الاجتماعية، وذلك من أجل تعزيز قوّتها وترباط فروعها⁷، وهذا ما فعلته بعض فروع قبيلة مغراوة بوادي الشلف التي كانت تعرف ضعفا نتيجة الحروب والصراعات التي خاضتها ضدّ الفاطميين والصنهاجيين، إلّا أنّ ظروفها تغيرت مع منتصف القرن 6هـ/11م، فقد كان يعيش بينهم أبو ناس ابن عبد الصمد بن محمّد الذي اشتهر بالصلاح، والعبادة، ثمّ بدأت مكانته الدينية تعلو بين قومه، وبين الجماعات القبيلة الموجودة في هذه المنطقة، ولما قامت الدولة الموحدية منحوا له إقطاعا في وادي الشلف، واستغلّوا مكانته الدينية من أجل التحكم في القبائل التي له نفوذ روعي عليها، بينما دخل هو في مرحلة مهادنة معهم مكّنته من جمع فروع قبيلة مغراوة، وإرجاع قوّتها وهيبتها بين القبائل المجاورة لها⁸.

¹ عن موقع جبل بيسة. انظر: تعليق محقق كتاب صلحاء وادي الشلف في: ص350، هامش رقم 1.

² ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج2، ص121؛ ابن الزيات، المصدر السابق، ص302؛ المازوني، المصدر السابق، ص350-398.

³ نفسه، ص266، 350.

⁴ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص40.

⁵ المازوني، المصدر السابق، ص356.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص206؛ بونابي، الحركة الصوفية، ص377، 340.

⁷ علواني صالح، انتشار الولاية في بلاد القبائل الرُّحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين السابع والتاسع ميلاديين، مجلة إنسانيات، العدد: 60-61، أبريل-سبتمبر 2013م، ص124.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج7، ص86.

المبحث الثالث: الحضور الجغرافي للجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط

عرفت العقائد الإباضية انحسارا كبيرا بالمغرب الأوسط خلال القرن 4هـ/10م، ثم تواصل تراجعها بعد هذه الفترة، وذلك من خلال تحوّل الجماعات الإباضية، واعتناقها للانتماء المذهبي الغالب في المغرب الأوسط، وهو الممثل في العقائد الأشعرية، والفقهاء المالكي، والتصوّف، أو الهجرة إلى المراكز التي تمكّن أهلها من الحفاظ على انتمائهم الإباضي. ولهذا من أجل معرفة المكانة الجغرافية للوجود الإباضي بالمغرب الأوسط، من المهم إعادة تقييم انتشاره في القرنين 5 و6هـ/11 و12م.

أولا- التوزّع الإباضي في المجالات الممتدة من جبل الأوراس إلى منطقة سدراتة

بدأ الحضور الإباضي يمثل أقلية مذهبية في المجالات الممتدة من جبل الأوراس شمالا إلى منطقة بسكرة جنوبا، ومن النواحي الشرقية لبلاد الزاب إلى منطقة المسيلة غربا خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، فمن هذه المناطق التي جاء ذكر الوجود الإباضي بها؛ جبل الأوراس، فالظاهر أنّ عددا من الجماعات القبلية حافظت على انتمائها الإباضي، مثل قبيلتي هوارة، ولواتة¹، كما نقل الوسياني² مراسلة بعثها شيخ نكاري كان يعيش في جبل الأوراس إلى أحد شيوخ الوهبة في مدينة آجلو ببلاد أريغ، وهذا ما يؤكّد على بقاء الفكر النكاري في جبل الأوراس خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م.

ثمّ توزّعت بعض الجماعات الإباضية في أوساط المالكية بالمراكز الحضرية في بلاد الزاب، فكانوا يعيشون بها أو يترددون عليها من أجل ممارسة التجارة³. وأمّا في الأرياف المحيطة بهذه المدن، فقد كانت موطنًا أو منتجعا لبعض الجماعات القبلية الإباضية، منها فرع من قبيلة بني ريغة المغراوية التي توزّعت في نواحي مدينة نقاوس⁴، وقبيلة بني سنجانس المغراوية التي كانت تنتجع في بعض جهات بلاد الزاب⁵.

¹ ابن سعيد (أبو الحسن عليّ بن موسى المغربي تـ. 685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، حقّقه وعلّق عليه: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1970م، ص145؛ زيان، المرجع السابق، ص148-149؛ Amara, Entre le massif de

l'Aurès et les oasis, p.126, 130.

² الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص413.

³ نفسه، ج1، ص416-417.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص64.

⁵ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص417؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص63، 64.

وإذا خرجنا من جنوب بلاد الزاب، تبدأ سيطرة الإباضية على المراكز الحضرية والمجالات الجغرافية المرتبطة بها، فقد بقي غالب ساكنة أسوف على انتمائهم الإباضي¹. كما أن الوجود الإباضي في هذه المنطقة قد تدعّم سنة 440هـ/1148م، وذلك بعدما قامت جنود الأمير الصنهاجي المعزّ بن باديس بهدم قلعة بني درجين ببلاد الجريد، وقتل الكثير من أهلها، فلجأت طائفة من سكّانها إلى أسوف، واستقرّوا بها².

وإلى جانب منطقة أسوف غربا تبدأ بلاد أريغ التي كانت في هذه الفترة عبارة عن إقليم واسع يمتدّ بين بلاد الزاب جنوبا وبلاد وارجلان شمالا³، وكان للإباضية في هذه البلاد الكثير من القصور والقرى (انظر: الملحق رقم: 15)، منها:

1- تندلة: تقع في شمال مدينة جامعة (ولاية الوادي) على بعد حوالي 15 كم، في الضفة الشمالية لوادي أريغ، وقد كانت آهلة بالإباضية في القرن 5هـ/11م⁴.

2- وغلانة: تقع في الجهة الشمالية لمدينة جامعة، وهي من المركز العلمية المهمة في بلاد أريغ خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، ومن علماء الإباضية الذين انتسبوا لها؛ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الوغلاني (ت. 508هـ/1114م)، الذي كان من علماء اللغة⁵، وأبو محمّد عبد الله بن يعقوب الوغلاني (ق. 6هـ/12م) الذي تولّى قضاء وغلانة، وهو في مرحلة الشباب⁶.

3- تمّرنة: يظهر أنّها كانت تعرف أيضا باسم تميرنت⁷، تقع في جنوب وغلانة على بعد حوالي 9 كم، قام حمّاد بن بلكين بتدميرها وتهجير أهلها قبل سنة 419هـ/1028م⁸، ثم عاد الإباضية إليها، وقاموا بإعمارها، لتعود للظهور من جديد في النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م⁹.

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص353؛ 448؛ بن عمر، المرجع السابق، ص369-376.

² الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص407.

³ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص347، 441، 448، 462؛ غرايسة عمار، التحوّلات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، وارجلان) من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الربيع عشر الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر، إشراف: علاوة عمارة، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص23-24.

⁴ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص374.

⁵ الشّمّاحي، السير، ص519؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص31.

⁶ الشّمّاحي، السير، ص449؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص282.

⁷ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص439. وانظر تعليق بوعصانة في هذه الصفحة، هامش رقم: 2.

⁸ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص412.

⁹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص439.

4- تين ثلاث: تقع في نواحي وغلانة، واشتهر بنو سيتن كأهمّ الجماعات العرقية التي سكنت فيها خلال القرن 5هـ/11م¹.

5- كدية مغراوة: تقع في نواحي وغلانة²، ومن المرجح أن أحد فروع قبيلة مغراوة شكّل العنصر البشري الذي قام بتأسيسها أو تعميرها، وقد تعرض أهلها لحصار حمّاد بن بلكين الذي دام قرابة الشهر، ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود أمامه، فقام حمّاد بدخولها، وإضرام النار في بعض أبراج المراقبة بها³.

6- تيجديت: تقع بالقرب من مدينة جامعة⁴، عرفت نشاطا علميا ملحوظا في القرن 5هـ/11م، قال الوسياني عنها: "اجتمع في تيجديت خلق كثير، اجتمع فيه من أهل الفضل، والعدل، والخير، والعلم ... ما لم يجتمع في سائرها من بلدان أهل الدعوة في ذلك الأوان ... وفيها مائة عالم لا يرّد أحدهم مسألة إلى الآخر إلّا من الأدب"⁵.

7- تقرت: بدأت الحركة العلمية تظهر في هذا القصر⁶ مع نهاية القرن 5هـ/11م، وذلك بفضل جهود عبد الرحمن بن المعلى الذي قال الدرجيني عنه: "هو أوّل من أسّس الحلقة بمسجد تقورت، وأنهج طرقها... وحجر على تلامذتها أزقتها، وقسّط موازينها، وحقق قوانينها، فتخلق كلّهم بحميد هذه الأخلاق، وتيمّمها طلاب الخير من جميع الآفاق"⁷.

8- تماسين: تقع في الجنوب الشرقي لمدينة تقرت على بعد حوالي 10كم، وقد كانت أهلة بالإباضية في النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م⁸، ثمّ تطوّر عمرانها بعد هذه الفترة حتّى أضحت من أهمّ قصور بلاد أريغ في القرن 8هـ/14م⁹.

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص435-436.

² نفسه، ج1، ص347-348.

³ الشماخي، السير، ص453.

⁴ معمر، المرجع السابق، ج2، ص255؛ موهوبي عبد القادر، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريف وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص37.

⁵ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص645.

⁶ عرفت تقرت تطوّر عمرانها، واقتصاديا كبيرا في القرن 8هـ/14م، أهلها أن تكون عاصمة لبلاد وادي أريغ في هذه الفترة. انظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص65.

⁷ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص457.

⁸ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص284.

⁹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص65.

9- آجلو: يقع موقعها حاليا في مدينة بلدة اعرم¹، وهي من أهمّ المراكز العلمية في بلاد أريغ خلال هذه الفترة، فقد شهدت استقرار ونشاط العديد من علماء الإباضية بها²، ولعلّ من أبرزهم في النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي (تـ. 440هـ/1048م)³ الذي وضع الأسس الأولى لنظام العزّابة⁴ في غار التسعي سنة 409هـ/1018م، وكان مقصدا للطلبة الإباضيّين من أنحاء بلاد المغرب⁵.

10- قصر بني نوبة: من قصور مدينة آجلو، كان عامرا في سنة 409هـ/1018م، ويقع في ناحيته الشمالية غار التسعي⁶.

11- تين يسلي: تقع بمحاذاة آجلو في مدينة بلدة اعرم حاليا⁷، انتقل إليها أبو عبد الله الفرسطائي، وبها كانت وفاته⁸، وسكن فيها أيضا تبغورين بن عيسى الملسوطي⁹ في النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م، وكان له غار يدرّس فيه، يقع وراء الباب الشمالي لمسجدها¹⁰.

12- تين وال: لم تحدّد المصادر الإباضية موقعها الجغرافي، ولكن يُستنتج من بعض الأخبار التي ذكرت فيها أنّها تقع في النواحي الجنوبية لآجلو¹¹.

¹ معمر، المرجع السابق، ج2، ص250؛ موهوبي، المرجع السابق، ص35.

² الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص350، 368، 370، 443؛ معمر، المرجع السابق، ج2، ص250-255.

³ ولد في مدينة فرسطاء بجبل نفوسة تقديرا في منتصف القرن 4هـ/10م، أخذ العلم عن العديد من العلماء في أماكن متفرقة، منهم أبو زكرياء فضيل بن أبي المصور بجزيرة، وأبو نوح سعيد بن زنغيل بالحامة، وكان كثير التنقل في المجالات الممتدة ما بين جبل نفوسة شرقا ووادي ميزاب غربا. كما اشتهر أيضا بتأليف العديد من الكتابات العلمية التي كانت تهتمّ بالدفاع عن المذهب الإباضي. انظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص263-280؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص167-189؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص368-371.

⁴ كان نظام العزّابة في البداية عبارة عن منهج صارم يجمع بين التربية، والتعليم، والزهد، والعزلة، والعبادة وفق قوانين مضبوطة، ثمّ تطوّر مع الزمن ليصبح نظاما يشمل المناحي الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية للمجتمعات الإباضية في بلاد المغرب، وذلك من خلال تعيين هيئة محدودة العدد، مهمتها تسيير الشؤون العامة للجماعات الإباضية. للاطلاع أكثر عن هذا النظام. انظر: أعوش بن بكير بن سعيد، وادي ميزاب في ظلّ الحضارة الإسلامية، دينا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1991م، ص88-113؛ مهودي، المرجع السابق، ص194-237.

⁵ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص580؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص368-370.

⁶ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص580.

⁷ موهوبي، المرجع السابق، ص40.

⁸ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص266، 272، 279.

⁹ أصله من ملسوطة إحدى قصور وارجلان أو بلاد أريغ، أخذ العلم عن أبي الربيع المرّاتي، وأبي محمد اللنبي، وله العديد من المؤلفات منها: كتاب "أصول الدين المشهور بعقيدة تبغورين" و"كتاب الجهالات" و"الأدلة والبيان" في أصول الفقه. انظر: الشماخي، السير، ص412؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص104.

¹⁰ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص593.

¹¹ نفسه، ج1، ص369، 420.

13- ايعباسن: تقع بمحاذاة تين وال، وقد كانت عامرة في القرن 5هـ/11م¹.

14- قصر الحجامين: من القصور المشكّلة لايعباسن في القرن 5هـ/11م².

15- تاماست: يُفهم من بعض النصوص التي أوردها الوسياني³ أنّها تقع بالقرب من تين وال في الضفة المقابلة لها من وادي أريغ⁴، ومن علماء الإباضية الذين مكثوا بها مدّة؛ أبو الربيع سليمان ابن موسى الزلغيني⁵ الذي حفر عينا مائية شرق مسجدتها في القرن 5هـ/11م⁶.

16- قصر رأس الوادي: يقع في النواحي الجنوبية لوادي أريغ بالقرب من تين وال⁷، وإذا كان اسمه مأخوذ من موقعه الذي يمثل مصبّ هذه الوادي، فمن المفترض أنّ قصر رأس الوادي يقع حاليا في موقع قرية قُوق أو بالقرب منها. وأمّا عن العنصر البشري الذي سكن في هذا القصر، فهم ينحدرون من قبيلة بني ويليل⁸.

ثمّ امتدّ الوجود الإباضي إلى مدينة وارجلان والقصور والقرى المحيطة بها، فقد كانت العديد من الجماعات القبلية الإباضية تتوزّع في هذه المراكز الحضرية والمجالات الجغرافية المرتبطة بها، مثل بني واركلا، ومغراوة، وسدراتة، تنواتة، وبني زلغين، وزواغة⁹.

وقد واصلت مدينة وارجلان توسّعها العمراني في هذه الفترة¹⁰، وهذا ما جعل العديد من القصور المجاورة لها تدخل في مسمّى هذه المدينة¹¹، كما أنّ اسم وارجلان كان يطلق

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص421-422.

² نفسه، ج1، ص422.

³ نفسه، ج1، ص395، 689، 713.

⁴ نفسه، ج2، ص733-734.

⁵ ولد في تين باماطوس في نواحي وارجلان، ثمّ انتقل إلى آجلو، ودرّس بها، والظاهر أنّ منها ذهب إلى تاماست ومكث فيها مدّة. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص440-442؛ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص213.

⁶ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص739؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص441.

⁷ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص369، 449.

⁸ نفسه، ج1، ص449.

⁹ بوعصبانة عمر سليمان، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م)، بحث لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، إشراف: محمّد ناصر، 1412هـ/1991-1992م، ص22-26؛ غرايسة، المرجع السابق، ص33-35.

¹⁰ ابن خلدون، العبر، ج7، ص69؛ أبو رحاب محمّد السيّد، سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالصحراء الجزائرية، مجلّة شذت، جامعة الفيوم (مصر)، العدد: 3، 2016م، ص127.

¹¹ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص611؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص69؛ أعزّام (إبراهيم بن صالح بابا حمو)، غصن البان في تاريخ وارجلان، دراسة وتحقيق: إبراهيم بحاز سليمان بومعقل، مطبعة العالمية، غرداية-الجزائر، 2013م، ص218.

الفصل الرابع: معالم الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م

على مجال جغرافي واسع، تشمل العديد من القصور والقرى التي تقع في النواحي المحيطة بهذه المدينة¹، مثلما هو مبين في الجدول التالي:

المصادر	الموقع الجغرافي وملاحظات أخرى	قصور وقرى مدينة وارجلان ونواحيها
البكري، المصدر السابق، ج2، ص371.	من القصور الكبرى المشكلة لمدينة وارجلان.	أغرم أن يكامن
الوسياتي، المصدر السابق، ج2، ص274، 503.	من القصور الكبرى لوارجلان، حتى أنه كان يعرف بالمدينة.	انجان
الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص343.	من قصور مدينة وارجلان	قصر بكر
الوسياتي، المصدر السابق، ج1، ص428، 610؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص332.	من قصور مدينة وارجلان، ويقع بالقرب منه مصلى القاضي يعقوب ابن سهلون الطرقي (ق.3هـ/9م)	تين تمصويين
أبو زكرياء، المصدر السابق، ص166؛ الشماخي، السير، ص494.	من قصور مدينة وارجلان	تاغيارت
الوسياتي، المصدر السابق، ج1، ص404، 413، 577؛ الشماخي، السير، ص494.	من قصور مدينة وارجلان، وفيه مصلى مشهور يزوره الإباضية.	تماواط
الوسياتي، المصدر السابق، ج1، ص611.	من قصور وارجلان	أوزاغت
الوسياتي، المصدر السابق، ج2، ص441، 725.	تقع في شمال مدينة ورقلة على بعد حوالي 33 كم	إفران
أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192؛ الوسياتي، المصدر السابق، ج1، ص374، 440؛ وانظر تعليق محقق كتاب الوسياتي في: ص440، هامش رقم:4.	يوجد جبل يعرف بكريمة يشرف على موقع سدراتة الأثري في جنوب مدينة وارجلان على بعد 14 كم، من الممكن أن يكون بقي شاهدا على موقع هذا القصر.	كريمة

¹ الوسياتي، المصدر السابق، ج2، ص611؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص386، 429، 444، 490؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص371.

تيسر سيرين	فيها مصلى أسسه أبو صالح جنون بن يمران.	أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192.
تالا عيسى	تقع بالقرب من مدينة وارجلان	الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص428-429، ج2، ص710.
بئر الكاهنة	تقع بالقرب من مدينة وارجلان، ويوجد في شمالها موضع يعرف بالدرمون.	الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص434.
تونين	تقع في نواحي مدينة وارجلان	الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص398؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص470.
أغلان	تقع في نواحي مدينة وارجلان، وفيها مصلى مشهور.	الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص610؛ الشماخي، السير، ص494.
تين بماطوس	تقع في نواحي قصر إفران	الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص441، 498.
تامرست	تقع في نواحي مدينة وارجلان	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص614.
الدكاكير	تقع بالقرب من تامرست	نفس المصدر والصفحة.

الجدول رقم 2: قصور وقرى مدينة وارجلان ونواحيها

في القرنين 5 و6هـ/11 و12م

ويسمح التعرف على الموقع الجغرافي لقصيرين من قصور وارجلان في اكتشاف جوانب من حدود بلاد وارجلان، فمن الجهة الشمالية مثل قصر إفران منطقة حدودية بين بلادي وارجلان وأريغ¹ (انظر: الملحق رقم: 15)، ومن الناحية الجنوبية كانت بلاد وارجلان تمتد إلى قصر كريمة الذي يحاذي الجهة الشمالية لمدينة سدراتة²، وبهذا يكون طول بلاد وارجلان تقريبا حوالي 47 كم، وأما من الناحيتين الشرقية والغربية فلم تتمكن من الاهتداء إلى معالم جغرافية يمكن من خلالها معرفة الحدود التي وصلت إليها هاتين الجهتين³.

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص441؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص386.

² الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص440؛ أعزّام، المرجع السابق، ص132.

³ يشير غرايسة أنّ بلاد وارجلان يحدها شرقا وادي أسوف، وأما مزهودي فيذكر أنّ منطقة وادي ميزاب تعتبر الحدّ الغربي لبلاد وارجلان، ولكنهما لم يذكرنا النصوص التاريخية التي تدعم طرحهما. انظر: مزهودي، المرجع السابق، ص27؛ غرايسة، المرجع السابق، ص26.

ثمّ امتدّ الحضور الإباضي إلى مدينة سدراتة التي يظهر أنّ اسمها هي الأخرى كان يطلق على المجالات المحيطة بها جنوب بلاد وارجلان¹، وفي هذه النواحي توزعت العديد من القرى التي سكنتها قبيلة سدراتة وغيرها من العرقيات الأخرى².

ثانياً- وادي ميزاب بين الوجود القبلي والتوافد الإباضي

قبل التطرّق إلى توافد الجماعات الإباضية لوادي ميزاب في بداية القرن 5هـ/11م، من المهمّ أخذ تصوّر عن الوضعية القبلية والمذهبية التي كانت سائدة في وادي ميزاب قبل هذه الفترة، فالاستيطان القبلي في هذا الوادي حسب الشيخ اطفيش³ بقي موجوداً من العهد الرستمي إلى بداية القرن 5هـ/11م.

وقد كانت قبيلة بني مصاب من أهمّ الجماعات القبلية التي استقرّت في هذا الوادي، والظاهر أنّها كانت من الفروع المنضوية في بني يادين إحدى القبائل الوسيانية التي اتّخذت من وادي ملوية موطناً لها⁴، ثمّ في الثلث الثاني من القرن 4هـ/11م "اجتمع شعوب بني واسين هؤلاء كلّهم ما بين ملوية... وتشعبت أحياءهم وبطونهم، وانبسطوا في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب وما إليها من صحارى إفريقيّة"⁵.

وفي خضمّ هذا الحراك القبلي اتّجه بنو مصاب إلى الوادي الذي سيحمل اسمهم فيما بعد، واستقرّوا به⁶، قال ابن خلدون "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل قيطري في القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب، وهذا الاسم للقوم الذين اختطّوها ونزلوها من شعوب بني يادين... وضعوها في أرض حرّة على آكام، وضراب ممتعة في قننها"⁷.

والمصادر التاريخية لا تسلّط الضوء على مذهبية بني مصاب عندما كانوا منضوين في جموع بني يادين الوسيانية، فهل كانوا على غير العقائد المعتزلية، ثمّ عندما قدموا إلى وادي ميزاب اعتنقوا

¹ الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص556؛ أعزّام، المرجع السابق، ص54.

² مزهودي، المرجع السابق، ص56؛ Fekhar, op.cit., p. 75.

³ اطفيش، رسالة حول دخول الإسلام إلى وادي ميزاب، ورقة 67.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص78-79.

⁵ نفسه، ج7، ص81.

⁶ يشير كعباش محمّد إبراهيم إلى استقرار بني مصاب في وادي ميزاب، فيذكر أنّهم قدموا إلى هذا الوادي منذ أزيد من ألف عام. انظر: العطف:

تاجنينت أمّ القرى الميزابية في ذكراها الألفية، طبع ونشر جمعية ألفية العطف، غرداية-الجزائر، 1996م، ص12.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص80.

هذا التوجّه؟ أم أنّهم كانوا معتزلة من قديم، ولما وجدوا أهل هذا الوادي على مذهبهم¹، سهّل هذا الاستقرار بينهم؟ وهذا الاحتمال الثاني، وإن كان يبدو مقبولاً، وذلك لأنّ الجماعات المذهبية تميل إلى ربط صلات الوحدة فيما بينها، إلّا أنّه يبقى مجرد فرضية، تحتاج إلى تأكيد أو نفي، وذلك من خلال البحث عن نصوص تاريخية تجيب عن هذه المسألة.

وقد كانت منطقة وادي ميزاب من المناطق التي يقصدها أبو عبد الله الفرستائي للرعى فيها خلال فصل الربيع²، فبدأ أثناء مكوثه بها يدعو أهلها إلى عقائد الإباضية الوهبية، وعلى الرغم من وجود جناح معارض من معتزلة وادي ميزاب لدعوة أبي عبد الله، حتّى أنّهم قاموا بقتل أحد أولاده، غير أنّ نشاطه عرف نجاحاً معتبراً، وتمكّن من إقناع جماعة منهم بالتحول إلى التوجّه الإباضي، وبهذا شكّلت دعوة أبي عبد الله قاعدة إباضية في وادي ميزاب³.

وتزامناً مع هذه التحوّلات المذهبية في وادي ميزاب، اجتمعت بعض العوامل التي جعلت الجماعات الإباضية في نواحي وارجلان، وسدراتة، وأريغ يفكرون في البحث عن موطن جديد يستقروا فيه، منها الاكتظاظ السكاني الذي كان في قصورهم⁴، والتهديدات المتوالية عليهم من الدولة الحمّادية، والجماعات البربرية مثل بني ورزمار المغراوية، وبني يوجين الوسيانية والجماعات الهلالية⁵.

فبدأ الإباضية ينتقلون بشكل تدريجي إلى وادي ميزاب، ويؤسسون فيها قصورهم الخاصّة، فكان أوّل قصر شيّدوه، هو المعروف باسم العطف في الضفّة اليمنى لوادي ميزاب سنة 402هـ/1011م⁶، ثمّ بنوا قصر مليكة على جبل متوسّط في الضفّة اليسرى من وادي ميزاب

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص266؛ اطفيش، الرسالة الشافية، ص38.

² أبو زكرياء، المصدر السابق، ص266؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص390.

³ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص266؛ اطفيش، الرسالة الشافية، ص38-39؛ Amat (Ch.), Le m'Zab et les mozabites, Librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1888, p.17.

⁴ مزهودي، المرجع السابق، ص52-54؛ معروف بلحاج بن بنوح، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، إشراف: عبد الحميد حاجيات، 1422-1423هـ/2001-2002م، ص56.

⁵ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص391، 355، 441؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص412، 433.

⁶ ذكر بوراس يجبي أنّ من أقدم الوثائق التي ذكرت تاريخ بناء قصر العطف؛ هي وثيقة وُجدت بخطّ بايوب بن قاسم العظفاوي في القرن 10هـ/16م. انظر: العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب (نموذج قصر بني يزقن) (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م) -دراسة وصفية تحليلية ومقارنة-، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: عليّ حملاوي ومحمّد الطيب عقاب، 2001-2002م، ص9، هامش رقم: 1.

في سنة 408هـ/1017م، وقصر بنورة عند تقاطع وادي أزويل بوادي ميزاب بين سنتي 437هـ/1045م و458هـ/1065م، وقصر غرداية (تغردايت) فوق هضبة في الضفة اليسرى من وادي ميزاب في سنة 439هـ/1048م أو 447هـ/1055م¹ (انظر الملحق رقم: 16). كما تمكن الإباضية بصفة تدريجية من نشر مذهبهم في كامل وادي ميزاب². من خلال ما سبق ذكره، يُمكن القول إن القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م شكّلا مرحلة مهمّة في تكوّن الانتماء المذهبي الذي غلب على أهل المغرب الأوسط، فقد تمكن المذهب المالكي من مواصلة الانتشار، والسيطرة على الساحة الفقهية بالمغرب الأوسط، وأضحت عقائد الأشعرية بعد قيام الدولة الموحدية التوجّه العقدي الغالب ببلاد المغرب، والمعترف به رسميا في هذه الدولة، كما شهد التصوّف انتشارا واسعا في مدن وأرياف المغرب الأوسط، وبدأت في هذه الفترة تتعدّد تياراته واتجاهاته الفكرية.

بينما لم تتمكن المذاهب العقدية والفقهية الأخرى من منافسة التوجّهات المذهبية السابقة الذكر، فقد اصطدمت محاولة بعض خلفاء الموحّدين في فرض رؤيتهم الظاهرية لفقهِه الإسلامي بترسخ المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، وبذلك بقي الوجود الظاهري يُشكّل أقلية فقهية في هذا المجال الجغرافي، وعرفت عقائد الإباضية، والمعتزلة، والإسماعيلية انحسارا كبيرا بالمغرب الأوسط، فبقيت المراكز الأساسية للإباضية في واحات وارجلان، وسدراتة، وأريغ، وأسوف، والإسماعيلية في بعض القبائل بجبال كتامة، والمعتزلة في وادي ميزاب، إلّا أنّ أهل هذا الوادي بدأوا يتحوّلون للإباضية الوهبية ابتداءً من بدايات القرن 5هـ/11م.

¹ أعوش، المرجع السابق، ص 67-68؛ معروف، المرجع السابق، ص 59-62، 65.

² بحاز إبراهيم، المزابيون المعتزلة (قراءة جديدة لنصوص قديمة)، مجلّة الحياة، تصدر عن جمعية التراث وجمعية التراث بغرداية، العدد: 2، جانفي 1996م، ص 133.

المنظمة

بعد معالجة هذه الدراسة للحضور الجغرافي والسياسي للتوجهات المذهبية التي انتشرت في المغرب الأوسط والتحوّلات التي مرّت بها، وإظهار أهمّ الآثار المترتبة عن ذلك من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م، يُمكن تقسيم نتائج البحث، ثمّ عرض بعض التوصيات التي من المؤمّل أن تفتح آفاقاً بحثية لهذا الموضوع في النقاط التالية:

نتائج الدراسة:

-عرفت بلاد المغرب مع نهاية القرن الأوّل للهجرة/7م بداية انتشار عقائد الصفرية والإباضية، وبعد ذلك تلاهما في القرن 2هـ/8م انتشار العديد من التوجهات المذهبية، مثل الاعتزال، والزيدية، والآراء الفقهية للثوري، والأوزاعي، والحنفي، والمالكي وغيرها، ثمّ بدأت هذه التوجهات المذهبية تتنافس فيما بينها محاولة توسيع مجال معتنقيها في بلاد المغرب.

-تمكّن أبو قرّة المغيلي من تأسيس إمارة صفرية، ضمّت قبيلة مغيلة وبني يفرن والعديد من الفروع الزناتية الأخرى، وامتدّ نفوذها بالمغرب الأوسط إلى مصبّ وادي الشلف بالقرب من مدينة مستغانم شمالاً، ومن الجهات الشمالية لجبال الونشريس شرقاً إلى منطقة تلمسان غرباً.

-تشير المعطيات الميدانية لمنطقة سوفيفيف أنّ سلسلة جبال الناظور الواقعة بين منطقتي الشلالة والسوقر في الجنوب الشرقي لمدينة تيهرت، مؤهّلة لأن تكون كلّها أو جزء معتبر منها، هي جبل سوفجح الذي مكث فيه عبد الرحمن بن رستم قبل تأسيس مدينة تيهرت الحديثة.

- فقدت الدولة الرستمية العديد من المجالات التابعة لها بين وادي الشلف شرقاً ومنطقة تلمسان غرباً بعدما سيطر الأدارسة عليها مع نهاية القرن 2هـ/8م، ومن الجهات التي بقيت تابعة للرستميين في هذه النواحي خلال القرن 3هـ/9م؛ منطقة مرسى فروخ في النواحي الغربية لمدينة مستغانم، ثمّ امتدّ نفوذ هذه الدولة من المناطق المجاورة لمدينة تيهرت إلى مجالات القبائل الموالية لها في الجهات الشمالية لصحراء المغرب الأوسط.

- سار محمّد بن سلمان في حكم الولاية الإدريسية بالمغرب الأوسط، على نفس التوجّه المذهبي الذي تأسست الدولة الإدريسية عليه، وهو التوجّه الزيدي على المستوى السياسي، والاعتزال على المستوى العقدي، ثمّ بعد وفاته قام أولاده باقتسام ولايته، واستقلال كلّ واحد منهم بالجهة التي ملكها في الثلث الثاني من القرن 3هـ/9م.

- أسّس محمد بن جعفر إمارة علوية منفصلة عن السليمانيين بين منطقة سوق حمزة شرقا وبلاد متيجة غربا، ثم اقتسمها أولاده بعد وفاته في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م. كما أسّس الحسن بن سليمان إمارة علوية أخرى بين منطقة سوق حمزة شمالا، ومدينة هاز جنوبا في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م.

- شكّلت عقائد الإباضية التوجّه المذهبي الغالب بالمغرب الأوسط في القرنين 2 و3هـ/8 و9م، وزاحمها العديد من التوجّهات العقدية والفقهية التي اختلفت مستويات انتشارها، منها عقائد الصفرية، وأهل السنّة، والمعتزلة، والشيعة من زيدية وإسماعيلية، والآراء الفقهية الحنفية والمالكية.

- انقسمت الساحة الفكرية في الوسط الإباضي بالمغرب الأوسط خلال العهد الرستمي، فشكّلت الوهبة التوجّه الغالب بينهم، وبدأ ينافسها في هذه الفترة التوجّه النكاري، وهناك أيضا العمرية، والحسينية إلا أنّ آراءهما لم تلق انتشارا واسعا عند إباضية المغرب الأوسط.

- كانت بلاد كتامة قبيل التوسّعات التي قادها أبو عبد الله في بلاد المغرب لإسقاط الدولة الأغلبية، تمتدّ شرقا إلى نواحي سوجمار على بعد يوم، وغربا إلى الجهات القريبة من جبال جرجرة، ومن السواحل البحرية شمالا إلى الجهات القريبة من بلزمة جنوبا، ثم بعد ذلك بدأت بلاد كتامة تتوسّع في العهد الفاطمي، فوصلت إلى نواحي مدينة بونة شرقا، ومرسى بجاية غربا، وشملت مجالاتها جنوبا كلّا من مدن تيجس، وبلزمة، وسطيف.

- قام الفاطميون بتوطين الكثير من الجماعات الكتامية في نواحي مختلفة من بلاد المغرب، وهذا ما أدّى إلى إعادة رسم خارطة الوجود الكتامي في المغرب الأوسط، كما نتج عن مشاركتهم في الكثير من الحروب إلى ترجع قوّتهم العسكرية، ثم بعد رحيل الفاطميين إلى مصر فقدوا مكانتهم السياسية في العهد الزيري.

- بدأت الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط في السقوط على التوالي في النصف الأوّل من القرن 4هـ/10م، وذلك على يد القوى القبلية الموالية للأمويين التي قامت بإسقاط العديد من الإمارات التابعة للفاطميين، بينما واجهت الإمارات العلوية المتمرّدة على السلطة الفاطمية المصير نفسه على يد قادة الخلفاء الفاطميين والزعامات القبلية الموالية لهم.

- برزت العقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية كتوجّه مذهبي موحد، دعت له الدولة الأموية في الأندلس، وتمكّنوا من نشره على نطاق واسع في المجالات الممتدّة فيما بين منطقة تيهرت شرقا

ووادي ملوية غربا في القرن 4هـ/11م، كما ساهم نشاط العديد من فقهاء المالكية في تنشيط الحركة الفقهية المالكية في العديد من مدن المغرب الأوسط، مثل بونة، والمسيلة، وتيهرت، وتلمسان، وبهذا قام حمّاد بن بلكين باستغلال توسع القاعدة السنّية المالكية في المغرب الأوسط، واتّخذها عصبية مذهبية لدعم مشروعه في إقامة دولة مستقلة.

- بدأ الوجود الإباضي بالمغرب الأوسط في التراجع تدريجيا خلال العهد الفاطمي، فقد نتج عن غياب قيادة موحدة تجمع الإباضية، واختلافاتهم المذهبية، ومشاركتهم في العديد من التمردات الفاشلة إلى تفكك وحدتهم وقوتهم، ولذلك بدأ العديد منهم يهاجرون خارج المغرب الأوسط أو داخله، وقد برزت في هذه الفترة واحات وارجلان، وسدراتة، وأريغ، وأسوف كأهم المناطق في المغرب الأوسط التي بدأ الإباضية يلجؤون إليها.

- واصلت العقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية انتشارهما في المغرب الأوسط خلال العهد الحمّادي، لتشمل بلاد كتامة، وغالب بلاد الزاب، والجماعات الهلالية المتوزعة في النواحي الشرقية للمغرب الأوسط، كما تدعم الفقه المالكي خلال هذه الفترة بظهور العديد من الحواضر العلمية التي ازدهرت فيها الحركة الفقهية المالكية، وأضحت عامرة بالعلماء، وقبلة لطلبة العلم.

- ساهم العديد من العلماء في نشر عقائد الأشعرية في مناطق متفرقة من المغرب الأوسط بعد القرن 5هـ/11م، ولما جاء المهدي بن تومرت من رحلته المشرقية عمل على تبنيها ونشرها في بلاد المغرب ضمن مشروعه المذهبي والسياسي، ثم بعد قيام الدولة الموحدية تمكنت عقائد الأشعرية من تكون عقيدة رسمية في هذه الدولة.

- لم يتمكن خلفاء الموحدين من نشر الفقه الظاهري في بلاد المغرب، ولذلك بقي الوجود الظاهري محصورا في فئات نخبوية قليلة بالمغرب الأوسط.

- عرف التصوّف انتشارا واسعا في المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م، وبدأت تتعدّد تياراته واتجاهاته، فمن هذه التيارات التي لقيت انتشارا واسعا؛ التصوّف التلقائي الذي كان ينقسم إلى عدّة اتجاهات، منها: اتجاه الوعظ والإرشاد، واتجاه الترهيب والترغيب، واتجاه المجاهدة النفسية، وانتشر أيضا التصوّف المتأثر بالنظرة الفلسفية، مثل طريقة الغزالي التي كانت تنطلق من المجاهدات النفسية لتحصيل المعرفة اليقينية والسعادة الروحية، وطريقة أبي مدين

التي نُهلت من عدّة مدارس مشرقية وأندلسية ومغربية للتصوّف، وقامت بتبسيط الفكر الصوفي ليسهل على العامّة فهمه.

- عرف الوجود الإباضي انحسارا كبيرا في المغرب الأوسط خلال العهد الحمّادي، وبقيت أهمّ مراكزه في مناطق وارجلان، وسدراتة، وأريغ، وأسوف، ثمّ بعدما قام أبو عبد الله الفرستائي بدعوة أهل وادي ميزاب، وتحويل جماعات منهم من الاعتزال إلى الإباضية الوهبية، بدأ الإباضية تحت ضغط الهجمات الحمّادية، والاضطرابات الأمنية التي تسببت فيها بعض الجماعات الهلالية والبربرية، ينتقلون إلى وادي ميزاب ويؤسسون فيها قصورهم الخاصّة خلال النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م، ثمّ نشروا مذهبهم في كامل هذا الوادي.

- الآفاق التي تفتّح عليها هذه الدراسة:

- تركيز البحث في الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط، وذلك من خلال دراسة جغرافية مذهب معيّن أو مجال محدّد، وهذا من أجل الإمام بجميع حيثيات الموضوع، والتعمّق أكثر في معالجة إشكالياته.

- ضرورة اهتمام الباحثين بدراسة الآراء العقديّة أو الفقهيّة أو الصوفيّة للنخب العلمية بالمغرب الأوسط وآثارها في الأوساط العلمية والاجتماعية، وذلك لأنّ دراسة مثل هذه القضايا، يفتح آفاقا لفهم كيفية انتشار التوجّهات المذهبية، وتفاعلها في المجتمع.

- معالجة بعض الإشكاليات التي من شأنها تعميق البحث في موضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط، ومن هذه الإشكاليات المقترحة؛ كيف يُمكن للجغرافيا أن تؤثّر في توجيه الحركة المذهبية؟ وما هو دور زعماء القبائل في نشر المذاهب بين أفراد قبيلتهم؟ وهل يختلف انتشار المذاهب بين المدينة والريف؟

- تخصيص بحوث علمية تهتمّ باستخراج أسماء المعالم الطبيعية والعمرانية من بعض المصادر، مثل كتاب السير للوسيان أو الطبقات للدرجيني ثمّ دراسة مواقعها الجغرافية.

- توسيع مجالات البحث العلمي في موضوع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، لتشمل حقول معرفية مختلفة كالمخطوطات، والطوبونيميا التي تهتمّ بمعرفة أصول الأماكن، والموروث الشعبي.

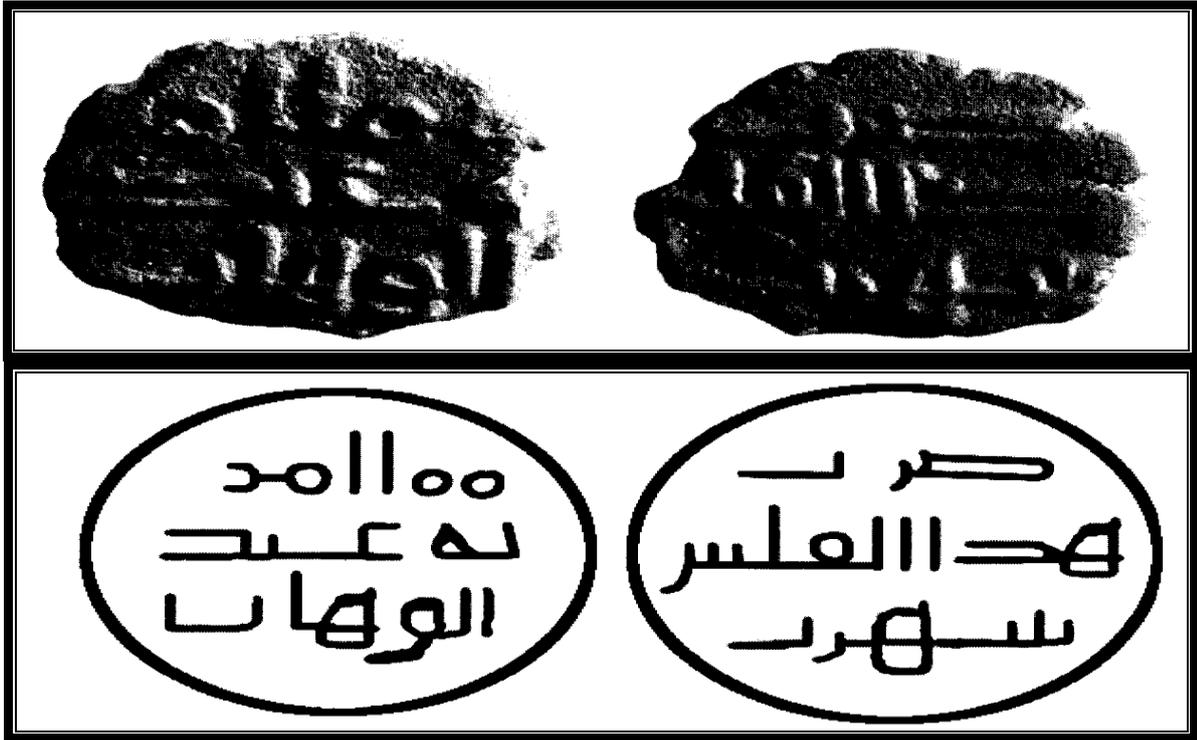
الملاحق



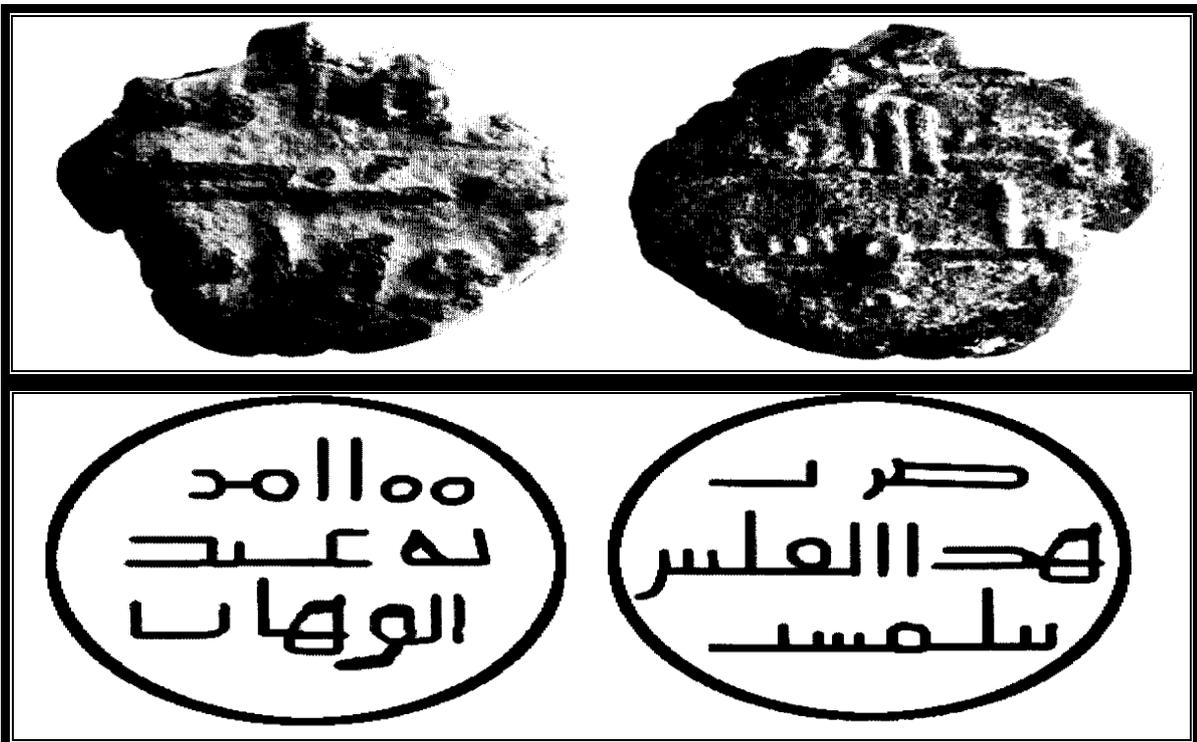
الملحق رقم: 3: أسماء بعض المناطق التي لها علاقة بجبل سوفجج
من خلال الصورة الجوية -Google earth-
(من إنجاز الطالب)



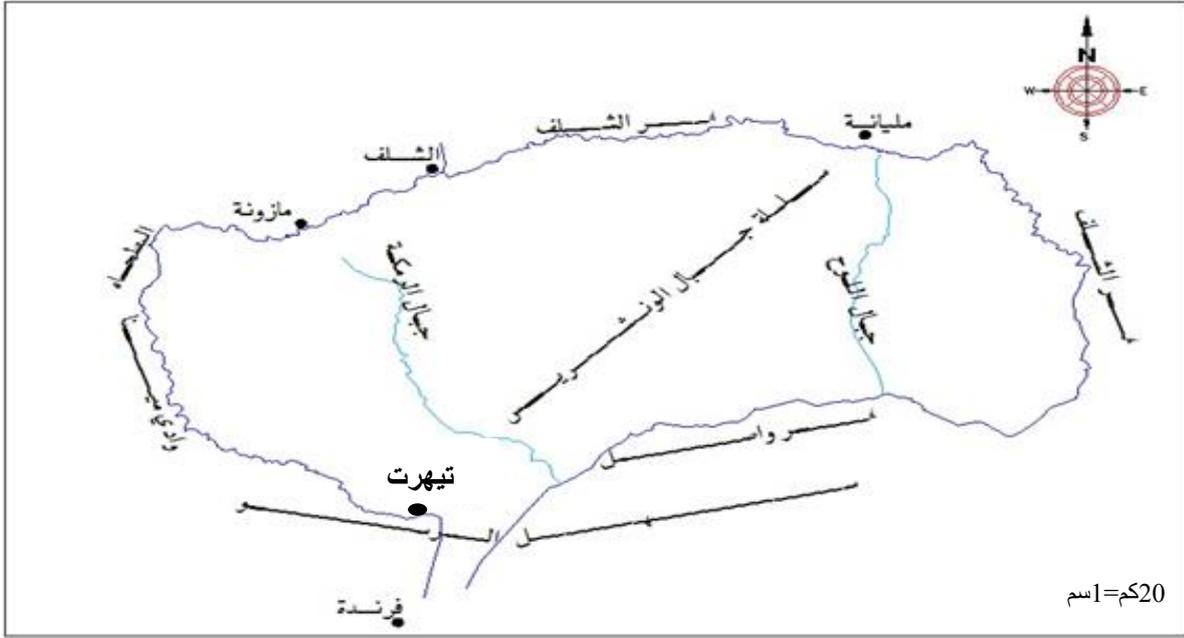
الملحق رقم 4: صور جوية لموقع تاقدمت الأثري
(جلجال، المرجع السابق، ص 147)



الملحق رقم: 5: فلس ضُرب في عهد الإمام عبد الوهّاب بتيهت
(Liétard, op.cit., p.20)

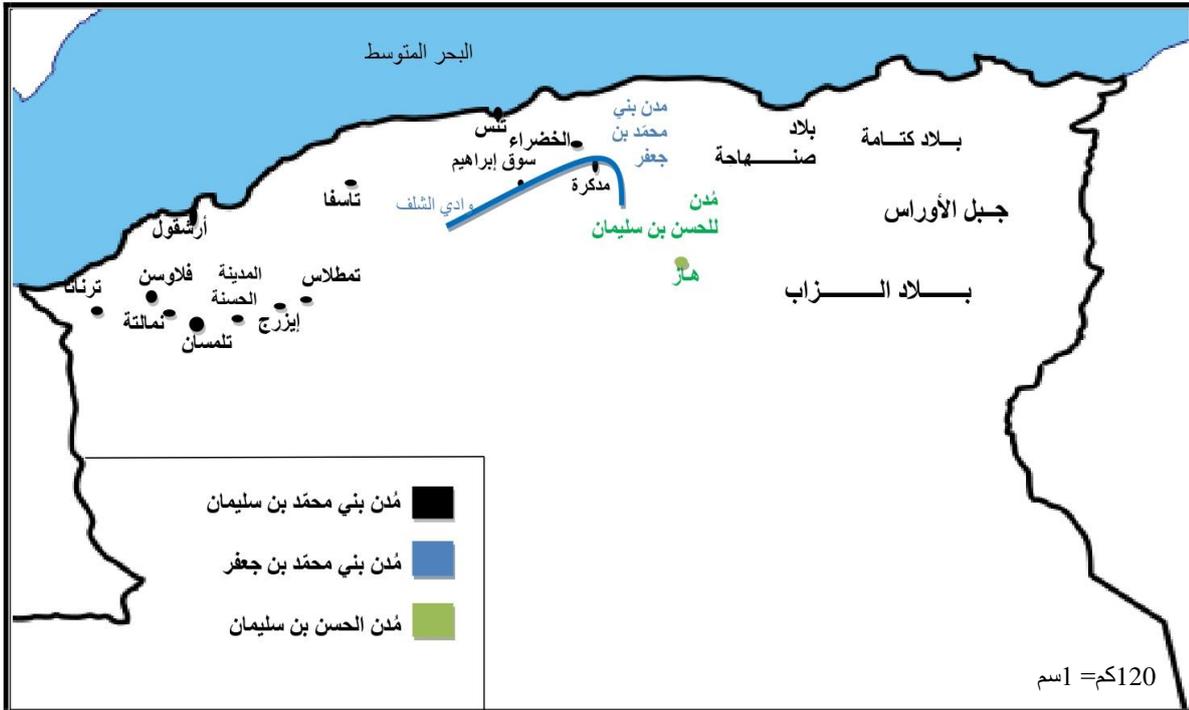


الملحق رقم: 6: فلس ضُرب في عهد الإمام عبد الوهّاب بتلمسان
(Liétard, op.cit., p.21)



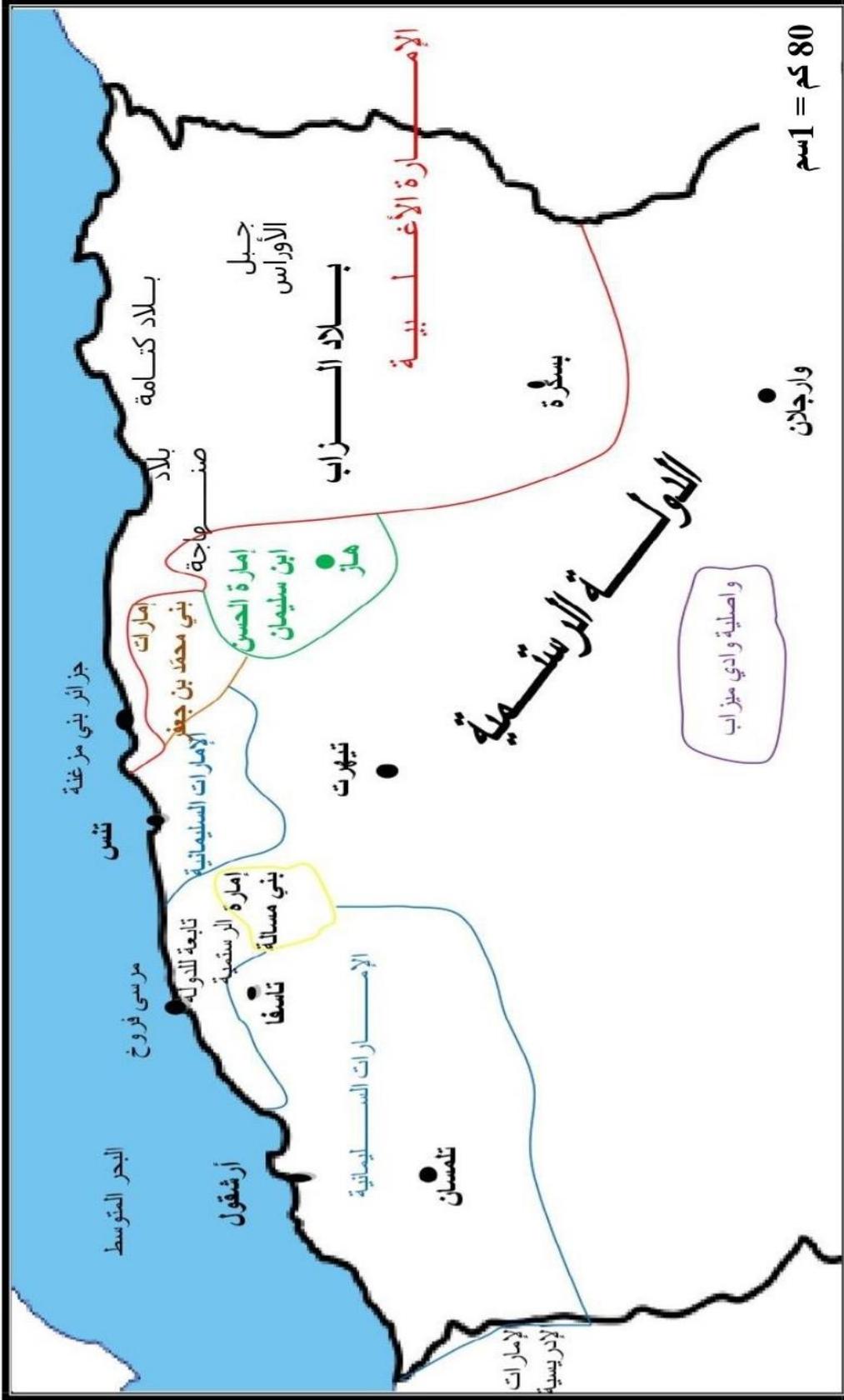
الملحق رقم 7: المجالات الريفية المحيطة بمدينة تيهريت

(بوشامة أحمد وبن علي طاهر، تطوّرات الحركة المذهبية للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينا (2-7هـ/8-13م)، مجلّة المعيار، العدد: 52، سبتمبر 2020م، ص135)

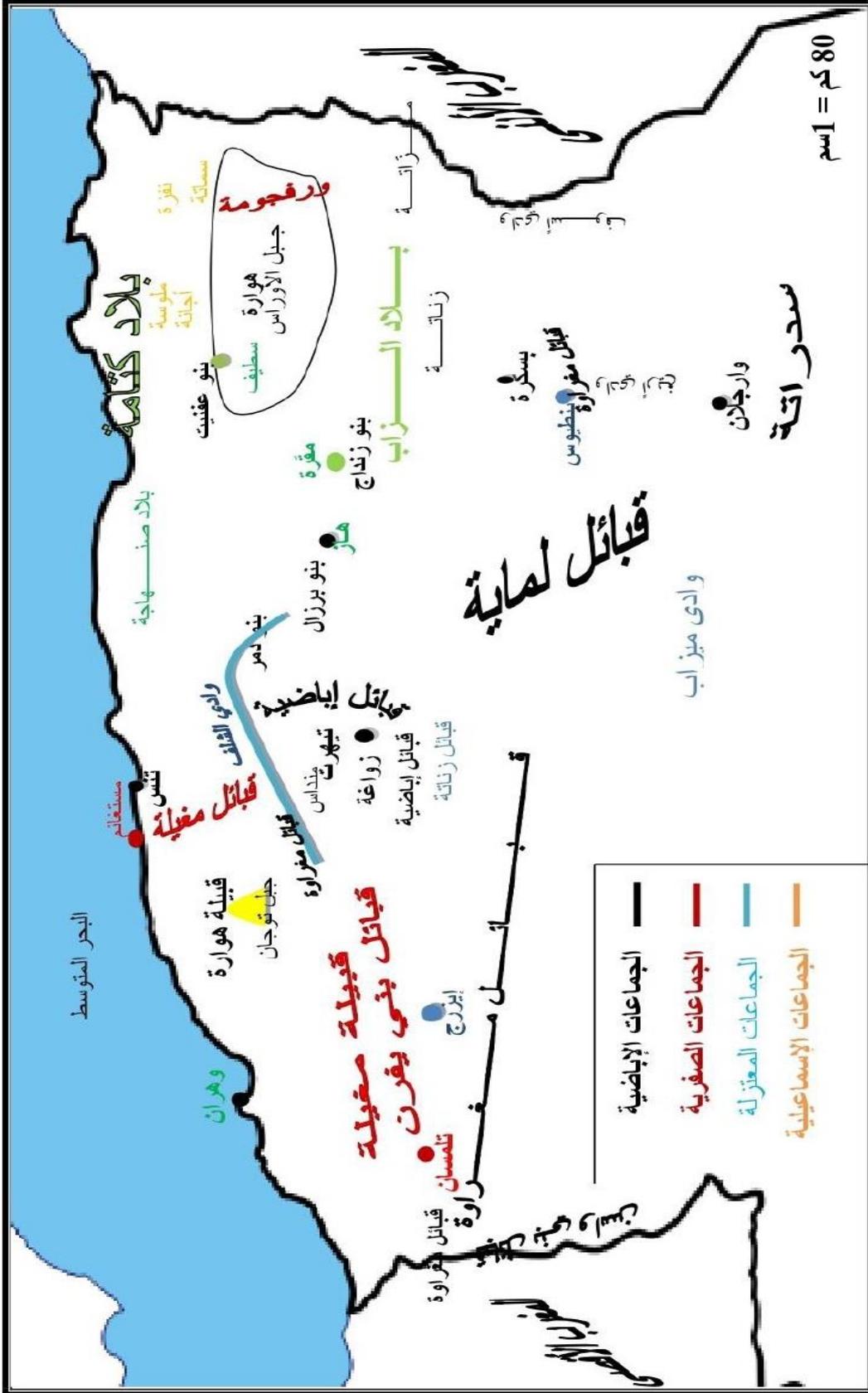


الملحق رقم 8: مدن العلويين بالمغرب الأوسط في القرن 3هـ/9م

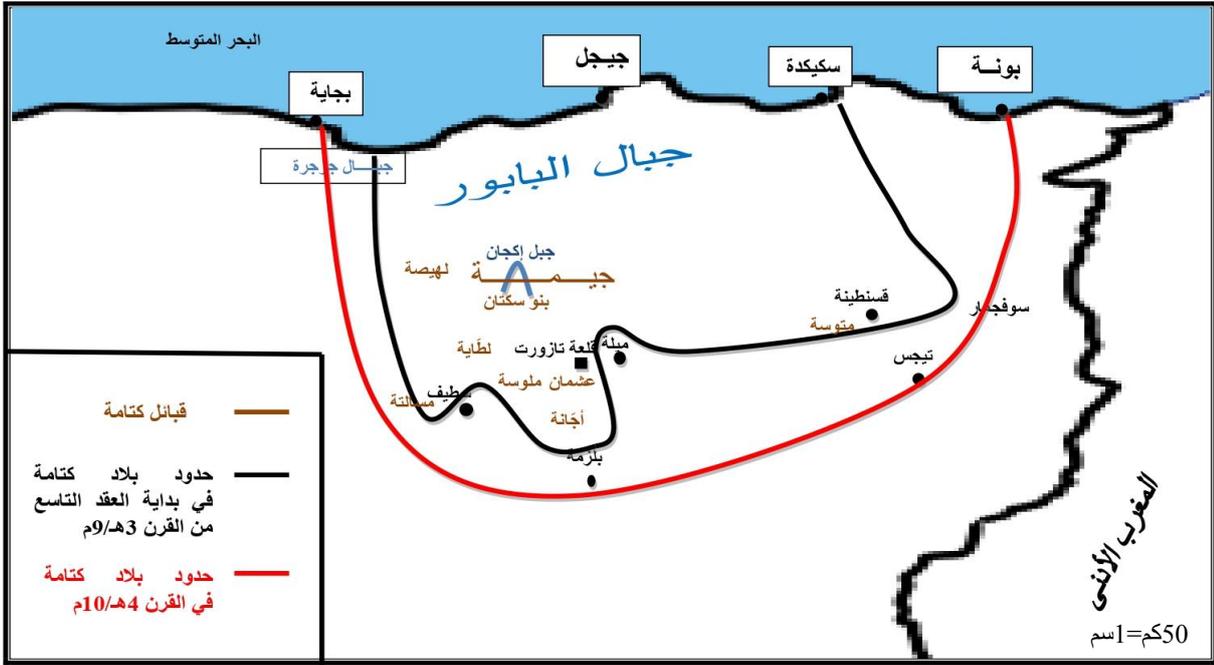
(من إنجاز الطالب)



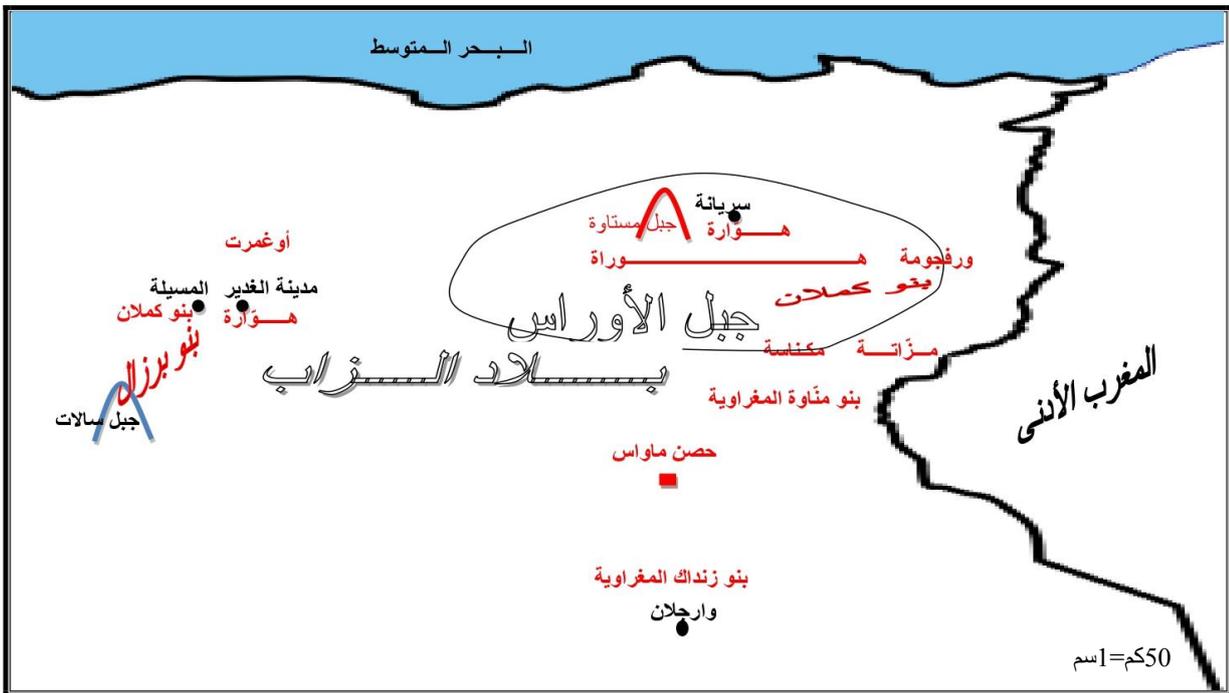
الملحق رقم 9: الخارطة السياسية للمغرب الأوسط من بداية القرن 9/هـ3م إلى قبيل سقوط الدولة المرابطية (من إنجاز الطالب)



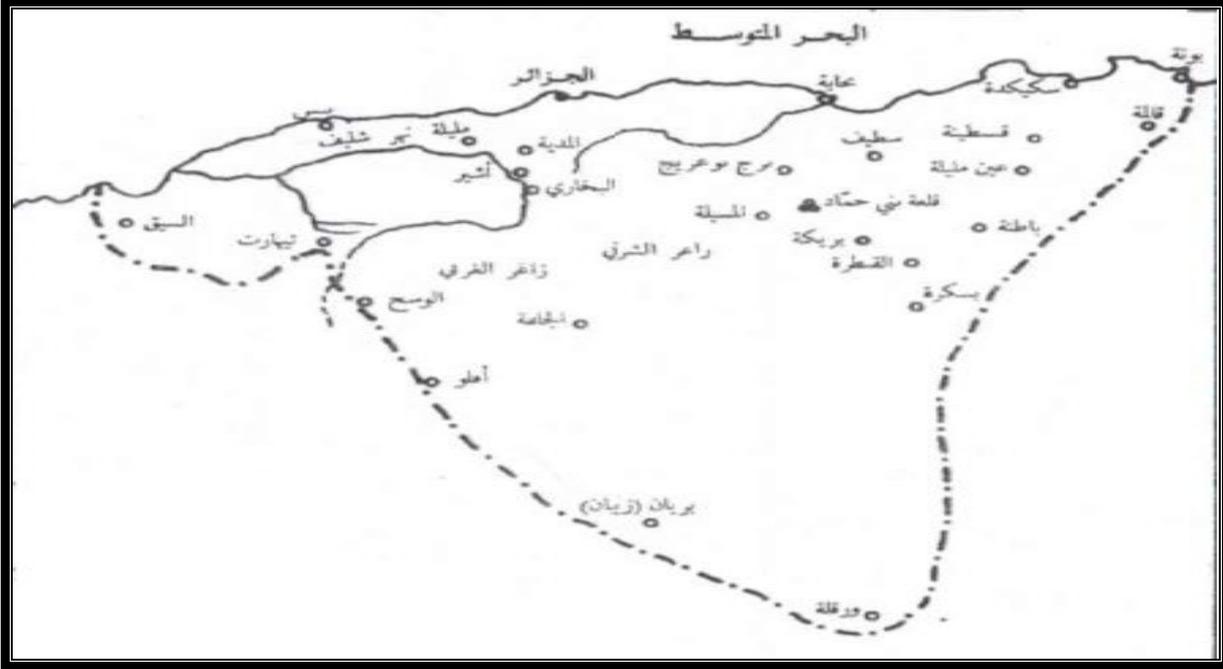
الملحق رقم 10: توزع بعض الجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9/هـم
(من إنجاز الطالب)



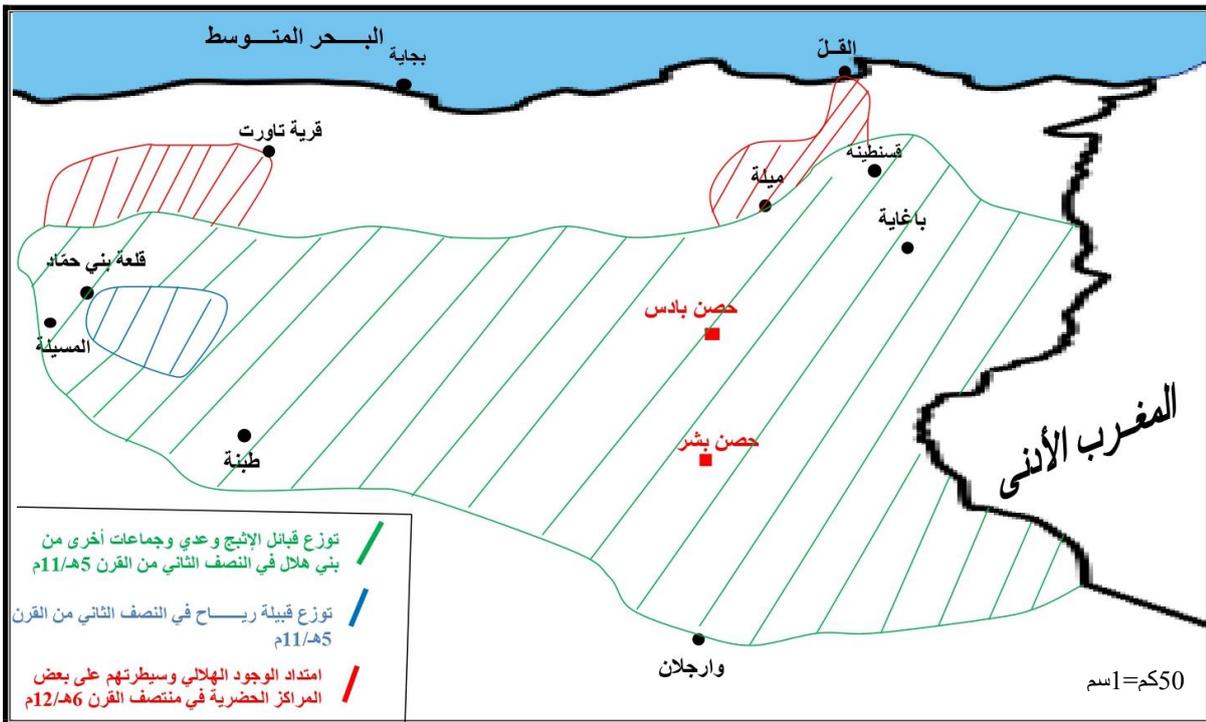
الملحق رقم 11: التحوّلات الجالية لبلاد كتامة
بين العقد التاسع من القرن 3هـ/9م والقرن 4هـ/10م
(من إنجاز الطالب)



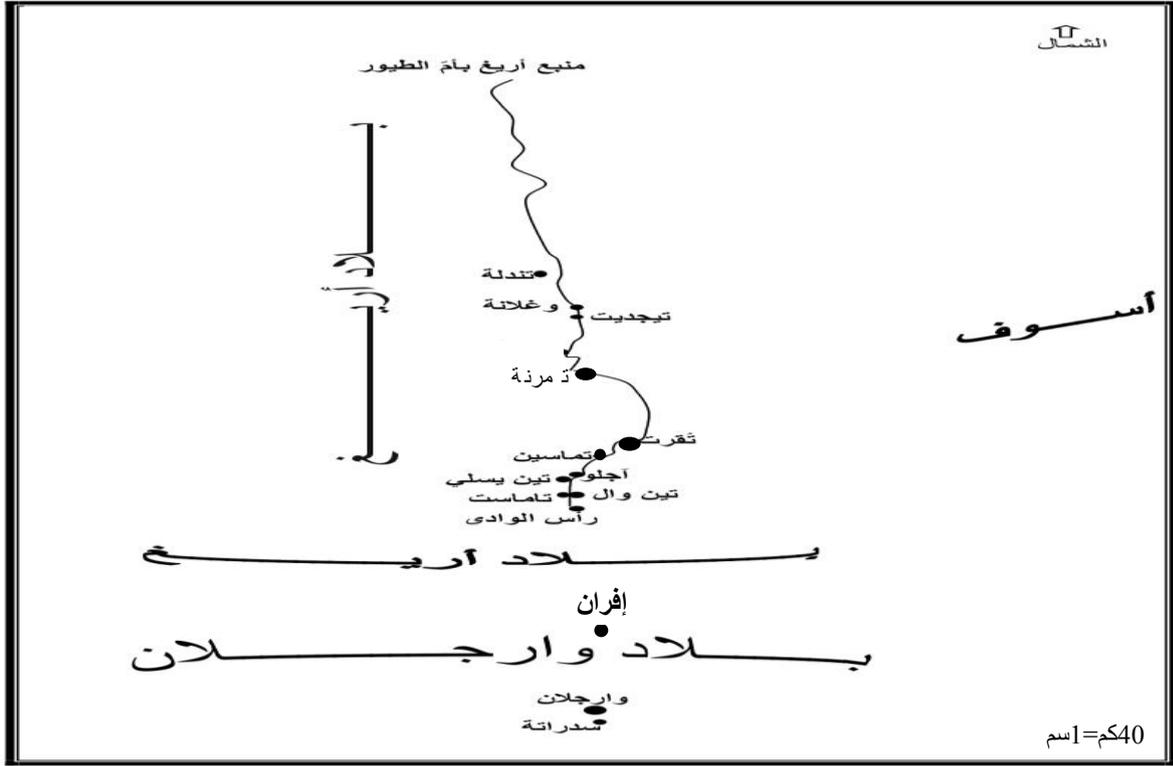
الملحق رقم 12: جوانب من الجغرافية النكارية بالمغرب الأوسط
في الثلث الأوّل من القرن 4هـ/11م
(من إنجاز الطالب)



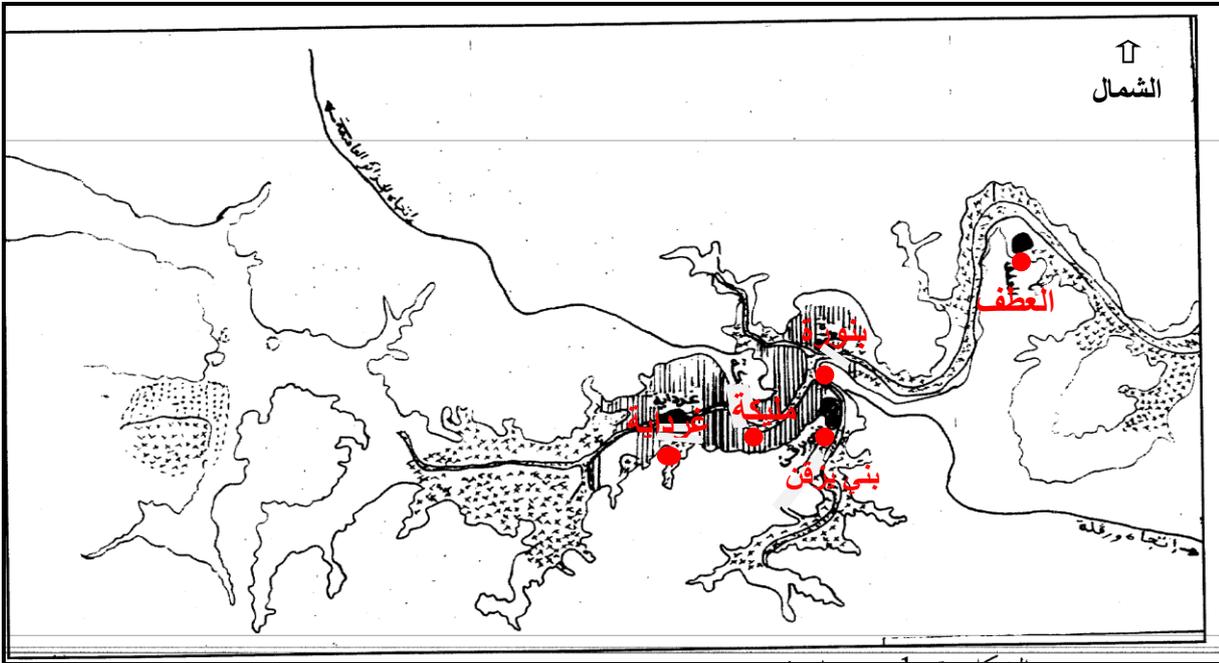
الملحق رقم 13: حدود الدولة الحمّادية
(عويس، المرجع السابق، ص 97)



الملحق رقم 14: الامتداد الهلالي في المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م
(من إنجاز الطالب)



الملحق رقم 15: مناطق الإباضية في نواحي وارجلان وأربع وأسوف
 خلال القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م
 (من إنجاز الطالب)



الملحق رقم 16: موقع بعض قصور وادي ميزاب
 (معروف، المرجع السابق، ص 259 بتصريف)

قائمة المصادر و المراجع

المخطوطات:

1-اطفيش (محمد بن يوسف)، رسالة حول دخول الإسلام إلى وادي ميزاب ومبدأ عمرانه، ضمن مجموع، مخطوطات مكتبة محمد بن أيوب الحاج سعيد، مؤسسة الشيخ عمّي سعيد، غرداية، رقم: 106.

المصادر المطبوعة:

2-(الداعي) إدريس (عماد الدين بن الحسن القرشي تـ. 872هـ/1467م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م.

3-الإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف تـ. 560هـ/1165م)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، 2002م.

4-الإسماعيلي (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني تـ. 371هـ/981م)، اعتقاد أئمة أهل الحديث، تحقيق: محمد خميس، دار العاصمة، السعودية، 1992م.

5-الإصطخري (أبو الحسن إبراهيم بن محمد الفارسي تـ. بعد 340هـ/951م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1870م.

6-الإيجي (عبد الرحمن بن أحمد الشيرازي تـ. 756هـ/1355م)، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت-لبنان، د.ت.

7-الأملي (علي بن بلال الزيدي ق. 4هـ/10م)، تتمّة كتاب المصايح لأبي العباس الحسيني، تحقيق: عبد الله الحوثي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، ط2، صعدة-اليمن، 2002م.

8-ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله البنسي تـ. 658هـ/1260م)، كتاب الحلة السراء، حققه وعلّق على حواشيه: حسن مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة-مصر، 1985م.

9-_____، التكملة لكتاب الصلّة، تحقيق: عبد السلام هراس، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1995م.

- 10- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني تـ. 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق ومراجعة: أبو الفداء عبد الله القاضي ومحمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت-لبنان، 2003م.
- 11- الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل تـ. 330هـ/941م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1950م.
- 12- _____، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق: عبد الله شاکر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، المدينة النبوية-السعودية، 1422هـ/2002م.
- 13- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين القرشي تـ. 356هـ/967م)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط2، د.م، 1974م.
- 14- البرّادي (أبو القاسم بن إبراهيم ق. 9هـ/15م)، الجواهر المنتقاة فيما أحل به كتاب الطبقات، صححه وقدم له وعلّق عليه، أحمد بن سعود السيّابي، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 2014م.
- 15- البرهاري (أبو محمد الحسن بن علي تـ. 329هـ/941م)، شرح السنة، تحقيق: عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، دار المنهاج، الرياض-السعودية، 2005م.
- 16- ابن بشكوال (أبو القاسم بن عبد الملك المراكشي تـ. 578هـ/1182م)، الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري/دار الكتاب اللبناني، القاهرة-مصر/ بيروت-لبنان، 1989م.
- 17- البغدادي (أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي تـ. 429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1995م.
- 18- البغطوري (مقرين بن محمد النفوسي تـ. بعد 599هـ/1203م)، روايات الأشياخ: أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، بركاء-عمّان، 2017م.
- 19- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز تـ. 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، حققه ووضع حواشيه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م.

- 20-البليخي (أبو القاسم عبد الله تـ. 319هـ/931م)، باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين، في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، اكتشفها وحقّقها: فؤاد سيد، أعدها للنشر: أيمن فؤاد سيد، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار الفرابي، بيروت-لبنان، 2017م.
- 21-البوني (أبو عبد الملك مروان بن عليّ الأسدي تـ. 440هـ/1048م)، تفسير الموطأ، حقّقه: عبد العزيز دخان، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة-قطر، 1432هـ/2011م.
- 22-البيدق (أبو بكر بن عليّ الصنهاجي تـ. 555هـ/1180م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1971م.
- 23-تبغورين بن عيسى بن داوود الملشوطي (ق. 5هـ/11م)، أصول الدين أو الأصول العشرة عند الإباضية، دراسة وتحقيق: ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، عُمان، 2005م.
- 24-ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم تـ. 728هـ/1328م)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ط2، المدينة المنورة-السعودية، 1411هـ/1991م.
- 25-ابن جزّي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد الغرناطي تـ. 758هـ/1357م)، الأنوار في نسب آل النبي المختار، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مكتبة سماحة آية الله العظمى، قم-إيران، 2010م.
- 26-(الداعي) جعفر بن منصور اليمن (تـ. 380هـ/990م)، كتاب الكشف، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت-لبنان، 1984م.
- 27-_____، زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1991م.
- 28-الجاناوي (أبو زكرياء يحيى بن الخير النفوسي ق. 5هـ/11م)، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تعليق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وناصر بن محمّد المرموري، تحقيق: أحمد ابن صالح الشيخ أحمد وبكبير بن محمّد فخار، مكتبة الظامري، عُمان، 2015م.

- 29- الجوزري (أبو عليّ منصور العزيري تـ. بعد 386هـ/996م)، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقعات الأئمة الفاطميين، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، مصر، د.ت.
- 30- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي تـ. 597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت-لبنان، 1995م.
- 31- _____، تلبس إبليس، دار القلم، بيروت-لبنان، 1403هـ/1982م.
- 32- ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني تـ. 852هـ/1448م)، لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت-لبنان، 2002م.
- 33- _____، هدي الساري لمقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أشرف على تحقيق الكتاب وراجعته: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، اعتنى بتحقيق هذا الجزء وتحقيقه: أحمد برهوم وعامر غضبان، دار الرسالة العالمية، فرع بيروت-لبنان، 2013م.
- 34- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الظاهري تـ. 456هـ/1063م)، أسماء الخلفاء والوُلاة وذكر مُدَدِهِم، في رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت-لبنان، 1987م.
- 35- _____، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجليل، ط2، بيروت-لبنان، 1996م.
- 36- _____، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1948م.
- 37- _____، النبذ في أصول الفقه الظاهري، حقق نصوصها وعلّق عليها: محمد صبحي، دار ابن حزم، ط2، بيروت-لبنان، 1999م.
- 38- ابن حمّاد (أبو عبد الله محمد بن عليّ الصنهاجي تـ. 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة-مصر، د.ت.

- 39- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ت. 488هـ/1085م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة-مصر، 1977م.
- 40- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ت. بعد 367هـ/977م)، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1996م.
- 41- ابن حيّان (أبو مروان بن خلف القرطبي ت. 469هـ/1076م)، المقتبس لابن حيّان القرطبي (الجزء الخامس)، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد-إسبانيا، 1979م.
- 42- _____، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1965م.
- 43- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت. 300هـ/913م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م.
- 44- أبو خزر (يغلا بن زلتاف الوسياني ت. 380هـ/990م)، الردّ على جميع المخالفين (الخوارج، المرجئة، المعتزلة...)، تحقيق: عمرو خليفة النامي، مكتبة الظامري، سلطنة عُمان، 2008م.
- 45- الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني ت. 361هـ/972م)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقيّة، عني بنشره: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة-مصر، 1994م.
- 46- الخطّاب (أبو سفيان حمد بن محمد ت. 377هـ/987م)، الغنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج، القاهرة-مصر، 2004م.
- 47- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله ت. 776هـ/1374م)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1964م.
- 48- ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ت. 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

- 49- ابن خلدون (عبد الرحمن تـ. 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهاس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981م.
- 50- _____، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981م.
- 51- ابن خلكان (شمس الدين محمد بن أحمد تـ. 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1994م.
- 52- الحياط (أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد المعتزلي تـ. 290هـ/902م)، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات: نيرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة-مصر، 1993م.
- 53- ابن خياط (أبو عمرو خليفة الليثي تـ. 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض-السعودية، 1985م.
- 54- ابن خير (أبو بكر عبد الحق بن خير الإشبيلي تـ. 575هـ/1179م)، فهرسة ابن الخير الإشبيلي: ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998م.
- 55- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري تـ. 696هـ/1297م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القبروان، أكمله وعلّق عليه: ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي تـ. 839هـ/1435م)، الجزء الأول صحّحه وعلّق عليه: إبراهيم شيوخ، والثاني بتحقيق: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضور، والثالث بتحقيق وتعليق: محمد ماضور، مطبعة السنة الحمّدية، ط2، تونس، 1968م.
- 56- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد تـ. حوالي 670هـ/1271م)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، 1974م.
- 57- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد تـ. 748هـ/1374م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه: عوّاد بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2003م.

- 58-_____، سير أعلام النبلاء، حَقَّق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت-لبنان، 1982م.
- 59-الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر الطبرستاني تـ. 606هـ/1210م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، مُراجعة: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1982م.
- 60-الرازي (أحمد بن سهل ق. 4هـ/10م)، أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس ابن عبد الله، تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة-اليمن، 1421هـ/2000م.
- 61-ابن أبي الرجال (أحمد بن صالح تـ. 1092هـ/1681م)، مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة-اليمن، 2004م.
- 62-ابن الرحيل (أبو سفيان محبوب المخزومي تـ. بين 195-205هـ/810-820م)، سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل عمان في أمر هارون بن اليمان، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م.
- 63-ابن رسته (أبو أحمد بن عمر تـ. بعد 300هـ/913م)، الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1891م.
- 64-الريق (إبراهيم بن القاسم القيرواني تـ. 420هـ/1029م)، تاريخ أفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة-مصر، 1994م.
- 65-ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي تـ. 708هـ/1308م)، كتاب صلة الصلة، تحقيق: شريف العدوي، طبع مع كتاب الصلة لابن بشكوال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 2008م.
- 66-ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي تـ. 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972م.

- 67- أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر تـ. بعد 474هـ/1081م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، حققه ووضع حواشيه: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 3، الجزائر، 1984م.
- 68- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي تـ. 617هـ/1220م)، التصوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 1997م.
- 69- ابن أبي زيد (أبو محمد عبد الله القيرواني تـ. 386هـ/996م)، كتاب الجامع في السنن والآداب والتاريخ، تحقيق: محمد أبو الأحناف وعثمان بطيح، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م.
- 70- ابن سعد (أبو عبد الله محمد الهاشمي البصري تـ. 230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت-لبنان، 1997م.
- 71- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي تـ. 685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، حققه وعلق عليه: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1970م.
- 72- _____، الغصون الياض في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، د.ت.
- 73- ابن سَلام (لؤاب الإباضي تـ. بعد 273هـ/887م)، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: فيرنر شقارتس وسالم بن يعقوب، منشورات جمعية المستشرقين الألمان، فيسبادن، 1986م.
- 74- السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني تـ. 576هـ/1180م)، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1913م.
- 75- السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد تـ. 562هـ/1166م)، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند، 1977م.
- 76- الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد تـ. 928هـ/1522م)، كتاب السير، دار الأبحاث، تلمسان-الجزائر، 2011م.

- 77-_____، شرح مقدمة التوحيد، دار الحكمة، ط2، لندن-بريطانيا، 2016م.
- 78-الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم تـ. 548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، ط3، بيروت-لبنان، 1993م.
- 79-ابن الصابوني (أبو حامد محمد بن عليّ المحمودي تـ. 680هـ/1281م)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، حققه وعلّق عليه: مصطفى جواد، مطبوعات الجمع العلمي العراقي، العراق، 1957م.
- 80-ابن الصغير (تـ. بعد 294هـ/907م)، أخبار الأئمة الرستميّين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.
- 81-الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك تـ. 764هـ/1363م)، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1420هـ/2000م.
- 82-الصلت (أبو المؤثر بن خميس الخروصي تـ. 278هـ/891م) سيرة الشيخ الفقيه أبي المؤثر الصلت بن خميس، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م.
- 83-الضبيّ (أبو جعفر أحمد بن يحيى تـ. 599هـ/1203م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، مصر/لبنان، 1989م.
- 84-أبو الطاهر (محمد بن الحسين الفارسي تـ. بعد 431هـ/1040م)، مناقب محرز بن خلف، طبع مع مناقب أبي إسحاق الجبنياني، تحقيق: الهادي روجي إدريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 1959م.
- 85-الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير تـ. 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة-مصر، د.ت.
- 86-الطوسي (أبو نصر عبد الله بن علي السراج تـ. 378هـ/988م)، اللمع، حققه وقدم له وخرّج حديثه: عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، مكتبة المثنى، بغداد-العراق، 1960م.

- 87- ابن ظافر (أبو الحسن عليّ بن منصور الأزدي تـ. 613هـ/1216م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عاصم مصطفى هزايمة وجماعة، دار الكندي، أربد-الأردن، 1999م.
- 88- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي تـ. 463هـ/1070م)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء، مكتبة القدس، القاهرة-مصر، 1931م.
- 89- _____، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، حققه وعلّق على حواشيه وصحّحه: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط-المغرب، 1967م.
- 90- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله تـ. 257هـ/803م)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله الطباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1964م.
- 91- ابن عبد ربه (أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي تـ. 328هـ/939م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1983م.
- 92- ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري المراكشي تـ. 703هـ/1304م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلّق عليه: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.
- 93- (القاضي) عبد الجبار (أبو الحسن بن أحمد الأسد آبادي تـ. 415هـ/1024م)، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وعلّق عليه: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط3، مصر، 1996م.
- 94- ابن عذاري المراكشي (تـ. بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م.
- 95- أبو العرب (محمد بن أحمد التميمي تـ. 333هـ/944م)، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، د.ت.
- 96- _____، كتاب المحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2006م.

- 97- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري تـ. 543هـ/1148م)، قانون التأويل، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، دار القبلة للثقافة الإسلامية/مؤسسة علوم القرآن، جدة-السعودية/بيروت-لبنان، 1986م.
- 98- العزفي (أبو العباس أحمد بن محمد اللّخمي تـ. 633هـ/1236م)، دعامة اليقين في زعامة المتقين -مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، د.ت.
- 99- العلمي (أبو الحسن عليّ بن عيسى الحسيني ق. 12هـ/18م)، كتاب النوازل، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م.
- 100- عمروس (أبو حفص بن فتح النفوسي تـ. 283هـ/896م)، أصول الدينونة الصافية، تحقيق: أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان، 1999م.
- 101- أبو عمّار (عبد الكافي الإباضي تـ. قبل 570هـ/1174م)، الموجز، تحقيق: عمّار طالبي، في آراء الخوارج الكلامية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م.
- 102- العمري (أبو الحسن علي بن محمد العلوي عاش في ق. 5هـ/11م)، المجدي في أنساب الطالبين، تحقيق: أحمد المهدي الدامغاني، مطبعة سيد الشهداء، قم-إيران، 1988م.
- 103- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي تـ. 571هـ/1175م)، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر، ط2، دمشق-سوريا، 1978م.
- 104- (القاضي) عياض (أبو الفضل بن موسى السبتي تـ. 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998م.
- 105- _____، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق: محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م.
- 106- _____، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982م.

- 107- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ت. 714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 1997م.
- 108- أبو الفداء (إسماعيل بن علي الأيوبي ت. 732هـ/1332م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس-فرنسا، 1830م.
- 109- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين المالكي ت. 788هـ/1397م)، الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1996م.
- 110- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي القرطبي ت. 403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م.
- 111- الفزاري (أبو محمد عبد الله بن يزيد ق. 2هـ/8م)، كتاب في الرد على ابن عمير، *In Early Ibādī Theology: Six kalām texts by ‘Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p. 60-122.*
- 112- ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني ت. بعد 290هـ/902م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1996م.
- 113- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت. 276هـ/889م)، تأويل مختلف الحديث، صححه وضبطه: محمد زهري النجار، دار القومية العربية، مصر، د.ت.
- 114- قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب البغدادي ت. 328هـ/939م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية، بغداد-العراق، 1981م.
- 115- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري ت. 465هـ/1072م)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة-مصر، 1409هـ/1989م.
- 116- القلھاتي (أبو عبد الله محمد بن سعيد ق. 6هـ/12م)، الكشف والبيان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1980م.

- 117- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن القسنطيني تـ. 810هـ/1407م)، أنس الفقير وعزّ الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط-المغرب، 1965م.
- 118- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي تـ. 367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية/دار الكتب اللبنانية، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م.
- 119- القيسي (شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي تـ. 842هـ/1438م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، حققه وعلّق عليه: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، د.ت.
- 120- ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر تـ. 776هـ/1374م)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2004م.
- 121- اللالكائي (أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري تـ. 418هـ/1027م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق: أحمد ابن سعد الغامدي، دار طيبة، ط4، الرياض-السعودية، 1995م.
- 122- المارغني (أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي ق. 6هـ/12م)، رسالة في الفرق، ضمن مجموع، طبعة حجرية، الجزائر، د.ت.
- 123- المازوني (أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي تـ. في النصف الأوّل من ق. 9هـ/15م)، صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق: غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م.
- 124- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد تـ. بعد 484هـ/1091م)، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوشي ومراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 1994م.
- 125- ابن المرتضى (أحمد بن يحيى تـ. 840هـ/1437م)، كتاب طبقات المعتزلة، مؤسسة دقليد-ثلزر، ط2، بيروت-لبنان، 1987م.

- 126- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني ت. بعد 1025هـ/1616م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به وعلّق عليه: محمد بن أبي شنب، دار الأبحاث، الجزائر، 2013م.
- 127- مجموعة من علماء الإباضية (ق. 2هـ/8م)، الرسالة الحجّة، دراسة وتحقيق: الحاج سليمان ابن إبراهيم بابيز، وزارة التراث والثقافة، عمان، 1430هـ/2009م.
- 128- مجموعة من علماء الإباضية المجهولين (ق. 3هـ/9م)، سيرة لبعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصلت بن مالك (ت. 275هـ/888م)، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عُمان، 1986م.
- 129- مجهول (ق. 4هـ/10م)، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية/دار الكتب اللبنانية، ط2، القاهرة-مصر/بيروت-لبنان، 1989م.
- 130- مجهول، كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (الجزء الرابع)، عُني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: عمر السعدي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق-سوريا، 1973م.
- 131- مجهول (ق. 6هـ/12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة-آفاق عربية-، بغداد-العراق، د.ت.
- 132- مجهول، كتاب التوحيد في معرفة الله عزّ وجلّ وما يتعلق بها، In Early Ibādī Theology: Six kalām texts by ‘Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p.154-198.
- 133- مجهول، كتاب الفتيا، In Six kalām texts by ‘Abd Allāh b. Yazīd al-Fazārī, Edited by: Abdulrahman al-Salimi and Wilferd Madelung, Brill, Leiden, 2014, p. 149-152.
- 134- مجهول، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، دراسة وتحقيق: الحاج سليمان بابيز، منشورات وزارة التراث والثقافة، مسقط-عُمان، 2009م.
- 135- مجهول (ت. بعد 712هـ/1312م)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط-المغرب، 2005م.

- 136- المحلّي (حميد بن أحمد تـ. 652هـ/1254م)، الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى بن زيد المخطوري، مطبوعات مكتبة مركز بدر، صنعاء-اليمن، 2002م.
- 137- المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي تـ. 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2006م.
- 138- ابن مزاحم (أبو الفضل نصر بن سيّار المنقري تـ. 212هـ/827م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت-لبنان، 1990م.
- 139- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين تـ. 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة دار الهجرة، ط2، قم-إيران، د.ت.
- 140- مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري تـ. 261هـ/874م)، صحيح مسلم، دار السلام، ط2، الرياض-السعودية، 2000م.
- 141- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد تـ. بعد 378هـ/988م)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1906م.
- 142- المقرّي (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني تـ. 1041هـ/1631م)، نفع الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1968م.
- 143- المقرّيزي (تقي الدين أحمد بن علي تـ. 845هـ/1441م)، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطابع الأهرام، ط2، القاهرة-مصر، 1416هـ/1996م.
- 144- _____، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل المنصق، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998م.
- 145- المنذري (أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي تـ. 656هـ/1258م)، جزء فيه ذكر حال عكرمة مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه، رواية أبي القاسم عبيد الله بن أبي عبد الله الزرزاري، اعتنى به: نظام محمد يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، 2000م.
- 146- المنصور (أبو محمد عبد الله بن حمزة الحسيني تـ. 614هـ/1217م)، الشافي، حققه واعتنى به وعلّق عليه: مجد الدين بن محمد المؤيدي، منشورات مكتبة أهل البيت، صعدة -اليمن، 2008م.

- 147-المهلبى (الحسن بن أحمد تـ. 380هـ/990م)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمعه وعلّق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، التلوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 2006م.
- 148-الناشئ الأكبر (أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري تـ. 293هـ/905م)، مسائل الإمامة، تحقيق: يوسف فان إس، دار النشر فرانس شتاينر بقيسبادن، بيروت-لبنان، 1971م.
- 149-نشوان (أبو سعيد بن سعيد الحميري تـ. 573هـ/1177م)، الحور العين، حققه وضبطه وعلّق على حواشيه: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، 1948م.
- 150-(القاضي) النعمان (أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي تـ. 363هـ/973م)، كتاب أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت-لبنان، د.ت.
- 151-_____، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط2، قم-إيران، 1431هـ/2010م.
- 152-_____، كتاب المجالس والمسائرات، تحقيق: الحبيب الفقّي وإبراهيم شيوخ ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت-لبنان، 1996م.
- 153-_____، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع/ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس/الجزائر، 1986م.
- 154-النوبختي (الحسن بن موسى تـ. نحو 310هـ/922م) والقمّي (سعد بن عبد الله الأشعري تـ. 299 أو 301هـ/911 أو 913م)، كتاب فرق الشيعة، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة-مصر، 1992م.
- 155-النيسابوري (أبو رشيد سعيد بن محمد تـ. بعد 400هـ/1010م)، المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تحقيق وتقديم: معن زيادة ورضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت-لبنان، 1989م.
- 156-الهادي إلى الحق (أبو الحسين يحيى بن الحسين تـ. 298هـ/911م)، كتاب المتزلة بين المتزلتين، في مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تحقيق: عبد الله الشاذلي، منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صعدة-اليمن، 2001م.

- 157-الهاروني (يحيى بن الحسين الحسيني تـ. 424هـ/1033م)، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مكتبة أهل البيت، ط4، صعدة-اليمن، د.ت.
- 158-ابن الهيثم (أبو عبد الله جعفر بن أحمد تـ. بعد 334هـ/946م)، كتاب المناظرات، The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'i Witness, Edited and Translated: Wilferd Madelung and Paul E. Walker, New York, I. B., London, 2000.
- 159-الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي تـ. 570هـ/1174م)، الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، 1997م.
- 160-الوسياتي (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ق. 6هـ/12م)، سير الوسياتي، تحقيق ودراسة: عمر بوعصانة، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط-عمان، 1430هـ/2009م.
- 161-ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي تـ. 626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، 1977م.
- 162-اليقوي (أحمد بن أبي إسحاق تـ. بعد 292هـ/905م)، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- 163-اليفرنبي (أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان تـ. 625هـ/1228م)، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، حققه وقدم له وعلّق عليه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، 1421هـ/2001م.
- 164-اليماني (محمد بن محمد تـ. بعد 365هـ/975م)، سيرة الحاجب جعفر بن عليّ وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، نشره: و. إفانوف، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد: 4، ديسمبر 1936م.

المراجع العربية والمعربة

- 165-إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت-لبنان، 1989م.
- 166-الأخرص طلعت، أبو الهذيل العلاف المعتزلي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار حضر، بيروت-لبنان، 1994م.

- 167-اطفيش (محمد بن يوسف)، الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، طبعة حجرية، د.م، د.ت.
- 168-أعزام (إبراهيم بن صالح بابا حمو)، غصن البان في تاريخ وارجلان، دراسة وتحقيق: إبراهيم بحاز سليمان بومعقل، مطبعة العالمية، غرداية-الجزائر، 2013م.
- 169-باجة صالح، الإباضية بالجرید في العصور الإسلامية الأولى: بحث تاريخي مذهبي، دار بوسلامة، تونس، 1978م.
- 170-الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، مراجعة: محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 2005م.
- 171-الباشا حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1990م.
- 172-بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط4، الجزائر، 2015م.
- 173-_____، القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ/715-909م) عصر الولاة-المدرايون-الرستميون-الأدارسة-الأغالبة، نشر جمعية التراث، ط2، غرداية-الجزائر، 1427هـ/2006م.
- 174-البختي جمال علال، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري-دراسة تاريخية في مواقف ابن خمير السبتي من التصوف والتصوف- مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 2005م.
- 175-بلعربي خالد، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55-633هـ/675-1235م)، دار الألفية، قسنطينة-الجزائر، 2011م.
- 176-بلهوارى فاطمة، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.
- 177-بهلولي سليمان، الدولة السلیمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ/789-954م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.
- 178-بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في العصر المرابطي: المجتمع-الذهنيات-الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1993م.

- 179- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
- 180- بوعقادة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م، ميم للنشر، الجزائر، 2015م.
- 181- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين: نشأته -تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2004م.
- 182- البيلي محمد بركات، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1993م.
- 183- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة-مصر، 1979م.
- 184- التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة - دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس -، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 2005م.
- 185- تيري جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، بنغازي-ليبيا، 2004م.
- 186- بن حمده عبد المجيد، المدارس الكلامية بإفريقيّة إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، 1986م.
- 187- جبران محمد مسعود، عليّ بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس-ليبيا، 2009م.
- 188- الجعبري فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مطبعة الألوان الحديثة، د.ت، 1989م.
- 189- جلول ناجي، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م.

- 190- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 191- جوزف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث-تاريخ الفكر الديني في صدر الإسلام-، ترجمة: محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، 2016م.
- 192- جيدل عمّار، مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية، دار البلاغ، الجزائر، د.ت.
- 193- الجيدي عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، 1993م.
- 194- الحارثي (سالم بن حمد)، العقود الفضية في أصول الإباضية، مراجعة: إبراهيم بن محمد العساكر، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، عُمان، 2017م.
- 195- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م.
- 196- حسن إبراهيم وطه أحمد، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947م.
- 197- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1980م.
- 198- بن حسن محمد، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م.
- 199- الحفظي عبد اللطيف بن عبد القادر، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة-أسبابه ومظاهره-دار الأندلس الخضراء، جدّة-السعودية، 1421هـ/2000م.
- 200- حقي محمد، البربر في الأندلس: دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م-422هـ/1031م)، شركة النشر والتوزيع-المدارس-، الدار البيضاء-المغرب، 2001م.
- 201- حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138-316هـ/756-928م)، مطبعة الانتصار، الإسكندرية-مصر، 1993م.

- 202-_____، دراسات في التاريخ الأندلسي "دولة بني برزال في قرمونة" (404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، 1990م.
- 203-الحنفي عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، القاهرة-مصر، 1993م.
- 204-حواله يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية - المغرب الأدنى- منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، مطابع جامعة أمّ القرى، مكة-السعودية، 1419هـ/1998م.
- 205-خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، المطابع الذهبية، مسقط-سلطنة عُمان، 2002م.
- 206-الخيون رشيد، معتزلة البصرة وبغداد، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 1997م.
- 207-بن داهية عدّة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م.
- 208-دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م، 2010م.
- 209-دخان عبد العزيز الصغير، موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م.
- 210-الدراجي بوزياني، دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- 211-_____، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل، الجزائر، 2011م.
- 212-الدهشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994م.
- 213-أبو راس (محمد بن أحمد الناصري العسكري تـ. 1238هـ/1822م)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، د.ت.
- 214-رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق-سوريا، 2005م.

- 215- الرومي فهد بن عبد الرحمن، مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذبّ عن مذهب السلف، مكتبة التوبة، الرياض-السعودية، 1417هـ/1997م.
- 216- الزرقا مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، ط2، دمشق-سوريا، 2004م.
- 217- الزركلي خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، بيروت-لبنان، 2002م.
- 218- أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، د.ت.
- 219- الزباني (أبو القاسم تـ. 1249هـ/1833م)، الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، حقه وعلّق عليه: عبد الكريم الفيلاي، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط-المغرب، 1991م.
- 220- الزباني (محمد بن يوسف البرجي تـ. بعد 1320هـ/1902م)، دليل الحيران وأنيس السهراني في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- 221- زيتون محمد محمود، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة-مصر، 1988م.
- 222- سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/ 912-1008م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000م.
- 223- سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- 224- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1993م.
- 225- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1987م.
- 226- سعدون نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب والأندلس (القسم الثاني)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1996م.

- 227- سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة-مصر، 1986م.
- 228- الشامي فضيلة عبد الأمير، تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة الآداب، النجف-العراق، 1974م.
- 229- الشكعة مصطفى، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة-مصر، 1992م.
- 230- الشلاحي هدى بنت ناصر بن محمد، آراء الكلاية العقدية وأثرها في الأشعرية، مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، 2000م.
- 231- شلي محمد، المدخل في الفقه الإسلامي: تعريفه وتاريخه ومذاهبه- نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية، ط10، بيروت-لبنان، 1985م.
- 232- ضيف الله محمد، نوافذ على تاريخ نفاوة، المغاربية للطباعة، تونس، 2008م.
- 233- الطويل توفيق، في رحاب التصوف الإسلامي، في تراثنا العربي الإسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 1985م.
- 234- بن الطيب محمد، إسلام المتصوفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2007م.
- 235- عبد الرحيم بن منصور، عين الحوت: مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011م.
- 236- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة-مصر، 1991م.
- 237- عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة الرشاد، بغداد-العراق، 1967م.
- 238- _____، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجليل، بيروت-لبنان، 1993م.
- 239- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 2000م.

- 240-العزيمي عزت وآخرون، المدخل إلى الفقه الإسلامي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، 2010م.
- 241-عفيفي أبو العلا، التصوّف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت-لبنان، د.ت.
- 242-علي عبد الفتاح، الفرق الكلامية الإسلامية - مدخل ودراسة -، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة-مصر، 1995م.
- 243-عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- 244-العمرجي أحمد شوقي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله 198-247هـ/813-861م، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 2000م.
- 245-بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 246-عويس عبد الحليم، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من تاريخ الجزائري، دار الوفاء، ط2، القاهرة - مصر، 1991م.
- 247-غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003م.
- 248-الغلبزوري توفيق بن أحمد، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس: نشأتها-أعلامها-أصولها-وأثرها، دار ابن حزم، الرياض-السعودية، 2006م.
- 249-فيلاي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة-مصر، 1999م.
- 250-قاسم علي سعد، جمهرة تراجم فقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي-الإمارات العربية المتحدة، 2002م.
- 251-قاضي ياسر، مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية، أضواء السلف، الرياض-السعودية، 2005م.
- 252-القطنّان مناع، تاريخ التشريع الإسلامي: التشريع والفقه، مكتبة المعارف، ط2، الرياض-السعودية، 1996م.

- 253- كعباش محمد إبراهيم، العطف: تاجنيت أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية، طبع ونشر جمعية ألفية العطف، غرداية-الجزائر، 1996م.
- 254- كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1276م.
- 255- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- 256- لوزري سعيدة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط - دخوله وانتشاره -، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.
- 257- محمد بن إبراهيم أبو الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300هـ/888-912م)، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض-السعودية، 1416هـ/1995م.
- 258- محمد صبحي بن حسن، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء-اليمن، 2007م.
- 259- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.
- 260- محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1985م.
- 261- _____، الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1991م.
- 262- مخلوف (محمد بن محمد تـ. 1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م.
- 263- المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م.

- 264-مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م)، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء-المغرب، 1982م.
- 265-المنصف بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية في الإسلام، بحث في تكوين السنية الإسلامية ونشأة الفرق الهامشية وسيادتها واستمرارها، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.
- 266-موهوبي عبد القادر، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر، الجزائر، 2011م.
- 267-الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد ميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- 268-النامي عمرو خليفة، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، مراجعة: ماهر جرار، دقق وراجع أصوله وعلق عليه: محمد صالح ناصر ومصطفى باجو، دار الغرب الإسلامي، ط2، تونس، 2012م.
- 269-النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م.
- 270-_____، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م.
- 271-النقيب أحمد، المذهب الحنفي (مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته)، مكتبة الرشاد-السعودية، 2001م.
- 272-نيكلسون ر. أ.، الصوفية في الإسلام، ترجمة: شريه نور الدين، الشركة العالمية للطباعة، ط2، القاهرة-مصر، 2002م.
- 273-الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م.

- 274- هالم هاينتس، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين (875-973م)، ترجمة: محمود كيبو، دار الوراق، بيروت-لبنان، 2013م.
- 275- الهروس مصطفى، المدرسة الأندلسية المالكية إلى نهاية القرن الثالث الهجري-نشأة وخصائص-، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط-المغرب، 1997م.
- 276- الهنتاتي نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004م.
- 277- وعلي بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق - مقارنة مع أهل السنة والجماعة -، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2001م.
- 278- اليعلاوي محمد، ابن هانئ المغربي الأندلسي (931/320-973/362) شاعر الدولة الفاطمية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م.
- الرسائل الجامعية:**
- 279- بلغيث محمد أمين، الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف: عبد الحميد حاجيات، 1406-1407هـ / 1986-1987م.
- 280- بوراس يحيى، العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب (نموذج قصر بني يزقن) (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)-دراسة وصفية تحليلية ومقارنة-، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: عليّ حملاوي ومحمد الطيب عقاب، 2001-2002م.
- 281- بوعصبانة عمر سليمان، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م)، بحث لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، إشراف: محمد ناصر، 1412هـ / 1991-1992م.
- 282- بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، إشراف: عبد العزيز فلاحي، 1429-1430هـ / 2008-2009م.

- 283-جلجال فاطمة، موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/777-909م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم آثار المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-، إشراف: بلحاج طرشاوي، 2013-2014م.
- 284-دين سايح، الاتجاهات المذهبية ودورها في التطور الثقافي في المغرب الأوسط من القرن 3هـ إلى القرن 6هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، إشراف: خالد بلعربي، 1437-1438هـ/2015-2016م.
- 285-ذوقان وجيه لطفي، ولاية العهد في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م)، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية بنابلس-فلسطين، إشراف: جمال جودة، 1426هـ/2005م.
- 286-رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط -دراسة منوغرافية، مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، إشراف: علاوة عمارة، 1434-1435هـ/2013-2014م.
- 287-بن زاوي طارق، استقلال المعزّ بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: رافعي نشيدة، 1429-1430هـ/2008-2009م.
- 288-زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، إشراف: علاوة عمارة، 1439-1440هـ/2018-2019م.
- 289-سعيداني سحنون، الإستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ- جامعة الجزائر، إشراف: بوضرساية بوغزة، 2007-2008م.

- 290- شرايف سحنون، دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني (40-429م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم جامعة الجزائر2، إشراف: محمد الهادي حارش، 2010-2011م.
- 291- صخرأوي فوزي، آراء عبد الله بن يزيد الفزاري الكلامية، رسالة ماجستير في الحضارة القديمة، قسم العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، إشراف: محمد شقرون، 2008-2009م.
- 292- عبّيش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، إشراف: محمد البشير شنيقي، 2006-2007م.
- 293- بن علي طاهر، ابن حزم وظاهرة التجديد، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، إشراف: موسى لقبال، 2000-2001م.
- 294- غرايسة عمار، التحوّلات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، وارجلان) من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/ الربع عشر الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر، إشراف: علاوة عمارة، 2018-2019م.
- 295- قرواش سمية، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160-296هـ/777-909م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم العلوم الإنسانية-جامعة الجليلي اليابس بسيدي بلعباس، إشراف: خالد بلعربي، 2018-2019هـ/1439-1440م.
- 296- لوزري سعيدة، دور فقهاء مالكية المغرب الأوسط في إثراء التأليف خلال العصر الحمادي (395-547هـ/1005-1153م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، إشراف: لطيفة بشاري بن عميرة، 2017-2018م.
- 297- مختاري فرحات، دراسة أثرية لموقع للمائة بالأغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار-جامعة الجزائر، إشراف: علي حملاوي، 2006-2007م.

298- مطهري فطيمة، مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية-جامعة أبي بكر بلقايد، إشراف: معروف بلحاج، 1430-1431هـ/2009-2010م.

299- معروف بلحاج بن بنوح، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، إشراف: عبد الحميد حاجيات، 1422-1423هـ/2001-2002م.

300- بن نعمان إسماعيل، مدينة تنس: دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-13هـ/9-19م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار-تخصص آثار إسلامية، معهد الآثار-جامعة الجزائر، إشراف: علي حملاوي، 2006-2007م.

301- بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-362هـ/699-973م)-دراسة اجتماعية-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، إشراف: بوبة مجاني، 1426-1427هـ/2005-2006م.

المقالات والمدخلات:

302-إلياس حاج عيسى، دور علماء وارجلان في النشاط الثقافي والحركة الفكرية، دراسات تراثية، العدد: 4، 2010م.

303-بجاز إبراهيم، المزابيون المعتزلة (قراءة جديدة لنصوص قديمة)، مجلّة الحياة، تصدر عن معهد الحياة وجمعية التراث بغرداية، العدد: 2، جانفي 1996م.

304-_____، تيهرت الرستميّين، عاصمة التسامح، مجلّة الحياة، العدد: 24، رمضان 1400هـ/جوان 2019م.

205-بلعربي خالد، حركة التصوّف في بجاية خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، مجلّة حوليات التراث، العدد: 14، 2014م.

- 306- بلغراد محمد، الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، مجلّة الأصالة، العدد: 41، محرم 1397هـ/جانفي 1977م.
- 307- بوباية عبد القادر، الروابط الثقافية والعلمية بين وهران والعدوة الأندلسية، مجلّة إنسانيات، العدد: 23-24، جوان 2004م.
- 308- بوبيدي حسين، الداعيان الشيعيان: أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب: دراسة في النصوص، ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير، مجلّة المعالم، العدد: 18، نوفمبر 2015م.
- 309- _____، الحراك القبلي الكتامي من ق 3-5هـ/9-11م -دراسة في الخلفيات والتداعيات-، الملتقى الوطني: الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية، بجامعة 8 ماي 1945م-قائمة، 23 أبريل 2018م، الرابط: <http://dspace.univ-guelma.dz:8080/xmlui/handle/123456789/7672>.
- 310- بورويبة رشيد، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلّة الأصالة، العدد: 41، محرم 1397هـ/جانفي 1977م.
- 311- بوشامة أحمد وبن علي طاهر، تطوّرات الحركة المذهبية للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينا (2-7هـ/8-13م)، مجلّة المعيار، العدد: 52، سبتمبر 2020م.
- 312- بوعقّادة عبد القادر، التحوّل المذهبي في العهد الصنهاجي-الحمّادي الزيري-، مجلّة آفاق الثقافة والتراث، السنة: 19، العدد: 74، رجب 1432هـ/جوان 2011م.
- 313- التازي عبد الوهّاب، دولة الأدراسة وإمارة الرستميين الكسراوية..العلاقات السياسية الأولى لمملكة فاس 173هـ/790م، مجلّة دعوة الحقّ، السنة: 14، العدد: 10، ذو الحجة 1391هـ/جانفي 1972م.
- 314- بن تاويت محمد التطواني، دولة الرستميين- أصحاب تاهرت-، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد: 5، العدد: 1-2، 1377هـ/1957م.
- 315- توفيق مزارى عبد الصمد، أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتّى القرن السادس الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد: 10، العدد: 17، نوفمبر 2018م.
- 316- تيرس نوح، المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب، مجلّة الحقيقة، المجلد: 14، العدد: 35، ديسمبر 2015م.

- 317-جرار ماهر، أربع رسائل زيدية مبكرة، في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس، تحرير: إبراهيم السعافين، دار الغرب الإسلامي/دار صادر، بيروت-لبنان، 1997م.
- 318-الجلاصي بثينة، التشريق: مقالة أصولية عبد الإسماعيلية، مجلة أصول الدين، العدد: 1، ديسمبر 2016م.
- 319-حروز عبد الغني، جوانب من الحياة العلمية بقلعة بني حمّاد (408-461هـ/1017-1070م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد: 2، العدد: 3، جانفي 2014م.
- 320-بن حمّادي عمر، حول نعت الدعوة الفاطمية بـ"التشريق" ونعت الداخلين فيها بـ"المشاركة"، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 39، 1995م.
- 321-دبور محمد عليّ، منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره في البيان المغرب، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، العدد: 21، 2007م.
- 322-أبو رحاب محمد السيّد، سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالصحراء الجزائرية، مجلة شدت، جامعة الفيوم (مصر)، العدد: 3، 2016م.
- 323-زريني محمد عمrani، اليوم والليلة وحدتا قياس غير ثابت ولا مضبوطة في مغرب وأندلس العصر الوسيط، مجلة كان التاريخية، العدد: 35، مارس 2017م.
- 324-سعد عبد الله عاشور، موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد، مجلة الجامعة الإسلامية جامعة غزّة، المجلد: 2، العدد: 2، 2001م.
- 325-السهيلي عبد الله، الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة: 26، العدد: 87، محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م.
- 326-بن صغير حضري يمينة، منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد: 10، العدد: 2، 2017م.
- 327-عدّة الشيخ ولد جلول، الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 2، الإصدار: 1، 2021م.
- 328-عقاب محمد الطيب وبويحياوي عزّ الدين، موقع إكجان بين المسح الأثري والنصوص التاريخية، مجلة بحوث، المجلد: 6، العدد: 1، 15 جوان 2000م.

- 329- علواني صالح، انتشار الولاية في بلاد القبائل الرُّحْل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين السابع والتاسع ميلاديين، مجلّة إنسانيات، العدد: 60-61، أفريل-سبتمبر 2013م.
- 330- بن عليّ طاهر، عوامل الانتشار والتمكين للمذهب المالكي في الأندلس، مجلّة الدراسات التاريخية، العدد: 15 و16، 2012-2013م.
- 331- عمارة علاوة، الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلّة التاريخ العربي، العدد: 24، 2003م.
- 332- _____، التطوّر العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط، مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 26، سبتمبر 2008م.
- 333- عمارة علاوة وموساوي زينب، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلّة إنسانيات، عدد مزدوج: 44-45، سبتمبر 2009م.
- 334- بن عمر علّال، حاضرة أسوف وأريغ ومكانتهما في الفكر الإباضي من القرن 2هـ/8م إلى القرن 6هـ/12م، مجلّة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد: 17، ديسمبر 2017م.
- 335- فرحات عبد الوهّاب، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوّف المغربي، مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد: 18، العدد: 1، فيفري 2003م.
- 336- لقبال موسى، زناة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلّة الأصالة، العدد: 26، السنة: 4، جويلية-أوت 1975م.
- 337- مدشل صلاح علي، الزيدية والتأويل "الإمامة نموذجاً"، مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خضرموت، العدد: 8، المجلد: 13، أكتوبر 2015م.
- 338- بن معمر محمّد، حفريات في تاريخ قلعة هوارا من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلّة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد: 12، ديسمبر 2017م.
- 339- نصير محمّد، دور الباقلاني في تلقين الأسانيد الأشعرية ببلاد المغرب، أعمال الملتقى الدولي الأوّل المنعقد بتطوان بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الإمام أبي ذرّ الهروي، الموسوم بـ "الفكر الأشعري بالمغرب خلال مرحلتي التأسيس والترسيم-المؤثرات المشرقية والخصوصيات المحليّة"، إصدارات الرابطة المحمدية للعلماء، تنسيق: جمال علال البخيتي، الرباط-المغرب، 2017م.

- 340-المطاي علي، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد: 12، ديسمبر 2017م.
- 341-وابل أحمد، سياسة الإمبراطور سيفيريس في تطوير منطقة الونشريس، أبحاث اليومين الدراسيين حول التراث والإقليم، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 17-18 ماي 2015م.
- 342-وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد: 45، 1387هـ/1977م.
- 343-بن يحيى مصطفى وبوشنافي محمد، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ": دراسة في المصادر والمنهج، مجلة عصور الجديدة، المجلد: 10، العدد: 4، ديسمبر 2020م.
- المعجم والفهارس:**
- 344-أوسوس محمد، معجم حيواني (فرنسي-أمازيغي-عربي)، مؤسسة تاوالت الثقافية، كاليفورنيا-الولايات المتحدة الأمريكية، د.ت.
- 345-بجاز إبراهيم وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحديث-قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 2000م.
- 346-بجاز إبراهيم وآخرون، معجم مصطلحات الإباضية، مطابع النهضة، عُمان، 2008م.
- 347-شفيق محمد، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط-المغرب، 1996م.
- 348-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م.
- 349-محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر-قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2006م.
- 350-ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم تـ. 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت.

351-ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق تـ. 380هـ/990م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1978م.

الدراسات باللغة الأجنبية:

352-Ailler (C.), Tahart et les origines de l'imamat rustumide: matrice orientale et ancrage local, Annales islamologique, N. 45, 2011.

353-Allaoua (A.), L'ibadisme et la malikisation du Maghreb central: étude d'un processus long et complexe (IVe-VIe/Xe-XIIe siècle), dans L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval: Modèles et interactions, Walter de Gruyter, 2018.

354-—————, Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval: l'exemple du pays des Kutama, in Alborán, Poblamiento e intercambios en la zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, Granada, Bilal Sarr (éd.), 2018.

355-—————, Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibâdites du Zâb (VIIIe-XIVe siècle), Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N. 132, 2012.

356-Amat, Ch., Le m'Zab et les mozabites, Librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1888.

357-Basset (R.), Étude sur la Zenatia du Mzab de Ouargla et de l'Oued Rer', Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1893.

358-—————, Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central, Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1895.

359-—————, Nédrimah et les Tarars, Publication de l'école des lettres d'Alger, Paris, 1901.

360-—————, Recherches sur la religion des Berbères, Revue de l'histoire des religion, T. 61, 1910.

361-Bernard (M.), Les Djedar de la Haute-Mina, Revue Africaine, N. 1, 1856.

362-Beylié (G.) de, La Kalaa des Beni-Hammad –une capitale berbère de l' Afrique de Nord au IX^e siècle-, Ernest Leroux, Paris, 1909.

363-Bouattou (B.), Le Soufisme en Algérie: Initiation à la sociologie religieuse, Dar essabil, Alger, 2013.

364-Bourouiba (R.), Oran, Edition Benmerabet, Alger, 2013.

365-Brahim (Z.), (1987), L'imamat de Tahert, premier état musulman du Maghreb (144/296 de l'hegrie), Edition l'Harmattan, Paris.

366-Brugnatelli (V.), La morphologie des noms Berbères en w- Considérations diachroniques, Actes du 1^{er} congrès Chamito-Sémitique de

- Fès, 12-13 mars 1997, Publications de la Faculté des Sciences Humaines Saïs-Fès, 1998.
- 367-Brunschvig (R.), Sur la doctrine du Mahdi ibn Tumart, Arabica, 1955, Vol. 2, T. 2.
- 368-Bugéja (M) et Rousseau, Le Serssou, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3^e trimestre, 1904.
- 369-Cadenat (P.), Recherche à Tihert-Tagdempt 1958-1959, Bulletin d'Archéologie Algérienne, T. VII, 1977-1979.
- 370-Cambuzat (P. L.), L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII^e au XI^e siècle, Office des publications universitaires, Alger, 1986, t. 1.
- 371-Canal (J.), Tiaret (Monographie ancienne et moderne), Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, T. 20, 1990.
- 372-Chafik T. Benchekroun et Ludovic Liétard, Les Idrissides à la lumière de fulūs frappes à Volubilis et Tahert, Arabica, N. 62, 2015.
- 373-Delheure (J.), Dictionnaire Mozabite-Français, Paris, 1984.
- 374-Derrier (C.), La région algérienne, Bulletin de la Société de Géographie (France), Septième série, T. 6, 1885.
- 375-Esquer (G). et Boyer (P.), La Chronique d'Abu Zakariyya al-Wargalani, Revue Africaine, Vol. 104, 1960.
- 376-Fekhar (B.), Les communautés ibadites en Afrique du Nord (Libye, Tunisie et Algérie) depuis les Fatimide, Thèse de Doctorat d'État, Université de Paris - Sorbonne, Rapporteur: Claude cahen, 1971.
- 377-Ficheur (E.), Le crétaé inférieur dans le massif des Matmatas (Alger), Bulletin de la Société Géologique de France, N.8 , 1900.
- 378-Fournel, (P. H.), Les Berbères (Etudes sur la Conquête de l'Afrique par les Arabe, d'après les textes arabes imprimés), L'imprimerie nationale, Paris.
- 379-Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique du Nord – les siècles obscures -, Payot, Paris, 1937.
- 380-Goldziher (I.), Mohammed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au XI^e siècle, Imprimerie orientale Pierre Fontana, Alger, 1903.
- 381-Golvin (L.), Le Maghrib central à l'époque des Zirides, Arts et métiers graphiques, Paris, 1957.
- 382-—————, Note sur le mot ribât' (terme d'architecture) et son interprétation en Occident musulman, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, N. 6, 1969.
- 383-Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, Paris, 1911.

- 384-Haddadou (M. A.), Dictionnaire des racines Berberes communes (Suivi d'un index français- berbère des termes relevés), Haut-Commissariat à l'Amazighité, Tizi-Ouzou, 2007.
- 385-Lacroix (N.), Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel, *Revue Africaine*, N. 272-273, 1909.
- 386-Laporte, (J. P.), Siga et l'île de Rachgoun, *L'Africa romana, Mobilità delle persone e dei popoli, dinamiche migratorie, emigrazioni ed immigrazioni nelle province occidentali dell'Impero romano*, Atti del XVI convegno di studio, Rabat, 15-19 décembre 2004.
- 387-—————, Ketama, Kutama (Kutâma, Kotama, Ketama, etc.), *Encyclopédie berbère*, N. 27, 2005.
- 388-Lavoix (H.), Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque nationale: Espagne et Afrique, Imprimerie nationale, Paris, 1891.
- 389-Lewicki (T.), Le repartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au moyen-âge, *Rocznik Orientalistyczny*, T. 21, 1957.
- 390-—————, Les Historiens, Biographes et Traditionnistes Ibadites-Wahbites de l'Afrique du Nord du VIIIe au XVIe Siècle, *Folia Orientalia*, N. 3, 1961.
- 391-—————, L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle, *Cahiers d'études africaines*, vol. 2, n°8, 1962.
- 392-—————, Un royaume ibâdite peu connu : l'État des Banû Masâla, *Rocznik Orientalistyczny*, 1968.
- 393-—————, The Ibādites in Arabia and Africa, *Cahiers d'Histoire Mondiale*, V. 13, 1971.
- 394-Liétard (L.), Two Rustamid Fulus struck in Tiharat and Tilimsin, *Journal of the Oriental Numismatic Society*, N. 220, 2014.
- 395-Lowck (N.), Monnaies des Sulaymānides de Sūq Ibrāhīm et de Tanas (Ténès), *Revue numismatique*, T. 25, 1983.
- 396-Marçais (G.), Recherches d'archéologie musulmane, *Revue Africaine*, N° 312-313, 1922.
- 397-—————, La Berbérie au IXe siècle d'après El-Ya'qoûbî, *Revue Africaine*, N° 386-389, 1941.
- 398-Masqueray (E.), Chronique d'Abou Zakaria, Imprimerie de l'association ouvrière V. Aillaud, Alger, 1879, 1879.
- 399-Mercier (E.), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Ernest Leroux, Paris, 1888, t.1.

- 400-Motyliniski (A). de (C)., Le Djebelle Nafousa, Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1898.
- 401-Niox (C.), Algérie: Géographie physique, Imprimerie L. Baudoin, Paris, 1884.
- 402-Perrin (R.), Le Sersou: Etude de géographie humaine (Premier article), Méditerranée, 1e année, N.2-3, 1960.
- 403-Prevost (V.), La révolte de Bagaya (358/969): le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Eastern Studies, Vol. 65, N.3, 2006.
- 404-—————, L'influence de l'État rustumide dans le Sud tunisien, Acta Orientalia, vol. 68, 2007.
- 405-—————, Abd al-Rahman ibn Rustum al-Farisi: une tentative de biographie du premier imam de Tahart, Der Islam, N. 86, 2011.
- 406-—————, L'apport des sources ibadites à la toponymie médiévale du Nafzāwa (Sud Tunisien), Al-Andalus Maghreb, N. 19, 2012.
- 407-—————, Ibadisme et sufrisme dans le Maghreb central, dans Histoire générale de l'Algérie. L'Algérie médiévale, Sous la direction de: Touati Houari, Zaytūn, Alger, 2014.
- 408-Rodet (C.), Les ruines d'Achir, Revue Africaine, N° 268, 1908.
- 409-Vonderheyden (E.), La berbérie orientale sous la dynastie des Benou Al-Arlab, Librairie orientaliste Paul Guethner, Paris, 1927.
- 410-Vuillemot, (G.), Siga et son port fluvial, Antiquités africaines, N. 5, 1971.
- 411-Welsch (M.), Les terrains jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saïda (Département d'Oran, Algérie), Bulletin de la Société de Géographie (France), Troisième série, T. 18, 1889-1990.
- 412-Wilk (M.), Le malikisme et les Omeyyades en al-Andalus. Le droit et l'idéologie du pouvoir, Annales islamologiques, N. 45, 2011,
- 413-Xavier (Y.), Les bureaux arabes (Dahra, Chéelif, Ouarsenis, Sersou), Edition Larose, Paris, 1953.

الفهارس

-أ-

أحمد بن عبد الصّمد الأنصاري، أبو جعفر: 197.
 أحمد بن عبد الله بن خميس الأزدي، أبو جعفر: 201.
 أحمد بن عليّ الربعي، أبو العباس: 177.
 أحمد بن عيسى بن إبراهيم: 93.
 أحمد بن قاسم التاهرتي، أبو الفضل: 185.
 أحمد بن محمّد بن سليمان: 85.
 أحمد بن مكّي البسكري، أبو العباس: 204.
 أحمد الوهراني، أبو جعفر: 178.
 إدريس بن إبراهيم: 8، 154، 155، 156.
 إدريس بن إدريس: 79، 80، 84، 85، 96، 101، 102، 139.
 إدريس بن عبد الله: 11، 12، 49، 50، 54، 77، 78، 79، 81، 82، 83، 84، 100، 101، 141.
 إدريس بن محمّد بن سليمان: 87.
 إسحاق بن محمّد المعتزلي: 82.
 إسماعيل بن جعفر الصادق: 34.
 إسماعيل بن درّار الغدامسي: 45.
 إسماعيل بن عبيد الأنصاري القيرواني: 45.
 إسماعيل بن عبيد الأنصاري المشرقي: 45.
 إسماعيل بن نصر المعادي: 133، 135.
 الإصطخري إبراهيم بن محمد: 172، 173.
 إلياس بن حبيب الفهري: 104.
 الأشعري عليّ بن إسماعيل اليماني، أبو الحسن: 18، 38.
 الأصمّ يحيى بن يوسف: 134.
 اطفيش محمّد بن يوسف: 130.

إبراهيم بن أحمد الأغلي: 146.
 إبراهيم بحاز: 4، 19.
 إبراهيم البسكري: 184.
 إبراهيم التهامي: 19.
 إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي، أبو إسحاق: 176.
 إبراهيم بن عبد الله الحسيني: 49.
 إبراهيم بن عيسى بن محمّد بن سليمان: 89.
 إبراهيم فخار: 4.
 إبراهيم بن محمّد البربري: 91، 131.
 إبراهيم بن محمّد بن حبوس، أبو إسحاق: 195.
 إبراهيم بن محمّد بن سليمان: 91، 93.
 أبو إبراهيم بن موسى بن العباس: 149.
 إدريس عماد الدين بن الحسن: 12.
 الإدريسي محمّد بن محمّد الشريف، أبو عبد الله: 17، 27، 152.
 ابن الأبار محمّد بن عبد الله البلسني، أبو عبد الله: 14.
 ابن الأثير عليّ بن أبي الكرم: 8، 209.
 أحمد بن أبي عون: 175.
 أحمد بن الحسين التميمي: 177.
 أحمد بن الحسين الطرابلسي المطلبي، أبو زياد: 122.
 أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي القسنطيني، أبو العباس: 203.
 أحمد بن خلوف أو خلف المسيلي، أبو جعفر: 179.

الأغلب بن سالم التميمي: 59.

أفاح بن عبد الوهّاب الرستمي: 112، 119.

أفاح بن هارون العبّاني الملوّسي: 133.

أمّ موسى بنت الحلواني: 133.

أميمة بنت يغروسن: 212.

الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو:

50.

-ب-

باديس بن المنصور الزيري: 181.

الباقلاني محمّد بن الطيب: 207، 208.

البرهاري الحسن بن عليّ، أبو محمّد: 18.

بريفوست فيرجيني (Prevost Virginie):

21.

ابن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي،

أبو القاسم: 14، 15، 185، 200.

ابن بطريفة إسحاق بن إبراهيم الصايغ،

أبو العباس: 137.

البغدادى عبد القادر بن طاهر، أبو منصور:

18.

البغطوري مقرين بن محمد النفوسي: 71.

أبو بكر بن أفاح الرستمي: 107.

بكر بن حمّاد الزناتي التاهرتي،

أبو عبد الرحمن: 136.

أبو بكر الصديق: 34.

البكري عبد الله بن عبد العزيز: 16، 24،

27، 72، 77، 87، 91، 112، 128، 136،

199، 205، 218، 226.

بلال بن عبد الله الحبشي: 215.

بلكين بن زيري: 167، 168، 180.

البوري بن موسى بن أبي العافية: 157.

بيان بن صقلان: 147، 148.

البيدق أبو بكر بن عليّ الصنهاجي: 203.

-ت-

تاديوش لوفيتشكي (Tadeusz Lewicki):

20، 111.

التامغلي عبد الله بن محمّد الأنصاري،

أبو محمّد: 195.

تبغورين بن عيسى الملسوطي: 223.

تكفات زوجة أبي قرّة المغيلي: 64.

تميم بن المعتزّ الزيري: 192.

تميم بن فحل: 146.

-ث-

الثوري سفيان بن سعيد، أبو عبد الله: 50،

51، 52.

-ج-

جابر بن زيد: 116.

جعفر بن عليّ الأندلسي: 148، 167،

168، 178، 183.

جعفر بن عليّ بن حمدون الأندلسي: 167،

168.

جميل بن كريب، أبو كريب: 105.

جنون بن يمران، أبو صالح: 160، 226.

الجهم بن صفوان الراسبي: 35.

جودت عبد الكريم يوسف: 19.

جوهر الصقلي: 12، 158، 173.

-ح-

أبو حاتم بن أبي اليقظان الرستمي: 8، 103،

109.

- حمّود بن عليّ بن محمّد بن سليمان: 88.
 أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي: 41، 50.
 حنظلة بن صفوان الكلبي: 57.
 أبو حوَال بن أبي العباس الأغلبي: 149.
 ابن حوشب الحسن بن فرج الكوفي: 140،
 145.
 ابن حوقل محمّد بن عليّ البغدادي،
 أبو القاسم: 16، 86، 90، 92، 94، 128،
 166.
 حيُّ بن تميم: 146.
 ابن حيّان حيّان بن خلف القرطبي: 8، 154.
 حيدرة بن محمّد الكتامي: 13.
 -خ-
 خالد بن حميد الزناتي: 57، 101.
 ابن الخراط عبد الحقّ بن عبد الرحمن
 الإشبيلي، أبو محمّد: 198، 205، 213.
 خزر بن حفص بن صولات المغراوي: 100.
 ابن الخشاب إبراهيم بن يونس، أبو إسحاق:
 137.
 ابن خلدون عبد الرحمن: 9، 27، 55، 56،
 63، 65، 76، 77، 101، 105، 106،
 110، 113، 171، 172، 181، 191،
 192، 227.
 خلف بن السمح المعافري: 114.
 خلفون النوفلي، أبو سعيد: 183.
 ابن خياط خليفة الليثي: 7، 98.
 الخير بن محمّد بن خزر المغراوي: 155.
 -د-
 أبو داود القبلي النفزاوي: 45.

- الحارث بن أسد المحاسبي: 214.
 حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب: 104،
 105.
 حجّاج بن سكاتة الجزائري، أبو يوسف:
 201.
 حجّاج بن يوسف الجزائري: 215.
 ابن حزم عليّ بن أحمد، أبو محمّد: 43، 64،
 88، 174، 205، 206.
 الحسن البصري: 35.
 الحسن بن زولاق، أبو محمّد: 12.
 الحسن بن سليمان الحسيني: 79، 84، 94،
 95، 132، 158، 232.
 حسن بن عبد الله الأشيري، أبو بكر: 199.
 حسن بن علي المسيلي، أبو عليّ: 198،
 197، 206، 213.
 الحسن بن علي بن أبي طالب: 33، 34.
 الحسن بن هارون الغشمي: 147.
 الحسين بن حاتم الأذري، أبو عبد الله: 208،
 209.
 الحسين بن عليّ بن أبي طالب: 33.
 الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث: 81.
 الحسين بن منصور الحلاج: 40.
 الحلواني عبد الله بن عليّ: 120، 133،
 134، 140.
 حمّاد بن بلكين الصنهاجي: 10، 174،
 181، 221، 222، 233.
 حمزة بن إدريس: 85.
 حمزة بن الحسن بن سليمان: 95.
 حمزة بن عليّ بن يحيى: 158.

ابن أبي زرع عليّ بن عبد الله الفاسي،
أبو الحسن: 9.

أبو زكرياء المديوني: 218.

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: 10، 44، 45،
66، 67، 68، 71، 72، 121، 128،
160، 190.

أبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي: 211.

ابن زكوان حسن بن إبراهيم، أبو عليّ:
199.

الزواوي يحيى بن أبي عليّ، أبو زكرياء:
206، 214.

ابن الزيّات يوسف بن يحيى التادلي،
أبو يعقوب: 14.

زياد المتوسي: 146.

زياد بن الأصفر: 31.

زيادة الله بن أبي العباس الأغلي: 149.

زيد بن عليّ زين العابدين: 33.

زيري بن عطية المغراوي: 173، 179،
180.

زيري بن مناد الصنهاجي: 158، 166،
167، 168.

-س-

سبتموس سيفيروس (Septimius
Severus): 67.

سحنون بن سعيد التنوخي، أبو سعيد: 136،
137، 196.

سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر: 180.

سعيد بن خلف الوهراني: 175.

سعيدة لوزري: 4، 19.

داود بن عليّ الأصهباني، أبو سليمان: 43.

داود بن يزيد بن حاتم: 107.

الداودي أحمد بن نصر الأسدي، أبو جعفر:
175، 195، 209.

الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري،
أبو زيد: 15.

الدرجيني أحمد بن سعيد، أبو العباس: 11،
66، 67، 68، 222.

دوّاس بن صولات اللهيصي: 152.

الديباجي عبد الجليل بن أبي بكر: 195،
209.

-ذ-

أبو ذر الهروي: 208.

الذهبي محمد بن أحمد: 208.

-ر-

الرازي أحمد بن سهل: 11، 78، 82.

راشد مولى إدريس بن عبد الله: 81، 82.

الربيع بن حبيب الفراهيدي: 116، 118،
119.

ابن رسته أبو أحمد بن عمر: 85.

الريق إبراهيم بن القاسم القيرواني،
أبو إسحاق: 12، 56، 98، 99، 106.

ابن الرمّانة محمد بن عليّ، أبو عبد الله:
213.

روح بن حاتم المهلي: 51، 82.

روني باسي (René Basset): 20، 63، 86.

-ز-

أبو زرجونة الورفجومي: 106.

-ط-

ابن الطبنة حمدون بن عبد الله، أبو عبد الله:
137.

أبو طاهر البسكري: 204.
الطاهر بونابي: 4، 20.

-ع-

عادل نويهض: 20.

عاصم السدراتي: 45، 60.

عاصم بن جميل: 104، 105.

عامر بن محمد القيسي: 138.

أبو العباس بن إبراهيم الأغلبي: 149.

عبد الأعلى بن السمح المعافري،
أبو الخطاب: 45، 66، 106.

ابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي:
199.

عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن: 18.

ابن عبد الحكم عبد الرحمن: 7.

عبد الرحمن بن زيادة الله الطيني، أبو الحسن:
185.

عبد الرحمن الداخل: 62، 63، 64.

عبد الرحمن المقرئ: 215.

عبد الرحمن الميلي: 203.

عبد الرحمن الناصر: 8، 157، 158، 170،
171، 172، 175.

عبد الرحمن بن المعلى: 222.

عبد الرحمن بن حبيب الفهري: 7، 58، 59،
98، 99، 104.

عبد الرحمن بن رستم: 10، 21، 44، 45،
47، 62، 66، 67، 68، 69، 70، 71.

أبو سفيان الحسن بن القاسم: 133، 134،
140.

ابن سلام لوّاب بن عمرو اللواتي: 10.

السلفي أحمد بن محمد، أبو طاهر: 195.
سلمة بن سعيد: 44، 45، 47.

سليمان بن ذُراق المدهمي الهواري: 98، 99.
سليمان بن عبد الرحمن الصنهاجي،
أبو الربيع: 212.

أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح: 159،
160.

ابن سمجون عبد الله بن عليّ، أبو محمد:
199.

سوار بن كيسان، أبو القاسم: 176.

-ش-

ابن شدّاد عبد العزيز الصنهاجي: 8.

شعيب بن المعروف، أبو المعروف: 115،
118، 119.

الشمّاخي أحمد بن سعيد، أبو العباس: 11،
68، 117.

الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح:
18.

-ص-

ابن الصغير: 7، 8، 25، 62، 73، 74، 76،
77، 78، 80، 83، 102، 103، 107،
108، 109، 110، 112، 113، 114،
115، 117، 119، 121، 122، 126،
128، 129، 130، 137.

الصقر بن أيّوب الفزاري: 98، 99.

- عبد الله بن أبي زيد القيرواني: 184، 200.
 عبد الله بن الصفار: 31، 32.
 عبد الله بن عباس: 44.
 عبد الله بن عبد العزيز: 115.
 عبد الله بن غانم الرعيبي: 51.
 عبد الله بن فروخ، أبو محمد: 51.
 عبد الله القلعي، أبو محمد: 195.
 عبد الله بن كلاب، أبو محمد: 38.
 عبد الله بن اللمطي: 129، 130.
 أبو عبد الله بن مجاهد الطائي: 207.
 عبد الله بن محمد بن إبراهيم: 94.
 عبد الله بن محمد الطيني، أبو محمد: 136.
 عبد الله بن محمد الزناتي، أبو محمد: 196.
 عبد الله بن محمد اللواتي، أبو محمد: 209.
 عبد الله بن محمد المقرري، أبو محمد: 196.
 عبد الله بن محمد الهمداني، أبو محمد: 200.
 عبد الله بن وهب الراسبي: 114.
 عبد الله بن يزيد الفزاري، أبو محمد: 17،
 115، 116.
 عبد الله بن يوسف الهمداني، أبو محمد:
 200.
 أبو عبد الملك علي بن مروان الأسدي البوني:
 178، 187، 203، 209.
 عبد الملك بن أبي الجعد النفزاوي: 105،
 106.
 عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي: 60.
 عبد المنعم بن عشير، أبو محمد: 201.
 عبد المؤمن بن علي: 194.
- 72، 73، 76، 95، 107، 117، 118،
 119، 231.
 عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الهمداني،
 أبو القاسم: 185.
 عبد الرحمن بن محمد البكري، أبو القاسم:
 184.
 عبد الرحمن بن يحيى القرشي، أبو القاسم:
 197.
 عبد الرحمن بن يوسف البجائي، أبو القاسم:
 213.
 عبد الرحيم بن جعفر المزياني: 199.
 عبد السلام التونسي، أبو محمد: 212،
 218.
 عبد العزيز بن محمد: 203.
 عبد الكريم بن عبد الملك الأزدي، أبو بكر:
 205.
 أبو عبد الله البسكري: 204.
 أبو عبد الله البوني: 214.
 أبو عبد الله الحسين بن أحمد الداعي: 5، 9،
 12، 120، 135، 140، 141، 142،
 143، 144، 150، 151، 152، 153، 154،
 163، 164.
 أبو عبد الله العربي: 214.
 أبو عبد الله الغديري: 191.
 عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب: 12.
 عبد الله بن إدريس: 87.
 عبد الله بن أباض التميمي: 32.
 عبد الله بن بكّار اليفرني: 172.
 عبد الله بن الحارث: 48.

العلاء بن محمد الأندلسي، أبو سهل: 177،
187.
علوان بن علوان: 137.
عليّ بن أبي طالب: 30، 33، 34، 143،
154.
عليّ بن حامد بن مرحوم الزناقي: 87.
عليّ بن حمدون الأندلسي: 165.
عليّ بن زياد العبسي، أبو الحسن: 51.
علي بن عبد الرحمن الترشكي، أبو الحسن:
202.
عليّ بن عبد الله الوهراني: 200.
عليّ بن عسلوجة: 146.
عليّ بن محمد بن سليمان: 87، 88.
عليّ بن محمد القابسي، أبو الحسن: 195،
208.
عليّ بن محمد القيسي، أبو الحسن: 201.
عليّ بن يحيى بن محمد السليماني: 157،
158.
عليّ بن يوسف بن تاشفين: 213.
عمارة علاوة: 21.
عمارة بن يحيى الشريف الحسيني، أبو طاهر:
197.
عمر بن الحسين الصابوني، أبو حفص: 195.
عمر بن حفص المهلي: 12، 56، 59، 60،
106.
عمر بن الخطاب: 34.
عمر بن عبد العزيز: 45، 50.
عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي،
أبو حفص: 202.

عبد الواحد بن محمد اللّخمي الجزائري،
أبو محمد: 201.
عبد الواحد بن يزيد الهوّاري: 57، 58،
104.
أبو العرب محمد بن أحمد التميمي: 13، 46.
ابن العجوز عبد الرحيم بن أحمد الكتامي:
194.
ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي،
أبو العباس: 9، 27، 55، 56، 71، 120،
153، 156، 180.
عبد الوارث بن حبيب الفهري: 104.
عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم: 10،
25، 66، 74، 76، 77، 78، 79، 82،
83، 110، 112، 114، 115، 117،
118، 119، 128، 129، 196.
عبيد الله المهدي: 150، 154، 155، 164،
165.
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي: 45،
47، 115، 116.
أبو عثمان بن أبي سوار: 194.
عثمان بن عفّان: 30.
عثمان بن عليّ التلمساني، أبو عمرو: 211.
ابن العربي محمد بن عبد الله المعافري،
أبو بكر: 202، 215.
أبو عبيد الله السليماني: 89، 91.
عُكّاشة بن أيوب الفزّاري: 57، 58، 104.
عكرمة مولى بن عباس: 44، 45، 46، 47.
العلاء بن سعيد المهلي: 106.

قاسم بن عبد الرحمان القسنطيني: 203.
 قاسم بن عليّ القسنطيني، أبو الفضل: 203.
 القاسم بن عيسى بن إبراهيم السليماني: 93.
 أبو القاسم بن أبي مالك: 195.
 أبو القاسم الورفجومي: 135، 143، 161.
 القائم بأمر الله، أبو القاسم بن عبيد الله
 المهدي: 150، 151، 165، 166.
 قدامة بن جعفر: 25.
 أبو قرّة المغيلي: 5، 7، 12، 54، 55، 56،
 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64،
 65، 66، 67، 77، 95، 97، 98، 100، 101،
 231.
 ابن أبي قرّة المغيلي: 60.
 القشيري عبد الكريم بن هوازن، أبو القاسم:
 214.
 القمّي سعد بن عبد الله: 17.
 قوتيه (Gautier): 20، 140.
 -ك-
 الكلاعي محمد بن عمّار، أبو عبد الله: 197.
 كلثوم بن عياض القشيري: 57.
 كلام بن حيّان (أو حيّاني) المغيلي: 163.
 -ل-
 لودوفيك ليتار (Ludovic Liétard): 21.
 لوويك (Lowck, N.): 21.
 -م-
 المارغني عثمان بن خليفة السوفي، أبو عمرو:
 17، 122، 160.
 المازوني موسى بن عيسى المغيلي، أبو عمران:
 15، 219.

عياض بن موسى اليحصبي، أبو الفضل: 13،
 14، 135، 138، 186، 195.
 عيسى بن إبراهيم بن محمد بن سليمان: 93.
 عيسى بن إدريس، أبو العيش: 156.
 عيسى بن عبد الله الحسيني: 49.
 عيسى بن عمير: 121، 122.
 عيسى بن محمد بن سليمان: 89.
 ابن أبي العيش الحسن بن عيسى السليماني:
 156، 157.

-غ-

الغبريني أحمد بن أحمد، أبو العباس: 15،
 198، 205، 206.
 الغزالي محمد بن محمد، أبو حامد: 202،
 212، 213، 214، 215، 229.
 غزّانة المطماطي: 163.

-ف-

فتح بن يحيى المسالتي: 146.
 فرح بن خيران الأجلاني: 146.
 الفرستائي محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله:
 222، 228، 234.
 فرحات الدشراوي: 19، 146.
 ابن الفرضي عبد الله بن محمد الأزدي،
 أبو الوليد: 14، 15، 177، 179، 186.
 أبو الفضل البسكري: 204.
 فضل بن مخلد بن كيداد: 167.
 فلفل بن خزر المغراوي: 165.
 -ق-
 القاسم بن أحمد السليماني: 85.
 أبو القاسم الزيّاني: 63.

- ماكنون بن ضبارة الأجابي: 149.
مالك بن أنس الأصبحي: 42، 50، 51، 52، 138.
المالكي عبد الله بن محمد، أبو بكر: 13.
أبو المؤرّج عمر بن محمد القديمي: 115.
المأمون بن هارون الرشيد: 126.
المتوكل جعفر بن المعتصم بالله: 126.
محرز بن خلف التونسي: 184.
ابن محشرة عليّ بن طاهر: 195، 197.
أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري: 206، 214، 215، 229، 233.
أبو مروان بن عبد الملك اليحصبي: 218.
المعزّ بالله معدّ بن إسماعيل الفاطمي: 158، 167، 168، 174، 180، 181، 191، 221.
المعز بن باديس الزيري: 191.
محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان: 92.
محمد بن أبي عون الأندلسي: 125.
محمد بن إدريس بن إدريس: 84.
محمد بن إسحاق الهواري: 111.
محمد بن الأشعث الحزاعي: 10، 66، 70، 107.
محمد بن الحسين الميورقي، أبو بكر: 204.
محمد بن حمدون الأندلسي، أبو عبد الله: 143.
محمد بن القاسم: 85.
محمد بن الموفق، أبو عبد الله: 214.
محمد بن جعفر القرطبي، أبو بكر: 200.
محمد بن جعفر: 84، 94، 95، 132، 232.
- محمد بن حمّاد: 103.
محمد بن خزر المغراوي (معاصر لأدريس الأوّل): 65، 83، 100.
محمد بن خزر المغراوي (معاصر للفاطميين): 155، 164، 165، 171، 172، 174.
محمد بن رباح: 103.
محمد بن سليمان: 25، 79، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 91، 113، 132، 140، 154، 156.
محمد بن سيرين: 36.
محمد بن عبد الحقّ اليفرنّي، أبو عبد الله: 199.
محمد بن عبد الرحمن التيجيبي، أبو عبد الله: 212.
محمد بن عبد الله النفس الزكيّة: 49.
محمد بن عبد الله الهمداني، أبو عبد الله: 206.
محمد بن عبدون الأندلسي: 125.
محمد بن عليّ البغدادي: 208.
محمد بن عليّ بن محمد: 87، 88.
محمد بن عمر المروذي: 151.
محمد بن عميرة: 3، 19.
محمد بن محيو الهواري التنسي: 212، 215، 218، 219.
أبو محمد بن نصر بن أبي البار: 177، 183.
محمد بن يوسف بن مفرج: 199.
محمود إسماعيل: 19.
مخلد بن كيداد اليفرنّي، أبو يزيد: 160، 161، 162، 167، 183.

موسى بن حجّاج الأشيري، أبو عمران:
201.
موسى بن عبد الله الأشعري، أبو بسلام:
209.
موسى لقبال: 3، 19، 147.
ميسرة المطغري: 56، 101.
ميسور الفتى: 156.
ابن ميمون أحمد بن محمد الأموي،
أبو جعفر: 179.
ميمون بن جبارة الفرداوي، أبو تميم: 197.
ميمون بن عبد الوهّاب الرستمي: 119.
-ن-
ابن ناجي أبو القاسم بن عيسى التنوخي،
أبو الفضل: 15.
أبو ناس بن عبد الصمد المغراوي: 219.
الناشئ الأكبر عبد الله بن محمد الأنباري،
أبو العباس: 17.
الناصر بن علناس الحمادي: 192.
نافع بن الأزرق: 31، 32.
نجدة بن عامر الحنفي: 46.
ابن النحوي يوسف بن محمد، أبو الفضل:
213.
النعمان بن صفر: 31.
النعمان بن محمد التميمي، أبو حنيفة: 12،
120، 135، 144، 146، 148، 152،
153.
نفاث بن نصر النفوسي: 114.
النوبختي الحسن بن موسى: 17.
النفوسي عمرو بن فتح، أبو حفص: 18.

المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن: 168.
مسعود الأندلسي: 117.
مسعود مزهودي: 4.
أبو مسعود بن العريف: 215، 219.
المسعودي عليّ بن الحسين: 25.
مسكراي (Masqueray): 68.
المسورّ بن هانئ الزناقي: 60.
مصادف بن جرتيل: 112.
مصالة بن حبوس المكناسي: 155.
معاوية بن أبي سفيان: 30.
معبد الجهني: 35.
أبو المفتش الإسماعيلي: 143.
المهدي بن تومرت: 190، 203، 205،
209، 210، 218، 233.
مهدي بن أبي كناوة: 146.
المنصور بالله إسماعيل بن أبي القاسم الفاطمي:
153، 163، 167، 183.
المنصور الزيدي: 82.
المنصور يعقوب بن يوسف الموحد: 205.
المنصور بالله بن الناصر الحمادي: 194.
المنصور بن بلكين الصنهاجي: 153، 154،
180.
المهلب بن يزيد بن حاتم: 106.
المهنا بن المخارق الطائي: 61.
موسى الكاظم بن جعفر الصادق: 34.
موسى بن أبي العافية المكناسي: 156، 157،
170، 171.
موسى بن العباس: 146.

يزيد بن فندين اليفريبي، أبو قدامة: 77، 78،
117، 118، 119.

يزيد بن عبد الرحمن القرطي، أبو الوليد:
204.

يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، أبو يوسف:
51.

يعقوب بن أفلح الرستمي: 159، 163.

يعقوب بن حبيب الملوزي، أبو حاتم: 10،
59، 60.

يعقوب بن سهلون الطرقي: 225.

أبو يعقوب بن محمد بن محيو الهواري: 218.

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: 16، 25، 66،
79، 85، 86، 88، 89، 90، 93، 94،
109، 110، 112، 166.

يعلى بن محمد اليفريبي: 163، 164، 172،
173.

أبو اليقظان بن أفلح الرستمي: 7، 79،
129.

اليقظان بن أبي اليقظان الرستمي: 163.

—ه—

هارون الرشيد: 81.

هارون بن النضر الريفني: 196.

هارون بن يونس المسالتي: 151.

هشام بن عبد الرحمن الداخل: 125.

هشام بن عبد الملك: 33.

هود بن محكم الهواري: 112.

الهيصم بن جابر: 46.

—و—

واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة: 35،
48.

الوراق محمد بن يوسف، أبو عبد الله: 9،
16، 120، 127، 142، 144.

الوسياتي سليمان بن عبد السلام، أبو الربيع:
10، 11، 175، 220، 222، 224.

—ي—

يجي بن إبراهيم بن عيسى السليماني: 89.

يجي بن القاسم: 203.

يجي بن خالد السهمي، أبو حاتم: 136.

يجي بن عبد الله الجمحي، أبو بكر: 200.

يجي بن عبد الله المغيلي، أبو زكرياء: 219.

يجي بن عبد الله الحسيني: 81، 82.

يجي بن علي الكتامي، أبو زكرياء: 203.

يجي بن علي بن يجي السليماني: 158.

يجي بن محمد القلعي، أبو زكرياء: 202.

يجي بن محمد بن إبراهيم السليماني: 92.

يزيد بن حاتم المهلبني: 65، 77، 100، 106،
107.

يزيد بن سكّوم الوهاصي: 105.

بنو تميم: 124، 142.	-أ-
تنواعة: 224.	الإثبج: 192.
بنو توجين أو يوجين: 174، 175، 193، 228.	أجانة: 146، 147.
-ج-	بنو أسد: 123، 142.
جزولة: 86.	أنجفة: 86.
جيملة: 145، 146، 147.	أنجرة: 86.
-ح-	الأندلسيون: 92، 125، 126، 137، 138، 177، 205.
بنو الحسن بن سليمان: 158.	أهل بسكرة: 204.
بنو حفص: 135.	أهل تمرنة: 221.
-خ-	أهل تيجس: 151.
الخراسانيون: 123.	أهل جبل توجان: 171.
بنو خزر: 99، 113.	أهل حصن تالغمت: 103.
بنو خزيمية: 123، 142.	أهل حصن ماواس: 162، 167.
بنو أبي خثير: 142.	أهل طبنة: 151.
-ر-	أهل وادي ميزاب: 234.
بنو راشد: 174.	أهل وارجلان: 209.
ربيعة: 142.	أوربة: 82، 83.
رياح: 192.	الأوس: 108.
بنو ريغة: 113، 220.	أوغمرت: 162، 167.
-ز-	-ب-
بنو زلغين: 224.	البربر: 24، 27.
زناتة: 3، 19، 24، 26، 77، 83، 91، 100، 101، 108، 112، 128، 164، 165، 166، 167، 168، 171، 172، 174، 180، 181.	بنو برزال: 162، 165، 167، 168، 179.
	-ت-
	ترجة: 86.
	تمطلاس: 91.

- بنو زنداج (أو زنداك): 112، 162.
 زوارة: 152.
 زواغة: 83، 108، 171، 224.
 زواوة: 152، 183، 190.
- س-
- سدراة: 109، 113، 167، 169، 224، 227.
 بنو سكتان: 145، 146، 147، 148.
 بنو سكفان: 145.
 بنو سليم: 123، 142.
 السليمانيون (بنو محمد بن سليمان): 25، 26، 83، 89، 91، 96، 113، 132، 140، 145، 154، 155، 232.
 سماتة: 134.
 بنو سنحاس: 220.
 بنو سيتن: 221.
- ص-
- الصقر: 125.
 صهيب: 125.
 صنهاجة: 26، 73، 76، 86، 95، 180، 183، 220.
- ض-
- بنو ضبة: 123.
- ع-
- بنو عائشة: 125.
 بنو عبد الصمد: 142.
- بنو عبد الواد: 174.
 عجيسة: 183.
 عدي: 192.
 العرب: 9، 27، 123، 124، 190، 192،
 بنو عفريت: 112،
 العلويون: 25، 42، 81، 97، 132، 133، 154، 155.
- غ-
- غشمان: 147، 148.
 غمارة: 83.
- ف-
- الفرس: 25.
- ق-
- قبائل الصحراء: 109.
 القرشيون: 123، 124.
 القرويون: 126.
- ك-
- كنامة: 3، 5، 12، 19، 22، 26، 120، 134، 140، 141، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 186، 190، 191، 232.
 الكر كدن: 125.
 بنو كملان: 161، 162، 165.
 الكواداموزي (Koidamousii): 141.
 الأكو توماني (Ucutumani): 141.

مغيلة: 55، 59، 62، 63، 65، 97، 100،
179، 180، 231.

مكناسة: 64، 83، 108، 162، 167،
171.

ملوسة: 134، 148.

بنو مناوة: 162، 167.

منداس: 73.

المور: 67.

بنو ميعاد: 135.

-ن-

نفاوة: 103، 105.

نفزة: 103، 125، 134.

نفوسة: 107، 115.

نمالة: 87.

-ه-

الهلاليون: 11، 192، 193، 228.

هواره: 108، 110، 111، 112، 161،

162، 165، 167، 171، 191، 220.

-و-

بنو واسين: 112، 171، 174، 175،

227.

بنو وانسوس: 64.

وجديج: 163، 164.

بنو ورتيجان: 111.

بنو ورزمار: 228.

كيانة: 165.

-ل-

لطاية: 146، 147.

لماية: 26، 69، 113.

لهيصة: 146، 147، 148.

لواتة: 108، 110، 163، 164، 171،

220.

-م-

بنو مالك: 142.

بنو ماوطي أو ماوطننت: 183.

متوسة: 146، 147.

بنو محمد بن جعفر: 94، 95، 132، 232.

بنو مرين: 174.

مزاتة: 109، 112، 128، 151، 162،

165.

بنو مسالة الهوارية: 110، 112.

مسالنة: 112، 146.

مستاوة: 161.

بنو مسقن: 125.

المشاركة: 126.

بنو مصاب أو ميزاب: 174.

مطماطة: 86، 91، 108، 163، 164،

171.

مغراوة: 9، 63، 65، 77، 83، 99، 113،

166، 168، 172، 173، 174، 193،

219، 222، 224.

ورفجومة: 103، 104، 105، 106، 135،
161.

بنو وركلا: 113، 224.

بنو ورياكل: 218، 224.

ولهاصة: 105.

بنو ويليل: 224.

-ي-

يادين: 227.

يرناتن: 95، 167.

يزناسن: 171.

يفرن: 9، 55، 59، 64، 65، 67، 77،

83، 97، 100، 160، 171، 172، 173،

174، 231.

- أشیر: 166، 167، 179، 180، 181.
- الأصنام: 58.
- أغرم أن يكامن: 225.
- أغلان: 226.
- أغمات: 212.
- الأغواط: 69، 103، 167، 172، 187.
- إفران: 225، 226.
- إقليم ريغ: 196.
- أم البواقي: 150.
- أم الطيور: 113.
- انجان: 225.
- الأندلس: 14، 15، 27، 63، 64، 73، 74، 79، 125، 156، 158، 168، 170، 174، 177، 179، 180، 182، 185، 186، 187، 194، 195، 196، 197، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 207، 208، 209.
- أوبدوم نوفوم (Oppidum Novum): 92.
- أوجيست: 151.
- أوزاغت: 225.
- ايعاسن: 224.
- ب—
- باتنة: 56، 161.
- بادس: 24.
- باغاية: 24، 123، 137، 151، 154، 165، 177، 190، 193.
- أ—
- إستيحة: 201.
- الإسكندرية: 195، 203.
- إشبيلية: 178، 197، 198، 199، 200، 202، 203، 206، 212، 215.
- إفريقيّة: 7، 12، 13، 25، 57، 58، 78، 97، 98، 99، 104، 133، 135، 136، 138، 146، 148، 161، 174، 180، 182، 183، 186، 192، 194، 203، 208، 227.
- إفكان (عين افكان حاليًا): 172، 173.
- إيزرج: 91، 131.
- آجلو: 223، 224.
- آفلو: 69.
- أبركان: 156.
- أحفير: 156.
- أذنة: 24، 25، 166.
- أرزيو: 90، 217.
- أرشقول (اسم لمدينة وجزيرة): 88، 89، 155، 156، 157.
- أريغ: 10، 11، 113، 162، 168، 169، 192، 193، 209، 221، 222، 223، 224، 226، 228، 229، 233، 234.
- أسوف: 10، 113، 162، 168، 169، 187، 193، 221، 226، 229، 233، 234.
- أشونة: 201.

- بجّانة: 178.
- بجاية: 15، 26، 27، 150، 190، 194، 196، 197، 198، 204، 205، 206، 210، 213، 214، 218، 232.
- برقة: 209.
- بريكة: 56.
- بسكرة: 24، 127، 167، 191، 193، 204، 215.
- البصرة: 31، 35، 36، 38، 45، 47، 49، 81، 115، 116، 136، 185، 207، 208.
- بعلبك: 50.
- بغداد: 38، 41، 43، 81، 176، 185، 203، 207، 208.
- بلاد الجريد: 11، 21، 67، 69، 80، 113، 128، 162، 213، 221.
- بلاد الزاب: 9، 10، 24، 59، 60، 79، 80، 84، 94، 106، 112، 113، 121، 124، 127، 135، 136، 137، 144، 162، 164، 165، 167، 168، 174، 178، 179، 192، 193، 220، 221، 227.
- بلاد سُمّاتة: 143.
- بلاد السودان الغربي: 73، 80، 169.
- بلاد السوس: 56، 203.
- بلاد الشلف السفلى: 61، 80.
- بلاد الشلف العليا: 61.
- بلاد قسطيلية: 67، 160.
- بلاد كتامة: 5، 9، 12، 19، 21، 120، 121، 134، 135، 140، 141، 142، 143، 146، 147، 148، 149، 150، 153، 154، 167، 186، 190، 232.
- بلاد متيجة: 84، 94، 95، 132، 232.
- بلاد مغيلة: 61.
- بلخ: 185.
- بلدة اعمر: 113، 223.
- بلزمة: 124، 142، 146، 150، 232.
- بلنسية: 197، 200، 201.
- بنطوس: 127.
- بنورة: 229.
- بني حوّة: 219.
- بني عزيز: 144، 145، 149.
- بوجحيج: 109.
- بودخان: 113.
- بوسعادة: 162.
- بوطي السايح: 95.
- بونة: 26، 27، 150، 177، 186، 190، 201، 208، 215، 218، 232، 233.
- بثر الكاهنة: 226.
- بيروت: 50.
- البيرين: 95.
- بيطام: 56.

95، 97، 98، 99، 100، 102، 132،
 138، 156، 157، 172، 174، 175،
 179، 184، 197، 198، 199، 206،
 210، 211، 212، 231، 233.
 تلول منداس: 61، 80، 163.
 تماسين: 222.
 تماواط: 225.
 تمرنة: 221.
 تمطلاس: 91.
 تندلة: 221.
 تنس: 83، 91، 92، 93، 94، 125،
 154، 155، 157، 171، 176، 215،
 217، 218.
 قهودة: 24، 124، 135، 136.
 تورغا: 66.
 توزر: 67، 160، 162، 213.
 تونس: 51، 149، 177، 184، 212.
 تونين: 226.
 تيارت: 61، 67.
 تيجديت: 222.
 تيجس: 150، 151، 232.
 تيسر سيرين: 226.
 تيسمسيلت: 164.
 تيلغمت: 103.
 تين باماطوس: 224، 226.
 تين تمصوين: 225.

-ت-

تاجنة: 93.
 تازورت (اسم هضبة وقلعة): 147، 148،
 149.
 تاسفا (مشهورة بالعلويين): 90، 155،
 171.
 تاسلونت: 108، 109.
 تاغيارت: 225.
 تاقدمت: 72، 73، 74.
 تالا عيسى: 226.
 تالا: 134، 160.
 تاماست: 224.
 تامرست: 226.
 تامز كيدا: 167.
 تامسنا: 61، 62.
 تامسنت: 151.
 تبسة: 24، 176.
 تدلس: 201.
 تدمير: 177.
 تركستان: 81.
 ترنانا: 86، 87، 156.
 تقرت: 222.
 تكوش: 218.
 تلمسان: 7، 24، 25، 26، 55، 57، 58،
 59، 60، 61، 62، 64، 65، 77، 78،
 79، 83، 85، 86، 87، 88، 89، 90.

جبال اللوح: 61.
 جبال مطماطة: 164.
 جبال الناظور: 70، 80، 95، 109، 110،
 231.
 جبال الونشريس: 61، 63، 67، 80، 95،
 108، 111، 152، 163، 164، 231.
 جبّالة: 86.
 جبل إكجان: 144، 145، 146، 148،
 149.
 جبل الأوراس: 24، 26، 103، 105،
 112، 161، 165، 167، 176، 183،
 193، 220.
 جبل بيسة: 219.
 جبل توجان: 110، 171.
 جبل جزول (فزول حالياً): 72، 80، 108،
 164.
 جبل دراك (دراف حالياً): 164.
 جبل زكار: 61، 112، 166.
 جبل سآلات: 162.
 جبل سوفجج: 5، 10، 21، 68، 69، 70،
 71، 72، 95، 231.
 جبل عجيسة (المعاضيد حالياً): 181.
 جبل قيطري: 227.
 جبل كريكرة: 164.
 جبل مديونة: 76، 112.
 جبل مستاوة: 161.

تين ثلاث: 222.
 تين وال: 223، 224.
 تين يسلي: 223.
 تيهرت: 5، 7، 8، 10، 19، 25، 27، 61،
 62، 66، 67، 69، 70، 71، 72، 73،
 74، 75، 76، 78، 79، 80، 90، 94،
 95، 102، 103، 107، 108، 109،
 112، 115، 117، 118، 119، 121،
 122، 126، 128، 129، 130، 131،
 136، 137، 138، 152، 159، 160،
 163، 164، 165، 168، 171، 172،
 176، 185، 187، 231، 232، 233.

-ج-

جامعة: 221، 222.
 جبال البابور: 141، 142.
 جبال تلمسان: 89.
 جبال التيطري: 166، 167، 180.
 جبال تيهرت: 128.
 جبال جرجرة: 142، 232.
 جبال بني راشد (جبال عمور حالياً): 26،
 113.
 جبال الرمكة: 61.
 جبال بني شقران: 111.
 جبال الشلف: 215، 219.
 جبال فرندة: 80، 108، 109، 110.
 جبال كتامة: 190، 229.

حوض الشلف: 90، 164.

-خ-

خراسان: 185، 208.

الخضراء: 92، 93، 154، 166، 167.

خميس مليانة: 93.

خميسي: 164.

خوزستان: 150.

-د-

دار ملول: 193.

داريا: 200.

دانية: 178.

الدحموني: 61.

الدرمون: 226.

الدكاكير: 226.

دكالة: 202.

دكمة: 151.

دمشق: 200، 208.

الديلم: 81.

-ر-

رأس الحمراء: 218.

رقادة: 150، 153.

الرقّة: 30.

الرهبان: 212.

-ز-

جبل نفوسة: 128، 223.

جبل يعود أو يغود: 164.

جراوة: 156، 157.

جزائر بني مزغنة: 26، 166، 201، 213، 215.

الجزائر: 28، 87.

جزيرة جربة: 163، 223.

جزيرة صقلية: 209.

جزيرة ميورقة: 205.

الجلفة: 95.

جيغل: 142، 143.

-ح-

حاسي الرمل: 103.

الحامة: 67، 223، 162.

الحجاز: 49، 52، 81، 185.

حصن ابن كرام: 92، 93، 94، 112، 124، 166، 167.

حصن بادس: 193.

حصن بشر: 193.

حصن تالغمت: 103.

حصن قطنيانة: 206.

حصن لواتة: 108.

حصن ماواس: 162، 167.

حصن مصادف بن جرتيل: 166.

حمص: 120، 136.

حنّاشة: 93.

سوق حمزة: 84، 94، 95، 132، 158،
232.

السوق: 70، 231.

سيدي الأخضر: 93.

سيدي عمر: 109.

سيقا (Siga): 89.

سيوسيرات: 27.

-ش-

الشام: 50، 57، 120، 136، 150.

شرشال: 217.

شط الجريد: 104.

شطوط وادي أسوف: 113.

شعبة هواره: 109.

شلف: 171.

الشهبونية: 61.

-ص-

صيرة: 153.

صفيين: 30، 33.

صلب الفتح: 218.

صنعاء: 120.

-ط-

طبنة: 12، 24، 56، 59، 60، 61، 123،

137، 151، 164، 177، 180، 192.

طرابلس: 60، 66، 98، 99، 114، 122،

177، 179، 185.

طرفاوي: 113.

الزهراء: 176.

-س-

سبتة: 194، 199، 212.

سبثاف: 69.

سجلماسة: 71، 73، 102، 103، 150،

160، 211، 213.

سدراتة إيزوزام: 160، 169.

سدراتة: 168، 169، 176، 225، 226،

227، 228، 229، 233، 234.

سرت: 25.

سرقسطة: 178.

سريانة: 161.

سطيف: 112، 123، 142، 144، 146،

147، 149، 150، 165، 232.

سكيكدة: 142.

سلا: 212.

سلمية: 120، 150.

سماطة: 160.

سهل السرسو: 80، 108، 109، 110،

113، 163، 164.

سوجمار: 120، 134، 135، 140، 143،

232.

السوس الأقصى: 174.

سوسة: 183.

سوق إبراهيم: 93.

السوق القديم (سبرت أو صيرة): 98.

- طليطلة: 179.
- طنجة: 56، 57، 59، 172، 175.
- ع-
- العُباد: 218.
- عدوة نفوسة: 107.
- العراق: 81.
- عزيز: 164.
- عسكر مكرم: 150.
- العطف: 228.
- العلويون: 87، 88.
- عمان: 116.
- عين البرج: 150.
- عين البيضاء: 147.
- عين الحوت: 87، 88.
- عين الدفلى: 61، 92، 93، 166.
- عين الرقادة: 156.
- عين بوسيف: 166.
- عين تموشنت: 89.
- عين سلطان: 93.
- عين سوفقيف: 70.
- عين ملوك: 147.
- غ-
- الغدِير: 162، 191.
- غرداية (تغردايت): 229.
- غرناطة: 199، 200، 202.
- غليزان: 26، 61.
- ف-
- فاس: 9، 84، 155، 195، 197، 199، 202، 206، 212، 213.
- الفايجة: 70.
- فجّ الأختيار: 144.
- فخّ: 81.
- فرسطاء: 223.
- فرندة: 109.
- فلاوسن: 85، 86، 87، 88.
- ق-
- قابس: 98، 104، 105.
- قالمة: 134، 142.
- قبر الفرس: 66.
- القدس: 203.
- قرطبة: 43، 157، 168، 177، 179، 185، 197، 200، 201، 202، 208.
- قرمونة: 168.
- القرن: 58.
- قسنطينة: 134، 142، 147، 190، 192، 193، 202، 203، 210، 215.
- قصر البخاري: 26، 61.
- قصر بكر: 225.
- قصر الحجامين: 224.
- قصر رأس الوادي: 224.
- قصر الشلالة: 70، 231.

الكوفة: 33، 41، 43، 51، 116، 120،
209

كوكو: 160.

-ل-

لقنت: 212.

-م-

مازونة: 63، 216، 219.

مدريسة: 108.

مدغرة: 154.

مدكرة: 92، 166.

المدية: 26، 61، 93، 164، 166.

مدينة الجبل: 110.

المدينة الحسنة أو مدينة العلويين: 89، 90.

المدينة المنورة: 35، 42، 44، 45، 49، 81،
136.

مراكش: 199، 200، 204، 206.

مرسى ترنانة: 86.

مرسى دنهاجة: 142.

مرسى فروخ: 79، 90، 95، 231.

مرسى مغيلة بني هاشم: 217.

مرسية: 197، 212.

مروانة: 161.

مرية: 202.

مستغانم: 26، 63، 79، 90، 231.

مسراتة: 111.

قصر منصور بن سنان: 90.

قصر بني نوبة: 223.

القصرين: 134.

القل: 193.

قلعة حطّاب: 142.

قلعة حلافة: 190.

قلعة بني حمّاد: 181، 192، 194، 195،
196، 197، 205، 209، 213.

قلعة بني درجين: 221.

قلعة بني راشد: 111.

قلعة عقار: 165.

قلعة هوارة (تاسقالت): 111.

قنطرار: 11، 67.

قُوق: 113، 224.

القيروان: 12، 13، 15، 25، 44، 46،
47، 50، 51، 56، 57، 58، 59، 60،
61، 66، 67، 70، 82، 97، 98، 99،
105، 106، 124، 136، 153، 165،
177، 180، 181، 184، 195، 200،
204، 207، 208، 209.

-ك-

الكاف الأخضر: 166.

كدية مغراوة: 222.

كدية النكار: 119.

كريمة (اسم قصر وجبل): 225.

المنصورية: 153.	المسيلة: 24، 26، 94، 95، 151، 162، 167، 175، 176، 178، 179، 181، 192، 232، 233.
المنكب: 202.	المشرق: 28، 40، 44، 45، 50، 51، 52، 82، 83، 118، 121، 145، 177، 179، 184، 185، 196، 197، 202، 207، 212.
المهدية: 165.	مصر: 10، 50، 51، 56، 57، 59، 82، 84، 98، 102، 115، 118، 136، 143، 153، 155، 177، 204، 208.
مهريين: 151.	معسكر: 172.
موريطنيا القيصرية: 67.	المغرب الأدنى: 7، 21، 62، 80، 107، 114.
موضع الفرس: 66.	المغرب الأقصى: 7، 9، 12، 14، 52، 55، 131، 155، 156، 157، 168، 170، 172، 173، 174، 176، 179، 180، 194، 196، 202، 203، 204، 212، 227.
الميتة: 113.	مقرّة: 112، 123، 177.
ميعة: 123، 142، 146، 149، 150، 154، 177، 190.	مكة: 44، 81، 136، 143، 166، 203، 208.
-ن-	ملاكو: 108.
الناظور: 134، 142.	ملشوطة: 223.
الناظورة: 70.	ملشونة: 136.
ندرومة: 86، 199، 217.	مليانة: 26، 92، 112، 166، 167، 219.
نفطة: 67.	مليكة: 228.
نقاوس: 123، 151، 220.	المنستير: 183.
نمالتة: 87، 88.	
نهر تاتش: 73.	
نهر سيرات: 111.	
نهر واصل: 61، 80.	
نيسابور: 185.	
-ه-	
هاز: 94، 95، 112، 132، 158، 166، 232.	
هراة: 208.	
-و-	
واد الشرفاء: 93.	

وجدة: 76، 112.
ورقلة: 113، 225.
وغلانة: 221، 222.
وهران: 90، 125، 171، 175، 198،
200، 206، 216، 217، 218.

-ي-

يلل: 90، 110.
اليمن: 81، 115.

واد سوفقيف: 70، 110، 231.
وادي أزويل: 229.
وادي اسلي: 93.
وادي التافنة: 89.
وادي الجبل: 113.
وادي الرمال: 134.
وادي الشلف: 15، 26، 61، 63، 64،
67، 79، 83، 84، 91، 93، 94، 95،
97، 99، 100، 102، 112، 132، 138،
219، 231.
وادي سوف اسلم (سوسلم حالياً): 164.
وادي سوف: 69.
وادي ماسين: 217.
وادي ملوية: 8، 87، 112، 168، 171،
173، 174، 175، 176، 187، 227،
231، 232.
وادي ميزاب: 130، 131، 174، 223،
226، 227، 228، 229، 234.
وادي مينة: 73، 80، 108، 109، 163،
164.
وادي هوارة: 108.
الوادي: 113، 221.
وارجلان: 10، 11، 27، 80، 113، 130،
159، 160، 162، 163، 168، 169،
176، 192، 193، 209، 221، 223،
224، 225، 226، 228، 229، 233،
234.

فهرس الموضوعات

22-1	المقدمة
52-24	الفصل التمهيدي: المفاهيم العامة للدراسة وبدايات تشكّل الحركة المذهبية ببلاد المغرب في القرن 2هـ/8م
28-24	المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي للمغرب الأوسط
43-29	المبحث الثاني: التوجّهات المذهبية بالمغرب الأوسط: الأصول التاريخية والتصنيفات المعرفية
52-44	المبحث الثالث: احتضان بلاد المغرب للتوجّهات المذهبية في القرن 2هـ/8م
48-44	أوّلا-ظهور وانتشار عقائد الصفرية والإباضية في بلاد المغرب
49-48	ثانيا-تشكّل الحلف المعتزلي-الزيدي في بلاد المغرب
52-49	ثالثا-دخول الفقه الحنفي والمالكي إلى بلاد المغرب
95-54	الفصل الأوّل: أثر الحركة المذهبية في تشكيل الخارطة السياسية بالمغرب الأوسط فيما بين 122-296هـ/740-909م
65-55	المبحث الأوّل: إمارة أبي قرّة الصفري: المسار التاريخي والامتداد الجغرافي بالمغرب الأوسط
57-56	أوّلا-أبو قرّة: أصوله القبلية وبداية زعامته
61-57	ثانيا-دور أبي قرّة في الصراعات العسكرية ضد ولاة إفريقيّة
64-61	ثالثا-المجالات الجغرافية التابعة لإمارة أبي قرّة بالمغرب الأوسط
65-64	رابعا-مصير إمارة أبي قرّة
80-66	المبحث الثاني: الدولة الرستمية: خلفيات قيامها وامتدادها الجغرافي بالمغرب الأوسط
70-66	أوّلا-لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى جبل سوفجج: قراءة في جغرافية الأحداث
75-71	ثانيا-تأسيس مدينة تيهرت الرستمية
80-76	ثالثا-الامتداد الجغرافي للدولة الرستمية بالمغرب الأوسط
95-81	المبحث الثالث: الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط

84-81	أولا-امتداد الحكم العلوي بالمغرب الأوسط
95-84	ثانيا-الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط: مواقعها الجغرافية وسلالات حكامها
138-97	الفصل الثاني: الحضور الجغرافي للجماعات المذهبية بالمغرب الأوسط من بدايات القرن 2هـ/8م إلى نهاية العقد الثامن للقرن 3هـ/9م
106-97	المبحث الأول: الجماعات الصفرية في المغرب الأوسط
102-97	أولا-الصفرية فيما بين نواحي تلمسان ووادي الشلف
103-102	ثانيا-الصفرية في مدينة تيهرت ونواحيها
106-103	ثالثا-قبيلة ورفجومة في النواحي الشرقية للمغرب الأوسط
122-107	المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط: مجالاتها الجغرافية وتوجهاتها الفكرية
113-107	أولا-التوزع الجغرافي للجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط
122-114	ثانيا-الفرق الإباضية بالمغرب الأوسط
115-114	أ-الوهبية
121-115	ب-النكارية
122-121	ج-العمرية
122-122	د-الحسينية
138-123	المبحث الثالث: التوجهات المذهبية المزاحمة للجغرافية الصفرية والإباضية بالمغرب الأوسط
126-123	أولا-الجماعات السنية
131-126	ثانيا-الجماعات المعتزلية
135-131	ثالثا-التوجهات الشيعية بالمغرب الأوسط
133-131	أ-الزيدية
135-133	ب-الإسماعيلية
138-135	رابعا-انتشار الفقه الحنفي والمالكي بالمغرب الأوسط

187-140	الفصل الثالث: تحولات الجغرافية المذهبية بالمغرب الأوسط من العقد التاسع للقرن 3هـ/9م إلى قيام الدولة الحمادية في 408هـ/1017م
158-140	المبحث الأول: تحولات الجغرافية الشيعية بالمغرب الأوسط
143-141	أولا-المجال الكتابي قبل العقد التاسع من القرن 3هـ/9م
150-143	ثانيا-المشروع الإسماعيلي في بلاد كتامة
154-150	ثالثا-الجماعات الكتابية بالمغرب الأوسط: بين التوسعات المحلية والتداعيات الديمغرافية
158-154	رابعا-الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط: من التبعية إلى السقوط
169-159	المبحث الثاني: الجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط: بين توجهاتها الداخلية وتحولاتها الجغرافية
160-159	أولا- ظهور فرقة الفرثية بوارجلان
162-160	ثانيا- جوانب من الجغرافية النكارية بالمغرب الأوسط في الثلث الأول من القرن 4هـ/10م
169-163	ثالثا-تحولات الجغرافية الإباضية بالمغرب الأوسط
187-170	المبحث الثالث: توسع القاعدة السنّية المالكية بالمغرب الأوسط وملامح من تطورات حركتها الروحية
181-170	أولا-انتشار العقائد السنّية والآراء الفقهية المالكية بالمغرب الأوسط
187-182	ثانيا-تطورات الحركة الروحية في الوسط المالكي بالمغرب الأوسط
229-189	الفصل الرابع: معالم الخارطة المذهبية بالمغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م
206-189	المبحث الأول: سيطرة المالكية على المرجعية الفقهية بالمغرب الأوسط
194-189	أولا-تطور انتشار التوجه السنّي المالكي بالمغرب الأوسط
204-194	ثانيا-حواضر ومراكز الفقه المالكي بالمغرب الأوسط
206-204	ثالثا-محاولة لنشر الفقه الظاهري بالمغرب الأوسط

219-207	المبحث الثاني: انتشار الأشعرية والتصوّف بالمغرب الأوسط
210-207	أوّلا-انتشار الأشعرية بالمغرب الأوسط
219-211	ثانيا-انتشار التصوّف بالمغرب الأوسط
216-211	أ-الحركة الصوفية في المدن
219-216	ب-الحركة الصوفية في الأرياف
229-220	المبحث الثالث: الحضور الجغرافي للجماعات الإباضية بالمغرب الأوسط
227-220	أوّلا-التوزع الإباضي في المجالات الممتدة من جبل الأوراس إلى منطقة سدراتة
229-227	ثانيا-وادي ميزاب بين الوجود القبلي والتوافد الإباضي
234-231	الخاتمة
244-236	الملاحق
256-246	فهرس الأعلام
260-257	فهرس القبائل والأقوام
270-261	فهرس البلدان والأماكن
309-272	قائمة المصادر والمراجع
314-311	فهرس الموضوعات

الملخص:

تحاول هذه الدراسة تقديم تصوّر عامّ لواقع الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 6هـ/12م، وذلك بدء من انتشار عقائد الصفرية والإباضية به، ثمّ قيام كيانات سياسية تُمثّلها، امتدّ نفوذها السياسي على أجزاء من أرضه، وتأسيس العديد من الإمارات العلوية التي مثلت التوجّه الزيدي الشيعي بالمغرب الأوسط، وانتشار بعض التوجّهات العقدية والفقهية الأخرى التي كوّنت أقليات مذهبية في مُدن وأرياف المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي.

ثم عرف هذا المجال الجغرافي تحولات المذهبية مهمّة بعد انتشار الدعوة الإسماعيلية في القبائل الكتامية، كان من نتائجها ظهور العقائد السنّية والمذهب المالكي كأهمّ توجّه مذهبي بدأ في بسط سيطرته على جغرافية المغرب الأوسط خلال القرن 4هـ/12م، وبعد ذلك واصلت التطورات المذهبية في المجتمعات المالكية بالمغرب الأوسط، وذلك من خلال انتشار الأشعرية والتصوّف في القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م. وفي المقابل بعد التراجع الواسع لانتشار عقائد الإباضية، بقي أغلب معتنقيها خلال هذه الفترة يتمركزون في واحات وارجلان وأسوف وأريغ، ثمّ ضمّوا إلى مراكزهم وادي ميزاب بعد بداية تحوّل أهلها من الاعتزال إلى الإباضية في النصف الأوّل من القرن 5هـ/11م.

Abstract:

This study aims to present a general conception of the reality of sectarian geography in the Central Maghreb from the 2nd century AH/8 AD to the end of the 6th AH/12th century AD, starting with the spread of the Sufrit and Ibadit beliefs in it, then the political entities that represent them. Their political influence extended over parts of its land and the establishment of many emirates the Alawites, which represented the Zaydi Shiite trend in the Central Maghreb, and the spread of some other ideological and jurisprudential trends that formed sectarian minorities in the cities and countryside of Central Maghreb during the Rustumi era.

After that, this geographical field knew important doctrinal shifts after the spread of the Ismaili call in the Kutama tribes, one of the results of which was the emergence of Sunni beliefs and the Maliki doctrine as the most important doctrinal trend that began to extend its control over the geography of central Maghreb during the 4th century AH /12th century AD. Then, the sectarian developments continued in the Maliki societies in Central Maghreb East, through the spread of Ash'arism and Sufism in the 5th and 6th centuries AH/11 and 12 AD. On the other side, after the widespread decline of the spread of Ibadit beliefs, most of its adherents remained during this period, concentrated in the oases of Warjilan, Asouf and Arigh, Then they annexed to their centers the M'zab Valley after the beginning of the shift of its inhabitants from Mu'tazilism to Ibadism in the first half of the 5th century AH / 11 AD.